بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم وشرَّف وكرَّم ومجَّد وعظَّم ووالى عليه وأنعم

كتاب

كَنْزُ البراهينِ الكَسبِيَّة

والأسرارِ الوَهبِيَّة الغَيبِيَّة لسادات مشايخ الطَّريقة العَلَويَّة الحُسينيَّة

الجزء الثاني

تأليـــف

الولي الصَّالح العارف بالله تعالى والدّالّ عليه والداعي إليه

الإمام شيخ بن محمَّد الجفري رضي الله عنه

تحقيق

راجي عفو مولاه الودود

بسام محمد بارود

عفى الله عنه بجاه صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم

كتاب

كَنْز البراهينِ الكَسبِيَّة

والأسرارِ الوَهبِيَّة الغَيبِيَّة
لسادات مشايخ الطَّريقة العَلَويَّة الحُسينيَّة

[ترجمة]
[سيدنا ومولانا الإمام الحسين بن علي ﷺ]

ثم قلت:

[كما هو لبس لها من الحسين]

المذكور هنا عظيم القدر، عالي السنا، سبط الرسول وقرّة عين البتول، سامي الهمّة، ذو الفضائل الجمّة، القائم بالفرض والسُّنّة، أحد شباب أهل الجنّة، المظلوم من دون شك في خفي وجلي، سيدنا وقدوتنا الحسين بن علي.

ترجمه العلّامة الشبلي[1]، سالك الصراط السويّ، في كتابه «المشرع الروي في مناقب بني علوي»، فقال:

[اسمه الشريف وولادته ونشأته ﷺ]: الحُسين ـ بضم الحاء وتصغير الحسَن ـ وهو: السعيد الشهيد السبط ريحانة رسول الله ﷺ ويُكنى أبا عبد الله.

وُلد ﷺ بالمدينة يوم الثلاثاء، الرابع أو الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة، وعقَّ عنه رسول الله ﷺ يوم سابعه بكبشين أملحين، وأعطى الفخذ للقابلة، وحلق رأسه، وتصدق بزنة الشعر فضة، ثم طلى ﷺ رأسه بيده المباركة بالخلوق، كما فعل ذلك بأخيه الحسن رضي الله عنهما. قال علي ﷺ: «كنت أحب الحرب، فلما وُلد الحسن هممت أن أسميه حرباً، فسمّاه رسول الله ﷺ: الحسن، فلما وُلد الحسين هممت أن أسمِّيه حرباً فسمّاه ﷺ الحسين»، وقال: «سميت ابنيَّ هذين باسم ابني

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي ﷺ: الجزء الأول ـ صفحة 42 وما بعدها.

هارون عليه السلام شبراً وشُبيراً».

وقال ﷺ: «سمَّى هارون ابنَيْه شبراً وشبيراً، وإني سمَّيْت الحسن والحسين كما سمَّى هارون ابنيه»[1].

[ما جاء في فضل الحسن والحسين رضي الله عنهما من أحاديث شريفة عنه ﷺ]

وقال ﷺ: «الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة؛ ما سمّت العرب بهما في الجاهلية. وأما اللذان كانا باليمن، فهما حَسْن ـ بإسكان السين ـ وحَسِين ـ بفتح الحاء وكسر السين ـ».

وقال ﷺ: «الحسن والحسين شنفا أهل الجنّة، وليسا بمعلقين»[2].

وقال ﷺ: «أحبُّ أهل بيتي إليَّ الحسن والحسين».

وقال ﷺ : «هذان ابناي وابنا بنتي. اللهمَّ أحبَّهما، فأحبَّهما وأحبَّ مَنْ يحبهما»[3].

وقال ﷺ: «مَن أحبني وأحبَّ هذين وأحب أباهما وأُمهما؛ كان معي في درجتي يوم القيامة»[4].

---

(1) قوله ﷺ: «سمى هارون ابنيه شبرا وشبيرا، وإني سميت ابنيَّ الحسن والحسين كما سمى به هارون ابنيه. «شبرا وشبيرا»: (تحريكهما) كجبل وجبيل. قال في الفردوس: هما اسمان سريانيان معناهما مثل معنى الحسن والحسين ـ رواه البغوي، وعبد الغني في الإيضاح، وابن عساكر عن سلمان رضي الله عنه. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 4710.

(2) قوله ﷺ: «**الحسن والحسين شنفا العرش**» بشين معجمة ونون «وليسا بمعلقين»: قال الديلمي: يعني بمنزلة الشنفين من الوجه. والشنف: القرط المعلق في الوجه أي الأذن والمراد أحدهما عن يمين العرش والآخر عن يساره. وما ذكر من أن الرواية شنفا بشين معجمة هو ما في نسخ وهو الموجود في مسند الفردوس وغيره لكن اطلعت علي نسخة المصنف بخطه فرأيته كتبها بالسين المهملة. رواه الطبراني في الأوسط عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. **فيض القدير، شرح الجامع الصغير للإمام المناوي**: الجزء الثالث ـ الحديث رقم: 3824.

(3) روى الترمذي في سننه بسنده: قال: قال الْحَسَنُ بنُ أُسَامَةَ بن زَيْدٍ قالَ أَخْبَرَنِي أبي أُسَامَةَ بن زَيْدٍ قالَ: «طَرَقْتُ النّبيّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ في بَعْض الْحَاجَةِ فَخَرَجَ النّبيّ ﷺ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى شَيْءٍ لا أَدْرِي مَا هُوَ، فَلَمّا فَرَغْتُ مِنْ حَاجَتِي قلت: مَا هَذَا الّذِي أَنْتَ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِ فَكَشَفَهُ فإِذَا حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ عليهما السلام عَلَى وَرِكَيْهِ. فقالَ: هَذَانِ ابْنَايَ وابْنَا ابْنَتِي اللّهُمّ إِنّي أُحِبّهُمَا فأَحِبّهُمَا وَأَحِبّ مَنْ يُحِبّهُمَا». قال أبو عيسى: هَذا حَديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ. **سنن النسائي**: المجلّد الخَامِس. أبواب المَنَاقِب عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مناقب أبي محمد الحسن بن علَي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما ـ الحديث رقم: 3858.

(4) روى الترمذي في سننه بسنده عَلِيّ بنِ أَبي طَالِبٍ رضي الله عنه: «أَنّ النبيّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ قَالَ مَنْ أَحَبّنِي

وقال ﷺ: «هذان ابناي مَن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[1]،

وقال ﷺ: «من أحبني فليحب هذين»[2].

وقال ﷺ: «إن الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا».

وقال ﷺ: «إن ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدنيا»[3].

وقال ﷺ: «من أحبَّ الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[4].

وقال ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»[5].

وقال ﷺ لحذيفة رضي الله عنه: «أرأيت هذا العارض الذي عرض لي؟ هو ملك لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة؛ استأذن ربّه عز وجل أن يسلّم عليَّ ويبشّرني أن الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[6].

وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وأُمَّهُمَا كانَ مَعِي في دَرَجَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ. **سنن الترمذي**: المجَلَّد الخَامِس. أبواب المَنَاقِب عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 92 بابٌ- الحديث رقم: 3816.

(1) قوله ﷺ: «هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم! إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما». رواه الترمذي وابن حبان بسندهما عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي كتاب المناقب باب مناقب الحسن رضي الله عنه : الحديث رقم: 3769، وقال: حسن غريب. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الثاني عشر. الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما ـ الحديث رقم: 34255.

(2) روى الطبراني بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ يصلي والحسن والحسين على ظهره فباعدهما الناس وقال النبي ﷺ : دعوهما بأبي هما وأمي من أحبني فليحب هذين». **معجم الطبراني الكبير**: باب الحاء . حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكنى أبا محمد . بقية أخبار الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما .

(3) قوله ﷺ: «إن ابني هذين ريحانتاي من الدنيا». رواه ابن عدي وابن عساكر بسندهما عن أبي بكرة رضي الله عنه. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الثاني عشر. الحسن والحسين رضي الله عنهما- الحديث رقم: 34252.

(4) روى ابن ماجه وغيره ـ واللفظ لابن ماجه ـ بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «من أَحَبَّ الحَسَن والحُسَيْن فقَدْ أَحَبَّني، ومن أبغضهما فقَدْ أبغضني». قال فِي الْزَوَائِدِ: إِسْنَادُهُ صحيح، رِجَالَهُ ثِقَاتٌ. **سنن ابن ماجه**: الجزء الأول. افتتاح الكتاب في: الإيمان، وفضائل الصحابة، والعلم (11) بَاب فِيْ فضائل أصحاب رَسُول اللَّه ﷺ فَضْلُ الحسن والحسين ابْنُي عَلَى بْنُ أَبِي طالب رضي الله عنه ـ الحديث رقم: 143.

(5) قوله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**». رواه أحمد في مسنده، والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه. والطبراني في الكبير عن عمر وعن علي وعن جابر وعن أبي هريرة رضي الله عنه، والطبراني في الأوسط عن أسامة بن زيد وعن البراء رضي الله عنه، وابن عدي في الكامل عن ابن مسعود رضي الله عنه. **الجامع الصغير للإمام السيوطي**: الحديث رقم: 3820.

(6) قوله ﷺ: «أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه

وقال ﷺ: «ابناي الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما»[1].

وقال ﷺ: «أما حسن، فله هيبتي وسؤددي، وأما حسين فله جراءتي وجودي»[2].

وقال ﷺ: «صدق الله تعالى: [إنما أموالكم وأولادكم فتنة]؛ نظرت إلى هذين الصبيَّيْن يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[3].

وقال ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، إلا ابني خالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا»[4].

وقيل له ﷺ: أيُّ أهل بيتك أحبُّ إليك؟ قال: «الحسن والحسين»[5].

وكان ﷺ يصلي العشاء ذات ليلة، فكان إذا سجد ركب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه رفع رفعاً رفيقاً، ثم إذا سجد عاداً، فقيل: ألا تذهب بهما إلى

الليلة استأذن ربه ﷻ أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة». رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان بسندهم عن حذيفة ﵁. **زيادة الجامع الصغير، والدرر المنتثرة للإمام السيوطي**: الحديث رقم: 943 .

(1) قوله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، و أبوهما خير منهما**». رواه ابن ماجه، والحاكم في المستدرك عن ابن عمر ﵁، والطبراني في الكبير عن قرة، وعن مالك بن الحويرث الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود ﵁. **الجامع الصغير للإمام السيوطي**- الحديث رقم: 3821.

(2) قوله ﷺ: «**أما حسن فله هيبتي وسؤددي وأما حسين فإن له جرأتي وجودي**». رواه الطبراني بسنده عن سيدتنا فاطمة رضي الله تعالى عنها. **زيادة الجامع الصغير** ـ الحديث رقم: 967.

(3) روى الترمذي بسنده عن عبدِاللّهِ بن بُرَيْدَةَ ﵁ قالَ: سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ ﵁ يَقُولُ: «كانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنَ المِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمّ قالَ: صَدَقَ اللّهُ:]إِنّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ[نَظَرْتُ إلى هَذَيْنِ الصّبِيّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهمَا». قال أبو عيسى: هَذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إِنّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ الْحُسَيْنِ بنِ وَاقِدٍ. **سنن الترمذي**: المجَلَّد الخَامِس. أبواب المنَاقِب عَن رَسُولِ اللّهِ ﷺ 109 باب ـ الحديث رقم: 3863.

(4) قوله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران**». رواه أحمد وابن حبان والطبراني والحاكم وغيرهم عن أبي سعيد الخدري ﵁. انظر **الجامع الصغير للإمام السيوطي**- الحديث رقم: 3822.

(5) عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﵁ قال: «**سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَيّ أَهْلِ بَيْتِكَ أَحَبّ إِلَيْكَ؟ قالَ الْحَسَنُ والْحُسَيْنُ، وكَانَ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ: ادْعِي لي ابْنَيّ فَيَشُمّهُمَا ويَضُمّهُمَا إِلَيْهِ**». قال أبو عيسى: هَذا حديثٌ غَرِيبٌ مِنْ هذا الوجه من حَدِيثِ أَنَسٍ ﵁. **سنن الترمذي**: المجَلَّد الخَامِس. أبواب المنَاقِب عَن رَسُولِ اللّهِ ﷺ مناقب أبي محمد الحسن بن عليٍ بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب ﵁ ـ الحديث رقم: 3861.

أُمّهما، فبرقت برقة فلم يلزالا في ضوءها حتى دخلا على أُمهما»[1].

ومشى ﷺ على أربع وعلى ظهره الحسن والحسين، وهو يقول: «نِعْم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما»[2].

واعترك الحسن والحسين رضي الله عنهما، فقال ﷺ: «إيهاً حسيناً، خذه حسناً»، فقال عليّ رضي الله عنه: يا رسول الله! أعلى الحسين تواليه، وحسن أكبر؟! فقال ﷺ: «هذا جبريل يقول: إيهاً حسين»[3].

وقال ﷺ: «حسين مني وأنا منه، أحب الله مَن أحب حسيناً، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»[4].

وقال ﷺ: «من أحبني فليحب حسيناً».

وقال ﷺ: «من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة، فلينظر إلى هذا»، وأشار إلى حسين[5].

وسجد ﷺ، فجاء الحسين فركب عنقه وهو ساجد، فأطال السجود بالناس حتى

---

(1) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في صلاة العشاء وكان إذا سجد ركب الحسن والحسين على ظهره فإذا رفع رأسه رفع رفعا رفيقا ثم إذا سجد عادا فلما قضى صلاته أقعدهما في حجره فقلت: يا رسول الله! ألا أذهب بهما إلى أمهما؟ فبرقت برقة فلم يزالا في ضوئها حتى دخلا على أمهما. رواه ابن عساكر. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الثالث عشر. فضل الحسنين رضي الله عنهما- الحديث رقم: 37710.

(2) عن جابر رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربعة وعلى ظهره الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وهو يقول: نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما «. **معجم الطبراني الكبير**: باب الحاء . حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكنى أبا محمد . بقية أخبار الحسن بن علي رضي الله عنه .

(3) لم أجده فيما لدي من مصادر، والله أعلم.

(4) قوله ﷺ: «حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحب حسينا»، الحسن والحسين سبطان من الأسباط. والأسباط: جمع سبط، وهو ولد الولد. (والعبارة لتأكيد أنه رضي الله عنه بضعة منه ﷺ، أو لتأكيد معنى القبلية، قال تعالى: [وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا] أي قبائل. بناء على شرح المناوي. ويحتمل إرادته هنا على معنى أنه يتشعب منهما قبيلة، ويكون من نسلهما خلق كثير، وقد كان. والحديث أخرجه البخاري في الأدب والترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن يعلى بن مرة. انظر الجامع الصغير وفيض القدير ـ الحديث رقم: 3727.

(5) قوله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن»، أي: بن علي أحد الريحانتين فإنه سيدهم، وأهل الجنة كلهم شباب، كما دل عليه خبر: «أهل الجنة جرد مرد، لا يفنى شبابهم ولا يصح إضافة الشباب إليهم إلا بجعل الإضافة للبيان كقوله تعالى: [من بهيمة الأنعام]، وفي رواية الحسين بدل الحسن. وراه ابن عساكر عن جابر بن عبد اللّه رضي الله عنه، انظر: **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ـ الحديث رقم: 8747.

ظنوا كأنه حدث أمر، فلما قضى صلاته قال: «إن ابني هذا ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»[1].

وفي قوله ﷺ: «وأبوهما خير منهما» حجة لما عليه أهل السنة أن الأئمة الأربعة أفضل من أهل البيت، نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادلها وصف علم ولا عمل، وبه وجه قول بعضهم بتفضيل الحسنين على غيرهما؛ أي من حيث تلك البضعة الشريفة، وإن كان غيرهما ممن ذُكر أفضل منهما علماً وعملاً ومعرفة.

واستشكل قوله ﷺ: «سيدا شباب أهل الجنة» بأنهما ماتا غير شابَّيْن، وبأن الجنة ليس فيها شباب؛ لأن الوارد أن جميع أهل الجنة يكون على خلقة أبناء ثلاث وثلاثين سنة، ثم يدخلونها وهم كلهم مستوون في هذا السِّن الذي هو سنّ الكهولة وأعدل الأسنان وأشرفها، ولذا اختير كونهم عليها، وحينئذ فليس في الجنة شباب ولا كهول ولا شيوخ، فأيُّ شباب هما سيداهم؟.

وأُجيب: بأن المراد بالشباب: الذين ماتوا شباباً، فهما سيّدا هؤلاء من غير استثناء. وأما الكهول والشيوخ، فإنهم قد يسودانهم، وهو الأكثر، وقد لا؛ كالأئمة الأربعة ﷺ.

والحاصل: أنهما سيدا شباب الناس على الإطلاق، وغير الشباب فيهم تفصيل، فلذا ذكر الشباب فقط، وأضافهما إلى الجنّة باعتبار أنه يقال لمن هو في حال شبابه، وقد كتب سعيداً هذا من شباب الجنة؛ أي: من الموصوفين الآن بكونهم من الشباب، وكونهم من أهل الجنّة. وحيث اتّضحت حكمة الشباب وحكمة إضافتهم إلى الجنة، واتضح أنه لا يحتاج إلى استثناء الأربعة الخلفاء؛ فضلاً عن الأنبياء، واتضح أن في هذا من المدح لهما، ورفعة قدرهما، وبيان تمييزهما ما لا يخفى عظيم وقعه.

---

(1) روى النسائي في سننه بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْن شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلاَتَي الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاَةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَىْ صَلاَتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا. قَالَ أَبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلاَةَ قَالَ النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَي صَلاَتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ. قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ». **سنن النسائي**: المجلد الثاني. كتاب الافتتاح. باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة.

أدرك ﷺ في حياة جدّه ﷺ سبع سنين، وحفظ عنه، وروى عنه ﷺ وعن أبويه، وخاله هند بن أبي هالة. وروى عنه أخوه الحسن وابنه علي وحفيده محمد الباقر، وابنته فاطمة بنت الحسين، وعكرمة، والشعبي، والفرزدق، وهمام، وطلحة بن عبيد الله العقيلي ﷺ، وقد خصَّ النبيّ ﷺ ما حصل للحسين من القتل بالإخبار عنه، فقال ﷺ: «لقد دخل عليَّ البيت ملك لم يدخل عليَّ قبلها، فقال لي: إن ابنك حسيناً هذا مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها»، قال: «فأخرج تربة حمراء»[1].

وقال ﷺ: «إن ملك القطر استأذن ربّه أن يأتي النبيّ ﷺ، فأُذن له فقال لأُم سلمة: أمسكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد». قالت: وجاء الحسين ﷺ ليدخل فمنعته، فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبيّ ﷺ، وعلى منكبيه وعاتقه، فقال الملك للنبي ﷺ: أتحبّه؟ قال: «نعم»، فقال: إن أُمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل به، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أُم سلمة فصرّتها في خمارها»، قال ثابت: بلغنا أنها كربلاء[2].

وفي رواية: فجعل النبيّ ﷺ يلثمه ويقبّله، فقال له الملك: أتحبه؟ قال: «نعم»، قال: إن أُمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يُقتل به، فجاءه بسهلة أو تراب أحمر، فأخذته أُم سلمة فجعلته في ثوبها.

وفي رواية: نحو هذا إلا أن فيها أن الملك جبرائيل، وزاد في آخره: فشمَّها رسول الله ﷺ. وقال: «ريح كرب وبلا»، وقال: «يا أُم سلمة! إذا تحوّلت هذه التربة دماً، فاعلمي أن ابني قد قُتل»، فجعلتها أُم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها وتقول:

---

(1) روى الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ الْبَيْتَ مَلَكٌ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ قَبْلَهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّ ابْنَكَ هَذَا حُسَيْنٌ مَقْتُولٌ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ مِنْ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا» قَالَ: «فَأَخْرَجَ تُرْبَةً حَمْرَاءَ». **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المجلد السادس. أحاديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ ـ حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ .

(2) روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ مَلَكَ الْمَطَرِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «امْلِكِي عَلَيْنَا الْبَابَ، لَا يَدْخُلْ عَلَيْنَا أَحَدٌ»، قَالَ: وَجَاءَ الْحُسَيْنُ لِيَدْخُلَ فَمَنَعَتْهُ، فَوَثَبَ فَدَخَلَ فَجَعَلَ يَقْعُدُ عَلَى ظَهَرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى مَنْكِبِهِ، وَعَلَى عَاتِقِهِ، قَالَ: فَقَالَ الْمَلَكُ لِلنَّبِيِّ ﷺ:أَتُحِبُّهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: أَمَا إِنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَجَاءَ بِطِينَةٍ حَمْرَاءَ، فَأَخَذَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ فَصَرَّتْهَا فِي خِمَارِهَا. **مسند الإمام أحمد بن حنبل** : المجلد الثالث. مسند أنس بن مالك ﷺ .

إن يوماً تحوّلين دماً ليوم عظيم[1].

وعن أسماء بنت عميس، قالت: عقَّ النبي ﷺ عن الحسين يوم سابعه، وجعله في حجره، فبكى ﷺ. قلت: فداك أبي وأُمي! مِمَّ بكاؤك؟ فقال: «ابني هذا يا أسماء تقتله الفئة الباغية من أُمتي، لا أنالهم الله شفاعتي، يا أسماء لا تخبري فاطمة فإنها قريبة عهد بولادة».

وعن أُم سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ نائماً في بيتي، فجاء حسين رضي الله عنه يدرج، فقعدت على الباب، فأمسكته مخافة أن يدخل فيوقظه، ثم غفلت، فدبَّ، فدخل فقعد على بطنه ﷺ، قال: فسمعت نحيب رسول الله ﷺ، فجئت فقلت: يا رسول الله! و الله ما علمت به، فقال: «إنما جاءني جبريل عليه السلام، وهو على بطني قاعد، فقال لي: أتحبّه؟ فقلت: نعم، فقال: إن أُمتك ستقتله، ألا أُريك التربة التي يُقتل بها؟ قال: فقلت: بلى، قال: فضرب بجناحه، فأتاني بهذه التربة»، قالت: وإذا في يده تربة حمراء وهو يبكي ويقول: «يا ليت شعري مَن يقتلك بعدي»[2].

وفي رواية: «إن جبريل كان عندي آنفاً، فقال لي: إن أُمتك ستقتله بعدك بأرض يقال لها كربلا؛ تريد أن أُريك تربته يا محمّد»؟ فتناول جبريل من ترابها فأراه النبيَّ ﷺ،

---

(1) روى الطبراني بسنده عَنْ أَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: كَانَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَلْعَبَانِ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِي، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ أُمَّتَكَ تَقْتُلُ ابْنَكَ هَذَا مِنْ بَعْدِكَ. فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْحُسَيْنِ، فَبَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَدِيعَةٌ عِنْدَكِ هَذِهِ التُّرْبَةُ». فَشَمَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «رِيحُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ». قَالَتْ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِذَا تَحَوَّلَتْ هَذِهِ التُّرْبَةُ دَمًا فَاعْلَمِي أَنَّ ابْنِي قَدْ قُتِلَ». قَالَ: فَجَعَلَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ فِي قَارُورَةٍ، ثُمَّ جَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ، وَتَقُولُ: إِنَّ يَوْمًا تَحَوَّلِينَ دَمًا لَيَوْمٌ عَظِيمٌ «. **معجم الطبراني الكبير**: باب الحاء. الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يكنى أبا عبد الله. ذكر مولده وصفته وهيأته رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه وعن أبيه وأمه.

(2) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله تعالى عنها: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَائِمًا فِي بَيْتِي فَجَاءَ حُسَيْنٌ يَدْرُجُ، قَالَتْ: فَقَعَدْتُ عَلَى الْبَابِ فَأَمْسَكْتُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَدْخُلَ فَيُوقِظَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ غَفَلْتُ فِي شَيْءٍ، فَدَبَّ، فَدَخَلَ، فَقَعَدَ عَلَى بَطْنِهِ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ نَحِيبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ بِهِ؟ فَقَالَ: «إِنمَا جَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ عَلَى بَطْنِي قَاعِدٌ، فَقَالَ لِي: أَتُحِبُّهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ! أَلَا أُرِيكَ التُّرْبَةَ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا؟ قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ فَأَتَانِي بِهَذِهِ التُّرْبَةِ». قَالَتْ: فَإِذَا فِي يَدِهِ ﷺ تُرْبَةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ: «يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَقْتُلُكَ بَعْدِي؟». انظر: **المنتخب من مسند عبد بن حميد تحقيق صبحي السامرائي**: الجزء الأول ـ صفحة 442.

ودفعه إليه. قالت أُم سلمة: فأخذته فجعلته في قارورة فأصبته يوم قُتل الحسين، وقد صار دماً. وفي رواية: ثم قال ـ يعني: جبريل ـ: ألا أُريك تربة مقتله؟ فجاء بحصيات، فجعلهنَّ رسول الله ﷺ في قارورة، فلما كان ليلة قتل الحسين؛ سمعت قائلاً يقول: [شعر]

أيها القاتلون جهلاً حسينا أبشروا بالعذاب والتذليل
قد لُعنتم على لسان ابن داو د وموسى وحامل الإنجيل

قال: فبكيت وفتحت القارورة، فإذا الحصيات قد جرت دماً.

وكان لعائشة ـ رضي الله عنها وعن أبيها ولعن شانئيها ـ مَشْرَفَةٌ، فكان ﷺ إذا أراد جبريل عليه السلام رآه فيها، فرقاها مرة، وأمر عائشة أن لا يطلع عليه أحد، فدخل حسين رضي الله عنه فرقاها، ولم تعلم حيث غشيهما، فقال جبريل عليه السلام: مَن هذا؟ قال: ابني، فأخذه رسول الله ﷺ فجعله في فخذه، فقال جبريل: سيقتل، تقتله أُمتك. فقال رسول الله ﷺ: «أُمتي؟!»، قال: نعم، وإن شئت أخبرتك بالأرض التي يُقتل فيها، فأشار جبريل عليه السلام بيده إلى الطف بالعراق، فأخذ منه تربة حمراء، فأراه إياها.

ولما مرَّ عليّ كرَّم الله وجهه ـ بكربلا في سَيْره إلى صفين، وحاذى نينوى ـ قرية على الفرات ـ فوقف ونادى مطهرته، أخبرنا أبا عبد الله! ما يقال لهذه الأرض؟ فقال: كربلا، فبكى حتى بلَّ الأرض من دموعه، ثم قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقلت: ما يُبكيك؟ فقال: «كان عندي جبريل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يُقتل بشاطىء الفرات، بموضع يقال له كربلا». ثم قبض جبريل قبضة من تراب، فشممني إياها، فلم أملك عينيَّ أن فاضتا، ولما مرَّ على موضع قبر الحسين فقال: هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم؛ فتيةٌ من آل محمَّد يُقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض.

وحاصل ما ذكره أهل السير في ذلك: أنه لما استخلف يزيد سنة ستين كتب إلى عامله بالمدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يأخذ له البيعة على أهل المدينة، ويأخذ على الحسين وابن الزبير وجماعة سمّاهم أخذاً شديداً ليس فيه رخصة، فأرسل إلى الحسين وعبد الله بن الزبير ليلاً وأتى بهما، فقال: بايعا، فقالا: مثلنا لا يبايع سرًّا،

ولكنّا نبايع على رؤوس الأشهاد إذا أصبحنا، فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة، وذلك لليلتين بقيتا من رجب، فعلم به أهل الكوفة، فكتب إليه وجوههم: أنّا قد حبسنا أنفسنا عليك، فاقدم علينا فنحن في مائة ألف، فقد فشا فينا الجور وعمل فينا بغير كتاب الله وسُنَّة رسوله، ونرجو أن يجمعنا الله بك على الحق، وينفي عنا بك الظلم. وتواترت كتبهم إليه، فعزم على المسير، فنهاه ابن عباس ﵄، وقال له: إن أهل الكوفة قوم غدر، قتلوا أباك، وخذلوا أخاك، فإذا عصيتني فاترك أولادك وأهلك ههنا. فلم يُجِبه، فبكى وقال: واحبيباه!

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: استأذنني الحسين ﵁ في الخروج، فقلت: لولا أن يزري ذلك بك وبي لقلت بيدي في رأسك، قال: فكان الذي قال: لأن أُقتل بمكان كذا وكذا أحبّ إليَّ من أن يُستحلَّ بي، قال: فذاك سلا نفسي عنه.

وقال له عبد الله بن الزبير ﵁: تأتي قوماً قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟ فقال الحسين: لأن أُقتل في موضع كذا وكذا أحبُّ إليَّ من أن يستحلَّ بي ـ يعني: الحرم ـ.

وفي رواية أنه قال لابن الزبير: إن أبي حدَّثني أن بها كبشاً يستحل حرمها، فما أحبُّ أن أكون ذلك الكبش، ولأن أُقتل خارجها بشبرين أحب إليَّ من أن أُقتل خارجها بشبر.

وجاءه ابن عمر رضي الله عنهما ـ وكان بمال له، فلحقه على مسيرة يومين، ولامه على المسير وقال له: أن رسول الله ﷺ خُيِّر بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، وإنك بضعة من رسول الله ﷺ، وأنه لن ينالها ولا ولايتها أحد منكم، فارجع؛ فأبى، فاعتنقه وقبّل بين عينيه وبكى، وقال: أستودعك من قتيل.

وقد كان فيما قاله الحسن ﵁ عندما احتضر لأخيه الحسين ﵁: أبى الله أن يجعل فينا أهل البيت النبوّة والدنيا والخلافة والملك، فإياك وسفهاء أهل الكوفة أن يستخفوك فيُخرجوك ويُسلّموك فتندم، ولات حين مناص. يا أخي! إن أباك حين قُبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبه، فصرفه الله عنه، ووليه أبو بكر ﵁، فلما حضرت الوفاة أبا بكر ﵁ تشوف لها أيضاً فصُرفت عنه إلى عمر ﵁، فلما قُبض عمر ﵁، جَعَلها ﵁ شورى بين ستّة وهو أحدهم، فلم يشك أنها لا تعدوه،

فصُرفت عنه إلى عثمان ﷺ، فلما هلك عثمان ﷺ بويع له، ثم نُوزع حتى جرّد السيف وطلبها، فما صفى له شيء منها، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوّة والخلافة، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء الكوفة!. وقد تذكر ذلك الحسين ﷺ ليلة قتله، وكان يترحم على أخيه الحسن ﷺ.

ولما بلغ أخاه محمد بن الحنفية ﷺ مسيره كان يتوضأ وبين يديه طست، فبكى حتى ملأه من دموعه، ولم يبق بمكة إلا مَن حزن لمسيره، فسار الحسين ﷺ في سبعين فارساً ومعه نيّف وثلاثين من أهل بيته ﷺ؛ رجالاً ونساءً وصبياناً، وقدّم أمامه مسلم بن عقيل، فنزل الكوفة وبايعه منهم اثنا عشر ألفاً وقيل أكثر، وتغافل عنه أميرها النعمان بن بشير، فبلغ يزيد فكتب إلى عبيد الله بن زياد بن أبيه: قد ولّيتك الكوفة مع البصرة، وإن الحسين قد صار إلى الكوفة فاحترز منه، واقتل مسلم بن عقيل. فقدم عبيد الله من البصرة وقتل مسلم بن عقيل، وبعث برأسه إلى يزيد، فشكره وحذّره من الحسين ﷺ وأمره أن يحبس على الظنّة ويأخذ على التّهمة، ولقي الحسين ﷺ الفرزدق الشاعر مقبلاً من الكوفة، فقال له: بيّن لي خير الناس، فقال: أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله! قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أُمية، والقضاء ينزل من السماء، و الله يفعل ما يشاء.

ويُروى أن الحسين أنشد شعراً:

فـإن تـكـن الـدنـيـا تُـعـدّ نفيسةً
فـإن ثـواب الـلـه أعـلـى وأنْـبَـل
فـإن تكن الأبـدان للموت أُنشئت
فقتل امـرىء في الله بالسيف أفضلُ
وإن تكن الأرزاق قسماً مـقـدّراً
فقلّة حِرْص المرء في المكسب أجملُ
وإن تكن الأمـوال للتَّرْك جمعها
فـمـا بـال مـتـروك بـه الـمـرء يبخل

وفي «أسد الغابة»: أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وأمرني بأمر فأنا فاعل بما أمر، وسار وهو غير عالم بما جرى لمسلم بن عقيل، حتى كان على ثلاث من القادسية؛ تلقّاه الحرّ بن يزيد التميمي على ألف فارس من أصحاب ابن زياد أخرجهم عيناً على الحسين، فنصحه الحرّ وقال له: ارجع، فما تركت لك خلفي خيراً ترجوه، وأخبره الخبر وقدوم ابن زياد واستعداده له، فهمَّ بالرجوع فقال له أخوه مسلم بن عقيل: والله لا ترجع حتى نصيب بثأرنا أو نُقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم، ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد، فعدل إلى كربلاء، فنزل بها في خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل، وقيل أكثر، ولما نزل قال: ما اسم هذه الأرض؟ فقيل: كربلا، فقال: صدق رسول الله ﷺ، أرض كربٍ وبَلَا، ولقد مرّ أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفِّين وأنا معه، فوقف وسأل عنه فأُخبر باسمه، فقال: هاهنا محطّ ركابهم وهاهنا مراق دمائهم. فسئل عن ذلك، فقال: نفرٌ من آل محمد ﷺ ينزلون هاهنا. ثم أمر بأثقاله فحطّت في ذلك المكان، وكان ابن زياد قال لعمر بن سعد بن أبي وقاص: اكفني هذا الرجل، فقال له: اعفني، فقال: لا أعفيك، قاتله وإلا عزلتك. وكان قد ولّاه الريّ وخراسان، فأجابه لمقاتلته، وسار في ستّة آلاف، ومنعوا الحسين وأصحابه من الماء ثلاثة أيام، ثم بعث عمر للحسين ﷺ يطلب الاجتماع به في خلوة لكراهته قتاله، فاجتمعا فقال عمر: مَن جاء بك؟ قال: أهل الكوفة، قال: أما عرفت ما فعلوا معكم؟ فقال: من خادعنا في الله انخدعنا له، فقال عمر: فقد وقعت الآن، فما ترى؟ فقال: دعوني أرجع فأقم بمكة أو المدينة أو ببعض الثغور. وفي رواية قال له: ألا تقبلون مني ما كان رسول الله ﷺ يقبله من المشركين؟ كان إذا جنح أحد للسلم قَبِل منه. قالوا: لا، قال: فدعوني أرجع، قالوا: لا، قال: فدعوني آتي أمير المؤمنين. وفي أخرى: قال: يا عمر! اختر مني إحدى ثلاث خصال: إما تتركني أرجع كما جئت، فإن أبَيْت هذه، فسيِّرْني إلى يزيد فأضع يدي في يده، فيحكم بما رأى، فإن أبَيْت هذه فسيِّرْني إلى ثغر الكفار فأُقاتلهم حتى أموت. فأرسل عمر إلى ابن زياد بذلك، فهمَّ ابن زياد أن يسير إلى يزيد، فقال له شمر بن ذي الجوشن: لا، إلا أن ينزل على حكمك. فقال: نِعم ما رأيت. وكتب إلى ابن سعد: إني لم أبعثك لتكون شفيعاً له عندي، فإن نزل على حكمي ووضع يده في يدي فابعث به، وإن أبى فاقتله وأصحابه وأوطيء الخيل صدره وظهره ومثّل به، وإن أبَيْت

فاعتزل عملنا وسلّمه إلى شمر بن ذي الجوشن. ودفع الكتاب إلى شمر، وقال له: إن فعل ما أُمر به وإلا فاضرب عنقه، وأنت الأمير على الناس. فلما وصل شمر، قال له ابن سعد: لا أهلاً بك ولا سهلاً، بالأبرص لقد ثبته بما كان في عزمه، وبعث إلى الحسين ﵁ فأخبره، فقال: و الله لا وضعت يدي في يد ابن مرجانة أبداً، فخرج الحرّ بن يزيد في ثلاثين رجلاً من أهل الكوفة، فقالوا: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال لا تقبلون منها شيئاً، فتحوّلوا مع الحسين ﵁ ثم رجعوا إليه وناداه عبد الله بن حصَين: يا حسين! ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لن تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً. فقال الحسين ﵁: اللّهمَّ اقتله عطشاً، فكان يشرب الماء ولا يُروى حتى مات عطشاً. ودعا الحسين ﵁ بماء يشربه فرماه رجل يقال له ورعة بسهم، فأصاب حنكه فحال بينه وبين الماء، فقال: اللّهمَّ أظمئه، فكان يصيح من الحرّ في بطنه، ومن البرد في ظهره، وبين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكانون ويقول: اسقوني، فيؤتى بالظرف العظيم فيه السويق والماء واللبن لو شربه خمسة لكفاهم، فيشربه ويقول: اسقوني أهلكني العطش، فسقي كذلك إلى أن انقدّ بطنه كانقداد البعير. وناداه شمر: الساعة ترد الهاوية، فقال الحسين ﵁: الله أكبر، أخبرني جدي رسول الله ﷺ ، قال: «رأيت كأن كلباً ولغ في دماء أهل بيتي»، وما أخالك إلا إياه. وكان أكثر الخارجين لقتاله الذين كاتبوه وبايعوه، ولما حمل عليهم بسيفه أنشأ يقول:

أنا ابن علي الحَبْر من آل هاشم
كفاني بهذا مفخراً حين أفخر

وجدي رسول الله أكرم من مشى
ونحن سراج الله في الناس نزهر

وفاطمة أُمي سلالة أحمد
وعمي يدعى ذو الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقاً
وفينا الهدى والوحي والخير يذكر

وثبت ﵁ ثباتاً باهراً، مع كثرة أعدائه وعددهم ووصول سهامهم ورماحهم إليه، ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه؛ إذ هو شجاع القرم الذي لا يزول ولا يتحول، ولما استمر القتل بأهله فإنهم ما زالوا يقتلون الواحد بعد الواحد حتى قتلوا ما يزيد على خمسين ﵃؛ صاح الحسين ﵁: أما ذابٍّ يذبّ عن حرم رسول الله ﷺ؟ فحينئذٍ خرج يزيد بن الحارث من عسكر أعدائه راكباً فرسه، وقال: يا ابن رسول الله! لئن كنت أول من خرج عليك، فإنني الآن من حزبك لعلّي أنال بذلك شفاعة جدّك. ثم قاتل حتى قُتل، فلما فني أمماً به وبقي بمفرده؛ حمل عليهم وقتل كثيراً من شجعانهم، فحمل عليه جمع كثيرون منهم حالوا بينه وبين حريمه، فصاح: كفّوا سفهاءكم عن الأطفال والنساء. فكفّوا ثم لم يزل يقاتلهم إلى أن أثخنوه بالجراح، فسقط إلى الأرض، فجزُّوا رأسه ﵁، فإنّا لله وإنا إليه راجعون وأكرمه الله تعالى بالشهادة يوم الجمعة في يوم عاشوراء، عام إحدى وستين.

وفي «أسد الغابة»: لما قُتل الحسين ﵁ أمر عمر بن سعد نفراً، فركبوا خيولهم وأوطأوا الحسين وقُتل معه من بنيه وبني أخيه الحسن ومِن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلاً ﵃، وقيل: إحدى وعشرون، منهم ولداه علي الأكبر والأصغر، وعبد الله وإخوته علي الأصغر ومحمد وعتيق والعباس الأكبر وأبو بكر وعثمان وجعفر وابن أخيه قاسم بن حسن وأولاد عمّه محمد وعون ابنا عبد الله بن جعفر وابناه عبد الله وعبد الرحمن، وكان عُدَّة مَن قُتل معه اثنين وسبعين، والذي قتل الحسين ﵁ سنان بن أنس النخعي، وقيل: شمر بن ذي الجوشن، وكان أبرص أجهر ثم تمَّم عليه حولي بن يزيد الأصمعي ـ لعنة الله عليه ـ من حمير جزَّ رأسه، وقيل: قاتله رجل من مذحج، ووضع رأسه بين يدي ابن زياد وأنشد قاتله:

املأ ركابي فضّة وذهباً   فقد قتلت السيد المحبَّبا

كذا في «أسد الغابة». وفي «الاستيعاب»:

إني قتلت الملك المحبَّبا   قتلت خير الناس أُمًّا وأباً
وخيرهم إذ يذكرون نسباً   ومن يصلي القبلتين في الصّبا

فغضب ابن زياد من قوله، وقال له: إذا علمت ذلك، فلِمَ قتلته؟ والله لا نلت مني خيراً ولألحقنّك به.

ثم ضرب عنقه، وجعل ينكث بقضيب على ثنايا الحسين ﵁، ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً!.

وكان عنده أنس بن مالك ﵁، فبكى وقال: كان أشبههم برسول الله ﷺ، ولقد رأيته ﷺ يقبّل موضع قضيبك، وقال زيد بن أرقم: ارفع قضيبك، فو الله لطالما رأيت رسول الله ﷺ يقبّل ما بين هاتين الشفتين، ثم بكى. فقال له ابن زياد: أبكى الله عينك، لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك. فقال زيد: لأُحدِّثنّك بما هو أغيظ عليك من هذا؛ رأيت رسول الله ﷺ أقعد الحسن والحسين رضي الله عنهما ـ على فخذيه ثم وضع يده على يافوخهما، ثم قال: «اللّهمَّ إني استودعتك إياهما وصالح المؤمنين»، فكيف كانت وديعة رسول الله ﷺ عندك يا ابن زياد؟ ثم نهض وهو يقول: أيها الناس! أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مرجانة، والله لتقتلن خياركم وتستعبد شراركم، فبُعْداً لمن رضي بالذلّة والعار.

ثم أن ابن زياد جهز على ابن الحسين ومَن معه مِن حرمه إلى يزيد بن معاوية، وهو يومئذ بدمشق مع شمر بن ذي الجوشن في جماعة، فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون ويتحيون بالرأس، فبينما هم كذلك إذ خرجت يدٌ من الحائط، فكتبت بدم شعراً:

أترجو أُمة قتلت حُسَيْناً شفاعة جدِّه يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس، ووجدوا هذا البيت في كنيسة من كنائس الروم بالعربية، فسألوا: مَن كتب هذا؟ قالوا: ما ندري، وقال راهب: إنه مكتوب قبل أن يُبعث نبيّكم بخمسمائة عام، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أخرجُوا الرأس من الصندوق فوضعوه على رمح وحرسوه إلى وقت الرحيل، فوصلوا منزلاً فيه دير راهب ووضعوا الرأس على الرمح مستنداً إلى الدَّيْر، فرأى الراهب نوراً من الرأس إلى السماء، فسألهم عن الرأس، فقال: رأس الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال: نبيِّكم؟! قالوا: نعم، قال: بئس القوم أنتم، لو كان للمسيح ولد لأسكناه أحداقنا، ثم هل لكم في عشرة آلاف دينار

ويكون الرأس عندي الليلة؟ قالوا: وما يضرّنا؟!. فأخذ الرأس فغسله وطيَّبه وتركه على فخذه وقعد يبكي إلى الصبح، وقال: لا أملك إلا نفسي، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله ﷺ، ثم خرج عن الدير وصار يخدم أهل البيت، فلما أرادوا يقسمونها فوجدوها خزفاً وعلى إحدى جانبي الدينار مكتوب: [ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون]، وعلى الثاني: [وسيعلم الذين ظلموا]، الآية.

ولما وصلت الرأس الشريفة إلى يزيد دمعت عيناه، وقال: رحمك الله يا حسين، لقد قتلك رجل لم يعرف حق الأرحام، لعن الله ابن مرجانة لقد زرع لي العداوة في قلب البرِّ والفاجر، أما و الله لو كنت صاحبه لعفوت عنه. ثم قال: يرحم الله أبا عبد الله، وتمثَّل بقول القائل: [شعر]

نغلق هاماً من رجال أعزّة   علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

ثم أمر بالذرية، فأُدخلوا دار نسائه. وكان إذا أحضر طعامه دعا عليَّ بن الحسين وأخاه عمر فأكلا معه. ثم وجَّه الذرية مع علي بن الحسين ووجه معهم ثلاثين فارساً إلى المدينة الشريفة، ولما وصلوا إلى المدينة لم يبق بها أحد إلا خرج وضجّ بالبكاء.

وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب كاشفة وجهها ناشرة شعرها تصيح: واحسيناه! وا أخوتاه! وا محمّداه! ثم قالت: [شعر]

ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم   ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم

بأهل بيتي وأولادي أمَا لكم   عهد أما أنتم توفون بالذِّمم

ذريتي وبني عمي بمضيعةٍ   منهم أسارى وقتلي ضرحوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم   أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمِ

وقال سرادقة الباهلي: [شعر]

عينُ ابكي بعبرةٍ وعويل   واندبي إن ندبت آل الرسُول

سبعة منهم لصلب علي   قد أُبيدوا وخمسة لعقيل

وأوردها ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» بلفظ تسعة، بتقدّم الفوقية على السين في الأول، وبدل خمسة ثلاثة. ووقف سليمان بن قتتة ـ بفتح القاف وتاءين فوقيتين ـ وهي أُمه على مصارعهم، فبكى وقال: [شعر]

وإن قتيـل الطـف من آل هاشـم — أذلَّ رقابـاً مـن قريـش فذلّـت

مـررت علـى أبيـات آل محمَّدٍ — فلـم أرَ مـا مثلهـا حيـن حلّت

فـلا يبعـد اللـه الديـار وأهلها — وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة — لفقـد حسـين والبلاد اقشـعرَّت

وقـد اعولت تبكي الدمـاء لفقده — وأنجمهـا ناحـت عليـه وصَلّت

وكانـوا لنـا غيثـاً فعـادوا رزيَّة — لقد عَظُمت تلـك الرزايا وجلَّت

وقيل أيضاً: [شعر]

وجرت أُمـور لا يكيـف وصفها — وبذكرهـا تتفلـذ الأكبـاد

فقحمت عن ذكـري لها وهجرتها — وأود أن لا تذكـرن وتعـاد

لأن قلـوب السـامعين لذكرهـا — سـيما الأحبّـا بفتحهـا تـزداد

ووُجد حجر مكتوب عليه: [شعر]

لا بـدَّ أن تـرد القيامـة فاطـمُ — وقميصهـا بـدم الحسـين ملطّخ

ويـلٌ لمـن شـفعاؤه خصمـاؤه — والصـور في يـوم القيامـة ينفخ

ويشهد له قوله ﷺ: «تُحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم الحسين، فتعلَّق بقائمة من قوائم العرش، فتقول: يا عدْل! احكم بيني وبين قاتل ولدي، فيحكم الله لابنتي وربّ الكعبة»[1]، وبكت أُم سلمة رضي الله عنها ـ وقالت: رأيت الآن رسول الله ﷺ وعلى رأسه ولحيته التراب وهو يبكي، فقلت: ما يُبكيك يا رسول الله؟ قال: «شهدت قتل الحسين آنفاً».

(1) ذكره ابن المغازلي في «مناقب الإمام علي ﵁». الجزء الأول ـ صفحة: 118.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيه شيئاً، فقلت: بأبي وأُمي يا رسول الله! ما هذا؟ قال: «دمُ الحسين وأصحابه، لم أزل أتتبعه منذ اليوم، فوجدوه قُتل ذلك اليوم».

وعنه ﷺ، قال: «قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى: إني قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بدم الحسين بن علي سبعين ألفاً»، قيل: كون هذه العدة بسبب دم الحسين لا يستلزم كونها عدّة العسكر القاتلين له، فإن فتنته أفضت إلى تعصبات جميع مَن قُتل مِن قتلته ومن المتعصبين لهم في سائر الأزمان، فهم بمَن قُتل بسبب دمه.

ثم إن أهل المدينة نقضوا بيعة يزيد لسوء سيرته وقتله الحسين رضي الله عنه، وهاجت الفتنة، فأُخرج من كان بالمدينة من بني أُمية وجرت فتن كبار واقتتل الناس على الملك، وانتقم الله تعالى من ابن زياد وأصحابه، ففي سنة خمس وستين سار سليمان بن صرد الخزاعي الصحابي رضي الله عنه في أربعة آلاف، والمختار بن عبيد الثقفي والتفت إليه الشيعة يطلبون بدم الحسين، وندموا على ما فعلوا مع الحسين وقالوا: ما لنا توبة إلا أن نقتل أنفسنا في طلب دمه، وافترقوا فرقتين؛ فأما المختار وطائفته، فملكوا الكوفة والعراق.

وأما سليمان بن صرد ومَن معه، فقصدوا الشام؛ لأن ابن زياد لما بلغه موت يزيد هرب من الكوفة إلى الشام، فانتمى إلى مروان بن الحكم، فخرج إليهم ابن زياد في ثلاثين ألفاً، فاقتتلوا ثم قُتل سليمان وافترقوا، ثم هلك مروان فنزل ابن زياد الموصل، فجهّز المختار إبراهيم بن الأشتر النخعي في ثمانية آلاف لقتال عبد الله بن زياد، فقتل عبيد الله وقُتل معه من الأُمراء حصين بن نمير السكوتي وشرحبيل بن ذي الكلاع، وتمزق عسكر الشام وكانوا أربعين ألفاً، وأباد قتلة الحسين رضي الله عنه بأقبح القتلات ولم يبق أحد من الستّة الآلاف الذين قاتلوا الحسين مع عمر بن سعد، وحضّ عمر وشمر بمزيد نكال، وأوطأ الخيل صدره وظهره كما فعل بالحسين، وقضى الله تعالى أن قتل عبيد الله بن زياد على الفرات أيضاً يوم عاشوراء سنة سبع وستين، وبعث إبراهيم بن الأشقر برأس ابن زياد إلى المختار، وبعث به المختار إلى ابن الزبير، فبعث به ابن

الزبير إلى علي بن الحسين.

وعن عمارة بن عمير: لما جيء برأس ابن زياد وأصحابه نُصِبت في المسجد في الرحبة، فانتهت إليهم وهم يقولون: قد جاءت، فإذا حيّة قد جاءت تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري ابن زياد، فمكثت هنيهة ثم خرجت، فذهبت حتى تغيبت، ثم قالوا: قد جاءت، قد جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً، وأُلقيت رؤوسهم في موضع رأس الحسين وأصحابه ﷺ، ونصب رأس ابن زياد في مكان ما نُصب فيه رأس الحسين، ثم ألقاه وأصحابه في اليوم الثاني في الرحبة مع الرؤوس، وكان ما فعله ابن زياد من نصبه لرأس مسلم بن عقيل على الخشب أول شيء فُعل في الإسلام.

وعن عبد الملك بن عمير، قال: لقد رأيت في هذا القصر ـ يعني: قصر الكوفة ـ عجباً؛ دخلت على ابن زياد وهو على سرير والناس عنده قيام، وعلى يمينه ترس وعليه رأس الحسين. ثم دخلت على المختار، فوجدت رأس ابن زياد كذلك، ثم دخلت على عبد الملك فيه، فوجدت رأس مصعب كذلك، فأخبرته بذلك، فقال: ألا أراك الله الخامس! ثم أمر بهدمه. وقد شكر الناس المختار لانتصاره لأهل البيت، لكنه أنبأ في آخر أمره عن خبث وكذب على أهل البيت؛ بل زعم أنه يوحى إليه، وكان علي بن الحسين يلعنه، ويقول: كذب على الله وعلينا، وكان يزعم أن محمد بن الحنفية ﷺ هو المهدي، وكان يلقب بكيسان، وإليه تُنسب الطائفة الكيسانية، وأظهر الله تعالى آيات بيِّنات في الدلالة على عظيم النقمة ممن أساء إلى أهل البيت واجترأ عليهم، فقد أظلمت الدنيا يوم قَتْله ثلاثة أيام، واشتدّ الظلام حتى ظنّوا أن القيامة قامت، وضربت الكواكب بعضها بعضاً، وكُسفت الشمس ورُؤيت النجوم نهاراً، ولم يُرفع حجر في الشام إلا رُؤي تحته دم عبيط، وصارت الرؤوس التي في عسكرهم رماداً حملها جمال من اليمن، فوافى بها قتل الحسين ومِن هذا القبيل ما سبق في تحول الدنانير خزفاً، ووجدوا في ثقل الحسين ﷺ ذهباً، فأرادوا صوغه، فلما دخل النار صار هباء، وبعضه صار نحاساً، واحمرَّت السماء ثم ظهرت الحمرة في السماء ولم تُرَ قبل ذلك.

قال ابن الجوزي: لما كان الغضبان يحمرّ وجهه عند الغضب، فيُستدلُّ بذلك على غضبه، وأنه إمارة السخط، والحق ﷻ ليس بجسم، فأظهر تأثير غضبه على من قتل

الحسين بحمرة الأفق؛ وذلك دليل على عظم الجناية.

قال: ولما أُسر العباس يوم بدر، فسمع النبيّ ﷺ أنينه، فما نام تلك الليلة، فكيف لو سمع أنين الحسين ﵁ ؟.

ولما أسلم وحشيّ ﵁ قال له النبيّ ﷺ: «غيِّب وجهك عني، فإني لا أحبُّ أن أرى من قتل الأحبّة». هذا والإسلام يجبّ ما قبله، فكيف بمن ذبح الحسين أو أمر بقتله؟!.

ولما سمع شيخ كبير أن من أعان على قتل الحسين لم يمت حتى يصيبه بلاء، فقال: أنا ممن شهده وما أصابني أمر أكرهه، فقام إلى السراج ليصلحه، فثارت النار وأصابته، فجعل ينادي: النار النار! حتى مات.

وحُكي أن شيخاً حضر قتله فقط، فعمي!، فسئل عن سببه، فقال: إنه رأى النبيّ ﷺ حاسراً على ذراعيه وبيده الكريمة سيف، وبين يديه نطع، ورأى عشرة من قاتلي الحسين مذبوحين بين يديه، ثم لعنه وسبّه بتكثيره سوادهم، ثم كحله بمرود من دم الحسين ﵁، فأصبح أعمى.

وعلق شخص رأس الحسين في جيب فرسه، فرُؤي بعد أيام ووجهه أشدُّ سواداً من القار، فقيل له: كنت أنضر العرب وجهاً؟ فقال: ما مرَّت عليَّ ليلة من حين حملت تلك الرأس إلا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي إلى نار تأجج، فيدفعاني فيها، وأنا أنكص فتسفعني فصرت كما ترى، ثم مات على أقبح حالة.

ورأى شخص النبيّ ﷺ في النوم وبين يديه طست فيها دم، والناس يعرضون عليه، فيلطخهم حتى انتهيت إليه، فقلت: ما حضرت؟ فقال: قد هويت، فأومأ بأصبعه فأصبح أعمى. وقال: ما يسرني أن لي بعماي حمر النعم.

وقال بعضهم: قتل الله الفاسق الحسين، فرماه الله بكوكبين في عينيه، فعمي.

وكان رجل من الشام يلعن عليًا وأولاده، فرأى النبيّ ﷺ وذكر مناماً طويلاً، وأن الحسن شكاه إليه، فلعنه ثم بصق في وجهه، فصار موضع بصاقه خنزيراً، وصار آيةً للناس.

وابتُلي بعضهم بالعطش، فكان يشرب ولا يُروى، وبعضهم طال ذكره حتى كان يلويه على عنقه، كأنه حبل.

وعن الإمام ابن شهاب الزهري، أنه قال: لم يبق من قتلة الحسين أحد إلا وعوقب في الدنيا؛ إما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه وزوال الملك في مدّة يسيرة.

وعن أُم سلمة قالت: سمعت الجنّ تنوح على الحسين ﵁ في الليلة التي قُتل فيها، وقالت: ما سمعت نوح الجنّ بعد رسول الله ﷺ، إلا ليلة قُتل الحسين فقالت للجارية: اخرجي فاسألي، فو الله ما أرى ابني إلا قد مات. فخرجت فقيل لها: إنه قد قُتل، فقالت: أوَ قد فعلوا، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، ثم بكت حتى غشي عليها.

ولما بلغ الحسن البصري ﵁ قَتْل الحسين ﵁ بكى حتى اختلج صدغاه، ثم قال: وا ذلَّ أُمّة قتل ابنَ بنت نبيّها ابنُ دعيها، و الله ليردَّنَّ رأس الحسين إلى جسده، ثم لينتقمن له جدّه وأبوه من ابن مرجانة.

وسأل رجل ابن عمر عن دم البعوض، ويكون في الثوب أ طاهر هو أم نجس؟. فقال له: من أين أنت؟ فقال: من أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ !، وقد سمعته يقول: «هما ريحانتاي من الدنيا».

ولما بلغ ابن الزبير خطبه بمكة، وقال: ألا إن أهل العراق قوم غدر فجرة، ألا وإن أهل الكوفة شرارهم؛ دعوا حسيناً ليولَّى عليهم يقيم أمره ويعيد معالم الإسلام، فلما قَدِم عليهم ثاروا عليه، فقتلوه. قالوا له: إما أن تضع يدك في يد الفاجر الملعون ابن زياد، فيرى فيك رأيه، فاختار الوفاة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً وأخزى قاتله، ولعن مَن أمر بذلك ورضِيَ به.

وأنشد اليافعي ﵁ : [شعر]

تـــأوّب همـــي والفـــؤاد كئيـــب ... وأرقّ عينـــي والرقـــاد غريـــبُ
وممـــا نفـــى نومي وشـــيَّب لمتي ... تصاريـــف أيـــام لهـــنّ خطـــوبُ
تزلزلـــت الدنيـــا لآل محمَّـــد ... وكادت لهـــم صـــمّ الجبال تذوبُ

فمن مبلِغ عني الحسين رسالة   وإن كرهتها أنفسٌ وقلوبُ
قتيلٌ بلا جرم كأن قميصه   صبيغ بماء الأرجوان خضيبُ
يصلي على المختار من آل هاشم   ويعزى بنيه إن ذا لعجيبُ
لئن كان ذنبي حبّ آل محمَّدٍ   فذلك ذنبٌ لست منه أتوبُ
فهم شفعائي يوم حشري وموقفي   وحبّهم للشافعي ذنوبُ

ولما اجتاز ابن الهبارية ـ الشاعر ـ بكربلا على الحسين وأهله ﷺ، قال بديها:

أحسين المبعوث جدّك بالهدى   قسماً يكون الحقّ عنه مسائلي
لو كنت شاهد كربلا لبذلت في   تنفيس كربك جهد بذل الباذل
وسقيت حدَّ السيف من أعدائكم   علَلاً وحدّ السمهري الذابل
لكنني أُخِّرت عنك لشقوتي   فبلابلًا بين العريّ وحائل
هبني حرمت النصر من أعدائكم   فأقل من حزن ودمع سائل

ثم نام، فرأى رسول الله ﷺ في المنام، فقال له: أبشر يا فلان! جزاك الله خيراً، فقد كتبك الله فيمن جاهد بين يدي الحسين رضي الله عنه.

[رأي أهل السنة في كفر يزيد بن معاوية]: واعلم أن أهل السُّنّة اختلفوا في كفر يزيد بن معاوية، فقالت طائفة: إنه كافر، لقول سبط بن الجوزي وغيره: المشهور أنه لما جاءه رأس الحسين رضي الله عنه جمع أهل الشام وجعل ينكث رأسه بالخيزران، وينشد أبيات ابن الزبعري: ليت أشياخي ببدر شهدوا... الأبيات المعروفة، وزاد فيها بيتين مشتملين على صريح الكفر.

وقال ابن الجوزي فيما حكاه سبطه عنه: ليس العجب من قتال ابن زياد للحسين، وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثنايا الحسين رضي الله عنه، وحمله آل الرسول ﷺ سبايا على أقتاب الجمال، وذكر أشياء من قبيح ما اشتُهر عنه، وردِّه الرأس إلى المدينة. ثم قال: وما مقصوده إلا الفضيحة وإظهار الرأس، أفيجوز أن يُفعل هذا

بالخوارج؟ أليس بإجماع المسلمين أن الخوارج والبُغاة يكفَّنون ويصلَّى عليهم ويُدفنون؟ ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهلية وأضغان بدوية لاحتَرَم الرأس لما وصل إليه وكفّنه ودفنه وأحسن إلى آل الرسول ﷺ!! انتهى.

ونقل في كتابه المسمّى بـ«الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد» جواز لعنه عن العلماء الورعين، منهم الإمام أحمد، فإنه قال: لِمَ لا تلعن من لعنه الله في كتابه؟ فقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾، [محمد: 23-22]. فهل يكون فساد أعظم من القتل؟، انتهى.

وصنَّف القاضي أبو يعلى كتاباً ذكر فيه بيان من يستحقّ اللعن، وذكر منهم يزيد، ثم ذكر حديث: «مَن أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1]. ولا خلاف أن يزيد غزا المدينة بجيش، وأخاف أهلها، انتهى.

والحديث الذي ذكره رواه مسلم، والجيش المذكور وقع سنة ثلاث وستين. وسببه أن أهل المدينة لما طردوا منها عامله وغيره من بني أُمية؛ بعث لهم مسلم بن عقبة المريء، ويسمى مسرفاً لإسرافه في القتل بالمدينة، وبعث معه اثني عشر ألفاً، فيهم الحصين بن نمير السكوني، وقيل: الكندي، ليكون على العسكر إن عرض لمسلم موت، فإنه كان عليلاً، فأمر يزيد مسرفاً إذا بلغ أن يدعوهم إلى طاعة يزيد ثلاثة أيام، فإن أجابوا وإلا قاتلهم، وإذا ظفر عليهم أباحها ثلاثاً، ثم يسير إلى مكّة لقتال ابن الزبير رضي الله عنه، وقال: يا مسلم! لا تردنّ أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوّهم، فنزل الجيش بالحرّة بظاهر المدينة، وخرج إليهم أهل المدينة وأميرهم عبد الله بن حنظلة بن الراهب رضي الله عنه، وهو غسيل الملائكة، فدعاهم مسلم ثلاثاً إلى البيعة ليزيد، على أنه خَول له إن شاء باع وإن شاء أعتق، فذكر له بعضهم البيعة على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، فضرب عنقه فلم يجيبوا فقاتلهم، وانهزم أهل المدينة وقُتل أميرهم عبد الله، وأباح المدينة، ووقع

---

(1) روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن السائب بن خلاد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللهُ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**». **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المجلد الرابع. أول مسند المدنيين رضي الله عنهم. حديث السائب بن خلاد أبي سهلة رضي الله عنه.

من القتل والسبي والفساد ما هو مشهور، حتى قضى ثلاثمائة بكر، وقتل من الصحابة والمهاجرين والأنصار والتابعين ﷺ نحو ألف وسبعمائة، وقتل من أخلاط الناس نحو عشرة آلاف سوى النساء والصبيان، وانتهك ـ لعنه الله ـ المسجد النبوي، وبالت الدواب في أرجائه، وخَلَتْ المدينة من سكانها، وبقيت ثمارها للوحوش والطيور، وولدت ألف امرأة من غير زوج، حتى كان يقال لأولادهن: أولاد الحرة؛ وذلك لثلاث بقين من ذي الحجة. ثم سار مسلم بهذا الجيش إلى مكّة لقتال ابن الزبير، فمات بقرب قديد، بعد أن قدم على عسكره الحصين بن نمير، فسار الحصين حتى بلغ مكة لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين، وتحصّن ابن الزبير وأصحابه ﷺ في المسجد حول الكعبة، وضربوا فيه خياماً، وكان الحصين وأصحابه على أبي قبيس، وبعضهم على الأحمر، ونصب المنجَنيق على أبي قبيس، وكانت حجارته تصيب الكعبة الشريفة، فتوهنت ثم أصابتها النار فاحترقت، واحترق فيها قرن الكبش الذي فدى به إسماعيل بن إبراهيم على نبيِّنا وعليهم أفضل الصلاة والسلام، إلى أن جاء نعي يزيد، وكان موته منتصف ربيع الأول سنة أربع وستين.

وذكروا أن خروم الإسلام العظام أربعة:

الأول: قتل عثمان ﷺ، سنة خمس وثلاثين.

الثاني: قتل الحسين ﷺ بالتاريخ المتقدم.

الثالث: وقعة الحرّة المذكورة، وهاتان الواقعتان في زمن يزيد؛ الأولى فاتحته، والأخرى خاتمته.

الرابع: قتل ابن الزبير ﷺ وصلبه.

ولما دخل الحجاج على أُمه أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق ﷺ، تكلَّمت عليه ثم قالت: أما إن رسول الله ﷺ حدَّثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً؛ فأما الكذاب، فقد رأيناه. وأما المبير، فلا أخالك إلا إيّاه!. وقام عنها ولم يراجعها.

فهذه القبائح التي صدرت من يزيد تدلّ على كفره، وهي مصداق قوله ﷺ: «لا يزال

أمر أُمتي قائماً بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أُمية، يقال له: يزيد»[1].

وقوله ﷺ : «أول من يبدل سنتي رجل من بني أُمية يقال له: يزيد»[2]، ورواه بعضهم دون تسميته؛ لأنهم كانوا يخافون من تسميته.

وضرب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من وصف يزيد بـ «أمير المؤمنين» عشرين سوطاً.

وقال آخرون: لا يجوز لعن يزيد؛ إذ لم يثبت عندنا ما يقتضيه. وبه أفتى الغزالي، وأطال في الانتصار له، والمتولي، وابن الصلاح، وصاحب الأنوار، وهو الموافق لقواعد الشافعية، فقد صرّحوا بأنه لا يجوز لعن شخص بخصوصه، إلا إن علم موته على الكفر؛ كأبي جهل وأبي لهب. وأما مَن لم يُعلم فيه، فلا يجوز لعنه حتى الكافر الحي المعين لا يجوز لعنه؛ لأن اللعن الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها، وذلك لا يليق إلا بمن علم موته على الكفر، بخلاف غيره؛ لاحتمال أن يختم له بالحسنى. ولو سلمنا أن يزيد أمر بقتل الحسين وسُرَّ به؛ لأنه خبث لم يكن عن استحلال، أو كان عنه لكن بتأويل، ولو باطلاً فسق لا كفر على أن أمره بقتله وسروره لم يثبت ضرورة عنه من وجه صحيح؛ بل كما حُكي هذا عنه حُكي عنه ضده كما تقدّم. وأشار بعضهم إلى الجمع بأنه أظهر الأول، وأخفى الثاني. وأجابوا عما استدلَّ به أحمد من قوله تعالى: [أولئك الذين لعنهم الله]. وغيره من قوله ﷺ في حديث مسلم: [عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين] بأنه لا دلالة فيهما على جواز لعن يزيد بخصوصه، وإنما الذي دلَّ عليه جواز لعن من قطع رحمه، أو من أخاف أهل المدينة ظلماً، وهذا جائز اتفاقاً، واتفقوا على جواز لعن من قتل الحسين رضي الله عنه، أو مَن أمر بقتله، أو أجازه، أو رضِيَ به، كما يجوز لعن شارب الخمر ونحوه من غير تعيين.

وقال جماعة من المحققين: إن الطريق القويم في حقّه التوقف في شأنه، وتفويض أمره إلى الله تعالى؛ لأنه لم يثبت موجب واحد من الأمرين المتقدمين، والأصل أنه

(1) عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد». قال السيوطي: رواه أبو يعلى والبزار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح إلا أن مكحولا لم يدرك أبا عبادة (لعله أبا عبيدة، راوي الحديث). دار الحديث. الجامع الصغير للإمام السيوطي: الحديث رقم: 2841.

(2) انظر تخريج الحديث السابق الموضع نفسه من الجامع الصغير.

مسلم فلا يتعرض لتكفيره أصلاً.

قال ابن الصلاح: فليس من شأن المؤمنين سبّ يزيد ولعنه، وإن صحَّ أنه قتله أو أمر بقتله، وقد ورد في الحديث: «إن لعن المسلم كقتله»، وقاتل الحسين رضي الله عنه لا يكفّر بذلك، وإنما ارتكب عظيماً، وإنما يكفر بالقتل قاتل نبيّ من الأنبياء.

والناس في يزيد ثلاث فرق: فرقة تتولّاه وتحبه، وفرقة تسبّه وتلعنه، وفرقة متوسطة لا تتولاه ولا تلعنه، وتسلك به مسلك سائر ملوك الإسلام وخلفائهم من الراشدين رضي الله عنهم، وهذه الفرقة هي المصيبة، ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين، ويعلم قواعد الشريعة المطهّرة، جعلنا الله من خيار أهلها.

ووقع لابن العربي المالكي ما يقشعرّ منه الجلد، فإنه قال: لم يقتل يزيد الحسين إلا بسيف جدّه الآمر بسلِّه على البغاة وقتالهم، والبيعة سبقت ليزيد، وفيها بعض أهل الحلّ والعقد، وبيعته كذلك؛ لأن كثيرين قدموا عليها مختارين لها، هذا مع عدم النظر إلى استخلاف أبيه له. أما مع النظر لذلك، فلا يشترط موافقة أحد من أهل الحلّ والعقد على ذلك. وردَّه العلماء بأن هذا إنما هو بعد استقرار الأحكام وانعقاد الإجماع على تحريم الخروج على الجائز المتأخر عن زمن الصحابة والسلف رضي الله تعالى عنهم. أما قبل ذلك، فكان الأمر منوطاً بالاجتهاد، واجتهاد الحسين رضي الله عنه اقتضى جوازه أو وجوب الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التي تصمّ عنها الأذان، ولأن اليزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين رضي الله عنه وغيره ممن لم يبايعوه، ولذلك خرج عليه ابن الزبير كجماعة امتنعوا منها وهربوا؛ بل قوله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ ابني هذا يُقتل بأرض العراق، فمَنْ أدركه منكم فلينصره**»[1] صريح في ردِّه؛ لا سيَّما على رأي من كفَّره، كأحمد.

ونظير ذلك حال معاوية مع علي والحسن رضي الله عنهم قبل نزوله، فإنه كان متغلباً باغياً عليهما، لكنه قبل استقرار الأمر وتمهيده. ومن ثم كان غير آثم، بل له أجر واحد على اجتهاده، ويدلّ على ذلك أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ضرب مَن نال مِن معاوية رضي الله عنه ثلاثة أسواط، مع ضربه لمن سمَّى ابنه يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطاً ـ كما مرَّ ـ.

(1) مختصر استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم لابن الملقن: الجزء الرابع ـ صفحة: 1692.

وأما ما يستخفّه بعض المبتدعة من سبِّه ولعنه، فله فيه أسوة بالشيخين وعثمان ﵃ وأكثر الصحابة ﵃ ، فإنه لا يصدر إلا من أحمق جاهل. ومع ما روي عن أبي هريرة ﵁، عن النبيّ ﷺ في أمرها، فإنه كان يدعو: «اللّهمَّ إني أعوذ بك من رأس الستين وإمارة الصبيان»[1]، فاستجاب الله له وتوفَّاه سنة سبع وخمسين، وتوفي معاوية ﵁ سنة ستين. وكذلك استجاب الله دعوة معاوية ﵁، فإنه لِيمَ على عهده ليزيد، فخطب فقال: «اللّهمَّ إن كنت عهدت ليزيد لما رأيت مِن فعله، فبلِّغه ما أمكنه وأعِنه عليه، وإن كنت إنما حملني حبّ الوالد لولده، وأنه ليس لما صنعت به أهلاً، فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك» فكان كذلك!!، فمات يزيد سنة أربع وستين، لكن عن ولد[2] صالح عَهِد إليه، فبويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وهو ابن عشرين سنة، فأقام في الخلافة أربعين يوماً ثم خلع نفسه، وطلع المنبر وخطب خطبة بليغة، ثم قال: إن هذه الخلافة حبل الله، وإن جدّي معاوية نازع الأمر أهله ومَن هو أحقّ به عندي ابن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه. ثم قلّد الأمر أبي، وكان غير أهلٍ له، ونازع ابن بنت رسول الله ﷺ ، فقصف عمره وأبتر عقبه، وصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثم بكى وقال: إنّ من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبؤس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله ﷺ، وأباح الخمر وضرب الكعبة، وصرت أنا ثالث القوم والساخط عليَّ أكثر من الراضي، وما كنت لأتحمل آثامكم، ولا يراني الله جلَّت قدرته متقلّداً أوزاركم، فشأنكم أمركم فخذوه ومَن رضيتم به فولُّوه، فقد خلعت بيعتي من رقابكم. فقال له مروان بن الحكم: أَسُنَّة عمرية يا أبا ليلى؟ فقال: اغد عني، فو الله ما ذقت حلاوتها، فأتجرع مرارتها. ثم نزل وتغيب في منزله حتى مات بعد أربعين يوماً، فرحمه الله لقد أنصف من أبيه، وعرف الأمر لأهله.

وما أحسن ما أنشده العارف أبو الفضل عياض الفرج الرياشي، وقد تذاكروا

---

(1) روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : «تعوذوا بالله من رأس السبعين وإمارة الصبيان». **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المجلد الثاني. مسند أبي هريرة ﵁ .

(2) هو مُعَاوية بن يَزِيد ﵁ (41 ـ 64 هـ = 661 ـ 684 م). بُوْيِعَ بعَهْدٍ مِنْ أَبِيْهِ، وَكَانَ شَابّاً، دَيِّناً، خَيْراً مِنْ أَبِيْهِ. وَأُمُّهُ: هِيَ بِنْتُ أَبِي هَاشِم بن عُتْبَةَ بن رَبِيْعَةَ.فَوَلِيَ أَرْبَعِيْنَ يَوْماً. وَقِيْلَ: غير ذلك . وَصَلَّى عَلَيْهِ مَرْوَانُ، وَدُفِنَ إِلَى جَنْبِ قَبْرِ أَبِيْهِ، وَلَمْ يُعْقِبْ. وَامْتَنَعَ ﵁ أَنْ يَعْهَدَ بِالخِلاَفَةِ إِلَى أَحَدٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.انظر: سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي: 4/ 139.

بحضرته حديث بني أُمية وهو ساكت، ثم أنشد: [شعر]

لعمـرك إنَّ فـي ذنبـي لشـغلا   لنفسـي عـن ذنـوب بنـي أُميّه
ذنوبـي كلهـا أخشـى رداهـا   ولا أخشـى ذنوبهـم عليـه
فليـس بضائـري مـا قـد أتـوه   إذا مـا اللـه أصلـح مـا لديـه
علـى ربّـي حسـابهم إليـه   تناهـى علـم ذلـك لا إليـه

[عمر مولانا الحسين رضي الله عنه يوم استشهد]: واختُلف في سنّ الحسين رضي الله عنه يوم قُتل، فقيل: سبع وخمسون، ولم يذكر ابن الدراع في مواليد أهل البيت غيره.

قال غيره: أقام منها مع جدِّه ﷺ سبع سنين، إلا ما كان بينه وبين الحسن، ومع أبيه ثلاثين سنة، ومع أخيه الحسن عشر سنين، وبعده عشر سنين.

وقيل: عمره ستّ وخمسون سنة وخمسة أشهر، **وقيل**: أربع وخمسون سنة وستة أشهر. وذكر المزني عن الشافعي عن سفيان بن عيينة، قال: قال لي جعفر بن محمَّد: توفي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وقتل الحسين بن علي رضي الله عنه وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وتوفي علي بن الحسين رضي الله عنه وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وتوفي محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه وهو ابن ثمان وخمسين سنة. **قال**: وقال لي جعفر بن محمد: وأنا بهذه السنة في ثمان وخمسين سنة، وتوفي فيها.

[قبره رضي الله عنه]: ودُفن الحسين رضي الله عنه بكربلا من العراق، ومشهده مما يقصد من الآفاق.

[موضع رأسه الشريف رضي الله عنه]: وأما رأسه رضي الله عنه ، **فقيل**: دُفن بقبر أُمه بالبقيع في قبّة أهل البيت، **وقيل**: أُعيد إلى الجثة بكربلا بعد أربعين يوماً، **وقيل**: تركه يزيد عنده في خزانته.

وعن الحسن البصري رضي الله عنه أن سليمان بن عبد الملك رأى النبيّ ﷺ في المنام، وهو يلاطفه ويبشره، فلما أصبح سأل الحسن عن ذلك، فقال له الحسن: لعلك صنعت إلى أهل بيته ﷺ معروفاً؟ قال: نعم، وجدت رأس الحسين بن علي في خزانة يزيد، فكسوته خمسة أثواب وصلّيت عليه جماعة من أصحابي، ودفنته. فقال له الحسن: رضي النبيّ

ﷺ عنك بسبب ذلك، فأمر سليمان للحسن ﷺ بجائزة سَنيَّة.

وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في طبقاته أنه دُفن ببلاد الشرق، ثم أرشى عليها طلائع بن زريك نائب مصر بنحو ثلاثين ألف دينار، ونقلها إلى مصر وبنى عليها المشهد الحسيني بمصر.

قال المؤرخون: وفي سنة ستّ وثلاثين ومائتين أمر المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بهدم قبر الحسين بن علي ﷺ، وهدم ما حوله من الدُّور، وأن يعمل مزارع، ومنع الناس من زيارته، فتألَّم المسلمون لذلك وكتبوا شتمه على الحيطان، وهجاه الشعراء. من ذلك قول بعض الشعراء: [شعر]

تالله إن كانت أُمية قد أتت قتل ابن بنت نبيِّها مظلومَا
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمري قبره مهدومَا
أسفرا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبَّعوه رميمَا

وكان المتوكّل أول أمره أظهر السُّنّة ونصر أهلها، ثم دبَّ إليه داء التنصّب وهو بغضُ علي وأهل البيت المطهَّر ﷺ على ضدِّ ما كان عليه المأمون من المبالغة في محبّته، وكان غلوّه في التنصُّب هو السبب فيما وقع في أيامه من الزلازل المهولة والريح التي أهلكت الآدمية والحرث والنسل، وظهور النار المحرقة، والصحية المزعجة من السماء، حتى مات منها خلق كثير وَبَرَدٌ كبيض الدجاج، وخسف بثلاثة عشر قرية، وماجت النجوم وتناثرت، ورُجمت قرية بمصر بأحجار وُزن بعضها وكان عشرة أرطال، وتحوَّل جبل من محلِّه باليمن، وصاح طائر: يا معشر الناس! اتقوا الله أربعين مرة، وغير ذلك مما ذكره الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام»(1).

ولما وُلِّي الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بلاد العجم، ونفذت أوامره في طبرستان ودبلان وغيرهما جهز بعد موت المتوكل الأموال لعمارة مشهد الحسين، فعَمَره عمارة حسنة.

(1) **تاريخ الإسلام للإمام الذهبي**: الجزء السابع عشر ـ صفحة: 30.

[**أولاده** ﷺ]: وخلَّف الحسين ﷺ ستة بنين وثلاث بنات، **فالبنون:** علي الأكبر ﷺ، استشهد مع أبيه بكربلا. وعلي الأوسط وهو زين العابدين ﷺ، وعلي الأصغر قُتل مع أبيه وهو طفل، أصابه سهم فمات. **وقيل:** إن زين العابدين هو الأكبر. وعبد الله ﷺ قُتل رضيعاً يوم الطف، ومحمد وجعفر ويكنى أبا بكر مات دارجاً في حياة أبيه.

والبنات رضي الله تعالى عنهنّ جميعاً: زينب، وفاطمة، وسكينة، واسمها: آمنة، وسكينة لقب لها؛ لأنها كانت ذات دعابة ومزح، وكانت من أجمل النساء وأظرفهنّ وأحسنهن أخلاقاً، تزوّجها السيد الكبير مصعب بن الزبير ﷺ فمات عنها، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عفان ﷺ، ثم عبد الله بن حكيم بن خزام ﷺ، ثم زيد بن عمر ﷺ، ولها نوادر وحكايات ظريفة. توفيت سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة، وأُمها وأُم أخيها عبد الله الزيات بنت امرىء القيس بن عدي، وكان لامرىء القيس ثلاث بنات: المخباة تزوجها علي، وسلمى تزوجها الحسن بن علي، والرباب تزوجها الحسين بن علي ﷺ، وفيها يقول: [شعر]

لعمرك إنني لأحبّ داراً ... تحلّ بها سكينة والرباب
أحبها وأبذل جلَّ مالي ... وليس لعائبٍ فيها معاب
أحب بحبّها زيداً جميعاً ... ونيلة كلها وبني الرباب
وأخوالٌ لها من آلِ لأُمٍّ ... أحبّهم وبطن بني حباب

انتهى ما بـ «المشرع» للعلّامة المجيد من ترجمة سيدنا الحسين الشهيد.

وعندما رأيت ما يفعل بالهند في عشر شهر محرم الحرام من الخزي والهزؤ والنحرية وقلة الاحترام؛ حزنت لذلك وبكيت، وقلت فيه ـ وما افتريت ـ: [شعر]

تفيض أعيني في يوم عاشر ... دموعاً من محرّم كالمواطر
قلت لها لِمَا هذا؟ فقالت ... لما يلقى الحسين من المساخر
يجدّد قتله في كلِّ عام ... فيا وَيْل الذي قد صار آمر
بهذا الأمر مِن قاصي وداني ... بيومٍ فيه لا يربح خاسر

تصــور صورتــان لغيــر معنــى   كمــا يفعــل نصرانــي وكافــر
ولــو كانت كمــا فعــل النصارى   تضــاف إلــى الكنائــس والمنابر
لقلنــا ذاك تعظيــم وعــزٌّ   وإكــرام وإعــزاز أكابــر
توابعهــم قــرُّوا أنَّــا أطعْنــا   فلا تعجــب فهــذا الأمــر صائر
لأن الحــبَّ يُصْمِ قد جــا ويُعْمِي   دليــل ذلــك تعظيــم المآثــر
ولكــن ذاك ليــس مثــل هــذا   ولا منــه قريــبٌ فــي الشــعائر
لأن فــي توابيــت النصــارى   أمــوراً مثمّنــات كالجواهــر
فــلا ترمــى ولا تكســر بهــونٍ   معظمــة بــأوّل ثــم آخــر
وأمــا فعلهــم خشــب وقطــن   حواليــه حــوى طابــل وزامــر
تعظــم تســعة أيــام فيهــم   وذا التعظيــم يُرمــى يوم عاشــر
ولــم يبــقَ لــه قــطّ احتــرامٌ   ســوى تعليقــه بمحــلٍّ دائــر
وغيــر ذاك مــن نيــران تصلــى   كأفعــال المجــوس وذاك ظاهر
وتصويــرات شــتّى أنكرَتْهــا   جميــع الناس مــن بــادٍ وحاضر
هــل للحســين ترضــي أَم علــي   وطــه والبتــول بــذي المناكــر
فقلــت لهــا ذا حاشــا وكلا   فــلا يرضــى بهــذا كلُّ طاهــر
فجــودي بالدمــوع لمثــل هــذا   فســائلُ سَــيْلها يشــفي الخواطر
عن الأمــراض والأســقام جمعاً   فحبّ أهل الكســا نــور البصائر
علامــة مؤمــن باللــه أضحــت   محبّتهــم أتــت مــاضٍ وغابــرُ
وبغضهــم علامــة ذي نفــاق   عــن المختار مــن بين العشــائر
وبالصبــر الجميــل اللــه أوصى   فكُــنْ يــا صاحبــي باللــه صابر

وإن تجـر الدمــوع بغيــر صيــح فــلا بــأس بهــا باطــن وظاهــر
لأن الدّمــع بعــد الحــزن أيضــاً ســجية لمن لمــاضٍ صــار ذاكرُ
فعيــنٌ تدمــع لخشــوع قلــبٍ عــن الهادي أنــت ما مــن مناكر
ومثــل مــا ذكــرت بكــت عليه عيونــي بدمــوعٍ كالمواطــرُ
بعــام ألــف مــع مائــة وزِدْهــا ثمانيــن ســنة بعــد المهاجــر
جرى ما قلــت في عاشــر محرّم بــكا ليكــون مــن بعــد النوايــر
وختمــي بالــذي أبــدأت أوْلــى تفيــض أعينــي فــي يوم عاشــر

عامل الله كلًّا بعمله، وجازى كل فاعل بفعله، وعاقب كل مخذول بعدله، وأناب كل موفّق بفضله، آمين.

ثم قلت:

[وهو لبس مِن ابن أبي طالب مَن قد حاز ما قد حاز من جدِّ الحسن]

ثم قلت:

واعلم أنَّ لنا سنداً آخر جلي من سيدنا الفقيه المقدّم إلى أمير المؤمنين علي، فلنأت به زيادة للفائدة، وطلباً للصلة والعائدة، فلذلك قلت بما أنا له نظمت: [شعر]

نعم وأيضاً ألبس سَيّدنا — أعني الفقيه شيخنا قدوتنا
من ابن أبي مدين شعيب المغربي — مَن فاز مِن ربِّ العلا بالإرب
على يد من يعرف بالمقعد — والثاني المرسول قل بالسند

وقد أشرنا إلى ذلك، بل صرَّحنا به بالكلام الذي تقدّم في ترجمة سيدنا وشيخنا وقدوتنا الفقيه المقدّم، قال جامع المعنوي والمحسوس العلامة شيخ بن عبد الله العيدروس، في كتابه المسمّى بـ «السلسلة القدوسية المتصلة بالخرقة العيدروسية» المتعلقة بكبار أئمة الصوفية، المتصلة إلى سيد البرية، الملقب بالطراز المعلم والسر الملحم؛ ما صورته:

والطريق الثاني: أنه لبس الخرقة الشريفة من الشيخ أبي مدين شعيب المغربي(1)، بواسطة الشيخ عبد الرَّحمن المقعد؛ وذلك أنَّ سيدي الشيخ أبا مدين ﵁ أمره بالسفر إلى حضرموت، وقال له: إنّ لنا فيها أصحاباً، سِرْ إليهم وخذ عليهم عقد التحكيم ولبس الخرقة. ثم قال له: إنك لا تصل إليهم، بل تموت في أثناء الطريق، وترسل إليهم من يأخذ عليهم ذلك. فسافر طالباً حضرموت، فلما بلغ مكّة حضرته الوفاة، فأحضر تلميذه الشيخ عبد الله الصالح، وأمره بالسَّيْر إلى حضرموت، وقال له ما قال له

---

(1) سبقت ترجمته ﵁.

شيخه أبو مدين، ثم قال: تجد الفقيه محمد بن علي عند الفقيه علي بن أحمد بامروان يتعلم منه العلم، طارحاً سلاحه على رجليه، فاغمزه من عنده وحكّمه، واذهب إلى قيدون ـ وهي قرية بأعلى حضرموت ـ تجد فيها الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، فحكِّمه. قال: فلما وصلت إلى تريم وجدت الفقيه محمد بن علي عند شيخه الفقيه علي بامروان، كما قال لي الشيخ، فغمزته وحكّمته، فلما رجع إليه وفي رأسه الخرقة؛ اغتاظ عليه وقال: رجوناك أن تكون إماماً مثل ابن فورك، فتركت صحبتنا ورجعت إلى زيّ الصوفية؟! فقال له الفقيه محمد بن علي: الفقر خير ملبوس. وهاجره الفقيه علي بامروان، ودام الهجر بينهما إلى أن توفي بامروان، وكان سيدي الشيخ الفقيه بالعجز ـ قرية على نصف مرحلة من تريم ـ فلما بلغته وفاته؛ صار إلى تريم ليحضر الصلاة عليه، فوجده قد دُفن، فدخل الجامع وطلع منارته وآلى على نفسه أن لا يخرج حتى يأتيه الإمام من قبره ويجتمع به، فلم يلبث أن أتاه الإمام وتحدّثا ما شاء الله تعالى، والمؤذن يسمع كلامهما، فكان مما سمع أن الشيخ الفقيه محمد بن علي قال للإمام بامروان: إيش أنا عندكم؟ قال: يترجاك أهل البرزخ كما يترجى أهل الخريف الخريف، وذلك أكمل ما يكون فيه الترجي والانتظار؛ إذ النفوس بطبعها تشتاق إلى زمن الخريف لِمَا فيه من التفكّه والتوسعة على القويّ والضعيف، لا سيما أهل حضرموت لضيق معايشهم. ورُوي أن المؤذن دخل عليهما وناشدهما الجنّة، فأجابه الفقيه إلى ذلك وشرط عليه أن لا يخبر أحداً بما رأى، فأبى وقال له: اصبر حتى أموت، فلما مات الفقيه رضي الله عنه نادى المؤذن بأعلى صوته عند الحضور بالمقبرة، وقصَّ عليهم القصة.

قلت: فإن حاكَ في صدرك شيء من عقد سيدي الفقيه على نفسه ذلك، فقد رُوي أن الشيخ إبراهيم بن ظريف أتى إليه إنسان وسأله: هل يجوز للإنسان أن يعقد على نفسه عقداً لا يحلّه إلا بنيل مطلوبه؟ قال: نعم، واستدلّ بحديث أبي لُبابة الأنصاري رضي الله عنه في قصة بني قريظة المشهورة، وقوله ﷺ: «أما إنه لو أتاني لاستغفرت له، ولكن إذ قد فعل ذلك بنفسه فدعوه حتى يحكم الله فيه».

رُوي أنه لما عرف الجناية منه شدَّ نفسه إلى سارية في المسجد، وقال: و الله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليَّ، فمكث على ذلك سبعة أيام ثم تاب الله عليه، وحلّه رسول الله ﷺ بيده رضي الله عنه ونفع به.

ثم اعلم بأن الشيخ سيدي الشيخ الفقيه كما نقله السادة الشيخ أبو مدين، وليس لعبد الرَّحمن المقعد وتلميذه عبد الله الصالح مشيخة عليه، وقد غلط مَن ظنَّ ذلك، وإنما عبد الرَّحمن كالرسول من الشيخ أبي مدين ﷺ، وعبد الله الصالح رسول ونائب لعبد الرَّحمن المذكور.

ولله درّ سيدي الشيخ علي بن أبي بكر،حيث قال في بعض قصائده: [شعر]

محمد الفقيه وحيد عصره … أبي علويٍّ ذي الوهب الجزيل
فخرقته لها كَمْ من طريقٍ … سلاسلها بتمكين أصيل
وإسناد بها تصحيح نقل … والقاح بتأثير المثيل
سرى منه الفلاح كل دهر … من الأصل الأصيل إلى الفصيل
فكم فتح وكم نفح ونفع … وأسرار وكم وهب جزيل
مناسبة له تعلو عُلاها … بسدرة منتهى السرّ الأصيل
وكم باب المواهب لم يحرز … بها يثني أبو الفضل الطويل
له أسرار جلّت عن شريك … من الأشياخ كم قطب مثيل
وكم شعبٌ تشعب من شعيب … وكم من مقعدها هامى الهطيل

وعبد الله الصالح كان أوّلاً من ملوك العرب، فآثر سلوك هذه الطريق، وفتح الله عليه بواسطة الشيخ العارف بالله عبد الرَّحمن المقعد بن محمد الحضرمي.

وذكر سيدي العمّ الوالد الشيخ العارف بالله عبد القادر العيدروس في بعض مؤلفاته أن في مناقب الشيخ الكبير العارف بالله سعيد العمودي أن الشيخ عبد الله الصالح لما رجع من حضرموت أقام بميفعة، وهي بلد أقصى حضرموت قريبٌ من ساحل عين بامعبد، وتزوج بقرية من قراها يقال لها: «السوق»، أعلى من أصبعون فوق الروية، وكان له بنتان: حمادة ومحمودة، فلما مرض جاءه المشايخ الذين حكّمهم ﷺ يزورونه، وهم أربعة: الشيخ الفقيه محمد بن علي المذكور، والشيخ سعيد العمودي،

والشيخ باعمر، والشيخ باحمران، وقالوا: تشير إلى أحد يكون بعدك؟، فسكت ساعة ثم قال: يا أولادي! ما استقلّ منكم إلا صاحب السبحة، وأنتم مشايخ، وميراثي أرباع بينكم، والبنتان على يديك يا شيخ سعيد. فلما مات قسموا ميراثه بالقرعة، فخرج المشعل والقدر للشيخ سعيد صاحب قيدون، والسبحة والعكاز لسيدي الجدّ الشيخ الفقيه محمد بن علي، فكان هو المشار إليه آنفاً بالاستقلال، والدلق لباعمرو صاحب عُورة ـ بضم العين المهملة ـ، والحبوة والبسطة لباحمران، وقبر الشيخ عبد الله الصالح بـ «أصبعون» معروف، مشهور، يُزار ويُتبرَّك به.

[ترجمة]
[سيدي أبي مدين شعيب ﵁]

إذا تقرر ذلك، فاعلم أن الشيخ أبا مدين ﵁ كان أحد أركان هذا الشأن، وأجلّ الأكابر الأعيان، أظهر الله على يديه عجائب الآيات، وكشف له أسرار المغيّبات، وانتشر ذكره في الآفاق، وانعقد الإجماع على فضله بالاتفاق، وتخرَّج به جماعة من أكابر المشايخ، وتتلمذ له خلق كثير من أهل الطريقة، وانتمى إليه عالم عظيم من الصلحاء، وتأدّب بين يديه المشايخ والعلماء.

قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﵁ في «الفتوحات»: كان شيخنا أبو مدين بالمغرب مثل الشيخ عبد القادر بالمشرق؛ **يعني**: في إرشاد المريدين ودعاء الخلق إلى الله، حتى قيل: خرج على يد الشيخ أبي مدين من الأولياء ألف تلميذ.

وقال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي ﵁ ، بعض شيوخ اليمن ينسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، ومنهم من يُنسب إلى الشيخ الكبير العارف بالله الشهير أبي مدين شعيب المغربي ـ قدَّس الله سره ـ هذا شيخ المغرب، والأول شيخ المشرق.

قلت: وقد اتصلت بحمد الله ﷻ سلسلتنا بهذين الشيخين: شيخ المشرق وشيخ المغرب، وممن ينسب إلى الشيخ أبي مدين من أهل اليمن سيدي الشيخ الفقيه محمد بن علي، والشيخ سعيد العمودي، والشيخ باعمرو، والشيخ باحمران، والشيخ بامعبد، والشيخ جوهر العدني وغالب مشايخ حضرموت، وكذا من أهل الهند الشيخ الكبير أحمد كهنو الكجراتي ﵃ ونفع بهم، آمين.

ولله درّ من قال في مدحه ﵁ : [شعر]

تبدّت لنا أعلام علم الهدى صدقاً ... فصار لشـــمس الدين مغربنا شرقا
وأشـــرق منهـــا كل مـــا كان آفلاً ... وأصبح نور الســـعد قد ملأ الأفقا

إلى أن قال: [شعر]

أبـــا مدين دانـــت لدينـــك عصبة ... فوالَيْتهـــم حبـــاً ودانيتهـــم رفقـــا
ســـقيت قلوباً طل ما شـــفها الظما ... فأمطرتها من ماء علم الهدى ودقا
فأحييـــت منهـــا كلَّ مـــا كان ميتاً ... ورقيـــت منها كلَّ مـــا كان لا يُرقى
وأخرجتهـــا مـــن كل جَهْل وظلمَة ... فمهمـــا دجا لَيْـــل ألحت لـــه برْقا
ســـقيت بعلمٍ يـــا شـــعيب قلوبنا ... فاسمك من شعب القلوب قد اشتُقّا

ورُوي عن الشيخ الجليل عبد الرزاق أنه قال: لقيت أبا العباس الخضر عليه السلام، وسألته عن شيخنا أبي مدين رضي الله عنه، فقال: هو إمام الصدِّيقين في هذا الوقت؛ ذاك آتاه الله مفتاحاً من السرِّ المصون لحجاب القدس ما في هذا الوقت أجمع لأسرار المرسلين منه.

وقال محيي الدين بن عربي رضي الله عنه: سأل بعض الأولياء إبليس، فقال: كيف حالك مع الشيخ أبي مدين؟ فقال إبليس: ما شهدت نفسي معه إلا كشخص وقف على شاطىء البحر المحيط فبال فيه، فقيل له: لِمَ تبول فيه؟ قال: حتى أنجسه، فلا تقع به الطهارة، فهل رأيتم أسخف من هذا الشخص؟ كذلك أنا وقلب أبي مدين، كلما ألقيت إليه أمراً قلب عينه!.

قلت: لأنه رضي الله عنه كما قال المخذول بحر، والبحر تستهلك فيه النجاسة، بخلاف الماء القليل، فإنها إذا وردت عليه تؤثر فيه، كذلك الشبهات إذا وردت على القلوب الضعيفة أثّرت فيها، وإذا وردت على المتضلع من العلم المشروع اللّدني استهلكت فيه وقَلَب عينها.

[بعض من كلامه رضي الله عنه]: وله رضي الله عنه كلام نفيس على لسان أهل الحقائق، وكرامات عظام باهرات خوارق، **فمِن كلامه:** لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد.

قلت: لأن القرآن هو البحر المحيط، وفيه علم الأوّلين والآخرين، فلا يخرج منه شيء، وإنما لكل عبدٍ منه بقدر فهمه ورزقه، فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾، [الكهف:109]. قال الله: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾، [الأنعام:38].

وقال ﷺ: «**اقرؤوا القرآن والتمسوا غرائبه**»[1]؛ يعني: أن في القرآن رموزاً وإشارات ودلالات على أمور يختص بدركها أهل الله.

وقال سيدنا علي ـ كرّم الله وجهه ـ: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير سورة الفاتحة».

وقال أيضاً:

جميـع العلم فـي القـرآن لكن　　　تعامـى عنهـا أفهـامُ الرجـال

وقال ابن مسعود ﷺ: «من أراد علم الأوّلين والآخرين، فليثور القرآن»؛ أي: يبحث عن علمه.

وقال أبو الدرداء ﷺ: لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً.

وقال سيدنا الشيخ عمر المحضار ﷺ: لو شئت أن أوقر سبعين بعيراً من تفسير [ما نسخ من آية] لفعلت، ولم ينفد تفسيرها.

وقال سيدي الشيخ عبد الله أبو بكر العيدروس ﷺ: لو أردت أن أحمل ألف جمل من تفسير حرف الألف لفعلت.

وقال بعض العلماء: لكل آية سبعون ألف فهم، وما بقي من فهمها أكثر.

قال آخر: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، لكل كلمة علم ثم

---

(1) قوله ﷺ: «**أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه**»: رواه ابن أبي شيبة والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ﷺ. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم:1149.

يتضاعف ذلك أربعة أضعاف؛ إذ لكل كلمة ظاهراً وباطناً وحدًّا ومطلعاً.

قلت: وباطنه ليس مناقضاً لظاهر التفسير؛ بل هو استكمال له، ووصول إلى لبابه عن ظاهره، ولا مطمع في الوصول إلى باطن القرآن قبل إحكام ظاهره. ومن ادَّعى فهم أسرار القرآن ولم يحكّم التفسير الظاهر، فهو كمن يدّعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، وضاع عمره في الباب.

والقرآن من حيث الجملة ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم التعريف، وهو ما فيه ذكر الله تعالى وذكر صفاته، أو فعل من أفعاله. وأفعاله قسمان: مُلْكٌ ومَلَكُوت، فالملك: ما كان ظاهراً، والملكوت: ما كان باطناً.

الثاني: قسم التذكير، وهو قسمان أيضاً: ترغيب، وترهيب.

الثالث: قسم الأحكام، وهو معرفة الأمر والنهي. وجميع علوم الحديث تتفرع من هذه الأصول الثلاثة، ثم يختلف أحوال الناس في فَهْم القرآن، وكل أحد ينال ما قُدِّر له منه. قال الله :﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، [ص:27].

ومن كلامه رضي الله عنه **أيضاً**: انكسار العاصي خيرٌ من صولة المطيع. ولهذا قال صاحب الحكم رضي الله عنه: ربّ معصية أورثت ذلًّا وافتقاراً خيرٌ من طاعة أورثت عزًّا واستكباراً.

وقال يحيى الرازي: ذنبٌ تفتقر به خيرٌ من طاعة تعتزّ بها.

وفي ما أوحى الله سبحانه وتعالى إلى داود عليه السلام: يا داود! كانت تلك الذلة مباركة عليك. يا داود! عليك بأنين المذنبين، فإنه أحبُّ إليَّ من صراخ العابدين.

وحُكي أن شابًّا كان مسرفاً على نفسه، فلما مرض قال لأُمِّه: إن الجيران قد كرهوني، فلا تدفنوني في المقابر لئلا يكرهني الموتى أيضاً، بل ادفنوني في بيتي. فدفنوه في بيته، فرآه بعض الصالحين في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وقال: يا عبدي! ضيّقوا عليك وضيّعوك وأعرضوا عنك، أما أنا لا أُضيّعك ولا أُعرض عنك برحمتي.

وقيل: إن رجلاً كان يقال له: خليع بني إسرائيل لكثرة فساده، فمرَّ برجل آخر يقال له: عابد بني إسرائيل، وعلى رأس العابد غمامة تظلّه، فقال الخليع في نفسه: أنا خليع بني إسرائيل، وهذا عابد بني إسرائيل! فلو جلست إليه لعلّ الله يرحمني به، فجلس إليه فقال العابد في نفسه: أنا عابد بني إسرائيل، وهذا خليع بني إسرائيل يجلس إليَّ، فأنف منه وقال له: قم عني، فأوحى الله ﷻ إلى نبيٍّ ذلك الزمان: أنْ مُرْهما فليسْتأنفا العمل، فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد. **وفي رواية**: فتحوّلت الغمامة على رأس الخليع.

وقيل أيضاً: بينما عابد يمشي وعلى رأسه غمامة تظلّه، فجاء رجل يريد أن يستظلَّ معه، فمنعه وقال: إن أقمت معي لم يعلم الناس أن الغمامة تُظلّني، فقال الرجل: قد علم الناس أني لست ممن تظلُّه الغمامة، فأبى عليه، فتحوّل ذلك الرجل فحوَّل الله الغمامة عليه.

ومن كلامه رضي الله عنه: أغنى الأغنياء مَنْ أبدى له الحقّ الحقيقة مِن حقّه، وأفقر الفقراء مَن ستَر الحق حقّه عنه.

قيل: لأن الحقيقة غير مجهولة؛ لكونها من المعلومات الأزلية. ومن المعلوم البيِّن أن المعلوم الأزلي كلّه قديم، وله قابلية المظهرية للفيض الأقدس، لكنها ممتنعة على مدرك بجهدٍ واجتهاد، وإنما هي مواهب يصل العبد إليها بإيصال الحقّ إياه لا غير، وكل حقيقة لا تمحو أثر العبد، فليست بحقيقة.

قال ابن عربي رضي الله عنه: والحقيقة عبارة عن سلب أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت.

ومن كلامه رضي الله عنه: مَن تحقَّق بالعبودية نظر أفعاله بعين الرياء، وأحواله بعين الدعوى، وأقواله بعين الافتراء، وما وصل إلى صريح الحرية مَن عليه مِن نفسه بقيَّة.

قلت: لأن العبودية ترك التدبير وشهود التقدير، فمَن كان في الدنيا يتّصف بالملك ولو في جوخة أنها ملك له نقص في ملكه في الآخرة بقدر ما اتصف به في الدنيا، ولو أقام العدل في ذلك وصرفه فيما أوجب الله عليه، وهو يرى أنه مالك لذلك لغفلة

طرأت منه، فإن وبال ذلك يعود عليه.

قيل لمحمد بن خفيف رضي الله عنه[1]: متى يصلح العبد للمعبود؟ قال: إذا طرح كله على مولاه، وصبر معه على بلواه.

وقال ذو النون المصري رضي الله عنه[2]: العبودية أن تكون عبداً له في كل حال، كما أنه ربك في كل حال؛ لا بالبلاء تنحرف ولا بالعطاء تنصرف.

ويقال: مَن صحَّت عبوديته لربّه صار حرًّا من رقّ نفسه، فالعبد مكاتب ما بقيَ عليه درهم. ويقال: العبودية أن تكون فرداً لفرد؛ لا يسترقّك شيء من الدنيا، ولا يملكك شيء من الهوى.

قلت: ولهذا قال بعض الأمراء لبعض الفقراء: ألك حاجة؟ قال: لي تقول هذا؟ ولي عبدان هما سيداك: الحرص والهوى ملكتهما أنا، وهما ملكاك!.

ولهذا أشار سيدي شيخ بن عبد الله العيدروس ـ قدّس الله سره ـ بقوله: [شعر]

الله أكبر الهوى مريدي   والكلّ في ملكي وقبضة إيدي

فمَن ملَّكه الله أمر نفسه وهواه، فقد أتاه الملك بحذافيره.

ومن كلامه رضي الله عنه: إذا ظهر الحقّ لم يبق معه غيره، وليس للقلب سوى وجهة واحدة، فإلى أيّ وُجهةٍ توجَّه حُجِب عن غيرها.

قلت: وهذا من خواصّ القلب، فإنه إذا توجّه إلى شيء بَعُد عن غيره، فكيف به إذا امتلأ بعظمة الله تعالى؟! فحينئذ لا يكون منه متسع لغيره.

ومن كلامه رضي الله عنه: أنا النقطة التي تحت الباء، إشارة إلى المقام الرابع المعبَّر عنه بفناءِ الفناءِ، وجمْع الجمْع. وكان كثيراً ما يقول: من علامات صدق فراره عن الخلق

(1) **الإمام العارف بالله تعالى سيدي أبو عبد الله محمد بن خفيف** بن اسفكشاد الضَّبيّ، الشيرازي، كان رضي الله عنه شيخ مشايخ وقته، صحب رويماً والجريري وأبا العباس بن عطاء وغيرهم رضي الله عنهم. كان عالماً بعلوم الظاهر، وعلوم الحقائق، أوحد المشايخ في وقته، حالاً، وعلماً، وخلقاً، مات رضي الله عنه سنة 371 هجرية. **انظر**: طبقات الصوفية للسلمي 465، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني 10/ 385، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي 3/ 76.

(2) سبقت ترجمته رضي الله عنه.

وجوده للحق. ومن علامات صدق المريد: فراره عن الخلق، ومن علامات صدق وجوده للحق: رجوعه إلى الخلق.

قلت: وهذا هو حال الوارث للنبيّ ﷺ، فإنه كان يتخلّى بغار حراء ثم رجع إلى الخلق بأمر الله تعالى، مرشداً لعباده.

وكان ؓ يقول لأصحابه: اظهروا للناس بما عندهم من الموافقة كظهور الناس بالمخالفة، فإن كلمة الله هي العليا. واظهروا بما أعطاكم الله من نعمه الظاهرة والباطنة؛ لقوله : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، وقوله ﷺ: «التحدُّث بالنعم شكر»[1].

قلت: وهذا حال مَن تحقَّق بالإخلاص؛ لأن إظهار العمل وإخفاءه عنده سواء.

قال أبو العباس المرسي[2] ؓ: مَن أحبَّ الظهور، فهو عبد الظهور، ومَن أحبَّ الخفاء، فهو عبد الخفاء، ومَن كان عبد الله، سواء عليه أظهره أم أخفاه.

وقد عدَّ ابن عربي ؓ من الأولياء المرائين، فقال: مِن أولياء الله ؓ المراؤون الذين يراؤون الناس، وهم أهلِ الاقتداءِ؛ يعلّمون الناس بالفعل إذا كان الفعل أتمَّ عند الرأي من القول. قال ﷺ: «صلُّوا كما رأيتموني أُصلّي» مع كونه وصف الصلاة لهم، وهكذا في كل ما يمكن من الأعمال المقرِّبة إلى الله، فهذا حظّهم من الرياء ؓ.

ولهذا كان بعض السلف ؓ يصيح ويقول: صلّيت البارحة كذا وكذا ركعة، وتلوت كذا وكذا سورة. فيقال له: أما تخشى من الرياء؟ فيقول: وهل رأيتم من يرائي بفعل غيره؟! فحالتا الجهر والسرّ عند أهل الله متساويتان؛ لصدق العلم بالله، لكنَّ منهم مَن يراعي عمل السرّ لأجل ثناء الحقّ على ذلك في الخبر الحسن؛ لا من طريق الإخلاص، فإن القوم منزَّهون عن الشِّرك في الأعمال لمشاهدتهم الحق في كل شيء، فكل حال عندهم إعلان، فعمل الإعلان يؤذن بظهور الاقتدار الإلهي، فعزَّ مَن سرّه وهو الظاهر

---

(1) قوله ﷺ: «التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، الجماعة بركة والفرقة عذاب». رواه البيهقي في شعب الإيمان عن النعمان بن بشير ؓ. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 3398.

(2) هو سيدي العارف بالله تعالى الولي الكبير أبو العباس أحمد بن عمر المرسي، شهاب الدين ؓ ونفعنا بمحبته من أهل الاسكندرية وأصله من مرسية في الأندلس، توفي ؓ سنة 686 هـ.

في المظاهر إلى مكائنه، وهذه حالة سيدي الشيخ أبي مدين ﷺ، فإنه كان يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾، [الأنعام:91]. ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾؟!، [الأنعام:40].

وأما ذكره العلماء ﷺ ـ مثل الغزالي والمحاسبي ـ من الرياء في ذلك، فإنما ذلك خطاب لسان العامّة ما هو لسان أهل الله.

كان سيدي الشيخ أبو بكر العيدروس ﷺ يقول: عَجِبت من الغزالي، أشحن كتاب الإحياءِ من الرياءِ والعجب!! وأنا لم أعرفهما من نفسي، ولكن الكامل من أهل الله مَنْ يعمل بالحالتين ليجمع بين المقامين، ويحصّل النتيجتين، فيعلن في وقت يرى أن الحقَّ آثر فيه الإعلان، ويُسرّ في وقت يرى أن الحقَّ آثر فيه الإسرار.

ورُوي أنه قال: أوقفني ربي ﷻ بين يديه، وقال لي: يا شعيب! ماذا عن يمينك؟ قلت: يا ربّ! عطاك، قال: وماذا عن شمالك؟ قلت: يا رب! قضاك، قال: يا شعيب! قد ضاعفت لك هذا وغفرت هذا، فطوبى لمن رآك ورأى من رآك.

قلت: يعني: فطوبى لمن رآك وأحسن الظنّ بك؛ لأن الولي لا ينال أحد بركة صحبته حتى يراه بعين الولاية، ويعظّمه بمقتضى مقامها.

قيل: زار بعض الملوك قبر أبي يزيد[1] ﷺ، فقال: هل هاهنا أحد ممن اجتمع به وسمع كلامه؟ فقيل له: هذا الشيخ، فقال له الملك: ماذا سمعت من كلامه؟ قال: سمعته يقول: من رآني لا تُحرقه النار!. فاستعظم الملك هذا المعنى، وقال: محمَّد رسول الله ﷺ رآه أبو لهب والنار تُحرقه، فكيف أبو يزيد يقول ذلك!؟ فقال ذلك الشيخ: إن أبا لهب ما رأى محمَّداً رسول الله ﷺ، وإنما رأى يتيم أبي طالب؛ فلذلك تحرقه النار. ففهم الملك المراد.

ومن كلامه ﷺ: الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهد الحق؛ أي: لا ترى إلا الله ، وأنه الواضع أسباب المضارّ والمنافع، فمتى رأيت ذلك لجأت إلى الله في دفع ما يضرّك، ونيل ما ينفعك من غير تعيين سبب، وأخلصت له جملة واحدة، ولم ترَ في

---

(1) سبقت ترجمته ﷺ.

العمل حتى نفسك بأنك الذي عملت، بل عملك خلق لله.

قال بعضهم: رؤية الإخلاص منك في العمل مجوسية محضة؛ لأن العمل من جملة أفعال الله التي المكلف مظهرها، فهذا معنى الإخلاص. قال الله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾، [آخر سورة الكهف]. وهذا مقام المقرّبين، فإن الأبرار كلهم طلبوا المكافأة على أعمالهم إلا هذه الطائفة ـ يعني: المقربين ـ فإنهم ما طلبوا من الله شيئاً، ولا رأوا لهم عملاً يستحقون به الثواب والقربة، وهذا مقام العبودية تجري عليهم ومنهم وفيهم الأعمال، وهم عنها فانون؛ بشاهد قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، [الصافات:96].

ومن كلامه ﷺ: الحقّ مستبد، والوجود مستمد، والمادة من عين الوجود؛ فلو انقطعت المادّة انهدَّ الوجود.

قلت: فمِن أجلِّ نِعَم الله تعالى على كل موجود إيجاده بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، ثمَّ إمداده له بالبقاء في كل لحظة، وإلا فهو باطل.

ومن هذه الجهة نظر أرباب الحقائق، فقالوا: ما في الوجود إلا الله؛ لأن ما سواه قائم به، فلا يستحقّ أن يوصف بأنه موجود مع الله، كما لا يوصف ظل الشاخص بأنه موجود معه، فالوجود وإن تعدَّد في الصورة، فهو متحد في الحقيقة. ولله درّ مَن قال: [شعر]

هـذا الوجـود وإن تعـدَّد ظاهراً ... وحياتكـم مـا فيـه إلا أنتـم

قال صاحب الحكم[1] ﷺ: «نعمتان ما خرج عنهما موجود، ولا بدَّ لكل مكون، منهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد».

---

(1) سيدي ابن عطاء الله ﷺ في حكمه المباركة، قال سيدي ابن عجيبة ﷺ في شرحه لهذه الحكمة: يعني أنه لا بد لكل موجود من نعمتين لا يخرج عنهما: الأولى نعمة الإيجاد ـ ؛ أي نعمة هي إيجاد الله إياه بعد العدم السابق، والثانية نعمة هي إمداده بالمنافع التي تقتضي بقاء صورته وهيكله إلى أجل مسمى . فهو المنعم ابتداءً ودواماً. كما قال أيضاً: «أنعم عليك أولاً بالإيجاد، وثانياً بتوالي الإمداد». وقد وجه الكلام في هذه الحكمة على طريق الخطاب؛ ليستحضرهما الإنسان في نفسه، ويعلم أن الإمداد متواصل لا يتخلله انقطاع، فيعرف من نفسه الفاقة الذاتية.

ومن كلامه رضي الله عنه: مَن قطع موصولاً بربّه قُطِع به، ومن شغل مشغولاً بقربه أدركه المقت في الحال.

وقال رضي الله عنه: الحقّ يجري على ألسنة علماء كل زمان ما يليق به.

وقال: مَن عرف الحقّ استفاد منه في اليقظة والمنام.

وقال: مَن ضيَّع حكم الوقت، فهو جاهل. ومن قصر عنه، فهو عاجز.

وقال: ما فات لا يُستدرَك؛ لأن الوقت الثاني غير الأول.

وقال: احرص أن يكون لك شيء تَعرف به كل شيء.

وقال: مَن لم يكن بالأحد لم يكن بأحد.

وقال: من عرف أحداً لم يعرف الأحد[1].

وذكر سيدي محيي الدين بن عربي رضي الله عنه أن الشيخ أبا مدين رضي الله عنه آخر ما بقي من عمره ترك جميع أسباب الدنيا، وجلس مع الله على ما يفتح الله له، فقيل له: يا أبا مدين! لِمَ تركت الأسباب؟ أو لم لا تقول بها؟ فقال رضي الله عنه: حينئذٍ أقول بها، ولكن إذا نزل الضيف بقوم وعزم على الإقامة عندهم، فكم توقيت زمان وجوب إطعامه عليهم؟ فقالوا: ثلاثة أيام، قال: وبعد الثلاثة أيام؟ قالوا: يحترف، قال الشيخ: الله أكبر! أنصفونا نحن أضياف ربنا تبارك وتعالى، نزلنا عليه في حضرته على وجه الإقامة عنده إلى الأبد فتعيّنت الضيافة، فإنه تعالى ما دلَّ على كريم خلق لعبدٍ إلا كان هو أوْلى بالاتصاف، وأيام ربنا كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، [الحج:47]. وضيافته بحسب أيامه، فإذا أقمنا عنده ثلاثة آلاف سنة ولم نحترق يتوجّه اعتراضكم علينا ونحن نموت، وتنقضي الدنيا وتبقى لنا فضلة عنده تعالى من ضيافتنا، فاستحسن ذلك منه.

قلت: والصوفية رضي الله عنهم أضياف الله سبحانه وتعالى، فإنهم سافروا من حظوظ أنفسهم وجميع الأكوان إيثاراً للجناب الإلهي، فمتى قطعوا مناهل أنفسهم وصلوا إلى ربِّهم، فنزلوا به، فصحَّ لهم حينها أن يكونوا ضيوفاً.

---

(1) الأحد هنا هو الله سبحانه وتعالى، بمعنى من عرف غير الله لم يعرف الله سبحانه.

وسيدي الشيخ ﷺ يشير إلى أنه قد وصل وبكل خير حصل، وتَرْكُ الأسباب هو ترك اختيار العبد مع الله ، وهو ثمرة حسن ظنّه بالله ومعرفته بأنه ﷻ غير جائر في حكمه؛ وذلك لأن العقول متى أبصرت، والقلوب متى أيقنت، والنفوس متى علمت أن الله ﷻ أجرى بمشيئته ما علم أنه خير للخلق في اختياره ومحبّته، وأن العدل من واحد ليس كمثله شيء؛ حُزْت أن تعترض على مَن قد علمتَ أنه عدلٌ في قضائه غير متّهم فيما حكم فيه. وقد قيل: ليس في الإيمان أسباب، إنما الأسباب في الإسلام. ولهذا كان ﷺ إذا جاءه مأكول طيب أكله، وإذا جاءه مأكول خشن أكله، وإذا جاءه نَقْدٌ[1] علم أن الله ﷻ قد خيَّره؛ إذ لو أراد أن يُطعمه أيّ صنفٍ شاء من المأكولات جاء به إليه، فيقول: هذا النقد ثمن المأكول جاء به الله للتخيير والاختيار.

واعلم أن سفر العارفين بالهمّة، وسفر طالب الدنيا بالخطوة، وسفر الزهاد بالطاعة يتقدمون بها ويقطعون المنازل، فالعارفون يتقدّمون بالإفلاس، ويضعون قدم الهمّة على الكونين، ويركبون سفينة البلاء، ويطرحون أنفسهم في بحر العظمة، ويرفعون شراع التسليم.

[كراماته ﷺ]: وكراماته ﷺ كثيرة مشهورة؛ فمنها: ما حكاه عبد الله بن أسعد اليافعي إلى الدكالي، قال: قامت الحرب بالمغرب بين المسلمين والإفرنج في حياة الشيخ أبي مدين ﷺ، فأخذ الشيخ سيفه وخرج إلى الصحراء في نفرٍ من أصحابه ـ وأنا معهم ـ وجلس على كثيب من رمل، فإذا بين يديه خنازير قد ملأت البرية، فوثب الشيخ حتى صار بينهم وسلَّ سيفه وعلَا به رؤوس الخنازير حتى صرع منهم كثيراً وولّوا هاربين، فسألناه عن ذلك فقال: هؤلاء افرنج، وقد خذلهم الله تعالى. فأرَّخنا الوقت، فجاء الخبر بكسرة الافرنج في ذلك الوقت.

ومنها ما حُكي عن الشيخ العارف بالله تعالى صالح الدكالي أيضاً، قال: ورد ناس من المشرق على شيخنا أبي مدين ﷺ، فقالوا: نشتهي عنباً، ولم يكن ذاك أوان العنب بالمغرب، فقال لي الشيخ: يا صالح! اذهب إلى البستان وائتنا منه بعنب، فقلت له: الآن يا سيّدي خرجت منه ولا عنبة فيه، فقال: اذهب ترَ العنب. فأتيت البستان،

---

(1) أي فلوس أو مال.

فوجدت الدوالي مملوءة عنباً، فاحتملت منه شيئاً كثيراً وأتيت، فأكلوا وأكلت معهم.

ورُوي أن سلطان المغرب أمر بإشخاصه إليه ليتبرَّك به، فلما وصل إلى تلمسان قال: ما لنا وللسلطان الليلة نزور الإخوان، واستقبل القبلة وتشهَّد وقال: ها قد جئتها، قد جئت وعجلت إليك ربّ لترضى!، ومات، ودُفن في جبانة العُبَّاد بها، وقد ناهز الثمانين، وقبره هناك معروف يُزار ويتبرك به، وذلك سنة تسعين وخمسمائة، انتهى ما بـ«الطراز المعلم والسر الملهم».

وحيث قد انتهى بنا النظام إلى ذكر هذا الإمام الهُمام؛ ذكرت أن قد طلب مني بعض الإخوان ممن له بسويدا قلبي أجلّ مكان أن أعجز وأصدر قصيدة شعيب الخمرية، فأجبته إلى ذلك بديهة عذرية؛ وذلك الطلب كان بعد حجي لبيت الله الحرام ثاني مرة، وهو في عام ـ ناهيك به من عام ـ رُزقت به الحجّ والعمرة الكائن بيوم الاثنين سنة ست وثمانين بعد المائة والألف من هجرة سيد الأنبياء والمرسلين، فأحببت إثباته هنا بهذا المحل، وإن كان لا يخلو في لفظه ومعناه من خلل، وهو هذا: [شعر]

أدرهــا لنا صـرفـاً ودع مزجها عنّا
وأرْوِ فــإن الـعـزَّ مـن ذلــك نلنا

ففي صرفها ســرٌّ يـلـوح فـجُـدْ به
فنحن أُنــاس لا نـرى الـمـزج مـذ كنا

وغــنِّ لنا فالوقت قد طـاب باسمها
وزانَ محلّ فيه يُستعذب المجنا

ولا تـدع معرب اللفظ عنّا دائماً
لأنــا إلـيـهـا قــد رحـلـنـا بـهـا عنا

عرفنا بها كـل الـوجـود ولـم نزل
بها نـتـرقّـى نحو مـن قــاب أو أدنـا

فـهـمْـنـا بـهـا لـمـا فهمنا مقامها
إلــى أنّ بها كـل الـمـعـارف أنكرنا

هي الخمر لم تعرف بكرم يخصّها
ولا عصرٌ يحوي عصرها حسٌّ أو معنا

تجلّت بـنـور فـي الـعـلا وتقدَّست
ولـم يجلّها راح ولـم تعرف الدّنا

لها كل روح تعرف العهد عهدها
بـيـوم الـسـت أخـذهـا فافهم المعنا

لها فـي نفوس العاشقين مكامنٌ
وفي كل قلبٍ جاهل للسوى معنا

مشعشعة تكسو الـوجـوه جمالة
وتعطي الشموس من سناها سنا أنا

بها كـان سـرّ الـكـائـنـات مؤسساً
وفـي كـل شـيء مـن لطافتها معنا

حضرنا وغبنا عند دور كؤوسها
وجلْنا وجال كل من في الهوى معنا

وعـربـد مَـن لـيـس لـه قـلـب واثـق
وعـدنـا كـأنـا لا حـضـرنـا ولا غبنا

وأبـــدت لنا فـي كـل شـيء إشـارة
لمحْنا بها مـا ليس يبلغه الأدنـا

وصـرنـا بـهـا نـدعـى بـكـل مكانة
ومـا احتجبت إلا بأنفسنا عنّا

فلم تطق الأفــهــام تعبير كنْهها
فكيف يعبر كنهها القاصي إلا دَنـا

ومـا تلك فـي حكم المجاز مقالة
ولـكـنـهـا لاذت بـأوصـافـهـا لحنا

نصحتك لا تقصد سوى باب حانها
ولا ترتشف إلا الــذي مـا هــو أهنا

تـــأنّ تحقق فـي نصيحتي دائـمـاً
فمن وجـد الأعلى فلا يطلب الأدْنـا

مــوانــعــنــا مــنـا حــظــوظ نفوسنا
وأشباحنا في ذاك أضحت تُشابهنا

فجُلْ في المجال الصعب واشهد له وقلْ
فــإن قطعت عــنّـا إلـيـهـا تواصلنا

تـجـلّـت دنـــوًّا واخـتـفـت بمظاهر
وبانت بما بانت ففي وصفها حزْنا

تقاصت تـدانـت أجلت وتعجلت
وجـلّـت فما أغنى ودقــت فما أسنا

ومــا الـكــون إلا مـظـهـراً لجمالها
محقّق في الأخـرى كما هو في الأدنا

ألسنا نـرى نـــوراً لها فـي دُجُـنّـةٍ
أَرَتْـــنـــا بـه فـي كـل شــيء بـدا حُسْنَا

لها القدم المحض الـذي شفعت به
مـقـامـاً عـلـيًّـا بـالـجـلالـة أشهدنا

بـــدون انــتــهــاء لا يـــزال لأنــه
بـقـاء غــدا يفنى الـزمـان ولا يفنى

يعيد ويـبـدي فعلها كـل محدث
سكنا بـه جمعاً كما قـد تحرَّكْنا

فـمـا حـــادث إلا بـصـنـع بديعها
وكـل قديم فهي قـد حـازت المعنى

فما وجـد الآبــاء مـن لطف صنعها
صنيع بـه ينحو إلــى مـا هـو أحنا

نعم سمعوا ما قيل بعد أن تمكَّنوا
على قـدم الأحـيـان مـا أنكر الإبنا

أذاكــرهــا قــف عـنـد حـــدّك واقـفـاً
فــإن تتعد الـحـدَّ فلست بصاحبنا

ولست الذي نرضى بك قطّ أن تجل
بعقلك عما حـيّـز العقل والذِّهنا

أتــزعــم فيما قـلـت أنــك عــارفٌ
فأين المعارف منك في يُسرا ويُمنا

لقد رُمْـــت مـا لا تستطيع مرامه
وجُـلـت مـجـالاً دونـه النطع فارقنا

تـكـالـبـت مـجـانـاً بـجـاهٍ ورفـعـةٍ
رُويــدك مـا العرفان قـالـوا ولا قلنا

فليس لـهـذا الـعـقـل عـنـدك سلم
وأنـــا لــهــا حـــدّ يـكـيـفـهـا أنــا

كـفـاك بـأعـيـان الــوجــود مفكراً
تشاهد معنا حسنها   حسن الحسنا

وتــدركــه بـعـد الـظـهـور لقلبك
بـكـل مليح يملح الـعـيـن والأذنــا

فـذلـك عين الـعـزّ إن رمـت عزّها
وذلـك فخر الفخر والمطلب الأسنا

ونــادِ على الأشـهـاد في كل محفلٍ
فمن راد أن يحيى بها دائـمـاً يفنى

إلـيـهـا جميع الـكـائـنـات مشوق
عـلـى كـل حــال تبتغيها ولــو تفنا

ولـكـنـهـا صـعـب الـمـنـال نوالها
تـزيـد افـتـقـاراً وهــي عنهنّ مـا أغنا

لها مطلق الوجه الحسين الذي نأت
عـبـارتـه عـن مـن غـدا مـنـتـزح عَنا

وجـاهـة وجـه وجهها قـد تباعدت
جـنـايـتـه لـكـنـهـا أبَــــــداً تجنا

ومـا العقل إلا من مواهب جودها
فلو لم يكن جـود لها قط ما استغنا

لــهــذا تـــراه فــي الـــدوائـــر كلها
غــدا ولـهـا فــي أمـرهـا طـائـعـاً يُثنا

تـقـول أنـــاس قـد تملّكه الـهـوى
وهـــام بـه فـــي   مهمه قلبه أعْـنـا

وقـد صـار لا يملك عـن ذاك نفسه
أجـل لست فـي ليلى بـأول مـن جنا

جننت بها عـن كـل مـا علم الـورى
وكنيت عنها مثل مـن كـان قـد كنَّى

أنـادي بسعدى والـمـنـاداة غيرها
وأظـهـر لُبنى والـمـراد سـوى لُبنَى

وإنـي كـمـا شـام الـغـرام مـوحّـدٌ
ولا ملحد حـاشـا بـدا مثلنا يعنا

أنـا الـمـؤمـن حـقًّـا بقلبي وقالبي
وإن ملت تمويهاً إلى الروضة الغنّا

ويـذكـرنـي مـرّ الـنـسـيـم بعرفها
زمـانـاً متى الأزهـار قـد آن أن تحنا

ويشجنني صـدح الهزار على المدا
ويطربني الـحـادي إذا باسمها غنّى

ولا عجب مني الحنين وذا الهوى
إذا نفسه تاقت بـدا ضـارب اليمنا

وأن كـمـا أنّ الـمـريـض تـعـلّـلاً
إذا سـاقـه شـوق إلـى قـصـده حنا

فـلـلَّـه مـا أرضـى فـؤادي بـمـا به
لـه بـالـرضـا فـخـر فينهاه مـا يهنا

يقول على رغـم الـعـذول تبجّحاً
وذا الحال ما أحلى وذا العيش ما أهنا

أوافــق قـومـاً ضمّهم مقعد الهوى
وصــانــهــم ربّـــي بــســتـرٍ بـــه كنا
فهم أخـوتـي فـي كـل سـرٍّ وظـاهـرٍ
وإن كــان كــل منهم قـاصـد أفنا
فــهــذا يـــوري بـالـغـزالـة غيرها
وهــذا ببدر دونــه الـبـدر فـي المعنى
وهــذا بحاجب سهمه يرمي الحشا
وهــذا بعين السكر يستملح الغصنا
وهـــذا بلين العطف يبدي صبابةً
وهـــذا بـصـدرٍ مـنـه يـصـدر مـا يثنا
وذا بالشعر قـد هــام فيه تـغـزّلاً
وهــذا يـرى ميلاً إلـى المقلة الوسْنا
وذا فــي ســـرورٍ بـالـدنـوّ وذالــه
تجنى لمن للكفّ والــراحــة حنا
وذا لـلـعـذار خـالـع بــل وذا له
غــرام وهـــذا بالنوى يظهر الحُزنا
وذا بـاسـم إذ نــال مـا كــان طالباً
وذا رافـض يشبه مَـن في الــورى جنا
وذا بـــالـــدلال لا يـــزال مــوقّــراً
وهــذا بسيل الدمع قد جـرح الجفنا
وذا خـائـف مــن قطعه بعد وصله
وذا مشمئز واجــــمٌ قـــطّ مــا رنـا

وذا قـد تعدى الـحـدّ قـال مجازفاً
وذا بالرضا مـن حاله وجـد الأمنا

وهـــذا مـحـب بـالـصـدود منعّم
وذا بـالـكـلام حينه ذلـك استغنا

وهـــذا بـبـرق لاح فـــاز بعكسه
وذا أخـــذ بـالـصـدّ مـن قـربـه مضنا

وهـذا تساوى الجهر والوصل عنده
واخـتـــاره مـا حـــنَّ يــومـاً ولا أنّــا

وقــد هجر الأغـيــار ســرًّا وظـاهـراً
فأنحا إليها يقطع السهل والحزنا

وهـــذا يـــرى بالشفرتين مسالكاً
فيشتاق سعياً نحوه الضرب والطَّعنا

وهــذا يـرى كـل الجهات مقاصداً
وهـــذا يــرى مـن حيث كـان لـه يُمنا

وهــذا يـرى بالسيف منها إشــارة
وذا بسنان الـرمـح يستملح مجنا

وهــذا يـرى أن لا ســواه عـرف بها
وهـــذا يـــرى عـهـداً على متنه يُبنا

وما ضرَّ هذا الخلق والقصد واحد
ومـا كـان مقصود سـوى مَـن هو يُعنا

ومـــا شـــاة إلا علقت قـل برجلها
إذا نـحـن أخلصنا إلـيـه توجّهنا

دعا باسمها الحادي ونحن على الغضا
ونــادى مـنـادي العشق مـن حبنا غنا

ودنـــدن بـــدانٍ دان مـنـي بخيفةٍ
فقلت لها بالله مـن ذكـرهـا زدنـا

فجاد إلـى أن أهـدت الـرَّكْـب نشوة
وســاروا بلا حـسٍّ سريعاً إلـى المغنا

تـراهـم يحثوا فـي السير بـلا عنا
ونـحـن على الأكـوار من قرح ملنا

لعمرك حتى العيس لـذَّ لها الكرى
وأطـربـهـا مَـن كـان مِـن حولها رنَّـا

فـذا شأنهم فـي حالهم قـط لا تقل
عجبت لشوق يشمل الركب والبدنا

وحتى غصون الـبـان مالت ترنّماً
يـظـن النسيم أنــه مــن هــوى لُبنى

تــراهــا تميل كلما هـبّـت الصبا
وغـنـت عليها كـل صـادحـة لحنا

أهــل عائد لـي رقــدة كـي أرى بها
مـنـامـاً بـه ألـقـى الـمـسـرّة واليمنا

وإن لا يـكـن ذلــك أرجـــو تيمّناً
خـيـال رســول زائــر مضجعي وهنا

وإن جـاءنـي بـالـقـرب منها مبشّر
ونـــادى بقم للحان فالخل قدمنا

عليك دعـــاك فـي مـقـام بـه المنا
وهَـبْـت لـه روحـي سـروراً ومـا أغْنا

حبينا بها دهـراً وقـد حكمت لنا
وهـذي حـبـوة فـي هـواهـا بها فزنا

ألـسـنـا بـهـا متنا عـلـى كـل حالة
ونـحـن بـهـا نحيا يقيناً إذا متنا

فلست أرى عندي لحالي تغيّراً
ولـسـت أجـد ذاك يقيناً ولا ظنّا

فما شـاب ربّ العشق شـوب مهانة
ولا مـطـرقـاً فـكـراً ولا قـارعـاً سنا

وإنـــا عـلـى مـا أكـد الـعـهـد بيننا
وقـوف وإن ملنا بسهوٍ فقد هدنا

تـرانـا بحمد الله دأبـاً على الوفا
مـدى الدهر لا خنا العهود ولا حلنا

وعجز عـن التعجيز قـد كـان لائقاً
وألـيـق مـنـه تـرك تـصـديـر مـا قلنا

ولـكـن لأمـرٍ فيه مـا فيه قـد جرى
بـه قـد أسـأنـا لـلأدب وتـجـرأنـا

فـعـاذرنـا عـمـا يـرى مـن خطابنا
يـفـوز بـأجـر لا مـحـالـة مـذ كبنا

لأنـا جـهـلـنـا جـهـل أنـفـسـنـا بنا
ولـو عـرفـت مـنـا الـنـفـوس تعرفنا

ومــذ تـم جـد قلبي بضابط عامه
سريعاً لكي يــزداد مـا قلته حُسنا

فقال ارتــجـالاً خمرة الحبّ شأنها
بأهل الهوى أرّخ لها حـب من غنا

ومن عشقه الجفري ختم ذا بما ابتدا
أدرهـــا لنا صـرفـاً ودع مزجها عنا

وأيضاً من العجائب الغريبة والاتفاقات العجيبة أن أتى إلى مكة من حبّه بالقلب زاوي السيد أحمد ابن العالم العلّامة عبد الرَّحمن الزواوي، بقصيدة لمحيي الدين بن عربي في زمانه، وعبد الكريم الجيلي بوقته وأوانه، ذي الفتح القدسي بالمعنوي والحسي، الشيخ الكبير الإمام عبد الغني النابلسي ﵁، وأشار عليّ ـ لا مشافهة ـ بل تلويح في مضمون الكتابة ـ لا بالتصريح ـ بأن أعجزها وأصدرها وأتلو أثرها بنورها، فأجبته إلى ذلك وإن لم أكن أهلاً لما هنالك، وتلك الإشارة وقعت في سنة حجتي الثالثة وهي سنة خمس وتسعين من بعد المائة والألف من هجرة سيدنا محمد خاتم النبيّين ﷺ، فأحببت إثبات ذلك هنا لمناسبتين؛ أحدهما: كون التعجيزين والتصديرين كانا بحجين، والأخرى: اتفاق وقفة الاثنين بيوم الاثنين، فلقد تعلق فقير مشرقي بمغربية نعتية، ومسكين يمني تعلق بشامية قوية ذاتية، ولا يقال أين الثريا من السهيل؛ لا سيما في القول والفعل كما قيل، وإن كان بينهما ما بينهما من البَيْن، فبُعد المشرقين والمغربين مقابل من دون مين، ويا طالما اتفق وارد بصادر بعون الله، ووقع حافر على حافر بفتح الله، فكم من مشى في طريق بدلالة الغير، ووصل بفضل الله وما أصابه ضير، والعذر مطلوب من الناصبين، وأفعال القلوب والتعجيز والتصدير هو هذا:

لــذاتــي بــذاتــي لا لــكـم أنــا ظاهر
ومــن يــدّعـي مـا قلته فـهـو فاجر

لأنــي بــلا كـيـف ومــا قبلي كائن
ومــا هـــذه الأكـــوان إلا مظاهر

تقيدت والإطــلاق وصـفـي لأنني
بـحـولـي تـجـلّـيـت بـمـا هــو باهر

أنــا الأول الآخـــر حـــيّ وبــاقــيٌ
على كـل شــيء حين لا حين قــادر

ومـرتـبـة التقييد أظـهـرت رحمة
وقـــد وسـعـت مـــاذا لــه أنــا ناظر

تجليت تحقيق الحقائق مبدعاً
ومــرتــبــة الإطـــــلاق إنــــي ســائــر

وتــلــك بـمـخـلـوق وهـــذا بخالق
ولا عــيــنٌ فــي عـيـن ومــا ثــم صائر

وتــلــك بـــذاك دون شـــكّ وريـبـة
تسمت وفـي التحقيق أيـن التغاير

وأوجـبـت بالتكليف إظهار حكمة
العلالي على خلقي بما هـو صـادر

فلولا بطوني وسط الأشياء ما انجلا
الظهور وحكمي فيه مـا أنــا جائر

وصوني أفعالي عن العبث اقتضى
تـصـرفـي فيما كــان مـــاضٍ وغـابـر

وفـي مقتضى ما قـدري قد قضى به
خطابي ومـن لـم يمتثل فهو كافر

جـسـوم وأعـــراض تـلـوح وتختفي
لـنـاس وعـــن نـــاس أوائـــل أواخـــر

هــي تــتــراءى فــي جــلاءٍ وخــلــوةٍ
ومــا هــي لـلـمـحـبـوب إلا ستائر

وخلف حجاب الكون ما أنت طالب
لــه مــن خـبـايـا لا تـعـدّ ضمائر

وصــوت بـلا حـرف سـمـاع بـلا غنا
ومــن لفظه الـمـقـهـور يـلـزم قاهر

تـأمـل حـــروف الـكـائـنـات فإنها
مــن الـمـلأ الأعـلـى دوامـــاً تـبـادر

بتبيين تعريف الملمح مـا بدت
تـشـيـر إلـــى مـعـنـى بـه أنــت حائر

وبــرق الحما هــذا الـوجـود وميضه
وراعـــــده أنـبـا بـمـا هــو مـاطـر

بـحـقّ حـقـيـق حـقَّـق فـي محلِّه
ولـكـن بما تحببه تعمى البصائر

فيا ظـاهـراً فـي خلقه وهــو باطن
بــلا مـريـة فــي أيِّ مــا هــو دائــر

ويـا مبدعا في الكون ما هو مبدعٌ
ويــا بـاطـنـاً فــي أمـــره وهــو ظاهر

تجلَّيت لي في كل شـيء ولـم أكن
بـغـيـرك بـــاقـــوراً لـمـا أنـــا بـاقـر

بـذا الكون والتكوين كـان ولـم أر
ســـواك فـمـنـظـور كـمـا أنـــت ناظر

وللقلب مني قـد ظـهـرت بكلّما
لـــه إثـــــــراء مـــا بـــه يـتـبــادر

بطنت وفــي سـر الـبـطـون حقيقة
ظهرت ولـم تنكرك مني الخواطر

بـكــل مـلـيـح بــل بـكـل مليحة
تـلامـيـحـك لاحــت بـمـا هــو واقــر

بـــدون خـيــال بـل ولا وهــم موهم
تــراءيــت حـتـى حققتك الضمائر

ومــا مذهبي حــب المظاهر إنما
بحبك أعـصـر مـن بــدا لـي معاصر

ومــا زلــت مـن حبي بحبك لـم أزل
أحـــبُّ الــذي دلّــت عليه المظاهر

أمــا ومـقـام البيت والحجر الـذي
قــد الـتـقـم صـكـاً حـكـاه الأكـابـر

وذلـــك بــالــسـرّ والـجـهـر دائـمـاً
عـهـدنـاه قـد دارت عليه الخناصر

لأنـت المنار والقصد يا غاية المنا
فـلـولاك مــا كـنـا وكــانــت عناصر

فـمـا لــي ســـواك كــل حـيـن أريـــده
وإن لامـنـي فـيـك الـقـنـا والـبـواتـر

ومــا ملت يـومـاً عنك للغير سلوة
فـحـاشـى سـلــوّي لـســواك يعاشر

حقيقتي هــذي علمك كـافـي لها
وكيف ويـا نــوري معي أنــت حاضر

وأنــت رفيقي لا رفيقي ســواك لي
بـــأي مـحــل حــاضــر أو مـسافـر

هــذا اعـتـقـادي فيك قلباً وقالباً
وإذ أنـــا عــن إيـفــاء حـقّـك قاصر

أحـبـك لا بـي بـل بـك الـحـب منّة
بـــــذاك وذا لـــي مـقـبـل ومـــدابــر

فـكـم مــنّــةٌ فــي مــنّــةٍ بـعـد منّـة
عــلــيّ كـمـا أنـــي بــك الآن شاكر

يـقـول عــذولــي لا تـخـاطـر بقربه
فقلت له دع عنك نكر ما أنـت ناكر

أخاطر بروحي دون مطلبي عامداً
وهــل يــدرك الـمـألـول إلا المخاطر

وإنـــي لا أدري إنّ طُـــرْقَ وصاله
تـــدور على الأقـــوام فيها الـدوائـر

شـفـا جـــرف هـــارٍ مـحـقـق أنـهـا
بتوفيقه الـمـرضـي الــذي أنـــا ذاخـر

ولكن لـه أسلمتُ نفسي فـإن يُـرِد
عــلــى مـدّعـيـهـا كيفما هـــو سائر

فحسبي رضـــاه فــي الأمـــور وشأنه
هــداهــا وإن يُضلل فما هـــو جائر

ومـاذا على نفسي تعادل في الورى
لعشر عـشـر مـعـشـار ذرّة تصاغر

وإن كـان من تحقيرها واحتقارها
فـمـن أجـلـهـا مـن مـالـكـي أنـا نافر

فـــررت بـــه مـنـي إلـيـــه لأنـنـي
بـطـائـره الميمون قـد صـرت طائر

وذلـــك يُـمـن قـد رآه لكونني
تحققت أنَّ لا غير والأمـــر ظاهر

وكـان اضـطـرار كـون قلبي موحّداً
بـتـوحـيـد مَـن لا يـعـتـريـه التغاير

بـوحـدتـه تـوحـيـده كيف مـا جرى
لـه وبـه لا بـي أنـا الـيـوم ذاكـر

أهـيـم بـأنـفـاس الـنـسـيـم وإنـنـي
دوامـــاً لها مـا دمـت بالليل ساهر

لأنـي بعشق العشق أهـوى عليلها
بطيب الحما لا بالنسائم عاطر

وأظـهـر أنـي قـد ظـفـرت بعلمهم
مـحـدث بالنعما فـلا أنـا ساخر

مـع أنـنـي مـنـبـوذٌ عـنـه بـمـعـزلٍ
وقلبي بـذات الخال لا العلم طائر

ودونـك شرعي إن أردت طريقتي
بـهـا خـذ ونـاصـرنـي فـإنـك ناصر

وبــادر معي في وقــت لا وقــت بعده
فإني مــدا عمري إلــى الـحــبّ سائر
وكــن هكذا مثلي فقيراً من السوى
على كــل حــال شبه مَــن هــو غاير
من الحول والقوة تبرأ على المدا
ومــن نفسه تأتيك منك الذخائر
وغــب عنك وامــح نقطة الغين ثابتاً
ولا تخش مــن عيب الــذي هــو ناكر
وجــل جـــولان الــبــهــلــوان بفرقةٍ
وغُصْ في بحار الجمْع تبدو الجواهر
ولا تَــكُ مــن قــومٍ أمــاتــت ذنوبهم
حــيــاة لــهــم والــمــدّعــى مــا يباشر
هنا والكبائر والصغائر أذهبت
نــفــوســاً لها الأجــســام منها مقابر
فــإن طــريــق الــحــق ســهــل سلوكه
عــلــى مَــن بــنــور الــحــق نـــاهٍ وآمــر
يـــراه ســبــيــلاً مــســتــقــيــمــاً بعينه
وأوضــــح مــنــه لــيــس يـــدرك ناظر
ولــيــس بــذكــرٍ أو بــفــكــرٍ يناله
ودعـــوى وزعـــم مــن هـــواه التشاجر
فما كــل داعٍ بــالــدعــاوى يــنــال ذا
ســوى بالصفا والمحو عما يغاير

وهـذا حجاب النفس يصعب خرقه
ففي خرقه قـد ضـاع مـن هـو شاطر

فنصباً على التمييز تزعم شأنك
وعــقــدك مـنـه وهــو لـلـحق ساتر

فمت بالهوى تحيى وأغمض عن السِّوى
عـيـونـاً وأبــصــاراً لـمـا أنــت باصر

مـتـى تـعـدم الـكـل بـسـرٍّ وظـاهـر
تـقـرّ بــذاك الــوجـه مـنـك الـنـواظـر

طلبت مقاماً بــذلُ روحــك شرطه
وذاك قـلـيـلٌ فـيـه إن كـنـت خابر

وكـيـف تــروم لـلـذي أنــت طالب
وأنـــت عـلـى مـا أنـــت نـــاهٍ وآمــر

وما هكذا شرط الهوى إن تُـرِد فَرِد
بـعـجـزٍ وفـقـرٍ دائــمــاً لا مكابر

لـــمـــوردٍ عـــزَّ دونـــه كـــل مــورد
فنا الفنا وانْــسَ الـذي أنـت ذاكـر

ووطّـن على الإنكار نفسك والأذى
تحمل لـه مـن كـل مَــن هـو فاجر

ألـيـس تـرى مـن دون شـكٍّ وريبة
فمن عسلاً يجني على النحل صابر

وقـــد كـثـرت فـيـه الـعــواذل غيرة
عـلـيـه وكـــل عـــن تـرقّـيـه قـاصـر

وقد بان عن ذا الشأن يا صاح مسعد
وقـــل لـــطـــلاب الـحـقـيـقـة نـاصـر

فـإن شئت فاقدم هـذا الشرط بيننا
ولا تعبا بالمكروه فالكل ساخر

بهذا المقام أن ترتضي مثلنا فقم
وإلا فـــلا تـــقـــدم فـــإنـــك آخـــر

بـــذا واردي قـــد جـــاء عند وروده
ومـــا وارد إلا مـــن الـــلـــه صـــادر

ومـــا مـــؤمـــن لـــلـــه أســـلـــم نفسه
وفـــادى بـهـا إلا وبـالـجـبـت كافر

لتعجيزها تصديرها ضـابـط بدا
بـتـاريـخ هـــاد بـاطـــن وهـــو ظاهر

73 17 1106 ســـنـــة 1190

أحسن الله عاقبة مَن أول فأحسن التأويل، وستر على من قصّر في القال والقيل.

ثم قلت:

وألبـــس أعني شـــعيباً مـــن أبي	يعـــزى الذي هو لبســـها من أبي
حـــرازم وهو لبســـها مـــن أبي	بكـــر المعافـــري عـــال الرتب

المذكورون هنا بالبيتين ثلاثة ممن خصهم الله تعالى بسرّ الوراثة:

الأول منهم: أبو يعزى[1]، قال في «السلسلة القدوسية»: وسيدي الشيخ أبو مدين

(1) أبو يَعْزَى يلنور (ت572هـ): العارف بالله تعالى سيدي ولي المغرب الأشهر وقطب زمانه شيخ الشيوخ من محاسن الدهر وأعجوبة الزمان، عمِّر ﷺ طويلا، عاش زمن المرابطين وزمن حكم الموحدين، شُهرتُهُ بالمغرب تفوق شهرة أي ولي آخر، يقول الشيخ زروق ﷺ: «ثلاثة حكموا المغرب بعد موتهم: أبو يعزى، وأبو العباس السبتي، ومولاي عبد السلام بن مشيش ﷺ. اشتهر حاله ﷺ بإجابة الدّعوة حيا وميتاً. يقول الشيخ زروق ﷺ:إن أبا يعزى كراماته بعد مماته كمثل حياته. واشتهر بالفراسة، وكان أهل المغرب يستسقون به فيسقون. وقال أبو العباس العزفي ﷺ: ما زال أبو يعزى يكاشف الواردين، ويقول: سرقت كذا يا هذا؛ وعصيت يا هذا؛ وإذا بكتاب الشّيخ أبي شعيب ورد عليه من أزمور يقول له: استر عباد الله ولا تفضحهم؛ فقال: والله لولا أني مأمور بهذا ما فضحت أحدا ولسترتهم؛ إنما قيل لي قل فقلت، ولم يكن صاحب علم أو فقه فقد كان بربري اللسان لا دراية له بالعربية، أميّا، لا يحفظ من القرآن إلا الفاتحة والإخلاص والمعوذتين، ومع ذلك كان يرد على من يخطئ في تلاوة القرآن. وكان ﷺ في بداية أمره يرعى الغنم ويكتفي باقتيات الحشيش ليعطي أرغفة الخبز التي يتقاضاها أجرا عمله لطالبي العلم. ثم ما لبث أن انقطع للعبادة، وقضى على ذلك عشرين سنة في الجبل وثمانية عشر سنة في السفح قبل أن يعرف عنه أي شيء. تجند بعدها لخدمة أشهر شيوخه مولاي بوشعيب الزموري، فكان لعقود لا يسكن ولا يجاور إلا الغابات والقفار والسواحل الخالية من الناس، روي عن عبد العزيز الهسكوري أن أبا يعزى قال: أقمت عشرين سنة في الجبال المشرفة على تمليل، التي بين الغيل المنسوبة لآيت مدوال ودمنات، وليس لي فيها اسم إلا أبوجرثيل ـ صاحب الحصير، لعدم لبسه سواه ـ ثم انحدرت إلى السواحل فأقمت بها ثمان عشرة سنة لا اسم لي فيها سوى: أبي ونلكوط؛ ـ ومعناه عند العامة، النبات المعروف بطول أمازيره ؛لأنه لا ينبت إلا في الأزبال ولا يأكله الناس ولا الدواب -. وكان في آخر حاله يأكل البلوط، يطحنه ويعجنه أقراصا فيقتات بها، ونقل عنه الزيات في التشوف أنه قال: أقمت في البراري سائحا خمس عشرة سنة، لا آوي إلى معمور، وكنت أتقوت بالجُمّار ونبات الأرض؛ وكانت الأسود والطيور تأوي إلي في ساحتي، وتتآنس بمجاورتي، ولم يكن ﷺ يشارك الناس في معاشهم لا في مجاهداته، ولا في نهايته، حتى لقي الله على أكمل حال. واشتهر ﷺ بأخباره الغريبة. يقول تلميذه سيدي أبو مدين ﷺ دفين وهران: رأيت أخبار الصالحين من زمان أويس القرني إلى زماننا هذا فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى، قال عنه صاحب المستفاد: مشيت معه يوماً لحضور صلاة الجمعة في منزل بمقربة من موضعه، فلما وصل الجامع، قام إليه جميع من كان في المسجد الجامع، وشكوا

ﷺ أخذ الخرقة عن جمع كثير من أهل الطريقة منهم الشيخ الإمام أبو بكر الطرطوسي، عن الشيخ أبي بكر الشاشي عن الشبلي ﷺ، وأخذها أيضاً عن شيخه الشيخ الكبير

إليه القحط واحتباس المطر، فلمّا صلّى النّاس، خرج من المسجد ووقف، ورفع يديه والنّاس خلفه، وكان لا يُحسن العربية، ففهمت من كلامه أنّه قال: يا سيّدي، هؤلاء الموالي يسألون هذا العبد أن يسألك الغيث، ومثلي يسألك في ذلك، وأجرى دموعه من عينيه، ويتضرّع ويبكي، فما رجعنا إلى موضعه، ولا برحنا من ذلك الموضع حتّى نزل الغيث، ونزعنا ما كان بأرجلنا من النّعال والأقراق بجري الماء، وعمّت الرّحمة ببركة دعاء الشيخ رحمه الله. وكان له ﷺ تلاميذ ومريدون كثر جداً، حتى أن السلطة كانت تتوجس من قوته الرمزية التي يمتلكها،بعد تكاثر جموع الواردين على الشيخ، وخيف منهم على الدولة، تحرك السلطان صوبه، فلما كان في منتصف الطريق بعث إليه .أقبل أبو يعزى راكباً حمارا، فأخذ عبد المومن يختبر قدرته على المكاشفة، حتى يشهدها عيانا؛ فأخبره الشيخ بأن حماره يأكله الأسد الليلة، قال عبد المومن: ائتوا بحماره واجعلوه في مربط خيلنا بات الحرس يحرسون الى طلوع الفجر فتفرقوا؛ وإذا بالأسد قد افترس الحمار، وبقي هناك رابضا. لما طلع النهار، وعرف بذلك الخليفة فأراد أن يعرف الشيخ به، فعرف فقال:أريد أن أقف عليه؛ فسار حتى وقف عليه والأسد رابض، فتقدم إليه فضربه بعصاه ضربة فخر ميتا، فنقل ذلك للخليفة فقال: اعتبروا بهذه القصة، فانه ما ضربها لكم إلا مثلا، وجعلها لكم تأديبا؛كأنه يقول لكم: أنا رب الدابة، فقتلها الأسد فسلطت عليه فقتلته، وأنا عبد ربي إليه، فان قتلتموني غضب لي سيدي، فيفعل ذلك بكم. إن ذيوع أخبار أبي يِعْزَى أكبر من أن تُحدَّ إلى الدّرجة التي أدى إلى اشتهار أمره في حواضر المغْرِب وبواديه، وانتشار اسمه في كل الأصقاع عند العامة والخاصة، خاصة مع توراد زائريه وطالبي بركاته الذين كانوا يأتون إلى أبي يِعْزَى من كل بلد، حتى إن كتب المناقب تروي أنه كان يستعين في استضافة ضيوفه على أهل القرى القريبة منه في تدليل على كثرتهم المبهرة، فقد كانت شهرته بالانقطاع عن الخلق، وكانت «تقصده الرّكبان، وتشد إليه الرّحال ولا يمر القاصدون إليه بقبائل الطّريق أو موضع أو دار تَلَقوهم وضَيَّفوهم؛ لأنهم أضياف الشّيخ. ومسجده غاص على الدّوام، من النّاس من ينام فيه، ومنهم من ينام من خارجه أو بعيداًعنه. كانوا يأتون على الخصوص من سوس ورجراجة وفاس ومكناس وسبتة، فيهم العوام العُلماء والتّجار، منهم من يعود بدعاء واستجابة ومنهم من يعود بطعام مرقى، ومن يعود بشعرة من رأس الشّيخ وداع ذات مرة وقد أخذ الحاضرون في نتف شعر الشّيخ حتى أفنوه، وقطعوا جلد رأسه وهو لا يتحرك، ليتأسس نوع من التّنظيم التّلقائي المتعاضد الذي يستقي قوته من إشعاع أبي يِعْزَى بصفة أخص، لذا راجت مفردات جديدة في كتب المناقب لوصف هذه التّجمعات المخيفة لسياسة الدَّولةالموحدية من قبيل الجموع ولفظ الإخوان واللذين أمسيا مصطلحين تقنيين عن أتباع ومريدي الشّيخ أبي يِعْزى. أخذ ﷺ طريق التصوف عن نحو الأربعين شيخاً، كالشيخ أبس شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي الزموري، الملقب بالسّارية، لطول قيامه في صلاته، حيث يقول: خدمت نحوا من أربعين وليا لله عزّ وجلّ، منهم من ساح في الأرض ومنهم من قام بين الناس إلى أن مات. توفي الشيخ أبو يعزى ﷺ في أوّل شوّال، عام اثنين وسَبعين َوخمسمائة وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين، ودفن بجبل ايروجان (ضواحي خنيفرة) أول شهر شوال عام اثنين وسبعين وخمسمائة، ويعرف في المغرب، بضريح مولاي بوعزة. يبعد الضريح عن مدينة واد زم ب: 67 كلم؛ وعن مدينة خنيفرة بـ: 82 كلم. أما حدوده القبلية فهي: جهة الغرب وقبيلة زعير. ومن جهة الشمال: قبيلة والماس. ومن جهة الجنوب: قبيلة السماعلة جهة الشرق وقبيلة زيان. انظر: سلوة الأنفاس لسيدي محمد بن جعفر الكتاني الجزء الأول ـ صفحة: 186، والمعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى للتادلي، تحقيق علي الجاوي، ص71، (د.ط) مطبعة المعارف الجديدة سنة 1996. ص 233.

العارف بالله تعالى الشهير شيخ الشيوخ أبي يعزّى ـ بفتح الياء المثناة من تحت والعين المهملة والزاي المشددة ـ.

كان ﵁ أحد أوتاد المغرب وأعيانها، تخرج بصحبته جماعة من المشايخ، وقال بإرادته خلق كثير، وله كلام عال في المعارف، ومنه قوله: الأحوال مالكة لأهل البدايات، فهي تصرفهم، ومملوكة لأهل النهايات فهم يصرفونها.

وعلم أن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والكسب يعليك درجة درجة، والحال يحصر صاحبه وقته، فلا يرتقي به بل هو من بعض مقامه استعجله في الدنيا. قال بعض المشايخ: والحال مرض، والمقام صحة. **وقال بعضهم**: الكلّ مواهب إلا أن المقامات يظهر فيها الكسب، وتبطن الموهبة، والأحوال بالعكس. وقيل: إن المقام هو كل ما له قدم راسخ في الألوهية، وما ليسَ له ذلك فليس بمقام؛ هو حال برد ويزول.

وقال ابن عربي ﵁: كل مقام في طريق الله تعالى، فهو مكتسب ثابت، وكل حال فهو موهوب غير مكتسب ولا ثابت؛ إما أن يزول لنقصه، وإما أن تتوالى أمثاله. وكل مقام فإما إلهي أو رباني أو رحماني غير هذه الحضرات الثلاث لا تكون، وهي تعمّ جميع الحضرات وعليها يدور الوجود.

والفرق بين المقام والحال أن المقام ثابت مستقر، والحال متغير، وقد يكون الشيء حالاً ثم يصير بعينه مقاماً، والجاهلون من أهل هذه الطريقة يقولون بشرف الحال لجهلهم بالحال ما هو، ولهذا كان ولاية الأحوال أظهر في العامة من ولاية أصحاب المقامات، وولاية أصحاب المقامات أظهر في الخصوص من ولاية أصحاب الأحوال؛ لأن مدركها عسير، فإن أصحاب المقام على العادة المستمرة، وأصحاب الأحوال يتغير بهم الحال مع كل نَفَس، فالحق لأصحاب المقامات سميع مطيع، وهم ذكران الرجال لا يلحقهم عيب ولا يقوم بهم ريب فيهما هم فيه لهم الآخرة مخلصة كما هي لله، ولهم الدين والدنيا ممتزجة كما هو لسيدهم فهم بصفات الحق، ولذلك جهلوا.

والأحوال من أعظم الحُجُب، فلهذا استعاذ منها أكابر الرجال لعلمهم بشرف العلم والمقام والحال، فمطلوبهم العلم؛ لأن شرفه هو الأتمّ، وشرف الحال إنما هو في الآخرة لا في الدنيا، وشرف العلم والمقام في الدنيا والآخرة، فالحال يحول بينهم وبين ما خلقوا، فيتبرمون منه. وصاحب الحال غير مؤاخذ بسوءِ الأدب إذا كان لسانه لسان الحال، وصاحب العلم مؤاخذ بأدنى شيء؛ لأنه ظاهر في العالم بصورة الحق، فالمعاملة مع الضعفاء غير المعاملة مع الأقوياء، ومن هنا قيل: حسنات الأبرار سيئات المقرّبين؛ لأن لكل حال حكماً، ولكل سالك حكماً يصحبه، فكم بين من يظهر في وجوده بربّه وبين من يظهر بحاله؟، فشتّان ما بين المقامين!! لأن شاهد العلم عدل، وشاهد الحال فقير إلى من يقويه أضعف أن يلحق بدرجة الكمال، فصاحب الحال يطلب العلم لا يطلب الحال؛ إذ قلَّ مَن يكون يطلب الخروج من الوضوح إلى اللبس. ولكن قال الشيخ ابن عبد رب رضي الله تعالى عنه: ترك الأحوال قبل وجود الله محال، وطلب الأحوال بعد وجود الله ﷻ محال.

ومن كلامه رضي الله عنه: لا يكون الولي وليًّا حتى يكون له قدم ومقام وحال ومنازلة وسر، **فالقدم** ما سلكته في طريقك إلى الحق ﷻ، **والمقام** ما أقرتك عليه سابقتك في العلم الأزلي، **والحال** ما بغتك من فوائد الوصول؛ لا من نتائج السلوك، **والمنازل** ما خصصت به من الحضور بنعت المشاهدة؛ لا بوصف الاستتار، **والسرّ** ما أورد عنه من لطائف الأزل عند هجوم الجمْع ومحق السوى وتلاشي ذاتك.

[**مناقبه** رضي الله عنه]: ومناقبه رضي الله عنه كثيرة، وكراماته شهيرة؛ **منها**: ما رُوي أن المحتطبين أتوا إليه يشكون كثرة الأسود في غابة يقطعون منها الحطب، فقال لخادمه: اغْدُ إلى طرف الغابة ونادِ بأعلى صوتك: معاشر الأُسد يأمركم أبو يَعزّى أن ترحلوا من الغابة، ففعل ذلك، فخرجت في الحال حاملة أشبالها حتى لم يبقَ فيها شيء.

ومنها: ما حُكي عن الشيخ صالح الدكالي، قال: سمعت شيخنا أبا مدين رضي الله عنه يقول: جاء بعض أصحابنا إلى شيخنا أبي يَعزّى وقال له: إن لي أرضاً أقتات أنا وعيالي من زرعها، وقد أجدبَتْ. فقام الشيخ وأتى الأرض ومشى فيها، وجعل يسأل عن حدّها حتى انتهى إلى آخرها، فأمطرت بعد ذلك خاصة ولم يتعدّها المطر، رضي الله عنه وأرضاه.

الثاني منهم: علي بن حرازم[1] ﷺ، قال في الكتاب المذكور: وسيدي الشيخ أبو

(1) **سيدي العارف بالله الإمام علي بن حرزهم:** ولد ﷺ بفاس ونشأ بها، وكان فيها من كبار الفقهاء، حافظا للفقه، فاضلا ديّنا ورعا، زاهدا في الدنيا متقشفا، سالكا سبيل أهل الزهد ،وكان معظما للعلم؛ يوفيه حقه ودرجته، عارفا بالحديث والتفسير وغيرهما من العلوم، حيث أن عائلة بن حِرْزِهِم عائلة مشتهرة بالعلم والصلاح، فبالإضافة إلى أبي الحسن علي بن حرزهم عرف والده اسماعيل بن حرزهم بعلمه وصلاحه، وعرف عمه وأستاذه صالح بن محمد ابن حرزهم ـ دفين محروسة فاس- بعلو كعبه، وكذلك ولده محمد بن علي ابن حرازم دفين السخينات، المعروف عند الناس بسيدي حرازم قرب الحمّة التي يقصدها الناس للاستشفاء قرب مدينة فاس في الطريق إلى تازة.. أما سيدي علي بن حرازم ﷺ فهو من علماء فاس الكبار، أدرك أواخر دولة المرابطين وشارك في الموافقة على حادث إحراق «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي.. وعاش مع الموحدين وفي دولتهم نحوا من اثنين وعشرين سنة». ويضيف التليدي: «يعد من تلامذة القاضي أبي بكر بن العربي وسيدي علي بوغالب (دفين القصر الكبير)، وعنه أخذ جامع الترمذي، ويعد أيضا في جملة شيوخ أبي مدين الغوث ﷺ دفين العُباد بتلمسان.. صحب ﷺ عمه أبا محمد بن حزرهم الذي يعتبر عمدته الأول في التحصيل العلمي، كما صحب العلامة أبا بكر بن العربي المعافري، وتلقى العلم بين يديه.. وممن ترجم الإمام علي بن حرزهم الشيخ التميمي في «المستفاد»، والتادلي في «التشوف»، وابن قنفذ في «أنس الفقير»، والساحلي في «بغية السالك»، وابن القاضي في «جذوة الاقتباس»، وأحمد بابا التمبوكتي في «كفاية المحتاج» و «نيل الابتهاج»، وابن عيشون الشراط في «الروض العطر الأنفاس».... من تلاميذه ﷺ العلامة إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق المالقي، المتوفى عام 611 هـ / 1214م روى عنه بفاس، والعلامة أبي عبد الله التاودي الذي لازم شيخه أبـا الحسن بن حرزهم لمدة طويلة، وهو غير العلامة محمد التاودي بن سودة الذي عاش في زمن الدولة العلوية.. ترك ﷺ ولدَه سيدي محمد بن علي ابن حرزهم صغيرا ـ وهو المعروف عند الناس بسيدي حرازم حيث الحمّة الشهيرة ـ؛ فلم يسلك على يديه مع أكابر أصحابه؛ كالشيخ أبي عبد الله التاودي، والشيخ أبي مدين، والشيخ أبي محمد يسكر الجورائي. وإنما أدرك تلامذة أصحاب والده؛ وكان أكبرهم في وقته الشيخ أبو محمد صالح الماجري، دفين رباط آسفي مؤسس ركب الحجيج الشهير...كانت فاس في عهد بن حرزهم ﷺ مركزا علميا كبيرا، فبالإضافة إلى جامع القرويين الذي شكل واسطة عقد الحركة الفكرية بالمغرب، عُرفت حاضرة فاس بمساجد أخرى كانت عامرة بالعلم منها المسجد المنسوب لابن حنين، وكان يقرئ به أبو الحسن علي الكتاني القرطبي المعروف بابن حنين، ومسجد زقاق الماء بعدوة القرويين، وقد كان يُدَرِّسُ فيه أبو بكر بن عثمان بن مالك، من شيوخ صاحبنا أبي الحسن بن حرزهم، ومسجد طريانة، الذي نزل به المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية مدة إقامته بفاس في بداية دعوته، ومسجد الحوراء الذي تصدر للتدريس به أبو بكر محمد بن عبد اللّه بن مغاور الإشبيلي المتوفى سنة 503 هـ، وجامع فاس الذي كان يلقي فيه العلم الشيخ أبو مدين الغوث تلميذ علي بن حرزهم، وقد ورد ذكر هذا المركز العلمي في «التشوف» و «أنس الفقير».. وذكر ابن الآبار في «الصلة» أن أبا الحسن بن حرزهم دخل الأندلس، وأخذ عنه جماعة كأبي الحسن ابن خيار «. رحل ﷺ إلى مراكش، فدرس بها العلم، وتـَـوَّب بها ناسا، وزهَّد أميرها في الدنيا، وكثر أتباعه وتلاميذه، وأخذ عنه ناس هذا الطريق؛ ففتح لهم. من جملتهم: الشيخ أبو مدين ﷺ وقد كان لأبي الحسن ﷺ مواقف مشرفة عندما كان بمراكش منها أنه وقف في وجه الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين عندما أمر بقتل الفقيه الفيلسوف أبي الحكم بن بَرّجان وإلقاء جثته فوق مزبلة.. لقد استنكر ابن حرزهم هذا الفعل على رؤوس الملأ وخطب في الناس وأمرهم بالاهتمام بجنازة ابن برجان، لدرجة أنه استنفر خديمه لكي ينادي في الأسواق: «احضروا جنازة

يَعزّى أخذ الخرقة عن جمع كثير من أهل الطريقة، منهم الشيخ أبو يعقوب السارية، عن عبد الجليل، عن أبي الفضل الجوهري، عن والده عبد الله، عن أبي الحسين النوري[1]، عن السري[2]. ومنهم الشيخ أبو البركات، عن أبي الفضل البغدادي، عن

الشيخ الفاضل الفقيه الزاهد أبي الحكم بن برجان، ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله حسبما ذكره أحمد بن خالد الناصري . كانت وفاة علي بن حرزهم ﷺ بفاس آخر يوم من شعبان 559 وقيل سنة 560 هـ، ودفن بخارج باب الفتوح بمحروسة فاس، وبنيت عليه قبة؛ كان تاريخ بنائها واسم من بناها من أمراء بني مرين مكتوبا بنقش في رخامة على ضريحه. ثم أمر السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي عامله على فاس محمد الصفار أن يهدمها ويبني عليه أخرى أكبر منها؛ ففعل. وبناها عليه، وهي القائمة البناء الآن، وهي قبة عظيمة، واسعة الفناء، حسنة الشكل والبناء، ليس بهذا الخارج قبة تماثلها في اتساعها وحسن تنمقيها. وضريحه بها ظاهر معلوم... بعد ما توفي السلطان مولاي رشيد المؤسس الفعلي لدولة العلوية، حيث جمح به فرسه، فارتطم رأسه بشجرة فتهشم، وقال، حسب بعض الروايات، وهو يحتضر:«سبحانك يا من لا يزال ملكه، عبد الرشيد زال ملكه». ومات ﷺ لحينه بمراكش سنة 1082 هـ / 1672م ودفن بها، ثم نقل جثمانه إلى ضريح سيدي علي بن حرازم ﷺ بفاس، حسب وصيته. انظر: سلوة الأنفاس. الاستقصا، والروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس.

(1) سيدي العارف بالله تعالى الولي الصالح أبو الحسين النوري أحمد بن محمد ﷺ، بغدادي المنشأ والمولد، خراساني الأصل، ويعرف بابن البغوي. كان ﷺ من أجلِّ مشايخ القوم وعلمائهم، لم يكن في وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاماً، مات في مسجد الشونيزي جالساً، وبقي أربعة أيام لم يعلم أحد بموته، فلم يمكن مده على المغتسل، فلما حملت جنازته نادى الشبلي خلفه: اضربوا على الأرض المنابر فقد رفع العلم من الأرض. توفي ﷺ ونفعنا بمحبته سنة خمس وتسعين ومائتين من الهجرة. انظر: حلية الأولياء ـ أبو نعيم 10/ 249، تاريخ بغداد 5/ 130، طبقات السلمي 164.

(2) **السَّري بنُ مُغَلِّس السَّقَطِيّ** ﷺ: خال الجنيد، وأستاذه. كان تلميذ معروف الكرخي، وأوحد زمانه في الورع، وأحوال السنة، وعلوم التوحيـد. وكان ﷺ يتَّجر في السوق، فجاءه معروفٌ يوماً، ومعه صبيٌّ يتيم، فقال: أُكسُ هذا اليتيم. قال سري: فكسوته، ففرح معروف، وقال: بغَّض الله إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيـه. فقمت من الحانوت وليس شيءٌ أبغض إليَّ من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركات معروف. وقال الجنيد ﷺ: ما رأيت أعبد من السَّريّ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة، مارئي مضطجعاً إلا في علَّة الموت. وقال الجنيد ﷺ: سألني السَّريُّ يوماً عن المحبة، فقلت: قال قومٌ: هي الموافقة، وقال قوم: الإيثار، وقال قومٌ: كذا وكذا..، فأخذ السريُّ جلدة ذراعه، ومدَّها، فلم تمتدَّ، ثم قال: «وعزَّته تعالى، لو قلت: إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبَّته لصدقت!».ثم غشِّي عليه، فدار وجهه كأنه قمرٌ مشرق، وكان السري به أدمة. ويحكى عن السريِّ ﷺ أنه قال: «منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي: الحمد لله، مرة»!. قيل: وكيف ذلك؟. فقال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني رجلٌ، فقال لي: نجا حانوتك!. فقلت: «الحمد لله»، فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيراً مما حصل للمسلمين!!!. وقال السَّريّ ﷺ: صلَّيت وردي ليلة، ومددت رجلي في المحراب، فنوديت: يا سريّ!! كيف تجالس الملوك؟. قال: فضممت إليَّ رجلي، ثم قلت: وعزَّتك لا مددتُ رجلي أبداً، فما مددتها بعد ذلـك. ويحكى عن السري ﷺ أنه قال: «أنا أنظر في أنفي في اليوم كذا وكذا مرة، مخافة أن يكون قد اسودَّ، خوفاً من الله تعالى أن يسوِّد صورتي لما أتعاطاه». وقال السريُّ ﷺ: أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة. فقلت: ما هو؟. فقال: لا تسأل من أحدٍ شيئاً، ولا

أحمد الغزالي بسنده. وأخذها عن الشيخ الإمام نور الدين علي بن حرازم، ويقال فيه: ابن حرزهم ـ بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي ـ الفقيه المشهور المغربي.

كان رضي الله عنه من أكابر المشايخ العارفين وجهابذة العلماء العاملين، وكان في ابتدائه جامد الطبع، لا يقول بالطائفة الصوفية، حتى أنه أمر بإحراق كتاب «الإحياء» للغزالي، فرأى الرؤيا المشهورة[1]، فانكف عن ذلك وترك ما عزم عليه، وحَسُن ظنّه بهم، وفتح الله تعالى عليه في طريقهم، ونال بالمعرفة من الله تعالى والحظ العظيم ما نال بفضل الله الكريم المتعال.

وصحبه الشيخ أبو مدين رضي الله عنه وتربّى به، وقال له: قد فتحت لك ستة أقفال، وبقي السابع يفتحه الشيخ أبو يعزّى، فاذهب إليه. فذهب إليه، فلما رآه أبو يعزّى قال له: قال لك الشيخ أبو الحسن أني أفتح لك القفل السابع، فهو أنا أفتحه لك بأدبه، ففَتَحه ففُتح عليه، وكان من أمر الشيخ أبي مدين وعظم شأنه ما كان رضي الله عنهم أجمعين.

والثالث منهم: الشيخ أبو بكر بن محمد المعافري[2] رضي الله عنه، قال في الكتاب المذكور:

تأخذ من أحدٍ شيئاً، ولا يكن معك شيءٌ تعطي منه أحداً. قال: وسمعته رضي الله عنه يقول: «اللهم مهما عذَّبتني بشيء، فلا تعذِّبني بذلِّ الحجـاب». وقال رضي الله عنه: «أحبُّ أن آكلَ أكلة ليس لله عليَّ فيها تبعة، ولا لمخلوق علي فيها منَّة، فما أجد إلى ذلك سبيلا». ودخل عليه رجلٌ وهو يجود بنفسه، فجلس عند رأسه وبكى، فسقط عليه من دموعه، ففتح عينيه، ونظر إليه، فقال له الرجل: أوصني. فقال: لا تصحب الأشرار، ولا تُشْغَلَنَّ عن الله بمجالسة الأخيار. توفي السَّريُّ رضي الله عنه سنة سبع وخمسين ومائتين. وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: في رمضان سنة خمسين. وكانت وفاته رضي الله عنه في بغداد.

(1) قال ابن الزيات: كان علي بن حرزهم رضي الله عنه يقول: «اعتكفت على قراءة «إحياء علوم الدين» للغزالي في بيت مدة من عام؛ فجردت المسائل التي تنتقد عليه، وعزمت على حرق الكتاب. فنمت؛ فرأيت قائلا يقول: جردوه واضربوه حد الفرية. فضربت ثمانين سوطا، فلما استيقظت؛ جعلت أقلب ظهري، وكنت أجد الألم الشديد من ذلك الضرب. فتبت إلى الله مما اعتقدت. ثم تأملت تلك المسائل؛ فوجدتها موافقة للكتاب والسنة. حدثني بذلك غير واحد من الثقات عن أبي محمد عبد الله بن عثمان عن أبي الحسن ابن حرزهم»... قال الشيخ أحمد الصومعي في كتابه «الـمُعْزَى في مناقب أبي يعزى»: ثم مازال أبو الحسن ابن حرزهم مكبا على «الإحياء» والعمل بما فيه من حين الرؤيا حتى أخذه عنه جماعة من أصحابه الذين تمسكوا بجيبه؛ كالشيخ أبي مدين، وأبي محمد يسكر، وأبي عبد الله التاودي... وغيرهم.

(2) الفقيه الإمام العالم الهمام أبو بكر بن الشيخ الفقيه أبي محمد عبد الله بن سيدي محمد بن أحمد المعافري المعروف بابن العربي ، ولد رضي الله عنه بإشبيلية سنة ثمان وستين وأربعمائة، وبها نشأ، ثم رحل مع أبيه إلى الشام والعراق، فلازم الإمام أبا الوليد الطرطوشي، وأخذ عن الغزالي وغيره، ثم رجع بعد وفاة بالإسكندرية إلى الأندلس، وولي القضاء بها، ثم حمل مع من حمل إلى مدينة مراكش ثم انصرف منها لفاس فأدركته المنية،

وسيدي الشيخ علي بن حرازم أخذ الخرقة على الفقيه الإمام القاضي أبي بكر بن محمد المعافري ـ بفتح الميم والعين المهملة وكسر الفاء ثم راء بعدها ـ نسبة إلى المعافريين، قيل: الأندلسي الإشبيلي. كان ﷺ من أهل التفنُّن في العلوم والاستبحار فيها مع حسن المعاشرة، ولين الجانب، وكثرة الاحتمال. **وكان مولده** ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان، سنة ثمان وستين وأربعمائة، وتوفي في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، ودُفن بمدينة فاس وله عدّة من التصانيف. **وقيل**: إن ولادته كانت سنة تسع وستين ووفاته كانت في جمادى الأولى ﷺ آمين.

قيل بمغيلة بين سايس وزرهون في سنة 542 هجرية ، ودفن خارج باب الشريعة، وبني عليه ضريح من أشهر الأضرحة ـ رحمه الله ونفعنا بمحبته.

[ترجمة]
[حجة الإسلام سيدي الإمام أبي حامد الغزالي ﵁ وأرضاه]

ثم قلت: [شعر]

وهــو الــذي ألبســه الغزالــي　　　مَن شــاع بالإحياء في الأعمال

المذكور هنا مَن ذكره بذي الملك والملكوت، كما حكم تاريخه حيٌّ لا يموت، وهو الإمام الهُمام، المنعوت بحجّة الإسلام، قدوة المشايخ الأصفياء، مَن به رسول الله ﷺ باهى الأنبياء، الذي ذِكْره باق لم يزل عالي سيدي الشيخ أبو بكر المعافري. أخذ الخرقة عن الإمام أبي بكر الشاشي، وعن شيخه الإمام مجتهد زمانه، وقطب أوانه، الغوث الفرد الجامع، إمام الأولياء على الإطلاق، حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي ﵁ وأرضاه.

كان ﵁ متفنّناً في جميع العلوم؛ العقلية والنقلية وعلم القلوب والخواطر، مفرط الإدراك، قويّ الحافظة، بعيد الغور، غوّاصاً على المعاني الدقيقة، حتى قيل في حقِّه: لم تر العيون مثله؛ لساناً وبياناً ونطقاً وذكاءً وطبعاً ووفاءً. أقام على التدريس وتعليم العلم مدّة مديدة، وكان عظيم الجاه، زائد الحشمة على الرتبة، مشهور الاسم، تُضرب به الأمثال وتُشَدّ إليه الرحال، إلى أن شرقت نفسه عن رذيل الدنيا، فرفض ما فيها من التقدّم والجاه، وترك ذلك وراء ظهره، وقصد بيت الله الحرام، واستناب أخاه في التدريس وجاور ببيت المقدس مدة ثم عاد دمشق، واعتكف في زاويته المعروفة إلى الآن بالغزالية بالجامع الأُموي، ولبس الثياب الخشنة، وقلَّل طعامه وشرابه، وأخذ في المجاهدة بأنواع القرب والطاعات إلى أن صار قطب الوجود والبركة الشاملة لكل

موجود.

قال بعض العلماء: رأيته في البرية وعليه مرقعة وبيده عكاز وركوة، فقلت له: يا إمام! أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا؟ فنظر إليّ شزراً وقال: بزغ بدر السعادة في تلك الإرادة، وظهرت شموس الوصل. وأنشد: [شعر]

تركت هـوى ليلى وسعدى بمعزلٍ
وعــدت إلــى تصحيح أول منزل

ونــادتـنـي الأشــــواق مـهـلاً فهذه
مـنـازل مـن تـهـوى رويــدك فانزل

ثم رجع ﷺ إلى بغداد وعقد مجلس الوعظ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة، وحدّث بكتاب «الإحياء»، ثم عاد إلى خراسان ودرّس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة، ثم رجع إلى طوس، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية[1]، ووزع أوقاته للعبادة والاشتغال بالكتب السنية؛ كالبخاري ومسلم، ومجالسة أرباب القلوب إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى ورضوانه طيب الثناء أعلى منزلة من نجوم السماء، وأهدى للأُمة من البدر في الظلماء، لا يبغضه إلا حاسد أو زنديق، أو دعيٌّ ضلَّت به الطريق، ولقد كان في ثغر الاسكندرية شخص يبغض الغزالي ويغتابه، فرأى النبي ﷺ في المنام، وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان الغزالي واقفاً بين يديْه وهو يقول: يا رسول الله! هذا ـ يعني: الرائي ـ يتكلم فيَّ ويؤذيني، قال: فقال النبي ﷺ: هاتوا السياط، وأمر به فضُرب بين يديه لأجل الغزالي ﷺ، وقام هذا الرجل من النوم وأثر السياط على ظهره.

---

(1) **الخانقاه**: فارسية معناها: بيت، وأصلها: «خونقاه» أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، و «الخوانق» حدثت في الإسلام في حدود سنة 400 هجرية، وجعلت لتخلي سادتنا الصوفية ﷺ فيها لعبادة الله تعالى. انظر: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى 115.

[الكلام على إحياء علوم الدين والثناء عليه وعلى مؤلفه]

وحكي أنه لما وقف الشيخ الإمام الحسن علي بن حرزهم المغربي على «الإحياء» وتأمله، قال: هذا بدعة مخالفة للسُّنّة، وكان شجاعاً مطاعاً في المغرب، فأمر بإحضار كل ما فيها من نسخ «الإحياء»، وطلب من السلطان أن يلزم الناس ذلك، فأجابه وكتب إلى النواحي وشدَّد في ذلك وتوعَّد من أخفى شيئاً منه، فأحضروا ما عندهم واجتمع الفقهاء ونظروا فيه ثم أجمعوا على إحراقه يوم الجمعة، فلما كانت ليلة الجمعة رأى أبو الحسن المذكور في المنام كأنه دخل من باب الجامع الذي عادته يدخل منه، فرأى في ركن المسجد نوراً، فالتفت وإذا بالنبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والإمام أبو حامد الغزالي ؓ قائم وبيده «الإحياء»، فقال: يا رسول الله! هذا خصمي. ثم جثا على ركبتيه وحفَّ عليهما إلى أن ناول كتاب «الإحياء» رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله! انظر فيه فإن كان بدعة مخالفة لسنّتك كما زعم تبت إلى الله، وإن كان شيئاً تستحسنه حصل من بركتك، فانصفني من خصمي، فنظر فيه ﷺ ورقة ورقة إلى آخره، ثم قال: و الله إن هذا شيء حسن، ثم ناوله أبا بكر ثم عمر، وكلٌّ منهما يقول بعد نظره كذلك: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، إنه لحسن. فأمر النبيّ ﷺ بتجريد أبي الحسن من ثيابه وضربه حدّ المفتري، فجُرِّد وضُرب ثم تشفع فيه أبو بكر ؓ بعد خمسة أسواط، وقال: يا رسول الله! إنما فعل ذلك اجتهاداً في سنّتك، فغفر له أبو حامد عند ذلك، فلما استيقظ من منامه وأصبح أعلم أصحابه بما جرى، ورجع عما نوى ومكث قريباً من شهر متألّماً من الضرب، ثم منَّ الله تعالى عليه بالعافية، ومكث إلى أن مات وأثر السياط على ظهره، وصار ينظر في كتاب «الإحياء» ويعظّمه.

وفي هذه الرواية ـ كما هو واضح ـ تنبيه على جلالة «الإحياء» والشهادة بحسْنه بالنص القاطع لأعناق الطاعنين، وإن جلوا. وقد انتفع به كثير من سالكي الآخرة، ولازمه أرباب القلوب كسادتنا بني علوي وغيرهم.

وممّن أثنى عليه سيدنا الشيخ عبد الرَّحمن السقاف، وقال في أثناء كلامه: مَن لم يطالع الإحيا فما له حيا.

وكان سيدي شيخ بن عبد الله العيدروس مولعاً بمطالعته قلَّ أن يفارقه، ولم يزل

يحصل منه نسخة حتى اجتمع عنده منه نسخ كثيرة.

وقال الكازروني: لو مُحيت جميع العلوم لاستُخرجت من الإحياء.

وكذا سيدنا الشيخ أبو بكر العيدروس ﵁ كان مشغفاً بمطالعة الإحياء وتحصيله، حتى حصل منه نسخاً عديدة، وقال: كاد الإحياء أن يكون قرآناً، وكذا والده الشيخ عبد الله العيدروس نفع الله به كان مشغوفاً بمطالعة كتب الغزالي، خصوصاً الإحياء، وكان يُكثر الثناء عليه ويدعو الناس إليه بقوله وفعله، ويحثّ على التزام مطالعته والعمل بما فيه حتى حصلت في زمانه بسببه من الإحياء نسخ عديدة، حتى أن بعض العوامّ حصله لما رأى من ترغيبه فيه ﵁ ونفع به.

وقال في بعض وصاياه: أُوصيكم بالكتاب والسُّنّة أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وشَرْح الكتاب والسُّنَّة مستوفى في كتاب «إحياء علوم الدين» الملقب أُعجوبة الزمان، فهو موضع نظر الله ورضاه.

وقال يوماً: لو بعث الله الموتى لما أوصوا الأحياء إلا بما في الإحياء.

وقال يوماً: اعلموا أن مطالعة الإحياء تحضر القلب الغافل في لحظة كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج في العفص والماء.

وقال: أنا أشهد سرًّا وعلانية أنَّ مَن طالع كتاب «إحياء علوم الدين» فهو من المهتدين.

وقال يوماً: مَن أراد طريق الله وطريق رسوله وطريق العارفين والعلماء أهل الظاهر والباطن، فعليه بمطالعة كتب الغزالي، خصوصاً كتاب «إحياء علوم الدين»، فهو البحر المحيط.

[من كرامات الإمام الغزالي ﵁]

قلت: وكتُبُه ﵁ كثيرة وكلها نافعة وتأثيرها واضح مجرب عند كل مؤمن، ومناقب سيدنا الغزالي ﵁ كثيرة وكراماته شهيرة، فمن كراماته ما أثبته الحافظ العراقي في الحجة، حيث قال: وكانت للغزالي كرامات في حياته وبعد مماته.

فمن كراماته في حياته تحشُّد جماعة واجتماعهم على هضمه ومحاولتهم إثبات قادح في عدالته وتخطئته، بل تكفيره، بسبب عبارة وقعت في كتبه لا تقتضي التكفير إلا في زعمهم واعتقادهم، والسبب في ذلك إنما هو الحسد، وفقد تسليمهم لمن أراد الله العظيم ظهوره، فردَّهم الله على أعقابهم، وجعل كيدهم في نحورهم حتى انقلب سلطانهم الذي اجتمعوا عنده إلى تبجيل الغزالي وتعظيمه، وبرّأ الله ساحته بظهور الحق الذي يريدون أن يطفئوه بأفواههم ويأبى الله إلا أن يُتمّ نوره. ولله درّ من قال:

أقول لحسادي ألا إن وجدتم غطاء لضوء الشمس يا حسدي غطوا

يرى قبحهم من تحت حسن ثيابهم
كما قبح المعنى وإن حَسُن الخط

فلا زالت الأعداء أقلام دهرنا
ففي ذاتهم قطع وفي رؤوسهم قط

قال: ذو الزاد القليل تعجيز وتصدير وتذليل: [شعر]

أقول لحسّادي ألا إن وجدتم	لما قد رزقنا الله من فضله ربط
فزيدوه ربطاً أو قدرتم بجهدكم	غطاء لضوءِ الشمس يا حسدي غطوا
يرى قبحكم من تحت حسن ثيابكم	لرقّتها عند التبختر إذ تخطوا
ويقبح تزيين العجائز نفسها	كما قبح المعنى وإن حَسُن الخطّ
فلا زالت الأعداء أقلام دهرنا	نراها على الأشهاد بالحدّ تنحطّ
بلا ريبة تحت السكاكين دأبهم	ففي ذاتهم قطع وفي رأسهم قط

لقـــد عجز مـــا قيل جفـــر وصدراً | ومـــا طوله طول وما عرضه بســـطُ
ولا أنـــه فـــي مكـــره ثعلـــب غدَا | ولا أنـــه في عومـــه قد دُعـــي بطُّ
على غير شـــيء حســـد يحسدونه | لكون الحسد بالله صار لهم قسط

قلت: وقد قيل: ما ذلّ ذو حق ولو اجتمع العالم عليه، ولا عُزَّ ذو باطل ولو طلع القمر في جبينه.

قال الجنيد ﵁: مَن طلب عزًّا بباطل أورثه الله ذلًّا بحق.انتهى .

ولو أراد الخلق كلهم أن يُثبتوا للعبد عزًّا فوق ما يثبته الله له؛ لم يقدروا، ولو أرادوا أن يُثبتوا له ذلًّا فوق ما يثبته الله له؛ لم يقدروا.

[حكاية]: **قيل**: غضب هارون الرشيد على فقير، فأمر أن يُربط مع بغلة كانت كثيرة العبث، فلم تضرّه، فأمر به فجُعل في بيت وسُدَّ عليه الباب ليمتحنه بذلك، فلما أصبح وجدوه يمشي في البستان، فقال له هارون: مَن أخرجك من البيت؟ قال: الذي أتى بي إلى البستان، قال: ومَن أتى بك البستان؟ قال: الذي أخرجني من البيت، فأمر به فركب على فرس وأمر منادياً ينادي بين يديه: ألا إن هارون أراد أن يذلَّ رجلاً أعزَّه الله فلم يقدر. [شعر]

إذا أكـــرم الرحمـــن عبـــداً بعـــزِّه | فلـــم يقـــدر المخلوق يومـــاً يهينه

وقد أثنى على سيدنا الإمام الغزالي جماعة منهم أسعد اليمني، قال: لا يصل إلى معرفة علم الغزالي وفضله إلاّ مَن بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله.

ومنهم القطب الرباني الشيخ أبو الحسن الشاذلي، كان يقول لأصحابه: مَن كانت له إلى الله حاجة، فليتوسَّل إليه بالغزالي.

ورُوي عنه أيضاً أنه رأى النبي ﷺ وهو يباهي موسى وعيسى عليهما السلام بالغزالي، ويقول: أفي أُمتكما حبر هكذا؟ قالا: لا.

وقال فيه الإمام محمد بن يحيى الغزالي: هو الشافعي الثاني، وقال أيضاً: رأيت فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها. فعبَّر ذلك بعض المعبرين ببدعة تحدث

فيهم، فوصلت بعد أيام المراكب بخبر إحراق كتب الغزالي، وما جرى في ذلك.

قلت: وقد أصاب المعبّر الحاذق في ذلك، ولكن ظهر لي على سبيل الاعتبار من الظاهر إلى الباطن أنه ظهور شمس الحق بإغاثة سيدنا الغزالي بطلوعها من مغربها الباطل؛ أي: رجوعها بعد أن كانت تغرب بأباطيل تلفيقات أهل الحظوظ على أهل الحظوظ، فـ [جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً]، وقد قيل: إن للباطل صولة وللحق جولة، فإذا أصاب الباطل جال عليه الحق فأخمده، ومتى ظهر لم يبق معه غيره.

[وفاته ﵁]: وتوفي سيدنا الغزالي ـ قدّس الله سرّه ـ بطوس صبيحة يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخر، سنة خمس وخمسمائة، وله خمس وخمسون. نُقل عن أخيه أحمد الغزالي أنه قال: لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلّى، وقال: عليَّ بالكفن، فأخذه وقبَّله ووضعه على جبينه، وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مدَّ رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار ـ قدّس الله سرّه ـ ووُجد تحت رأسه طرس مكتوب فيه قصيدة نحو ثلاثين بيتاً، وها أنا أذكر بعضها هنا: [شعر]

قل لإخوانٍ رأوني ميتاً ... فبكوني إذ رأوني حزنَا
أتظنون بأني ميتكم ... ليس ذاك الميت والله أنا
أنا في الصور وهذا جسدي ... كان ثوبي وقميصي زمنا
أنا كنزٌ وحجابي طلسمٌ ... من ترابٍ قد تسجَّى الفنا
أنا درٌّ قد حواني صدف ... كان سجني فألفت السِّجنا
أنا عصفور وهذا قفصي ... طرت منه فتخلّى رهنا
أشكر الله الذي خلّصني ... وبنى لي في المعالي وَطَنا
كنت قبل اليوم ميتاً بينكم ... فحييت وخلعت الكَفَنا

إلى أن قال:

قــد ترحلــت وقــد خلفتكــم لســت أرضــى داركم لــي وطنا
حــي ذي الــدار نــؤوم مغــرق فــإذا مــات أطــار الوســنا
لا تظنّــوا المــوت موتــاً إنــه لحيــوة هــو غايــات المنــا
لا ترعكــم هجمــة المــوت فما هــي إلا انتقــال مــن هنــا
فاخلعوا الأرواح عن أجســامكم تُبصــروا الحــقّ عيانــاً بيِّنــا
واجهدوا فــي الزاد جهــد الأتقيا ليــس بالعاقــل منّــا مــن وَنَــا
أحســنوا الظــنَّ بــربٍّ راحــمٍ تشــكروا الســعي وتأتــوا أمْنــا
مــا أرى نفســي إلا أنتــم واعتقــادي أنكــم أنتــم أنــا
عنصــر الأنفــس منــا واحــدٌ وكــذا الأجســام جســمٌ عمَّنــا
فمتــى مــا كان خيــراً فلنــا ومتــى مــا كان شــرًّا فمنَّــا
فارحمونــي ترحمــوا أنفســكم واعلمــوا أنكــم فــي إثرنــا
أســأل اللــه لنفســي رحمــةً رحــم اللــه صديقــاً أمّنَــا
وعليكــم مــن ســلامي طيــب وســلام اللــه بــدءاً وثنــا

فهذه نبذة من أوصاف سيدنا الغزالي رضي الله عنه، ولو أردنا استيعاب ترجمته لطال الفصل، وقصدنا الاختصار، وفيما أوردناه مقنع وبلاغ، انتهى ما بالكتاب المذكور ما قصدناه من الكلام المزبور.

ثم قلت:

وهـــو لَبِس مـــن إمـــام الحرمين كما لبس مـــن أبيه أعني الجوين

المذكوران هنا اثنان، كلاهما إمامان علمان، **الأول**: قدوة الفريقين في علمَيْ الفقه وأصول الدين؛ بل في جميع العلوم من دون مَيْن، المنعوت بين العالم بإمام الحرمين.

قال من تعاظم فضله في كتاب «السلسلة» له: وسيدي الإمام الغزالي أخذ الخرقة عن جماعة من أهل الطريقة، منهم الشيخ أبو بكر النسَّاج، عن الشيخ أبي علي الفارمذي بسنديه إلى رويم[1]، وإلى أبي يزيد أيضاً، وأخذها عن شيخه الإمام الحفيل، السيد الجليل، المجمع على إمامته، البارع المحقّق، أستاذ الفقهاء والمتكلمين، وفحل النُّجباء والمناظرين، النجيب ابن النجيب، إمام الحرمين، حامل راية المفاخر وعلم العلماء الأكابر أبي المعالي عبد الملك بن ركن الإسلام أبي محمد عبد الله بن الجويني رضي الله عنه.

أخذ من العربية وما يتعلق بها أوفر حظٍّ ونصيب، وزاد فيها على كل أديب، ورُزق من التوسع في العبارة ما لم يعهد من غيره حتى أنسى ذكر سحبان، وفاق فيها الأقران. اعتنى به والده من صغره، بل من قبل مولده؛ وذلك أن أباه اكتسب من عمل يده مالاً خالصاً من الشبهة اتصل به إلى والدته، ثم لما ولدته حرص على أن لا يُطعمه ما فيه شبهة، فلم يمازج باطنه إلا الحلال الخالص، حتى أنه تلجلج مرة في مجلس مناظرة،

(1) الإمام العارف بالله تعالى سيدي الشيخ رويم بن أحمد بن يزيد رضي الله عنه، كنيته أبو محمد، من أجلِّ مشايخ بغداد، كان فقيهاً على مذهب داود الأصبهاني وكان مقرئاً ـ مات سنة 303 هجرية من أقواله: «لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا فإن اصطلحوا هلكوا». وقال: «من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام، ويضيق على نفسه فيها، فإن التوسعة عليهم اتباع العلم. والتضييق على نفسه من حكم الورع». **انظر ترجمته في**: **طبقات الصوفية** للسلمي 180، **وحلية الأولياء** لأبي نعيم الأصبهاني 10/ 296، **والطبقات الكبرى** للإمام الشعراني 1/ 103.

فقيل له: يا إمام! هذا الذي لم يعهَد منك! فقال: ما أراها إلا آثار بقايا المصة!، قيل: وما بيان هذه المصة؟ قال: إن أُمي اشتغلت في طعام تطبخه لأبي وأنا رضيع فبكيت، وكانت عندنا جارية مرضعة لجيراننا فأرضعتي مصة أو مصتين، ودخل والدي فقال: ما هذه الجارية؟ ليست ملكاً لنا ومالكها لم يأذن في ذلك، وقلبني وفرغني حتى لم يدع في باطني شيئاً إلا أخرجه، وهذه اللجلجة من بقايا تلك الآثار. فانظر هذا الأمر العجيب الذي ما سمعنا بمثله إلا من أبي بكر الصدّيق ﵁ .

وله ﵁ في كل العلوم الباع الطويل، أضربنا عن تعدادها للاختصار.

ويُحكى عنه ﵁ أنه قال: ما تكلّمت في علم الكلام كلمة واحدة حتى حفظت من كلام القاضي أبي بكر[1] وحده اثنتي عشرة ألف ورقة!. فانظر إلى هذا الذي حفظه من كلام شخص واحد.

[ثناء العلماء عليه ﵁]:

أثنى عليه جماعة، منهم **الشيخ أبو إسحاق الشيرازي**، بقوله لمن حضره: تمتّعوا بهذا الإمام، فإنه نزهة الزمان ـ يعني: إمام الحرمين ـ. وقال له يوماً مخاطباً: يا مقيد أهل المشرق والمغرب! لقد استفاد من علمك الأوّلون والآخرون.

وقال له مرة أخرى: أنت اليوم إمام الأئمة.

وقال اليافعي بعد أن أثنى عليه: الظنّ به أن آثار جِدّه واجتهاده في دين الله تعالى يدوم إلى قيام الساعة، وإن انقطع نسله من جهة الذكور ظاهراً فنشر علمه يقوم مقام

(1) أبو بكر الباقلاني: **القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني** البصري المتكلم المشهور؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيداً اعتقاده وناصراً طريقته، وسكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، وكان في علمه أوحد زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه، وكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، وسمع الحديث؛ وكان كثير التطويل في المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة، وجرى يوماً بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة، فأكثر القاضي أبو بكر المذكور فيها الكلام ووسع العبارة وزاد في الإسهاب، ثم التفت إلى الحاضرين وقال: اشهدوا على أنه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب، فقال الهاروني: اشهدوا عليَّ أنه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال!. توفي ﵁ آخر يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع. سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة من الهجرة النبوية الشريفة.

كل نسب ﷺ أجمعين.

وبقي رضي الله عنه قريباً من ثلاثين سنة ليس له مدافع ولا مزاحم، بل الكل مسلِّم، وحضر دروسه الأكابر، وكان يقعد بين يديه كل يوم نحو من ثلاثمائة رجل من الأئمة والطلبة، وكانت له وجهة عند السلطان والوزير، حتى كان هو المخاطَب والمشار إليه؛ لا ينظر إلا من انتمى إلى خدمته، ولا يهجر إلا من قلاه وهجره، إلى أن انتهى أجله، فأدركه قضاء الله الذي لا بدَّ منه، وتوفي يوم الثلاثاء بعد صلاة العصر الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وقام الصياح عليه من كل جانب، وحُمِل بعد الصلاتين من يوم الأربعاء إلى ميدان الحسين، ووُضِعت المناديل على الرؤوس عاماً بحيث ما اجترأ أحد على ستر رأسه من الرؤساء الأكابر، وصلّى عليه ابنه الإمام أبو القاسم بعد جهد جهيد، حتى حُمل إلى داره من شدّة الزحمة وقت التطفيل، ودُفن فيه، بعد سنين نُقل إلى مقبرة الحسين، وكان مولده ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة رضي الله عنه .

[ترجمة]
[سيدي أبي محمد عبد الله الجويني ﵁]

والثاني من المذكورين بالبيت مفرد الزمان وعلم الأعلام، عظيم الصِّيت المذكور بكل حسن وزيني، **الشيخ أبو محمد عبد الله الجويني** ﵁.

قال الملحوظ بعناية القدّوس سيدنا شيخ بن عبد الله العيدروس ﵁ في كتابه «الطراز المعلم والسرّ الملهم»: وسيدي الإمام أبو المعالي أخذ الخرقة عن جماعة من أهل الطريق، منهم الأستاذ أبو القاسم القشيري ﵁ بسنده إلى الجُنيد ﵁، وأخذها عن أبيه الشيخ الإمام ركن الإسلام ذي المحاسن والمناقب العِظام والفضائل المشهورة عند العلماء والعوام، الفقيه الأصولي الأديب النحوي، المفسر الشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني، نسبة إلى جوين ـ ناحية من نواحي نيسابور ـ تشتمل على قرى كثيرة.

كان ﵁ أوحد زمانه علماً وزهداً وتعشقاً، محترماً لا يجري بين يديه إلا الجدّ، وله تصانيف فريدة مفيدة، قال أبو سعيد عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري ﵁: كان أئمّتنا في عصره والمحققون من أصحابنا يعتقدون فيه من الكمال والفضيلة والخصال الحميدة أنه لو جاز أن يبعث الله نبيًّا في عصره ما كان إلاّ هو؛ من حُسن طريقته وكمال فضله.

وكانت وفاته ﵁ في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة بنيسابور ﵁ .

[ترجمة]
[الإمام العارف بالله تعالى أبي طالب المكي رضي الله عنه]

ثم قلت: [شعر]

وهو لَبِــس من أبــي طالب مَن يُعــرف بالمكــي بســرٍّ وعَلَن

المذكور هنا هو شيخ المشايخ، ذو المجد الشامخ والعلم الراسخ، الجامع بين الشريعة والحقيقة، الفائز بالمعرفة التامّة في أعمال الطريقة، مَن كفاه فخراً بعلّام الغيوب، كتابه المحبوب المرغوب، الذي هو غاية لكل طالب، ونهاية في كل مطلوب، السامية تسميته بمسمّاه «قوت القلوب»، الحاوي لما حواه غيره وزاد من دون إفك: الشيخ أبو طالب محمَّد بن علي المعروف بالمكي رضي الله عنه.

قال ذو المواهب القدسية في السلسلة المتصلة بالخرقة العيدروسية: وسيدي ركن الإسلام الجويني أخذ الخرقة عن شيخ الإسلام، قدوة الأولياء الكرام، المحقق الشيخ أبي طالب محمّد بن علي بن عطيّة الحارثي، الواعظ، المكي، صاحب «قوت القلوب».

كان رضي الله عنه رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة، وله مصنفات كثيرة، وصحب جماعة من مشايخ الحديث وعلم الطريق، وأخذ عنهم.

وتوفي في جمادى الآخرة سنة ستّ وثمانين وأربعمائة.

[ترجمة]
[الإمام الشبلي رضي الله عنه]

ثم قلت: [شعر]

وهو من الشــبليِّ أبي بكرٍ الذي　　　هو بكأس الحب صدقاً قد غُذِّي

المذكور هنا ذو الأخلاق اللطيفة، والشمائل الظريفة، والخصائل المنيفة، مَن هو لشيخ الكل أضحى خليفة، المذكور المشهور بكل بطون وظهور، العالي إلى كل عليّ، الشيخ الكبير العارف بالله أبو بكر الشبلي [1] رضي الله عنه.

قال ذو المعاني المسلسلة شيخ بن عبد الله في كتابه المنعوت بـ «السلسلة»: وسيدي أبو طالب المكي أخذ الخرقة عن جماعة من أهل الطريقة، منهم الشيخ أبو عثمان المغربي رضي الله عنه، عن أبي عمر محمَّد بن إبراهيم الزجاجي، عن الجنيد رضي الله عنه. وأخذها أيضاً عن الشيخ الكبير العارف بالله الشهير أبي بكر دُلف ـ بضم المهملة وفتح اللام ـ ابن جحدر الشبلي ـ نسبة إلى شبلة ـ قرية من قرى أسروشنة ـ بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضمّ الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة والنون وبعدها هاء ـ بلدة عظيمة وراء سمرقند، من بلاد ما وراء النهر.

كان رضي الله عنه جليل القدر، اشتغل في أوّل أمره بالفقه وبرع في مذهب مالك، ثم صحب الجُنيد رضي الله عنه وغيره من المشايخ، ويُروى أن مجاهداته في أوّل عمره كانت فوق الحدّ، يقال: اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر!. **وكان** رضي الله عنه يبالغ في تعظيم الشرع

---

(1) سبقت ترجمته رضي الله عنه أول هذا الكتاب.

الشريف والتحرّز عن الخروج عن أدبٍ من آدابه حتى نقل عن خادمه أنه لما وضأه للصلاة بأمره، قال: نسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه، فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات رضي الله عنه وأرضاه.

وحُكي أن الفقيه عمر بن الأسنت كان من المنكرين على الشبلي ﷺ وينسبه إلى قلّة الفقه، حتى قال له يوماً: قل لي: ماذا يجب في خمس من الإبل؟ فقال الشبلي ﷺ: أمّا عندك فشاة، وأمّا عندي فالكل!، فقال له: إخراج الكل على مذهب مَنْ؟ قال: على مذهب أبي بكر الصدِّيق ﷺ، فإنه لما أنزل الله: ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً**﴾، [البقرة:245]. أتى ﷺ بجميع ماله إلى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «ما تركت لعيالك؟» قال ﷺ: الله ورسوله.

وقال بعضهم: دخلت على الشبلي ﷺ، فرأيته ينتف شعر حاجبه بالملقاط، فقلت له: يا سيدي! إنك تفعل هذا وألمه يعود إليك؟! فقال: ظهرت لي الحقيقة، فلم أستطع حملها، فأنا أدخل على نفسي الألم لكي تُستر عنّي، فلا أنا وجدت الألم ولا هي استترت عنّي، ولا أنا أطيق حملها.

ورُوي أنه اعتلّ علّة شديدة حتى أرجفوا بموته، فبادر الناس إلى داره، فاتفق عنده جماعة من كبار أصحاب الجنيد ﷺ، فرفع رأسه وقال: ما لكم؟ أيش القضية؟ فقال له أحدهم: جئنا إلى جنازتك، فاستوى ﷺ جالساً وقال: عجباً من أموات جاؤوا إلى جنازة حيّ!! ثم قال لهم: وَيْحكم احسبوا أني قُدِّمت فيكم من يقدر يحمل هيكلي؟.

ومن كلامه ﷺ: كل صِدِّيق بلا معجزة كذاب، فقيل له: وأنت صدِّيق، فما معجزتك؟ قال: معجزتي أن يعرض خاطري في حال سكري ولا يخرجاني عن موافقة كتاب الله.

قلت: أي: لا يطفىء نور معرفته نور ورعه، ولهذا قيل: الاستقامة أوفى كرامة.

وقال ﷺ: ليس للمريد غرّة، ولا للعارف علامة، ولا للمحبّ سكون، ولا للصّادق دعوة، ولا للخائف قرار، ولا للخلق من الله فرار.

وقال ﷺ: ما قال أحد على الحقيقة: [الله]، إلا الله، ومَن قالها إنما قالها لحظّه.

ودخل ﵁ يوماً على شيخه الجُنيد ﵁، فوقف بين يديه وصفّق بيديه، وأنشد:

عوَّدوني الوصـــال والوصل عَذْبٌ ورمونـــي بالصدِّ والصـــدُّ صعبُ
زعمـــوا حيـــن عاتبـــوا أنَّ ذنبـــي فـــرط حبِّي لهـــم ومـــا ذاك ذنبُ
لا وحـــقّ الخضوع عنـــد التلاقي ما جـــزى مـــن يحـــب ألا يحبُّ

فقال الجُنيد ﵁: نعم يا أبا بكر.

وسُئل ﵁: هل يبلغ الإنسان بجهده إلى شيء من طرق الحقيقة أو الحق؟ فقال: لا بدَّ من الاجتهاد والمجاهدة، ولكنهما لا يوصلان إلى شيء من الحقيقة؛ لأن الحقيقة ممتنعة من أن تُدرَك بجهد واجتهاد، وإنما هي مواهب يصل العبد إليها بإيصال الحق إياه، لا غير.

وقال ﵁: كنت يوماً جالساً فجرى بخاطري أني بخيل، فقلت: ما أنا بخيل، فجاوبني خاطري وقال: بلى إنك بخيل، فقلت: مهما فتح الله عليَّ اليوم لأدفعنَّه إلى أول فقير يلقاني؛ فبينا أنا أفكر إذ دخل عليّ شخص ومعه صرّة فيها خمسون ديناراً، فقال: اجعل هذه في مصالحك، فأخذتها وخرجت وإذا أنا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فناولته الصرَّة، فقال لي: أعطها المزين؟ فقلت: إنها دنانير، فقال: أوَليس قد قلنا إنك بخيل، فناولتها المزين فقال: مِن عادتنا أن الفقير إذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجراً، فرميتها في الدجلة فقلت: ما أعزّ بك أحد إلا أذلّه الله.

وعن أبي محمَّد الهروي، قال: كنت عند الشبلي الليلة التي مات فيها، فكان يقول طول الليل هذين البيتين: [شعر]

إنَّ بيتـــاً أنـــت ساكنـــــــه ليـــس محتاجـــاً إلـــى السُّـــرُجِ
وجهـــــك الوضّـــــاء حجّتنـــا يـــوم يأتـــي النـــاس بالحجـــج

وكانت وفاته ﵁ يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجّة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ببغداد، ودُفن بمقبرة الخيزران وعمره سبع وثمانون سنة، ويقال: إنه مات سنة خمس وثلاثين، والأول أصح، ويقال: إنه وُلد بسُرَّ مَن رأى، رضي الله عنه وأرضاه.

[ترجمة]

[الإمام الجنيد رضي الله عنه]

ثم قلت: [شعر]

وهـــو مـــن الجنيد شـــيخُ القوم   مَـــنْ مِـــن إلهـــي فـــازَ بالعلومِ

المذكور هنا هو ذو الأخلاق الرَّضيّة، والشمائل المرضية، والنفس الأبيّة، والهمّة السَّنية، شيخ مشايخ الصوفية بكل مرتبة عَلِيَّة في الحقيقة والمجاز، سيدي الجنيد بن محمد الخزاز رضي الله عنه.

قال وليّ الله شيخ بن عبد الله في «الطراز المعلم والسرّ الملهم»:-

سيّد الطائفة، إمام أهل الخرقة، تاج العارفين، قطب العلوم أبو القاسم الجُنيد بن محمد بن الجُنيد الخزاز ـ بالخاء المعجمة والزاي المشددة المكررة ـ النهاوندي القواريري[1] رضي الله عنه.

كان رضي الله عنه شيخ وقته، وفريد عصره، تفقَّه على أبي ثور وعمره عشرون سنة، وسمع الحديث من الحسن بن عرفة وغيره، واختصَّ بصحبة السري والحارث المحاسبي وغيرهما من أجِلَّة المشايخ رضي الله عنهم، وأثنى عليه جماعة من المشايخ منهم جعفر الخلدي[2]، قال: لم نر في مشايخنا مَنِ اجتمع له علم وحال غير الجُنيد رضي الله عنه، إذا رأيت

---

(1) سبقت ترجمته رضي الله عنه.

(2) **العارف بالله تعالى سيدي الإمام جَعْفَر بنِ مُحَمَّد نصير بن القاسم أَبُو مُحَمَّد الخواص** المعروف بالخلدي شيخ الصوفية في وقته رضي الله عنه.كان أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيّ رضي الله عنه يقول: كان أهل بغداد يقولون: عجائب بغداد ثلاثة: إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جَعْفَر!. **كان** رضي الله عنه يقول: كنت فِي ابتداء أمري وإرادتي ليلة

علمت حجته على حاله، وإذا رأيت حاله رجحته على علمه.

وقال أبو القاسم الكعبي: ما رأت عيناي مثله.

قلت: وكيف لا يكون كذلك، وهو القائل: ما أخرج الله علماً إلى الأرض وجعل للخلق إليه سبيلاً، إلاّ وقد جعل لي فيه حظًّا ونصيباً.

وكان يقال: في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم: أبو عثمان الحيري بنيسابور، والجُنيد ببغداد، وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام ﷺ. وكان ورده كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة.

ومن كلامه رضي الله عنه: الطريق إلى الله عز وجل مسدودة إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ. لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة؛ كان ما فاته أكثر مما ناله.

قيل: والسبب في ذلك أن كل نظرة تكون للعبد من الحق تتضمن لذَّة كل نظرة تقدَّمتها وتزيد على ذلك بما تعطيه حقيقتها.

نائما، فإذا بهاتف يهتف بي ويقول: يا جَعْفَر امض إِلَى موضع كذا وكذا واحفر، فإن لك هناك شيئا مدفونا، قَالَ: فجئت إِلَى الموضع وحفرت، فوجدت صندوقا فيه دفاتر، وإذا فيه حزمة فأخرجتها وقرأتها، فإذا فيها أسماء ستة آلاَف شيخ من أهل الحقائق والأصفياء والأولياء، من وقت آدم إِلَى زماننا هذا، ونعوتهم وصفتهم وكلهم كانوا يدّعون هذا، يعني مذهب الصوفية، قَالَ الْحَسَن بن سُلَيْمَان وكَان فِي تلك الكتب عجائب، فقرأ ولم يدفع إلي أحد، ثم دفنها ولم يظهر ذلك لأحد إِلَى أن مات. وقال إِبْرَاهِيمُ بن أَحْمَد الطبري: حَدَّثَنَا جَعْفَر الخلدي رضي الله عنه، قَالَ: ودعت فِي بعض حجاتي المزين الكبير الصوفي، فقلت: زودني شيئا، فَقَالَ: إن ضاع منك شيء، أو أردت أن يجمع اللَّه بينك وبين إنسان، فقل: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن اللَّه لا يخلف الميعاد، اجمع بيني وبين كذا وكذا، فإن اللَّه يجمع بينك وبين ذلك الشيء، أو ذلك الإنسان. قال: فجئت إِلَى الكتاني الكبير الصوفي فودعته، وقلت: زودني شيئا، فأعطاني فصا عليه نقش كأنه طلسم، وَقَالَ: إذا اغتممت فانظر إِلَى هذا فإنه يزول غمك، قَالَ: فانصرفت فما دعوت اللَّه بتلك الدعوة فِي شيء إلا استجيب، ولا رأيت الفص وقد اغتممت إلا زال غمي، فأنا ذات يوم قد توجهت أعبر إِلَى الجانب الشرقي من بغداد حتى هاجت ريح عظيم وأنا فِي السميرية، والفص فِي جيبي، فأخرجته لأنظر إليه، فلا أدري كيف ذهب مني، فِي الماء، أو فِي السفينة، أو ثيابي؟ فاغتممت لذهابه غما عظيما، فدعوت بالدعوة وعبرت، فما زلت أدعو اللَّه بها يومي وليلتي ومن غد وأياما. فلما كان بعد ذلك أخرجت صندوقا فيه ثيابي لأغير منها شيئا، ففرغت الصندوق فإذا بالفص فِي أسفل الصندوق، فأخذته وحمدت اللَّه عَلَى رجوعه. ومن كلامه رضي الله عنه: يقول لرجل: كن شريف الهمة فإن الهمم تبلغ بالرجل لا المجاهدات. وكان رضي الله عنه يقول: ما عقدت لله عَلَى نفسي عقدا فنكثته. وقال أبو سعيد الرَّازِيّ: لقيت جعفرا آخر ما لقيته وكان قد حج أربعا وخمسين حجة، ثم حج بعد ذلك حججا. توفي رضي الله عنه سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة. تاريخ بغداد: الجزء الثامن ـ صفحة 145.

قال الشيخ ابن عربي ﷺ: لأن الشيء الثاني يتضمن من المريد ما تقدّمه وزيادة ما تعطيه عينه من حيث ما هو جامع، فما أشأم الإعراض عن الله.

وسُئل ﷺ عن التصوّف؟. فقال: استعمال كل خلق سَنِي، وترك كل خلق دَنِي.

ورُئِيت يوماً في يده سبحة، فقيل: أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة؟ فقال: طريق وصلت بها إلى ربّي لا أفارقها.

وقيل له يوماً: نطلب الرزق؟.

قال: إن علمتم أين هو، فاطلبوه.

قالوا: نسأل الله تعالى؟.

قال: إن علمتم أنه نسيكم، فذكّروه!.

قالوا: فندخل البيت ونتوكّل؟.

قال: التجربة شك.

قيل: فما الحيلة؟.

قال: ترك الحيلة.

وقال ﷺ: لست أخشى ما يَرِد عليَّ من العالم لأني قد أصّلت أصلاً واحداً، وهو أن الدار دار غمّ وبلاء وفتنة، وأن العالَم كله شرّ[1]. ومن حكمه أن يتلقّاني بكل ما أكره، فإن تلقّاني بما أُحب فهو فضل، وإلا فالأصل الأول.

وقال ﷺ: نهاية الصابر في حال الصبر حمل المؤن لله تعالى حتى ينقضي أوقات المكروه.

---

(1) فلا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها» كما قال سيدي ابن عطاء الله السكندري ﷺ. أي لا تعد وقوع الأكدار أمراً غريباً مدة كونك في هذه الدار الدنيوية، فإنها ما أبرزت؛ أي أظهرت إلا وصفها المستحق لها، ونعتها اللازم لها. فمن ضرورياتها وجود المكاره فيها مع الانهماك عليها، كما قال بعض واصفيها:

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأقذاء والأقذار
ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جَذوةَ نار

وقال ﷺ: لا تكن من الصادقين في موطن لا ينجيك فيه إلاّ الكذب.

قلت: وقد قيل: إن من الصّدق لقبيحاً، ومنه ثناء المرء على نفسه، وكذا الغيبة، وقد رخَّص النبي ﷺ فيه للمصلحة؛ كالجمع بين متقاطعين.

وقال ﷺ: لا يصل أحد إلى النهاية إلا بتصحيح البداية.

وقال ﷺ: مَن طلب عزًّا بباطل أورثه الله ذلًّا بحق.

وقال ﷺ: لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطأها البرّ والفاجر، وكالسحاب يُظِلّ كل شيء، وكالمطر يسقي كل شيء؛ يعني: ما يُثمر وما لا يُثمر.

وذكر بعض المشايخ ﷺ: أنه لما صنَّف عبد الله بن سعيد بن كلاب كتابه الذي ردَّ فيه على جميع المذاهب، وقال: بقي أحد؟ قيل له: نعم، بقي طائفة يقال لها الصوفية، قال: فهل لهم من إمام يرجعون إليه؟ قيل: نعم، أبو القاسم الجنيد ﷺ. فأرسل إليه فسأله عن حقيقة مذهبه، فردَّ عليه الجُنيد: **الجواب**: أن مذهبنا إفراد القدم عن الحدث، وهجران الإخوان والأوطان، ونسيان ما يكون وما كان.

فلما سمع ابن كلاب هذا الجواب تعجب من ذلك وقال: هذا شيء ـ أو قال: كلام ـ لا يمكن فيه المناظرة!. ثم حضر مجلس الجنيد ﷺ، وسأله عن التوحيد، فأجابه بعبارة مشتملة على معارف الأسرار والحكم، فقال: أَعِدْ عليَّ ما قلت، فأعاده لا بتلك العبارة، فقال: هذا شيء آخر، فأَعِدْه عليَّ. فأعاده بعبارة أخرى، فقال: ما يمكننا حفظ ما تقول، فأَمْلِهِ علينا. فقال: لو كنت أُجريه كنت أُمليه. وقال بفضله واعترف بعلوِّ شأنه.

قلت: وقد رُوي أن الشيخ أبا السعود رحمه الله تعالى كان يتكلم مع الأصحاب بما يلقي الله، وكان يقول: أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم، فأشكل ذلك على بعض الحاضرين وقال: كيف يكون ذلك؟ فرجع إلى منزله، فرأى في المنام كأنّ قائلاً يقول له: أليس الغوّاص يغوص لطلب الدُّرّ، ويجمع الصدف في مخلاة، والدرّ قد حصل معه ولكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر، ويشاركه في رؤيته مَن هو على الساحل؟. ففهم في المنام إشارة الشيخ في ذلك.

وأخبار سيدنا الجُنيد ﵁ كثيرة ومناقبه شهيرة.

قال أبو بكر العطار ﵁: حضرت الجنيد ﵁ عند الموت، فكان قاعداً يصلي حتى مات.

وقال أبو عبد الرَّحمن السلمي: سمعت جدي يقول: دخل أبو العباس بن عطاء على الجُنيد، وهو في النَّزْع، فسلَّم عليه فردَّ عليه السَّلامَ بعد ساعة، ثم قال: اعذرني، فإني كنت في وردي. ثم حوَّل وجهه إلى القبلة وكبّر ومات، وذلك بتاريخ يوم السبت في شوال سنة ثمان، **وقيل**: سبع، **وقيل**: تسع وسبعين ومائتين، **وقيل**: توفي آخر ساعة من نهار يوم الجمعة. ودُفن ﵁ بالشونيزية عند خاله السري ﵁، **وقيل**: كان عند موته قد ختم القرآن ثم ابتدأ بقراءته، وقرأ سبعين آية من البقرة ثم مات، **ويقال**: كان نقش خاتمه: إذا كنت تأمله فلا تَأْمَنه، انتهى.

[ترجمة]
[العارف بالله تعالى سيدي أبي الحسن السري بن المغَلِّس السَّقَطي رضي الله عنه]

ثم قلت:

وهو من السّــري أغنى السقطي والسري من معروف حقًّا قد عطي

المذكوران هنا سريان معروفان، وجناحات عظيمان، وإمامان هُمامان، مجتهدان مصيبان؛ شريعة وحقيقة بمعرفة وطريقة:

الأول منهما هو: السَّري المعروف بكل خير وفضل ومعروف، قال في «السلسلة القدوسية ذو الفضائل السنية»: وسيدي الشيخ الجنيد رضي الله عنه أخذ الخرقة عن جماعة من المشايخ، منهم الشيخ جعفر الحدّاد بسَنده إلى أُويس القرني، ومنهم محمّد بن علي القصار بسنده إلى كميل بن زياد، ومنهم أبو سعيد الخراز بسنده إلى الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه، وبسنده أيضاً إلى الفضيل بن عياض إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، ومنهم أبو يزيد البسطامي عن علي الرِّضا، ومنهم أبو الخير محمد بن إسماعيل النساج بسنده إلى معروف الكرخي، ومنهم الحارث المحاسبي بسنده، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

قلت: وأخذها أيضاً عن شيخه وخاله الشيخ الكبير العارف بالله الشهير ذي المقامات العليّة، والأحوال السَّنيّة، والكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة **أبي الحسن السري بن المغَلِّس ـ بضم الميم وفتح الغين وكسر اللام المشددة وبعدها سين مهملة ـ السقطي** أحد أدلّاء الطريق، ومعادن أسرار الحقيقة.

كان ﷺ في الورع بالرُّتبة العليا، حُكي أنه اشترى كرّ[1] لوز بستين ديناراً، وكتب في دستوره ثلاثة دنانير ربحه، فارتفع السعر وصار الكرّ بتسعين ديناراً، فأتاه الدلّال وأخبره أنه بتسعين، فقال: إني عقدت عقداً بيني وبين الله تعالى أن أبيعه بثلاث وستين؛ لا أُحلّه لست أبيع بأكثر من ذلك. فقال الدلّال: وأنا الآن عقدت عقداً بيني وبين الله تعالى أن لا أغشّ مسلماً.

ومن كلامه ﷺ: أربع من أخلاق الأبدال: استقصاء الورع، وتصحيح الإرادة، وسلامة الصدر للخلق، والنصيحة لهم.

قال الجُنيد ﷺ: ما رأيت أعبد من السرِّي؛ أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رُئِي مضطجعاً إلا في علّة الموت.

وعنه ﷺ **أيضاً قال**: كنت نائماً عند السَّري رحمه الله تعالى، فقال لي: يا جُنيد! رأيت كأني قد وقفت بين يدي الله تعالى، فقال لي: يا سريّ! خلقت الخلق وكلهم ادّعوا محبتي، فخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العُشر، فخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي معي عشر العشر، فسلطت عليهم ذرّة من البلاء، فهرب تسعة أعشاره أيضاً، فقلت للباقين: معي لا الدنيا أردتم ولا الجنّة أخذتم ولا من النار هربتم، فماذا تريدون؟ قالوا: إنك تعلم ما نريد. قلت لهم: فإني مسلّط عليكم من البلاءِ بعدد أنفاسكم بما لا تقوم له الجبال الرواسي، أفتصبرون؟ قالوا: إذا كنت أنت المبلي، فافعل ما شئت فهؤلاء عبادي حقًّا.

وعنه ﷺ **أيضاً**: مرض أستاذنا السَّري ﷺ فلم يعرف لعلّته دواء، فوصف لنا طبيب حاذق، فأخذنا قارورة من مائه، فنظر إليها الطبيب مليًّا ثم قال لنا: أراه بول عاشق، قال الجنيد ﷺ: فصُعقت وغُشِيَ عليّ ووقعت القارورة من يدي، ثم رجعت إلى السَّري وأخبرته، فتبسَّم وقال: قاتله الله ما أبصره. قلت: أوَ تبيَّن المحبة في البول؟ قال: نعم.

ومن كلامه ﷺ: التوكّل هو الانخلاع من الحول والقوة.

وقال ﷺ **أيضاً**: الصوفي هو الذي لا يطفىء نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم

(1) **الكُرُّ** ـ بالضم ـ: مِكْيالٌ لِلعراقِ، وسِتَّةُ أوقارِ حِمارٍ، أو هو سِتُّونَ قَفيزاً، أو أربعون إِرْدَبّاً.

بباطن من علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسُّنّة، ولا تحمله الكرامات على هتْك أستار محارم الله تعالى.

وسُئل ﷺ يوماً عن الصبر، فتكلَّم فيه، فدبَّت عقرب على رجله فلسعتها لسعات كثيرة، وهو ساكن لا يضطرب!، فقيل له في ذلك؟، فقال: قبيح عليّ أن أتكلم في الصبر ولا أصبر على لسعة العقرب، وأنشد لسان حاله: [شعر]

سأصبر كي ترضى وأُتلف حسرة وحسبي أن ترضى ويتلفني صبري

لأن الصبر حدُّه عندهم حبس النفس بمخالفة هواها بأن لا يعترض على التقدير، وأن يكون صاحب المصيبة بين القوم لا يدرى مَن هو، وهذا هو الصبر الجميل.

والصبر على ثلاثة أقسام: صابر ومتصبّر وصبّار، قال الله ﷻ: ﴿**اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله**﴾، [آل عمران:200]. اصْبروا لله، وصابروا بالله، ورابطوا بالاستقامة مع الله.

وقيل: المصابرة هي الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر، فيعجز الصبر عن الصبر؛ كما قيل: [شعر]

صابـر الصبر فاسـتغاث به الصبر فصـاح المحـبّ يا صبـر صبرا

[وفاته ﷺ]: توفي السَّري ﷺ سنة ثلاث وخمسين ومائتين ببغداد، **وقيل**: سنة سبع. ودُفن بالشونيزية.

حُكي عن أبي عبيدة قال: حدَّثني رجل قال: رأيت السَّري بعد موته في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلَّى عليّ. **قلت**: أنا ممن صلَّى عليك، فأخرج درجاً فنظر فيه لم يَرَ اسمي. قلت: بلى أنا ممن صلَّى عليك، فنظر مرة أخرى، فإذا اسمي على الحاشية، رضي الله عنه وأرضاه.

[ترجمة]
[سيدي العارف بالله تعالى معروف الكرخي رضي الله عنه]

الثاني منهما رضي الله عنهما: الحبيب المقرَّب، والترياق المجرَّب، الكريم شيخي سيدنا معروف الكرخي رضي الله عنه.

قال في «الطراز المعلم والسر الملهم من علم العلم وعلَّم: وسيدي الشيخ السَّري رضي الله عنه أخذ عن جماعة، منهم أبو ثور جعفر بن عبد الله، عن الإمام عليّ الرضا رضي الله عنه، وأخذها عن شيخه الولي الكبير العارف بالله الشهير المجتبى المقرَّب، الترياق المجرَّب، ذي المقامات العلية والأحوال السَّنية، أبي محفوظ معروف بن فيروز الكرخي رضي الله عنه ـ بفتح الكاف وسكون الراء بعدها خاء معجمة ـ نسبة إلى قرية ببغداد، وكان أبواه نصرانيين فأسلماه إلى مؤدّبه وهو صبيّ، فكان المؤدّب يقول له: قل: ثالث ثلاثة!، فيقول معروف رضي الله عنه: هو الله الواحد القهّار، فضربه ضرباً مبرحاً فهرب منه. وكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أيّ دين نوافقه عليه. ثم إنه رضي الله عنه أسلم على يد علي بن موسى الرضا رضي الله عنه، وصار أحد مواليه، ورجع إلى أبويه فدقَّ الباب، فقيل: مَنْ بالباب؟ فقال: معروف، فقيل: على أيِّ دين؟ فقال: على الإسلام، فأسلم أبواه.

وأخبار سيرته ومحاسن أخلاقه أكثر من أن تُعدّ، رُوي أنه كان رضي الله عنه يوماً على الدجلة، فمرَّ بناس في زورق يضربون بالملاهي ويشربون، فقال له أصحابه: أما ترى هؤلاء يعصون على هذا الماء؟ فادْعُ عليهم، فرفع يديه إلى السماء وقال: إلهي كما فرَّحتهم في الدنيا، ففرِّحهم في الآخرة.

وقيل: إنه مرَّ رضي الله عنه يوماً بسقّا وكان صائماً، وهو يقول: رحم الله من شرب، فتقدَّم وشرب فقيل له: ألم تَكُ صائماً؟ قال: بلى، ولكن رجوت إجابة دعائه.

وسُئل ﵁ يوماً عن المحبة، فقال: المحبَّة ليست بتعليم الخلق، إنما هي من مواهب الحقّ.

وكان ﵁ مشهوراً بإجابة الدعوة، وقال يوماً لتلميذه السَّري ﵁: **إذا كانت لك إلى الله حاجة، فأقسم عليه بي.**

وهو من الأربعة المشايخ الذين يتصرفون في قبورهم كتصرفهم في حياتهم، وهم الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ عقيل المنجي، والشيخ حياة بن قيس الحراني، والشيخ معروف المذكور.

وقيل له في مرضه، فقال: إذا متُّ فتصدَّقوا بقميصي، فإني أحبّ أن أخرج من الدنيا عرياناً.

[وفاته ﵁]: وتوفي ﵁ سنة مائتين، **وقيل** إحدى ومائتين، **وقيل**: أربع ومائتين ببغداد، وقبره بها مشهور يزار ويتبرّك به، وأهل بغداد يستشفون بقبره ويقولون: قبر معروف ترياق مجرَّب.

وقال الزهري: يقال: مَن قرأ عند قبره مائة مرة [قل هو الله أحد] وسأل الله ما يريد؛ قُضِيت حاجته.

وقال السَّري ﵁: رأيت معروفاً بعد موته في المنام كأنه تحت العرش، والله سبحانه وتعالى يقول لملائكته: مَن هذا؟ فقالوا: أنت أعلم يا ربّ، قال: هذا معروف الكرخي سكر بحبّي، لا يفيق إلا بلقائي!. رضي الله عنه وأرضاه.

[ترجمة]
[العارف بالله سيدي داود الطائي رضي الله عنه]

ثم قلت: [شعر]

وهــو مــن الطائــي داود لبس وهو من العجمي حبيب من حرس

المذكوران بهذا البيت من المشايخ اثنان، **أحدهما**: المخصوص بالزيادة، لا سيما في القناعة والزهادة، أحد الرجال الخاصة المؤثرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، المشهور بكثرة الجود والإعطا، أبو سليمان داود بن نصير الطائي.

قال في السلسلة القدوسية المتصلة بالخرقة العيدروسية: وسيدي معروف الكرخي أخذ الخرقة عن سيدنا الإمام علي بن موسى الرضا، وأخذها أيضاً عن الشيخ العارف بالله الولي البارع في العلم والعمل، الأستاذ أبي سليمان داود بن نُصير ـ بضم النون ـ الطائي.

كان رضي الله عنه ممن اجتمع في الله همّه، وتجرَّد عما سواه قلبه وانصقل بحقيقة الذِّكر وغاب من سكر بشرب المحبة بروحه واشتدَّ عطشه وزاد ظمأ شوقه، وكان لا يقرّ له قرار في سفر ولا مقام دون الرؤية واللقاء، **ولله درّ من قال**: [شعر]

يـزيـد ظـمـاء كلما ازداد شربه
من الحب فاعجب منه ظمآن بالشرب

وأعـجـب مـنـه قـربـه لحبيبه
ويـزداد بالقرب اشتياقاً إلـى القرب

فلا الشرب يرويه ولا القرب يشفي
به القلب بل يـزداد كرباً على كرب

ولـيـس شـفـاء الـقـلـب إلا فـنـاؤه
بـأحـبـابـه فـاسـلـك بـه سـنَّـة الـحـبِّ

وكان ﵁ كثيراً ما يقول: همك عطَّل عليّ الهموم، وحال بيني وبين الرقاد.

[مجاهدته ﵁]: وكانت له ﵁ مجاهدات عظيمة، رُوي أنه صام أربعين سنة؛ ما عَلِم أنه صائم. وقال أبو نعيم: كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز، فقيل له في ذلك، فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة سبعين آية.

ومن كلامه ﵁: ما أخرج الله عبداً من ذلّ المعاصي إلى عزّ التقوى، إلا أغناه بلا مال، وأعزَّه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس.

وقيل: حجم له حجام يوماً فأعطاه ديناراً، فقيل له: هذا إسراف، فقال: لا عبادة لمن لا مروءة له.

[وفاته ﵁]: توفي ﵁ في الكوفة سنة خمس، **وقيل**: ست وستين ومائة. ورُؤي ليلة موته وهو يقول: الآن أفلت من السجن، رضي الله عنه.

[ترجمة]
[العارف بالله سيدي حبيب العجمي رضي الله عنه]

والثاني منهما: عظيم الشأن حبيب المشهور بالعجمي الخراساني رضي الله عنه.

قال في الكتاب المذكور بعد الكلام المزبور[1]: وسيدي داود الطائي رضي الله عنه: أخذ الخرقة عن جماعة من التابعين والأئمة، منهم سيدنا الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه، وأخذها أيضاً عن الشيخ العارف بالله تعالى أبي محمَّد حبيب بن محمَّد العجمي الخراساني رضي الله عنه.

كان رضي الله عنه من الأبدال، أثنى عليه جمْع من المشايخ. روى المعتمر بن سليمان عن أبيه؛ أنه قال: ما رأيت أحداً قط أصدق يقيناً من حبيب العجمي رضي الله عنه.

وعن عبد الواحد بن زيد[2]، قال: كان في حبيب خصلتان من خصال الأنبياء: النصيحة والرحمة، وكان أهل زمانه ومَن بعدهم يقولون: إنه كان مجاب الدعوة. ويُروى أنه كان يراه الناس يوم التروية بالبصرة، ويوم عرفة بعرفة، ومناقبه كثيرة وكراماته شهيرة.

رُوي أنه كان جالساً عند مالك بن دينار رضي الله عنه، فجاء إلى مالك رجل وأغلظ عليه في

---

(1) أي المذكور.

(2) العارف بالله تعالى سيدي عبد الواحد بن زيد ـ وقيل ابن زياد ـ العبدي، مولاهم، أبو بشر البصري رضي الله عنه، أحد الأعلام، يروي عن ليث بن أبي عامر وغيره ، وهو شيخ الصوفية في وقته، وأعظم من لحق الحسن وغيره، وكان عابداً قانتاً، زاهداً واعظاً رائداً، كثير الصلاة والصوم، وعظ يوماً فمات في مجلسه أربعة أنفس قبل أن يقوم، صلى رضي الله عنه الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة، وكان مجاب الدعوة. **من كراماته**: أنه أصابه الفالج، فدعا الله تعالى أن يطلقه في وقت الوضوء، فكان إذا أراد الوضوء انطلق، فإذا فرغ عاد مفلوجاً. مات رضي الله عنه سنة سبع وسبعين ومائة . انظر ترجمته في: **طبقات ابن الملقن** 183 ، **والكواكب الدرية** للمناوي 245 ، **وخلاصة تذهيب الكمال** ـ صفحة 209 .

قسمة قسمها، وقال: وضعتها في غير حقها لتميل بها وجوه الناس إليك، وأكثر عليه، فبكى مالك ﵁ وقال: والله ما أردت هذا، فقال: بلى لقد أردته، فجعل مالك ﵁ يبكي والرجل يغلظ له، فلما أكثر من ذلك رفع حبيبٌ يديه إلى السماء، ثم قال: اللهمَّ إن هذا قد شغلنا عن ذكرك، فأرِحْنا منه كيف شئت. فسقط الرجل على وجهه ميتاً، فحُمل إلى أهله!!، فنعوذ بالله مما يسخط أولياء الله.

وقيل: دخل الحسن البصري ﵁ مسجداً ليصلي المغرب، فوجد إمامهم حبيباً ﵁، فلم يصلِّ خلفه؛ لأنه خاف أن يلحن لعجمته!، فرأى تلك الليلة قائلاً يقول: لِمَ لَمْ تصلِّ خلفه؛ لو صلَّيت خلفه لغُفِر لك.

وقيل: أصابت الناس مجاعة بالبصرة، فاشترى حبيب العجمي ﵁ طعاماً وفرَّقه على المساكين، وخاط كيساً وجعله تحت رأسه، فلما جاؤوا يتقاضونه أخذه، فإذا هو مملوء دراهم، فقضى منها دَيْنه.

ورُؤي ﵁ بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك أيها العجمي؟ فقال: هيهات، ذهبت العجمة، وبقيت في النِّعمة، انتهى.

[ترجمة]
[سيدنا الإمام الحسن البصري رضي الله عنه]

ثم قلت:

[وهو من البصري مَن يُدعى: الحسن]

المذكور هنا هو علم التابعين وزبدة الشيوخ الجامعين للشريعة والحقيقة والمعرفة بالطريقة، الحسَن بن أبي الحسن المتلقّي عن أبي الحسن، ذي الفعل الحسن رضي الله عنه.

قال في «الطراز المعلم والسر الملهم»: وسيدي حبيب العجمي أخذ الخرقة عن الإمام القدوة المجمع على جلالته أبي سعيد الحسَن بن أبي الحسن عربدل بن سربدل بن أربدل بن مرعيل بن معربل بن مسربل بن مسرهد بن مسدد البصري.

كان رضي الله عنه من سادات التابعين وكبرائهم، متفنّناً في العلم والزهد والورع والعبادة. أثنى عليه بعض الطبقات بأنه كان جامعاً عالماً فقيهاً ناسكاً فصيحاً جميلاً وسيماً، وكان رضي الله عنه لجلالة قدره كل طائفة تزعم أنه إمامها، وكان لا يراه أحد إلا ظنَّ أنه قريب عهد بمصيبة؛ لِمَا كان يعتريه من الخوف والحزن. وكان العوّام بن حوشب رضي الله عنه يقول: ما أشبه الحسن إلا بنبيٍّ أقام في قومه ستين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى.

وكان إذا ذُكر رضي الله عنه عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم يقول: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء. وقال ابن عمر بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن البصري. رُوي أن تلك الحكمة والفصاحة والقبول التام من بركة جرَّها بسبب أُمه؛ لأن أباه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وأُمه مولاة أُم سلمة زوج النبي ﷺ، وربما

غابت أُمه في حاجة فتعطيه أُم سلمة ثديها تُعلِّله به إلى أن تجيء أُمه فتدرّ عليه، وكانت رضي الله عنها تخرج به إلى أصحاب النبي ﷺ ليباركوا عليه، فكانوا يدعون، فأخرجته يوماً إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فدعا له وقال: اللهمَّ فقِّهه في الدين وحبِّبه إلى الناس.

فائدة: رُوي عن أبي نعيم أنه كان يقول: إن نسبة الحسن هذه المذكورة رقية للعقرب، وإنما الأعمال بالنيات.

ومن كلامه ﷺ: ما رأيت يقيناً لا شكَّ فيه أشبه شكًّا لا يقين فيه إلا الموت.

وقال ﷺ: الزهد في الدنيا هو أن تبغض أهلها وما فيها.

قلت: لأن كل ما هو في الدنيا هو من الدنيا، إلا معنى لا إله إلا الله، ولهذا قال رجل لذي النون: متى أزهد في الدنيا؟ قال: إذا زهدت في نفسك، وهذا هو الزهد في كل ما سوى الله، وعنده يرتفع الحجاب. ولهذا قال أبو يزيد ﷺ: ليس الزهد عندي بمقام؛ أي: ليس بمقام لي يستصحب إلى الآخرة، لأنه متى كُشِف الحجاب، فلا زهد. وهو ﷺ كُشِف له عن قلبه، فزهد في الزهد، ويدلّ عليه قوله ﷺ: إني كنت زاهداً ثلاثة أيام، أول يوم زهدت في الدنيا، واليوم الثاني زهدت في الآخرة، واليوم الثالث زهدت في كل ما سوى الله. فناداني الحق: ماذا تريد؟ فقلت: أريد أن لا أريد، أنا المراد وأنت المريد.

وفي هذا المعنى قال سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ وعنّا به: ويحك كيف تدّعي طريق القوم وأنت مشرك بك وبغيرك من الخلق؟ لا إيمان لك وعلى وجه الأرض مَن تخافه وترجوه، ولا زهد لك وفي الدنيا شيء تريده، ولا توحيد لك وأنت ترى غيره في طريقك.

وقيل له ﷺ: إن فلاناً اغتابك، فأهدى إليه طبقاً من رطب، فأتاه الرجل فقال: اغتبتك فأهديت إليّ، فقال له: أهديت إليّ حسناتك، فأردت أن أكافئك.

قلت: ولهذا قال ابن المبارك ﷺ: لو كنت مغتاباً لأحد لاغتبت والديَّ؛ لأنهما أحق بحسناتي.

وقال رجل لأرسطاطاليس: أليس بلغني أنك اغتبتني؟ فقال: ما بلغ من قدرك عندي أن أدع لك حسناتي وآخذ من سيئاتك.

قلت: ومناقب سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه أكثر من أن تُعدّ أو يحاط لها بحدّ.

قلت: وحيث قد صار الخدش من بعض الفقهاء المحدثين في سند الحسن قدوة التابعين، فأحببت أن أذكر ما ذُكر ليزول به نكران من أنكر ما ذُكر:

قال جامع المعنوي والمحسوس سيدنا شيخ بن عبد الله العيدروس في كتابه الموسوم بـ «السلسلة»، الشاهد له بعلمه وفضله في كل ما أسند له:

تنبيه: قال سيدي الشيخ أبو بكر العيدروس رضي الله عنه في كتابه «الجزء اللطيف»: قال بعض الفقهاء: لا يصح لبس الحسَن البصري من علي رضي الله عنه، فإنه ما رآه. وبعد ذلك ردَّ عليه بقوله: **قلت**: وقد أخطأ هذا ـ أي: الفقيه ـ المنكر؛ لأن الذهبي نقل في «تهذيب التهذيب» وهو من أكابر المحدثين والحفاظ المحققين أن الحسن البصري رضي الله عنه وُلد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، ورأى عثمان وعليًّا وطلحة رضي الله عنهم، وحضر رضي الله عنه يوم الدار وعمره أربع عشرة سنة، ولقد صدق؛ لأن خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان رضي الله عنه إحدى عشرة سنة وإحدى عشر شهراً وثمانية عشر يوماً.

وقال الذهبي أيضاً: إن الحسن البصري رضي الله عنه روى عن عثمان، وعلي، وعمران بن الحصين، ومعقل بن يسار، وأبي بكرة، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، وعمرو بن تغلب، وجندب، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

ومما يؤيّد قول القائلين برؤية الحسن البصري رضي الله عنه عليًّا رضي الله عنه ما نقله الإمام شيخ الإسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتابه «الإحياء» لما ذكر نهي السلف عن الجلوس إلى القصاص في المساجد، فذكر في أثناء ذلك أن عليًّا رضي الله عنه أخرج القصاص من جامع البصرة، فلما سمع كلام الحسن البصري رضي الله عنه لم يخرجه؛ إذ كان يتكلّم في علم القلوب، وما يتعلق بعلم الآخرة. وهذا دليل على رؤية الحسن البصري رضي الله عنه لعليٍّ رضي الله عنه.

وممن أثبت سماع الحسن البصري من علي ـ كرَّم الله وجهه ـ الحافظ الجلال السيوطي، فقال: أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري من علي بن أبي

طالب، وتمسك بهذا بعض المتأخرين، فخدش به في طريق لبس الخرقة، وأثبته جماعة، وهو الراجح عندي لوجوه. قد رجحه أيضاً الحافظ ضياء الدين المقدسي في «المختارة»، فإنه قال: الحسن بن أبي الحسن البصري سمع من علي، وقيل: لم يسمع منه وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر.

الوجه الأول: أن العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أن المثبت مقدَّم على النافي؛ لأن معه زيادة علم.

الوجه الثاني: أن الحسن وُلد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﵁ باتفاق، وكانت أُمه مولاة أُم سلمة زوج النبي ﷺ، فكانت أُم سلمة تُخرجه إلى الصحابة يباركون عليه، وأخرجته إلى عمر ﵁ فدعا له بقوله:اللّهمَّ فقِّهْه في الدين، وحبِّبه إلى الناس. ذكره الحافظ جمال الدين المزني في «التهذيب»، وأخرجه العسكري في كتابه «المواعظ»، وذكر المزني أيضاً أنه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة. ومن المعلوم أن من ميَّز وبلغ سبع سنين أُمر بالصلاة، فلا شكَّ أنه كان يحضر الجماعة، ويصلِّي خلف عثمان ﵁ إلى أن قُتل، فكيف يُستنكَر سماعه منه؟ وزيادة على ذلك: أن عليًّا كان يزور أُمهات المؤمنين، ومنهم أُم سلمة وهو بيتها.

الوجه الثالث: ما أورده المزني في «التهذيب» أيضاً من طريق أبي نعيم، عن أبي القاسم عبد الرَّحمن بن العباس بن عبد الرَّحمن بن زكريا بسنده إلى يوسف بن عبيدة، قال: سألت الحسن البصري ﵁، فقلت: يا أبا سعيد! إنك تقول: قال رسول الله ﷺ، وإنك لم تدركه؟! قال ﵁: يا ابن أخي! لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، ولولا منزلتك عندي ما أخبرتك أني في زمان كما ترى، فكل ما سمعتني أقول: قال رسول الله ﷺ، فهو عن علي بن أبي طالب ﵁؛ غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليًّا.

وكذا نقل سيدي الشيخ أبي بكر العيدروس في الجزء المذكور بسنده إلى الحافظ ابن أبي طاهر السلفي أن نسبة الخرقة انتقلت من النبي ﷺ إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁، وكذا إلى الحسين ﵁، وانتقلت من عليّ ﵁ إلى الحسن البصري ﵁، ومن الحسين إلى علي زين العابدين ﵄.

تنبيه: قال الإمام العلّامة شمس الدين محمد بن عبد الرَّحمن السخاوي، في كتابه «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة»: حديث خرقة الصوفية، وكون الحسن البصري رضي الله عنه لبسها من يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال ابن دحية وابن الصلاح أنه باطل، وكذا قال شيخنا أنه ليس في طرقها ما ثبت ولم يرد في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارف بها بين الصوفية لأحد من أصحابه، وكلّ ما يُروى صريحاً في ذلك، فباطل. ثم قال بعد ذلك: وإن من الكذب المفترى قول من قال: إن عليًّا ألبس الحسن البصري، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن مِن علي سماعاً؛ فضلاً عن أن يلبسه. ثم قال في آخر كلامه: ولم ينفرد شيخنا بهذا، بل سبقه إليه جماعة ممن لبسها وألبسها؛ كالدمياطي، والذهبي، والهكاري، وابن حبان، والعلائي، والمعلاطي، والعراقي، والملقن، والأنباسي، والبرهان الحلبي، وابن ناصر الدين. ثم قال بعد ذلك: وإنكاري لحديثها مع إلباسي إياها لجماعة من أعيان الصوفية امتثالاً لإلزامهم لي ذلك حتى تجاه الكعبة المشرفة تبرّكاً بذكر الصالحين، واقتفاءً بمن أثبته من الحفاظ المعتمدين.

قلت: وأين مثل هؤلاء العلماء الأجلّاء وإلباسهم لها مع إنكارهم أصل حديثها مما يؤيد الخرقة أيضاً ولبسها، ولا يُعبَأ بمن شنَّع في ذلك ممن ليس له اطلاع على غوامض العلوم، ولا يغرب عنك ما ذكرناه سابقاً من كلام صاحب «**المواهب اللدنية**»[1] لما قال: نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد، وهو صَحِب علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ من غير خلف في صحبته بين أهل الجرح والتعديل.

وعلى الجملة، وإن لم يثبت فيها حديث على ما ذكره السخاوي وجماعة من الحفّاظ، فإنها ـ أي لبس الخرقة ـ بدعة حسنة، والقصد فيها الصحبة لأولياء الله، وإظهار شعار الفقر. وإن لم تكن هذه الهيئة التي يعتمدها المشايخ في هذا الزمان

(1) كتاب «**المواهب اللدنية بالمنح المحمدية في السيرة النبوية**»: كتاب من كتب السيرة النبوية، ألفه الشيخ شهاب الدين القسطلاني. وهو جامع للسيرة النبوية المطهرة حسب تسلسلها الزمني ابتداء من مولد النبي ﷺ، وانتهاء بوفاته ﷺ، وقد ضمن المؤلف في كتابه المغازي والسرايا والبعوث والوفود، ثم تحدث عن صفات النبي ﷺ، وخصائصه وجمال خلقه وخلقه ومواليه وأزواجه وسراريه وخدمه، وركوبه وسلاحه وأصناف ثيابه ومعجزاته، صلوات الله وسلامه عليه.

في زمن رسول الله ﷺ، فإنها من استحسان الشيوخ ﷺ، وأصل ذلك من الأحاديث السابقة المروية عن أربابها، وقد ورد ما يؤيد ذلك أيضاً وهو ما اشتُهر عنه عليه الصّلاة والسّلام في المبايعة لأصحابه و «**التحكيم**» من الشيخ للفقير شبه المبايعة، وأيُّ اقتداء برسول الله ﷺ أتمّ وآكد من الاقتداء به في دعاء الخلق إلى الحق، وقد ذكر الله ﷻ في كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله ﷺ، وتحكيم المريد شيخه إحياء لسُنَّة ذلك التحكيم، قال الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، [النساء:65].

وقال السهروردي في كتابه «العوارف»: لُبْس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه، والتحكيم سائغ في الشرع لمصالح دنيوية، فماذا ينكر المنكر في لبس الخرقة على طالب صادق يقصد شيخاً بحسن ظنّ وعقيدة، ويحكّمه في نفسه ومصالح دينية يرشده ويهديه، فيسلّم نفسه إليه ويستسلم لرأيه في جميع تصاريفه، فيلبسه الخرقة إظهاراً للتصرف فيه، فيكون لبْس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ دخول في حكم الله وحكم رسوله وإحياءً لسنَّة مبايعته؛ إذ في الخرقة معنى المبايعة، والخرقة عتبة الدخول في الصحبة، والمقصود للكل هو الصحبة، والصحبة تجمع للمريد كل خرقة، فالمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبته وتأدب بأدبه؛ سرى من باطن الشيخ إلى باطن المريد سرّ كسراج يقتبس من سراج.

قال الرداد: وقد أجمل المشايخ في ذكر الخرقة، فمنهم من قال: هي خرقة إرادة، وخرقة تشبّه، وخرقة تبرّك. ومنهم من قال: هي خرقتان: خرقة تعريف، وخرقة تشريف. ومنهم من قال: خرقة إرادة، وخرقة تشبّه.

وقال سيدي الشيخ أبو بكر العيدروس ﷺ: الخرقة في حقيقتها خرقة واحدة، وإن تعدَّدت بأيْدي المتمسكين بها، فإنها سبب بين الله وبين العباد؛ لا تعدّد حقيقة كالعروة للمتمسكين والحبل للمعتصمين، وهي من حيث تفاوت الناس في معناها لا تتناهى، كالمناهج للسالكين، والمعارج للمريدين، والمدارج للعارفين، والمباهج للمحققين؛ لأنها من السُّبُل الموصلة، والناس في هذه المعاني يتفاوتون على حسب ما هم به مع

الحق، وما هو به معهم، والشيخ يد الله في أهل إرادته، وسرّه بين أهل طاعته، قال الله تعالى ﷻ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ﴾، [الفتح: 10].

[أنواع الخرقة]: ومن حيث رسوم الأحكام هي خرق ثلاث:

* مجازية: وهي خرقة التأليف.

* وجوازية: وهي خرقة التعريف.

* وإجازة وهي خرقة التصريف.

فالمجازية للمحبين المتشبهين، وبها يتألفون مشاهد الطريق.

والجوازية للمريدين المتمسكين، وبها يتعرفون شواهد مشاهد الهداية، والتوفيق.

والإجازية للهداة الداعين، وبها يتصرفون في معاقد أحكام العلم والتحقيق.

فالخرقة الأولى لطلّابها رعاية، والثانية لأصحابها هداية، والثالثة لأربابها ولاية.

وهُنا انتهى تعريف لبْس الفقير من طريق الإرادة، والمشيخة الإسنادية بالسند إلى سيدنا الحسَن البصري رضي الله عنه، وما نقلته عن سادتنا المشايخ الكُمّل العارفين مما قرَّروه في كتبهم، وعزوه إلى غيرهم، وحرَّروه في هذا الفن رضي الله عنهم ونفع بهم، آمين. انتهى.

وذكر مَن مِن صباه بالمدينة المنوّرة على طاعة الله ناشىء، العالم العلّامة، والحبْر الفهّامة الشيخ أحمد بن محمد، المشهور بالقشاشي في كتابه المفيد الموسوم بـ «السمط المجيد في شأن البيعة والذكر وتلقينه وسلاسل أهل التوحيد»، بعد كلام له فيه طويل الذَّيْل، عظيم النَّيْل في نصرة الدليل وتزيينه ما قيل: قال رضي الله عنه ونفعنا به دنيا وأخرى، وجازاه عنا وعن الحسن البصري وعن المرتضى خيراً.

[فصل]

وإذا كان غالب السلاسل متصلة بالإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى إلى سيدنا علي ﵁، وقد تكلَّم في ذلك بعضٌ وقال إنه لم يجتمع به، فنذكر ما يزيل لبْس ذلك ويحقق اجتماعه به، فنقول وبالله التوفيق:

أخبرني شيخنا الإمام أحمد بن علي الشناوي رحمه الله، عن والده سيدي علي بن عبد القدوس الشناوي، عن الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، عن الشيخ الإمام شيخ الإسلام الحافظ الزاهد الجامع بين العلم والدين، السالك سبيل السادة الأقدمين، أبي الفضل جلال الدين بن أكمل الدين أبي بكر السيوطي ثم القاهري رحمه الله تعالى؛ أنه قال في جامع فتاويه المسمى «الحاوي» للفتاوى في الفتاوى الحديثية منه في المسألة المترجمة بـ«إتحاف الفرقة برفع الخرقة»، ما نصه:

[مسألة]: أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري ﵁ من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ وكرَّم وجهه، وتمسَّك بهذا بعض المتأخرين، فخدش به في طريق لبْس الخرقة والتلقين وأثبته جماعة، وهو الراجح عندي لوجوه، وقد رجَّحه أيضاً الضياء المقدسي في «المختارة»، فإنه قال: قال الحسن بن أبي الحسَن البصري عن علي بن أبي طالب ﵁، وقيل: لم يسمع منه وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر في أطراف المختارة، ولكنه بعد رجَّح سماعه وصححه.

الوجه الأول: إن العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أن المثبِت مقدّم على النافي؛ لأن معه زيادة علم.

الثاني: أن الحسن ﵁ وُلد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ﵁ باتفاق، وكانت أُمّه خيرة مولاة أُم سلمة رضي الله عنها، وكانت أُم سلمة تُخرجه إلى الصحابة ﵃ يباركون عليه، وأخرجته إلى عمر ﵁ فدعا له: اللهمَّ فقِّهه في الدين وحبِّبه إلى

الناس. ذكره الحافظ المزي في التهذيب، وأخرجه العسكري في كتاب «المواعظ» بسنده. وذكر المزني أنه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة، ومن المعلوم أنَّ مَن بلغ سبع سنين أُمر بالصلاة، فكان يحضر الجماعة ويصلي خلف عثمان إلى أن قُتل عثمان، فكيف يستنكر سماعه منه؟! وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين نهز إلى أن بلغ أربع عشر سنة وزيادة على ذلك، ولا شكَّ أن عليًّا ﵁ كان يزور أُمّهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ، ومنهنَّ أُم سلمة، والحسن في بيتها هو وأُمه.

والوجه الثالث: أنه ورد عن الحسن البصري ﵁ ما يدلّ على سماعه منه، أورد المزني في «التهذيب» من طريق أبي نعيم قال: حدثنا أبو القسم عبد الرَّحمن العباس بن عبد الرَّحمن بن زكريا، حدثنا أبو حنيفة الواسطي، حدثنا محمد بن موسى الجرشي، حدثنا ثمامة بن عبيدة، حدّثنا عطية بن محارب، عن موسى بن عبيد قال: سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد! إنك تقول: قال رسول الله ﷺ، وإنك لم تدركه؟ قال: يا ابن أخي! لقد سألتني عن شيءٍ ما سألني عنه أحد قبلك، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك أني في زمان كما ترى، وكان في عمل الحجاج كل شيء سمعتني أقول ما قال رسول الله ﷺ، فهو عن علي بن أبي طالب ﵁، غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليًّا.

[ما وقع من الروايات عن سيدنا الحسن البصري ﵁ عن سيدنا علي ﵁]:

قال رحمه الله تعالى: ذكر ما وقع لِمَا في رواية الحسن البصري عن الإمام عليّ ﵁. قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا هشيم، أخبرنا يونس، عن الحسن، عن علي ﵁، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن الصغير حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المصاب حتى يكشف عنه**» أخرجه الترمذي وحسّنه، والنسائي، والحاكم وصححه، والضياء المقدسي في «المختارة».

قال الحافظ زين الدين العراقي في «شرح الترمذي»، عند الكلام على هذا الحديث: قال علي بن المديني: الحسن رأى عليًّا بالمدينة وهو غلام، وقال أبو زرعة: كان الحسن البصري يوم بويع لعلي؛ ابن أربع عشرة سنة، ورأى عليًّا بالمدينة ثم خرج

إلى البصرة والكوفة، ولم يلقه الحسن بعد ذلك. وقال الحسن: رأيت الربيع يبايع عليًّا ﵁، **انتهى**.

قال الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالى: **قلت**: وفي هذا القدر كفاية.

ويحمل قول النافي ـ أي: للاجتماع ـ على ما بعد خروج علي ﵁ من المدينة، وقال النسائي: حدثنا الحسن بن أحمد بن حبيب، حدثنا شاد بن فيّاض،عن عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن البصري ﵁، عن علي بن أبي طالب ﵁، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**أفطر الحاجم والمحجوم**».

وقال الطحاوي: حدثنا نصر بن مرزوق، حدثنا الخطيب، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن، عن عليّ ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان في الرهن فضل، فأصابته جائحة فهو بما فيه**» الحديث.

وقال الدارقطني: حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان، حدثنا الحسن بن شبيب المعصري، قال: سمعت محمد بن صدران السلمي، حدثنا عبد الله بن ميمون المزني، حدثنا عوف، عن الحسن، عن علي ﵁؛ أن النبيّ ﷺ قال لعليّ ﵁: «يا علي! قد جعلنا إليك هذه السبعة بين الناس» الحديث.

وقال الدارقطني: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، حدثنا داود بن رشيد، حدثنا أبو حفص الأبار، عن عطاء بن السائب، عن الحسن، عن عليّ ﵁، قال: «**الخليّة والبرية والبتة والبائن والحرام ثلاث لا تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره**».

وقال الطحاوي: حدثنا عمر بن أبي رزين، حدثنا هشام بن حسان، عن الحسن ﵁، عن عليّ ﵁، قال: «**ليس في مسّ الذكر وضوء**».

وقال أبو نعيم في «الحلية»: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا ه؟؟، حدثنا ابنَ فضيل، عن ليث، عن الحسن، عن علي ﵁، قال: «طوبى لكل عبد نومة عرف الناس ولم تعرفه الناس؛ عرفه الله تعالى برضوان، أولئك مصابيح الدجى يكشف الله تعالى عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم في رحمةٍ منه، ليس أولئك بالمذابيع البذر ولا الجفاة المرائين».

وقال الخطيب في تاريخه: أخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان، حدثنا محمد بن غالب، حدثنا يحيى بن عمران، حدثنا سليمان بن أرقم، عن الحسن البصري ﵁، عن علي ﵁، قال: «**كفَّنت النبي ﷺ في قميص أبيض وثوبي حبرة**».

وقال جعفر بن محمد بن محمد في كتاب «الفردوس»: حدثنا وكيع، عن الربيع، عن الحسن ﵁، عن عليّ ﵁ رفعه: «**من قال كل يوم ثلاث مرات: صلوات الله على آدم؛ غفر الله تعالى له الذنوب وإن كانت أكثر من زبد البحر**»، أخرجه الديلمي من طريقه في «مسند الفردوس».

قال الحافظ ابن حجر: وقع في مسند أبي يعلى قال: حدثنا جويرية بن أشرس قال: أخبرنا عقة بن أبي الصهبا الباهلي، قال: سمعت الحسن ﵁ يقول: سمعت عليًّا ﵁ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مثل أُمتي مثل المطر**» الحديث.

قال محمد بن الحسن الصيرفي شيخ شيوخنا: هذا نصّ صريح في سماع الحسَن ﵁ من علي ﵁، رجاله ثقات، جويرية وثقه ابن حبان، وعقبة وثقه أحمد بن حنبل وابن معين.انتهى: «**إتحاف الفرقة برفع الخرقة**» للسيوطي رحمه الله تعالى.

وقال رحمه الله تعالى في «زاد المسير»: وقال الإمام شمس الدين بن الجزري بعد سوق سند لبس الخرقة من طريق الحسن البصري ﵁ عن علي ﵁: كذا وصلت إلينا خرقة التصوف من طريق القوم ﵃، وأهل الحديث لا يعرفون للحسن البصري سماعاً من علي ﵁، مع أنه عاصره بلا شك، وثبت أنه رآه، وأنه وُلد في خلافة عمر ﵁، وصحَّ عنه أنه سمع خطب عثمان ﵁.

وروى الترمذي من طريق قتادة وأحمد والنسائي من طريق يونس بن عبيد، كلاهما عن الحسن البصري ﵁، عن علي ﵁ حديث: «رُفع القلم عن ثلاث» الحديث، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ولا نعرف للحسن سماعاً من عليّ، وكذا روى النسائي حديث: «أفطر الحاجم والمحجوم» من طريق قتادة، عن الحسن، عن عليّ، انتهى.

قال السيوطي: قلت: الحفاظ مختلفون في سماع الحسن البصري رضي الله عنه من علي رضي الله عنه، فمنهم مَن لم يثبته؛ كالبخاري ويحيى بن معين، ومنهم مَن أثبته ورجَّحه الحافظ ضياء الدين المقدسي في «المختارة»، ثم نقل عن الحافظ ابن حجر ما نقله في آخر الإتحاف من حديث: «مَثَل أُمتي مثل المطر» المذكور في مسند أبي يعلى، ثم قال: وقد ألفت في ذلك جزءاً سميته «إتحاف الفرقة بوصل الخرقة»، وفي بعض النسخ برفع الخرقة، انتهى.

فإن قلت: جميع ما ذُكر في الإتحاف إنما يثبت اللقي والسماع. وأما لبس الخرقة وتلقين الذِّكر، فلا. فأين الإتحاف؟

قلت: قد ذُكر في أول الكلام أن من خدش في طريق لبس الخرقة من المتأخرين متمكسه في ذلك عدم سماع الحسن رضي الله عنه عن علي رضي الله عنه، بناءً على إنكار جماعة من الحفاظ سماعه، ولم يقم دليلاً على نفي اللّبْس غير إنكار السماع، فإذا صح السماع وثبت بأسانيد الأئمة المعتبرة في الكتب المعتمدة؛ كالإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم والضياء المقدسي وأبي نعيم والدارقطني وأبي يعلى وغيرهم؛ لم يبق للخادش النافي متمسك في الخدش، ومعنا مقدمة معلومة مشهورة قد أُشير إليها في نفس ترجمة المسألة، وهي أن لبس الخرقة من طريق الحسن البصري رضي الله عنه قد رواه جماعة من أكابر أهل الله المرادون بالفرقة في لفظ الترجمة، ومن المعلوم أن فيهم مَن هو جامع بين الفقه والتصوّف وطرف صالح من الحديث؛ كالشيخ عبد الكريم بن هوازن القشيري، فقد قال الحافظ أبو القسم بن عساكر رحمه الله تعالى، في كتابه «تبيين كذب المفتري»: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور، وأبو منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن، قالا: قال لنا الشيخ أبو بكر أحمد بن علي الحافظ عبد الكريم بن هوازن عبد الملك بن طلحة بن أبي محمد أبي القاسم القشيري النيسابوري سمع أحمد بن محمد بن عمر الخفاف، ومحمد بن أحمد بن عبدوس المزكي، وأبا نعيم عبد الملك أبو الحسن الإسفراني وعبد الرَّحمن بن إبراهيم المزكي، ومحمد بن الحسن بن فورك، والحاكم أبا عبد الله بن البيع، ومحمد بن الحسن العلوي، وأبا عبد الرَّحمن السلمي، وقدم علينا في سنة ثمان وأربعين

وأربعمائة، وحدّث ببغداد وكتبنا عنه، وكان ثقة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي. ثم قال بعد ورقة: ولقد عقد لنفسه مجلس الإملاء في الحديث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وكان يملي إلى خمس وستين يذنب أماليه بأبياته، وربما كان يتكلم على الأحاديث بإشاراته ولطائفه.انتهى.

وقال التاج السبكي في الطبقات الصغرى في ترجمته: شيخ المشايخ أستاذ الجماعة ومقدم الطائفة، أحد أحبار الأُمة وعلماء الملّة، تفقه على أبي بكر الطوسي، وقرأ الأصول على ابن فورك، والأستاذ أبي إسحاق... إلى آخر ما قال رحمه الله: وكان الشيخ عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، فقد قال التاج عبد الوهاب السبكي في الطبقات الصغرى في ترجمته: أحد أئمة الطريقة ومشايخ الحقيقة، تفقه بنظامية بغداد على أسعد الميهني، وكان من هداة الدين وأئمّة المؤمنين.انتهى.

وكابن أخيه الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي صاحب «عوارف المعارف» الذي فيه ما فيه من الأحاديث المسندة عن عمّه وغيره المعرف لطرق من فضلهما في الحديث، كما يشير إليه نحو قوله: حدثنا شيخنا أبو النجيب أعلاه.

وفي «الطبقات الصغرى» للسبكي في ترجمته: كان هذا الرجل شيخ وقته في علم الحقيقة، وإليه المنتهى في تربية المريدين ودعاء الخلق إلى الخالق، وتسليك طريق العبادة والخلوة. صحب ﵁ عمّه وتفقه عليه ثم تفقه على أبي القسم بن فضلان، ثم لاح له الفلاح، فراح مع أهل الله واستراح، وصار بركة زمانه وبهلوان أقرانه. انتهى.

وغيرهم ممن هو مقبول ثقة عند الفريقين، فإذا انتفى سبب الخدش بما قد رواه مَن هو ثقة ومقبول ظهر أن ما توهم انقطاعه مرفوع موصول، وبذلك يحصل الإتحاف، وبالله التوفيق والإسعاف.

وكان السبب في عدم شهرة اللبس والتلقين عند أوائل أهل الحديث أن هذا أمر خاص لخواص من أهل سلوك طريق العزيمة، الذين يميلون إلى ستر أحوالهم وأعمالهم، وليس كرواية الأحاديث ونقل الأحكام الشرعية المطهّرة المراد بها العموم حتى يشتهر.

وفي حديث شداد بن أوس الذي عند الطبراني وغيره ما فيه تلويح إلى ذلك، وهو ما أخبرني به شيخنا الإمام أحمد بن علي الشناوي بسنده السابق في وصل بيعة الصغير من طريق البدر المنير إلى أبي القسم الطبراني، قال: ومن خطّ الحافظ ابن حجر نقلت: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، نا أبي إسماعيل بن عياش، نا راشد بن داود، نا يعلى بن شداد بن أوس، حدّثني أبي شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت بصدقه، قال: كنا عند رسول الله ﷺ، قال: «هل منكم أحد من أهل الكتاب؟» فقيل: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب فقال: «ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إله إلا الله»، فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع النبي ﷺ يده، ثم قال: «الحمد لله، اللهمّ إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنّة، إنك لا تخلف الميعاد»، ثم قال: «أبشروا، فإن الله قد غفر لكم».

حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي، والحسين بن إسحاق التستري، قالا: نا هشام بن عمار، أنبأنا عبد الملك بن محمد الصنعاني، أنبأنا راشد بن داود الصنعاني، فذكر نحوه عن شداد وحده من غير ذكر عبادة، انتهى.

وعزاه الحافظ بن حجر في «هامش البدر المنير» إلى البزار، وكذلك الحافظ السيوطي في «جمع الجوامع»، وزاد عزوه إلى الإمام أحمد في مسنده، وإلى الحاكم مع عزوه إلى الطبراني أيضاً.

ثم وقفت على مسند البزار قال: حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني، حدثنا الحسن بن علي السكوني، حدثنا إسماعيل بن عياش به، وقال: وعبادة حاضر فصَدقه، وقال فيه: بايعنا رسول الله ﷺ فقال: «فيكم غريب» ـ يعني: أهل الكتاب ـ الحديث. وذلك أن أمره ﷺ بغلق الباب بعد السؤال المذكور تنبيه على أن هذا أمر خاص لا ينبغي أن يُشرع فيه مع حضور أجنبي منكر؛ لأنه يصان عن أن يدخل عليهم مَن ليس منهم، مع قلّتهم في ذلك الأمر، ولو من غير أهل الكتاب لئلّا يشوش عليهم، فإن الأجنبي المنكر يتغير برؤيته منهم ما ينكره، فيقيضهم بتغيره فتفوت البركة المطلوبة من هذا الأمر، كما يشير إليه قوله ﷺ: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرُفعت»،

الحديث الصحيح[1].

ثم... فيه إشارة إلى أن المتلقن بهذا التلقين الخاص آخذ في سلوك طريق وهب الأسرار، فمِن شرطه الحفظ والأمانة، فإن الأسرار لا توهب إلا للأُمناء، وليس هذا كالتلقين العام لكل داخل في الإسلام المستفاد من قوله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...»، الحديث الصحيح[2]، بل المتواتر عند أهل الحديث على ما ذكره الحافظ السيوطي؛ لأن المقصود به فتح باب الإسلام على القائل فيلقن، ولو كان بين أظهر المشركين في صف القتال ليدخل به في حصن الله الذي من دخله أَمِن مِن عذابه المخلَّد، ثم لكلٍّ درجات مما عملوا، فمنهم، ومنهم، والسالكون طريق الحق أفراد، وكلٌّ ميسَّر لما خُلق له، و الله أعلم.

وكذلك إلباس الخرقة إذا كان لبسها للإرادة لا للتبرّك فقط، فإن الشيخ المربي من أغراض إلباسه الخرقة للمريد بإذن الله ـ كما سيجيء ـ: أن ينظر في حال المريد يريد أن يلبسه، فأي حال يكون للمريد فيه نقص، فإن الشيخ يتلبس بذلك الحال حتى يتحقق به ويغمره، فتسري قوة ذلك الحال في الثوب الذي يكون على الشيخ، فيجرّده ويكسوه ذلك المريد، فيسري فيه سريان الخمر في أعضائه فيغمره ويتم له الحال، ولا عجب من أمر الله كما وقع لسيدنا يوسف مع أبيه يعقوب صلَّى الله عليهما وسلم، وكما وقع للشيخ نجم الدين الكبري مع الشيخ بابا فرج التبريزي حيث تلبس بابا فرج

(1) **صحيح البخاري**: الجزء الأول37 كتاب صلاة التراويح5 باب: رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس– الحديث رقم: 1919.

(2) روى الشيخان وغيرهما ـ واللفظ للبخاري ـ: عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ الْعَرَبِ فَقَالَ عُمَرُ ﷺ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**»؟. فَقَالَ ﷺ: «وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا». قَالَ عُمَرُ ﷺ : «فَوَ اللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ».
انظر: صحيح البخاري: الجزء الرابع 99 كتاب الإعتصام بالكتاب والسنَّة 2 باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ـ الحديث رقم: 6855. **وصحيح مسلم**: الجزء الأول 1 كتاب الإيمان 8 باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله. ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، يؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله تعالى. وقتال من منع الزكاة أو غيرها ـ الحديث رقم: 32 ـ (20). **وسنن أبي داود**: الجزء الأول3 كتاب الزكاة ت/ 1 م وجوبها– الحديث رقم: 1556.

بحالة عَظُمت فيها صورته، وكان يتلألأ كالشمس، واستشق ثوبه الذي كان عليه، فلما سُرِّي عنه قام فأُلبس ذلك الثوب الشيخ نجم الدين الكبري، وكان ذلك في أيام طلبه للحديث على بعض تلامذة محيي السنة، قال: فتغيّرت على الحال وانقطع تعلق باطني عمّا سوى الحق ... إلى آخر قصته المفصلة في النفحات وغيره.

وهذا اليوم، وإن كان عزيزاً لكن سيدنا عليّ لكونه من أكابر الورثة المحمديِّين من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. ولا ينبغي أن يشك في أنه كان مِن أهل هذا الشأن العليّ والفيض الساري، والحسن البصري أيضاً لا يليق التوقف في كونه ذلك الوقت من أهل الإرادة إلا حقاً بهذا الإلباس الخاص، فخبر ذلك مسترسل ولكل منه نصيب بقدره، و الله أعلم.

وهذا السريان من الثوب في لابسه من باب وراثة مضمون ما في جمع الجوامع معزواً إلى ابن عساكر عن أبي هريرة ﵁؛ أن النبي ﷺ قال: «هل من رجل يأخذ مما فرض الله ورسوله كلمة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً فيجعلهنّ في طرف ردائه، فيعمل بهن ويُعلِّمهن»؟ قلت: أنا وبسطت ثوبي، وجعل رسول الله ﷺ يحدث عليَّ حتى سكت، فضممت ثوبي إلى صدري، فإني أرجو أن أكون لم أنس حديثاً سمعته من بعد، فإنه ﷺ لما يحببه عن سؤاله الذي استخرج بها ما يدلّ على تفاوت درجات استعداداتهم، إلا أبو هريرة ﵁ كان في ذلك الوقت والحال أقربهم استعداداً لقبول ذاك الأمر، ومن قوّة إيمانه بسط ردائه ﵁، فجعل الكلمات البارزة في عالم المثال من لفظ رسول الله ﷺ مجسّدة في خياله المتصل، وجعلها مجموعة في ردائه بقوة تخيُّله الناشىء من قوة إيمانه، وضمّ الرداء إلى صدره فسّرت قوة الحال الذي تلبّس به رسول الله ﷺ من تجلِّي اسم الحفيظ العليم عند تحديثه في ذلك المجلس الخاص متوجّهاً بهمَّته إلى سراية قوة الحال منه إلى كلماته الممثلة المجعولة بتخيُّل أبي هريرة ﵁ الناشىء من قوة إيمانه وكمال استعداده في ردائه ليسري منها إلى ثوبه المحسوس، ومنه إلى باطن أبي هريرة ﵁. وقد ظهرت النتيجة بفضل الله، كما قال ﵁: «فإني أرجو أن أكون لم أنسَ حديثاً سمعته من بعد». ويشهد قوله ﷺ: «أبو هريرة وعاء العلم»[1]،

(1) قوله ﷺ: «أبو هريرة وعاء العلم». رواه النسائي، انظر: كتاب «زيادة الجامع الصغير»، للسيوطي. حرف الهمزة ـ الحديث رقم: 35.

وقوله ﷺ: «لكل أُمة حكيم، وحكيم هذه الأُمة أبو هريرة»[1]، فقد ظهر عنه ذلك الخبر وسَرَى في الأُمة إلى قيام الساعة عند العاملين به، والحمد لله ربّ العالمين.

هذا وكلما كان من أقسام إلباس الخرقة هذا الإلباس الخاص الذي لا يخفى على كل مصنف أن الإخفاء فيه من غير الأهل مطلوب، وكان الظنّ ـ إن لم يكن يقين ـ بسيدنا علي وبالحسن رضي الله عنهما ـ حسناً في كونهما مِن أكابر أهل هذا الشأن كان شأنهما في اللبس والتلقين على وجه خفاه شأنهما في اللبس والتلقين على أكثر رواة الأخبار، الذين ليس لهم اعتناء بهذا الشأن، مكشوفاً غير مستور عند من عرف فأنصف، **وليس عدم العلم بالشيء علماً بعدم ذلك الشيء**، وهو ظاهر، والله أعلم، وبالله التوفيق.

وفي محل آخر بالكتاب المذكور، قال ـ جعل الله سعيه مشكور ـ:.

تكملة

ذكر الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» ما نصه: حديث لبس الخرقة الصوفية، وكون الحسن البصري لبسها من عليّ رضي الله عنه، قال ابن دحية وابن الصلاح: أنه باطل، وكذا قال شيخنا أنه ليس في شيء من طرقه ما يثبت، ولم يَرِد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحدٍ من أصحابه، ولا أمر أحداً من أصحابه رضي الله عنهم بفعل ذلك، وكلُّ ما يُروى في ذلك صريحاً فباطل. قال: ثم إن من الكذب المفترى قول من قال: إن عليًا رضي الله عنه ألبس الخرقة الحسن البصري رضي الله عنه، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً؛ فضلاً عن أن يلبسه الخرقة. انتهى.

قلت: أما ما نقله من القدح في سماع الحسن البصري من علي، فقد مرَّ ما فيه الكفاية لردِّه من الوجوه التي ذكرها الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في «الإتحاف»،

---

(1) قوله ﷺ: «**لكل أمة حكيم وحكيم هذه الأمة أبو هريرة**». رواه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الحادي عشر. [الإكمال] من عبد الرحمن بن صخر أبو هريرة رضي الله عنه ـ الحديث رقم: 33507 .

بل مرَّ أن الحافظ ابن حجر نفسه رجَّح سماعه، وصححه، فإثباته لسماعه في أطراف المختارة كما نقله عنه السيوطي فيما مرَّ مقدَّم على نفيه له فيما نقله عنه السخاوي؛ إذ قد مرَّ أن **المثبت مقدَّم على النافي؛ لأن معه زيادة علم**، وقد تقدَّم ما يدلّ على تحقق زيادة علم، إذ مرَّ في حديث: «مَثَل أُمتي مَثَل المطر» الحديث، أن الحسن قال: سمعت عليًّا... إلخ. وقال: هو نقلاً عن الصيرفي أنه نص صريح في سماع الحسن من عليّ رضي الله عنه، ورجاله ثقاة، والحسن وإن قالوا أنه كان يدلس، لكنه ثقة.

قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب»: الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار ـ بالتحتانية والمهملة ـ الأنصاري مولاهم، ثقة، فقيه، فاضل، مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، وهو رأس الطبقة الثالثة، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين. انتهى.

ومن المقرَّر أن المدلس الثقة إذا عبّر في روايته عن شيخه بصيغة صريحة في السماع؛ كسمعت وحدثني، فروايته مقبولة وإسناده متصل، فرواية الحسن في الحديث المذكور مقبولة وإسناده متصل لكونه ثقة صرَّح بلفظ سمعت، وكلما صحَّ السماع انتفى سبب خدش الخادشين في وصل الخرقة. وقد مرَّ أنه إذا انتفى سبب الخدش، وقد وصله مَن هو ثقة ومقبول؛ ظهر أن ما حُكم بانقطاعه مرفوع موصول، وبالله التوفيق و الله أعلم.

وأما قوله: ولم يَرِد أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه... إلى آخره، فليس فيه إلا نفي ورود الكيفية المخصوصة، وذلك غير قادح؛ إذ لا يلزم من ذلك نفي أصل الإلباس بغير تلك الكيفية المخصوصة لهم.

وأما الكيفية المخصوصة من فعله صلى الله عليه وسلم، فقد فعلها بعلي بن أبي طالب، وعبد الرَّحمن بن عوف في إلباس العمامة، وبالعباس وولده رضي الله عنهم، فحصل عند كل واحد من هؤلاء كيفية تدلّ على الإطلاق وجواز الكيفيات بعد ثبوت الإلباس أيضاً بالعمامة والانبجانية[1] وغيرها، فنفي الكيفية كما ذكروا ذلك غير قادح؛ إذ لا يلزم من ذلك

(1) **الأنبجاني**: نسبة إلى منبج، مدينة، بكسر الباء، ففتحت في النسب، وأبدلت الميم همزة، وقيل اسم موضع، وهذا أشبه، وهو كساء من الصوف له خمل بلا علم، وفي حديث رواه الإمام أحمد رضي الله عنه: بسنده عن أمنا السيدة

نفي أصل الإلباس بغير تلك الكيفية، وهو ظاهر. ولا يرى أن الشيخ شهاب الدين السهروردي ـ قُدِّس سره ـ قد قال في «العوارف»: ولا خفاء بأن لبس الخرقة على الهيئة التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمان رسول الله ﷺ، وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ. انتهى.

مع أنه لم يذكر هذا الكلام إلا بعد ما روى حديث أُم خالد بسنده المثبت لأصل اللّبس بكيفية ما، مع أنه مخرَّج في الصحيحين، فظهر أن عدم ورود الكيفية المخصوصة لا ينافي ورود أصل اللبس بغير تلك الكيفية، على أنه قد ثبت تعدُّد الإلباس منه ﷺ بكيفيات مختلفة ـ كما مرَّ ـ وهو دليل على أن الأمر فيه توسعة، وليس محصوراً في كيفية خاصة، ولا في ثوب خاص، ولا هو مختص بالذَّكر ولا بالأُنثى ولا بالصغير ولا بالكبير، فقد مرَّ أنه ألبس عليًّا وابن عوف العمامة، وأرخى للأول طرفها وللثالث طرفيها، وثبت في حديث ابن عباس عند الترمذي أنه ﷺ ألبس عباساً وولده كساء ودعا لهم، وهو ما أخبر به شيخنا أبو المواهب إجازة عن الشمس محمد بن أحمد الرملي رحمه الله.

وأخبرني الشيخ محمد بن أحمد الرملي بالإجازة العامّة من شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، عن العلامة الشمس أبي عبد الله محمد بن علي القاياني، قال: أنبأنا الحافظ الحجّة أبو زرعة أحمد بن حافظ الوقت والزمان أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، قال: أخبرنا به أبو حفص عمر بن حسن بن أميلة المراغي، قال: أنبأنا الفخر أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي ـ عُرف بابن البخاري ـ، أنبأنا أبو حفص عمر بن محمد البغدادي ـ عُرف بابن طبرزد ـ، أنبأنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي سهل الكروخي، أنبأنا القاضي أبو عامر محمود بن القسم الأزدي، أنبأنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي المروزي، أنبأنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أنبأنا الحافظ الحجة أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي قال: ثنا إبراهيم سعيد الجوهري قال: حدثنا عبد الوهاب بن

عائشة رضي الله عنها وعن أبيها ولعن شانئيها ـ قالت: صلى رسول الله ﷺ في خميصة ذات علم فلما قضى صلاته قال: ﷺ «اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم وائتوني **بأنجبانيته** فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي». وإنما طلبها ﷺ منه لئلا يؤثر رد الهدية في قلبه. انظر: **قصد السبيل للمحبي**: الجزء الأول ـ صفحة: 214.

عطاء، عن ثور بن يزيد، عن مكحول، عن كريب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ للعباس رضي الله عنه: «إذا كان غداة الاثنين فائتني أنت وولدك حتى أدعو لكم بدعوة ينفعك الله بها وولدك»، فغدا وغدَوْنا معه وألْبَسَنا كساءً ثم قال: «اللهمَّ اغفر للعباس»[1] ـ وقد حصل من هذه الدعوة الكريمة نصيب وافر لأستاذنا أحمد بن علي الشناوي وآبائه الكرام إلى جدّهم وأبنائهم إلى يوم الدين، والله أعلم ـ ومن أولادهم أولادنا أيضاً وولده مغفرة ظاهرة باطنة لا تغادر ذنباً «اللهمَّ احفظه في ولده». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. انتهى بلفظه رحمه الله تعالى.

وإذا ثبت إلباسه ﷺ للصغير والكبير، والمفرد والجمع، والذَّكر والأنثى بالكيفيات المختلفة؛ دلَّ على أن الأمر فيه توسعة، وأنه كان يفعل بما أراه الله تعالى بنور النبوّة ما هو اللائق بالحال والشخص والثوب، فكذلك الشيخ الوارث له يفعل ما أراه الله بنور الولاية لائقاً بحال الشخص وزمانه ومكانه؛ إذ لا شك أن الأحوال تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان، بل والأمكنة، فيراعى الشيخ بنور الولاية الموروثة بالاتباع للنبيّ ﷺ ما هو اللائق بالحال والزمان والمكان على اختلافها، وهو في كل ذلك متبع للسنة لِمَا عرفت من عدم الحصر في كيفية، و الله أعلم.

وحيث أن الخرقة ـ كما قال السهروردي ـ في «العوارف» عتبة الدخول في الصحبة، والمقصود الكلي هو الصحبة، وبالصحبة يرجى للمريد كل خير انتهى؛ كان الظنّ بهم أنهم ما اختاروا هذه الهيئة إلا لكونها في زمانهم أنفع للمريد فيما هو المقصود منه من التخلّق بأخلاقهم والتأدب بآدابهم، وكلّما يكون وسيلة إلى المطلوب فهو مطلوب، وإن لم يكن وارداً بخصوصه عن رسول الله ﷺ، وقد يدخل في عموم قوله ﷺ: «مَن سنَّ سنّة حسنة» حيث حصل به ما كان حسناً، وإلا كان حدثاً فقد قررته السُّنّة القولية، وإن لم يرد في الفعل فـ «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى».

---

(1) روى الترمذي في سننه بسنده عَن ابن عبّاس قالَ: «قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لِلْعَبّاس: إذَا كانَ غَدَاةَ الاثْنَيْنِ فَأْتِنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ حَتّى أَدْعُو لَكَ بدَعْوَةٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بهَا وَوَلَدَكَ، فَغَدَا وَغَدَوْنَا مَعَهُ فَأَلْبَسَنَا كِسَاءً ثُمّ قالَ: اللّهُمّ اغْفِرْ لِلْعَبّاس وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لاَ تُغَادِرُ ذَنْباً، اللّهُمّ احْفَظْهُ في وَلَدِهِ». قال أبو عيسى: هَذا حديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إلاّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. **سنن الترمذي**: المجَلَّد الخَامِس. أبواب المنَاقِب عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 105 بابٌ– الحديث رقم: 3851.

قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى، في كتابه «**المنقذ من الضلال**» بعد تمهيد: إني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السِّيَر، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق؛ بل لو جُمِع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه؛ لم يجدوا إليه سبيلاً، وأن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من مشكاة النبوة بما أعطاهم الله من الفهم عنه ما لم يعطه كثيراً من خلقه، فيخفى على بعض الناس بعض ما أسّسوا عليه أمورهم من الأصول، لذلك فيظنّ أنها لا أصل لها بمبلغ علمه، والأمر بخلاف ظنّه إذا حقق.

ومن هنا قال الشيخ محيي الدين ـ قدّس الله سرّه ـ في باب (19) من «الفتوحات المكية»، ما نصّه: السعيد مَن وقف عند حدود الله ولم يتجاوزها، وإنّا ـ و الله ـ ما تجاوزنا منها حدًّا، ولكن أعطانا الله من الفهم عنه تعالى ما لم يعطه كثيراً من خلقه، فدعونا إلى الله على بصيرة من أمره؛ إذ كنا على بيّنة من ربنا، انتهى.

وتفاوت مراتب الفهم عنه تعالى بين أهل الإسلام مما لا ينازع فيه. وفي البخاري، في باب فكاك الأسير، عن أبي جحيفة ﷺ قال: قلت لعليّ ﷺ: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن» الحديث.

وفي «باب كتابة العلم» عنه ﷺ، قال: قلت لعلي ﷺ: هل عندكم كتاب؟ قال: «لا إلا كتاب الله تعالى، أو فهم أُعطيه رجل مسلم» الحديث[1].

ويشهد له قوله ﷻ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾، [الأنبياء:78]. فأثبت الفهم حكماً وعلماً على اختلافه.

(1) روى البخاري بسنده عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنْ الْوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟. قَالَ: الْعَقْلُ، وَفَكَاكُ الْأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ». **صحيح البخاري**: الجزء الثاني60 كتاب الجهاد والسير 168 باب: فكاك الأسير– الحديث رقم: 2882.

ويوضح ذلك ما في «الرياض النضرة» للمحب الطبري رحمه الله تعالى، ما نصه:

وعن عمر ﵁ قال: كنت أدخل على رسول الله ﷺ، وهو وأبو بكر ﵁ يتكلمان في علم التوحيد، فأجلس بينهما كأني زنجي لا أعلم ما يقولون!. خرَّجه الملا في سيرته.انتهى. وهذا هو عمر ﵁ الذي يقول فيه مثل ابن مسعود ﵁ لما مات: «مات بتسعة أعشار العلم»!!، وهذا وما في معناه فيه الكفاية لحسن الظنّ بالله، والوقوف عن الوقوف فيهم بأول احتمالات الكلام لمن أنصف ونصح نفسه، فإنهم من أشدّ الناس احتراماً للشريعة المطهرة.

قال الشيخ محيي الدين طاب ثراه في «مواقع النجوم» في بعض المنازل المذكورة، في الفلك القلبي بعد الذكر الإجمالي، ما نصّه: وهذا كله مما أعطتنا حالة الاستقامة كالأسرار التي صدرت عن رابعة العدوية والجنيد وأبي يزيد ﵃، وفي زماننا كأبي العباس بن العريف وأبي مدين وأبي عبد الله العراك ﵃. وأما إن كان الناطق بها غير محترم للشرع صفعنا قفاه وضربنا وجهه بدعواه، عصمنا الله من الآفات وفضّلنا بالعلم والهبات، انتهى بلفظه رحمه الله تعالى، وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين، انتهى ما بالنمط المجيد من الكلام المفيد.

[ترجمة]
[الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه]

ثم قلت:

[وهو لبس من علي أبي الحسن]

المذكور هنا: أول مَن تقدّم، ومَن مشى في الأمر على قدم، ومن كرَّم الله وجهه عن السجود للصنم، مَنْ هو كالشمس في الوجود مضيء، لا كنارٍ على علم، ابن عمّ الرسول صلى الله عليه وسلم، وزوج الزهراء البتول، العالم العمول، والوليّ المقبول، أسد الله الفعول، وسيفه المسلول، ذو اللسان القؤول في الفروع والأصول بمعقول ومنقول، يعسوب المؤمنين، فحل الفحول أبو السبطين، مَن لم يزده كشف الغطاء يقيناً، عليّ المقدار، وسامي الفخار، مَن أتى في حقّه: لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار، إمام المشارق والمغارب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أُفردت مناقبه في كتب كثيرة ما بين صغيرة وكبيرة، وهو المستغني عن كلّ ما قيل؛ إذ هو في المفاخر كلها طويل الذيل، عظيم النيل.

قال في «المشرع الروي في مناقب بني علوي»[1]: أبو الحسنين علي أمير المؤمنين وإمام المتقين، أخ الرَّسول، وبعل البتول، وسيف الله المسلول.

[ولادته رضي الله عنه]: وُلد رضي الله عنه وكرَّم وجهه ـ يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من رجب سنة

(1) انظر: **المشرع الروي في مناقب السادة آل أبي علوي** رضي الله عنهم للسيد أبي بكر الشلي: الجزء الأول ـ صفحة: 62 وما بعدها.

ثلاثين من عام الفيل، بمكّة المشرّفة في جوف الكعبة ـ على قول صححه صاحب الفصول المهمة وغيره ـ وأُمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أوّل هاشمية ولدت هاشميًا، وهي من السابقات إلى الإيمان وهاجرت، وكانت بمنزلة الأُم من النبي ﷺ لأنها ربّته، ولما ماتت كفّنها ﷺ بقميصه واضطجع في قبرها، وألحدها بيده الشريفة، فلما سوّى عليها التراب سئل عن ذلك، فقال: «ألبستها لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعتُ في قبرها لأخفّف عنها ضغطة القبر، إنها كانت أحسن خلق الله صنعاً إليَّ بعد أبي طالب»[1]، وبكى ﷺ وقال: «جزاكِ الله من أُمٍّ خيراً، فلقد كنتِ خير أُم».

وولدت ـ رضي الله عنها ـ لأبي طالب عقيلاً، وجعفراً، وعليًّا، وأُم هانىء واسمها فاختة، وجمانة. وكان عليّ ﷺ أصغر ولد أبي طالب، كان أصغر من جعفر بعشر سنين، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين، ولما ولد سمَّته أُمه باسم أبيها، وقد جاء في الشعر من شعره:

«أنا الذي سمَّتْني أمي حيدره». و «**حيدره**»: من أسماءِ الأسد. فلما قدم أبوه كره الاسم، فسمَّاه: عليًّا. وقال: [شعر]

سـمَّيْته بعلـي كـي يـدوم لـه عـزّ العلـوّ وفخـر العـزّ أدْوَمه

[بعض أسمائه وكُناه ﷺ]: وسمّاه النبي ﷺ صدِّيقاً، فقال ﷺ: «الصدِّيقون ثلاثة: حبيب بن مروى النجار مؤمن آل يس، الذي قال: [ياقوم اتبعوا المرسلين]. وحزقيل مؤمن آل فرعون، الذي قال: [أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله]. وعلي بن أبي طالب ﷺ الثالث، وهو أفضلهم»[2].

---

(1) عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال: لما ماتت فاطمة أم علي رضي الله عنهما خلع رسول الله ﷺ قميصه وألبسها إياه واضطجع في قبرها، فلما سوى عليها التراب قال بعضهم: يا رسول الله! رأيناك صنعت شيئا لم تصنعه بأحد؟ قال ﷺ: إني ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت معها في قبرها لأخفف عنها من ضغطة القبر، إنها كانت أحسن خلق الله صنيعاً إلى بعد أبي طالب». رواه أبو نعيم في المعرفة، والديلمي، وسنده حسن. **كنزالعمال للمتقي الهندي**: المجلد الثالث عشر ـ فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ـ الحديث رقم: 37611.

(2) أخرج أبو داود وأبو نعيم وابن عساكر والديلمي عن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: «الصديقون ثلاثة. حبيب النجار مؤمن آل ياسين، الذي قال: [يا قوم اتبعوا المرسلين]، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، [غافر الآية 28]، وعلي بن أبي طالب ـ ﷺ ـ وهو أفضلهم». الدر

وقال ﷺ: «السبق ثلاثة: السابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب يس، والسابق إلى محمَّد ﷺ: علي بن أبي طالب»[1].

وكناه ﷺ بأبي الريحانتين، قال ﷺ: «عليك يا أبا الريحانتين، فعن قليل يذهب ركناك والله خليفتي عليك»، فلما قُبض صلى الله عليه وسلم قال: «عليٌّ هذا أحد الركنين الذي قال النبيّ ﷺ»، فلما ماتت فاطمة قال: «هذا الركن الآخر الذي قال النبي ﷺ»[2].

وكناه النبي ﷺ : «أبا تراب»، وما كان لعليّ ﵁ اسم أحب إليه منه؛ دخل عليٌّ ﵁ على فاطمة ـ رضي الله عنها ـ ثم خرج، ثم أتى رسولُ الله ﷺ فاطمةَ، فقال: «أين ابن عمّك؟» قالت: هوذا مضطجع في المسجد، فخرج النبي ﷺ، فوجَد رداءه ﵁ قد سقط عن ظهره، فجعل ﷺ يمسح التراب عن ظهره ويقول: «اجلس أبا تراب» [3].

وعن سهل بن سعد ﵁، قال: استعمل رجل من آل مروان على المدينة، فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليًّا!!، فأبى. فقال: إذا أبيت فقل: لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعليّ أحبُّ إليه من أبي التراب؛ إن كان يفرح إذا دُعي به. قال له: سمِّ أبا تراب. قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد عليًّا في البيت، فقال: «أين ابن عمك؟» فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج ولم يقم عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «انظر أين هو؟» فقال: يا رسول الله! هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقّه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ

المنثور للإمام السيوطي ـ تفسيرة سورة يس ـ تفسير الآية:28.

(1) عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «السبق ثلاثة: السابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد ﷺ ـ علي بن أبي طالب ﵁ . رواه الطبراني وفيه حسين بن حسن الأشقر وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور، وبقية رجاله حديثهم حسن أو صحيح. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد التاسع37 كتاب المناقب 4 أبواب مناقب علي بن أبي طالب ﵁ 4 باب إسلامه ﵁ ـ الحديث رقم: 14598.

(2) عن جابر ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب ﵁: سلام عليك أبا الريحانتين! أوصيك بريحانتي من الدنيا فعن قليل ينهد ركناك والله خليفتي عليك، فلما قبض رسول الله ﷺ قال: هذا أحد ركني الذي قال لي رسول الله ﷺ، فلما ماتت فاطمة رضي الله عنها قال علي ﵁: هذا ركني الثاني الذي قال لي رسول الله ﷺ . رواه أبو نعيم في المعرفة والديلمي، وابن عساكر، وابن النجار، وفيه حماد بن عيسى غريق الجحفة ضعيف. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الثالث عشر. فضل الحسنين رضي الله عنهما– الحديث رقم: 37691.

(3) **معجم الطبراني الكبير**: باب السين . سهل بن سعد الساعدي . عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه .

يمسحه عنه ويقول: «قم أبا تراب»[1].

وعن عمار بن ياسر ﵁، قال: كنت أنا وعليّ ﵁ رفيقين في غزاة ذي العسرة، فنِمْنا، فو الله ما أنبهنا إلا رسول الله ﷺ يحرّكنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدفعا، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ: «يا أبا تراب» لما رأى عليه من التراب. قوله: الدفعا هي التراب.

وكان ﵁ **يُكنى**: «أبا قسم»، ويلقب بـ: «يعسوب الأمة»؛ أي: سيدهم ورئيسهم، وأصله فحل النحل، وبـ «الصدِّيق الأكبر»، وكان ﵁ يقول: «أنبأنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصدِّيق الأكبر».

وعن أبي ذرّ ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «أنت الصدِّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق الحق والباطل».

وفي رواية: «وأنت يعسوب الدين».

ويلقَّب أيضاً بالأمين، وبالشريف، والهادي، والمهتدي، وذو الأذنين الواعية، وبيضة البلد. وفي القاموس: بيضة البَلد واحدهُ الذي يجتمع إليه، ويقبل قوله، وهي من الأضداد.

وأسلم ـ كرَّم الله وجهه ـ وهو ابن سبع سنين أو ثمان أو تسع أو عشر أو ثلاث عشرة أو أربع عشرة أو خمسة عشر، **قال بعضهم**: والصواب الإضراب عن توقيت إسلامه؛ لأنه لم يكن مشركاً، فيستأنف الإسلام.

فإن قلت: كيف اعتدّ بإسلامه قبل البلوغ على القول به؟

قلت: اعتُدّ بإسلامه حينئذٍ، لأن الأحكام في أول الإسلام منوطة بالتمييز، وإنما نيطت بالبلوغ عام الخندق، وهو ﵁ أول مَن أسلم عند جمع، بل نقل الحاكم عليه

---

(1) روى البخاري بسنده عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﵁ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا ﵁ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟. قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي، فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لإِنْسَانٍ: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟. فَجَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ!!، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ». **صحيح البخاري**: الجزء الرابع. كتاب الاستئذان 40 باب: القائلة في المسجد ـ الحديث رقم: 5924.

الإجماع. وضرب ﷺ على منكبيه، وقال: «يا علي! أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً».

وقال ﷺ لعلي: «أنت أول من آمن بي وصدّق»[1].

وقال ﷺ: «أوَّلُ هذه الأمة وروداً على الحوض أوّلها إسلاماً علي بن أبي طالب».

وفي رواية: «أوَّلكم وروداً عليَّ الحوض أوّلكم إسلاماً: علي بن أبي طالب»[2].

وقال علي ـ كرَّم الله وجهه ـ: «بُعِث رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وأسلمت يوم الثلاثاء».

وقال رضي الله عنه: «آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر رضي الله عنه».

وقيل: أوَّل من أسلم أبو بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، فقد صحَّ عنه: «ألستُ أوَّل من أسلم». وأنه ﷺ قال لعمر بن عنبسة لما سأله: من معك على هذا الأمر؟ «حرٌّ وعبد»؛ يعني: أبا بكر وبلالاً. أخرجه مسلم[3].

وقيل: أوَّل مَن أسلم خديجة أُم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها وعنا بها، وحكى بعضهم الاتفاق عليه قائلاً: والخلاف إنما هو فيمن أسلم بعدها، وصوَّبه النووي تبعاً لجماعة من المحققين.

وقيل: أوَّل مَن أسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه. وقال ابن إسحاق: أوَّل من أسلم خديجة ثم علي، ثم زَيْد ثم أبو بكر، فأظهر إسلامه ودعا إلى الله، فأسلم بدعائه عثمان، والزبير،

---

(1) عن أبي ذر وسلمان رضي الله عنهما قالا: أخذ النبي ﷺ بيد علي رضي الله عنه فقال: «إن هذا أول من آمن بي وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين». رواه الطبراني والبزار عن أبي ذر وحده وقال فيه: «أنت أول من آمن بي». وقال فيه: «والمال يعسوب الكفار». **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد التاسع37 كتاب المناقب4 أبواب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه 4 باب إسلامه رضي الله عنه ـ الحديث رقم: 14597.

(2) قوله ﷺ: «أولكم وارداً على الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب». رواه الحاكم ولم يصححه، والخطيب ـ عن سلمان رضي الله عنه. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الحادي عشر. تتمة الإكمال من فضائل علي رضي الله عنه ـ الحديث رقم: 32991.

(3) **صحيح مسلم**: الجزء الأول 6 كتاب صلاة المسافرين وقصرها 52 باب إسلام عمرو بن عبسة ـ الحديث رقم: 294 ـ (832).

وعبد الرَّحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وطلحة، فكان هؤلاء النفر أسبق الناس إسلاماً رضي الله عنهم.

وقيل: أوَّلهم إسلاماً بلال رضي الله عنه؛ لخبر مسلم السابق.

قال ابن الصلاح: وقيل: أول رجل أسلم ورقة بن نوفل، ومَن يمنع يدعي أنه أدرك نبوّته عليه الصلاة والسلام؛ لا رسالته.

والأورع أن يقال:

أول مَنْ أسلم من **الرجال** الأحرار: أبو بكر رضي الله عنه، ومن **الصبيان: علي** رضي الله عنه، ومن **النساء**: خديجة رضي الله عنها، ومن **الموالي**: زيد رضي الله عنه، ومن **العبيد**: بلال رضي الله عنه. وحُكي هذا الجمع عن أبي حنيفة أيضاً رضي الله عنه.

وهو رضي الله عنه وكرم الله وجهه أول من صلى. قال رضي الله عنه: صلَّيت قبل أن يصلي الناس سبع سنين. وفي رواية: صليت مع النبي ﷺ ثلاث سنين قبل أن يصلي معه أحد من الناس.

وقال كرَّم الله وجهه: عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأُمة خمس سنين.

وهو أوَّل من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الرحمن، كما في حديث المبارزة يوم بدر. وأوَّل من يقرع باب الجنة بعد النبي ﷺ، وأول هاشمي ولدته هاشمية، وأول خليفة من بني هاشم.

وأُهدي إلى رسول الله ﷺ طير، فقال: «اللهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير»[1].

وأهدت امرأة من الأنصار رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ طيرين بين رغيفين، فقال ﷺ: «اللهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك وإلى رسولك»، فأتى عليٌّ فضرب الباب، فقال له

---

(1) عن سفينة ـ وكان خادماً لرسول الله ﷺ ـ قال: أهدي لرسول الله ﷺ طوائر فصنعت له بعضها، فلما أصبح أتيته به فقال ﷺ: «من أين لك هذا؟ ». فقلت: من التي أتيت به أمس، فقال: «ألم أقل لك لا تدخرن لغد طعاماً، لكل يوم رزقه؟». ثم قال: «اللهم أدخل علي أحب خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطير». فدخل علي رضي الله عنه عليه فقال: «اللهم وإلي». رواه البزار والطبراني باختصار ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**- الحديث رقم: 14727.

أنس ﷺ: إنَّ رسول الله ﷺ على حاجة، ثم ضرب الباب وقال له مثل ذلك، ثم ضرب الباب ورق صوته، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس! افتح الباب»، فلما رآه ﷺ تبسَّم، ثم قال: «الحمد لله الذي جعلك أحبَّ الخلق إليه، كنت آكل ثم أدعو في كل لقمة أن يأتيني بأحبِّ الخلق إليه وإليَّ، فكنت أنت»، فقال ﷺ: والذي بعثك بالحق إني لأضرب الباب ثلاث مرات ويردّني أنس ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أرددته؟»، قال ﷺ: كنت أحسب معه رجالاً من الأنصار، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «لا يُلام الرجل على حبّ قومه»[1].

وكان من لطف الله به وإرادته الخير له أن قريشاً أصابتهم أزمنة شديدة، وكان أبو طالب كثير العيال، فأراد أهله أن يخففوا عنه، فكلموه في ذلك فقال: إذا تركتم لي عقيلاً وطالباً، فاصنعوا ما شئتم. فأخذ رسول الله ﷺ عليًّا وضمَّه إليه، فلم يزل معه وفي حجره ﷺ.

ولما اجتمع قريش في دار الندوة ومعهم إبليس في صورة شيخ نجدي، فأجمع رأيهم على قتله ﷺ، قال جبريل للنبيّ ﷺ: «لا تبت هذه الليلة على فراشك»، فأمر عليًّا ﷺ فنام مكانه، وغُطِّي ببُرْدٍ أخضر، فكان ﷺ أوَّل من شرى نفسه، وفي ذلك يقول: [شعر]

وقَيْت بنفسي خير من وطيء الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رســول إله خــاف أن يمكــروا به ... فنجَّاه ذو الطول الإلــه من المكر

(1) عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ فقدم فرخاً مشوياً، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ائتني بأحب الخلق إليك وإلي، يأكل معي من هذا الفرخ». فجاء علي ودق الباب فقال أنس: من هذا؟ قال: علي، فقلت: النبي صلى الله عليه وسلم على حاجة فانصرف، ثم تنحى رسول الله ﷺ وأكل، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم ائتني بأحب الخلق إليك وإلي، يأكل معي من هذا الفرخ». فجاء علي فدق الباب دقاً شديداً فسمع رسول الله ﷺ فقال: «يا أنس من هذا؟». قلت: علي. قال: «أدخله». فدخل، فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألت الله ثلاثاً أن يأتيني بأحب الخلق إليه وإلي يأكل معي من هذا الفرخ». فقال علي: وأنا يا رسول الله، لقد جئت ثلاثاً كل ذلك يردني أنس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أنس ما حملك على ما صنعت؟». قال: أحببت أن تدرك الدعوة رجلاً من قومي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يلام الرجل على حب قومه». **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد التاسع 37 كتاب المناقب 20 باب في قوله ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله 22 أبواب في محبيه وبغضه 1 باب في من يحبه أيضاً ويبغضه أو يسبه ـ الحديث رقم: 14723.

وفي هذه نزل قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾، [الأنفال:30]. الآية.

ولما هاجر النبي ﷺ أخبر عليًّا رضي الله عنه بمخرجه، وأمره أن يتخلف بعده ليؤدّي عنه الودائع والأمانات التي للناس عنده، ففعل رضي الله عنه ما أمره به، وهاجر بعد رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، ثم لحق به وهو بقباء، ونزل معه على كلثوم بن الهدم، ولم يقم بقباء إلا ليلة ـ وقيل: ليلتين ـ وأجمعوا على أنه رضي الله عنه شهد بدراً والمشاهد كلها إلا تبوك، فإن النبي ﷺ استخلفه على المدينـة، فلما سار النبي ﷺ تبعه، وقال: «أتخلفني في النساء والصبيان يا رسول الله»؟ فقال ﷺ له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى».

وفي رواية: «أمَا ترضى أن يكون لك من الأجر والمغنم مثل ما لي؟».

وفي رواية: لما نزل رسول الله ﷺ الجرف طعن رجال من المنافقين في إمارة علي رضي الله عنه، وقالوا: إنما خلفه استثقالاً، فخرج علي رضي الله عنه يحمل سلاحه، حتى أتى النبي ﷺ بالجرف، فقال: يا رسول الله! ما خلفتني عنك في غزاة قطّ قبل هذه؛ قد زعم المنافقون أنك إنما خلفتني استثقالاً! فقال ﷺ: «كذبوا، ولكن خلفتك لما ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي، أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي».

وقال ﷺ: «إني أقول كما قال أخي موسى عليه السلام: اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي أخي عليًّا، اشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً، ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً».

ونزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، فقال: «يا محمَّد! إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: عليٌّ بمنزلة هارون بن موسى، لكن لا نبيَّ بعدك».

ولما قَتل عليٌّ رضي الله عنه أصحاب الألوية يوم أُحد، قال جبريل عليه السلام: «يا رسول الله! إن هذه لهي المواساة»، فقال له النبي ﷺ: «إنه مني وأنا منه»، فقال جبريل عليه السلام: «وأنا

منكما يا رسول الله»[1].

وقال ﷺ: «عليٌّ مني وأنا من عليّ، ولا يودي عني إلا عليّ»[2].

وقال ﷺ: «الناس من شجرٍ شتّى، وأنا وعليّ من شجرةٍ واحدة».

وقال ﷺ: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله تعالى آدم قسم ذلك النور جزئين، فجزء أنا وجزء عليّ».

ولما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه ﭫ، فقال: يا رسول الله! آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

وقال ﷺ: «أنت أخي وأبو ولدي، فقاتل على سنّتي. من مات على عهدي، فهو في كنز الجنّة. ومن مات على عهدك، فقد قضى نحبه».

وكان لواء النبي ﷺ معه في أكثر حروبه ﭬ، وإذا لم يَغْزُ بنفسه أعطاه سلاحه.

وقال ﷺ **يوم خيبر**: «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه؛ يحب الله تعالى ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس يدوكون ـ أي: يخوضون ـ ليلتهم أيُّهم يُعطاها؟ فلما أصبحوا اجتمعوا على باب النبي ﷺ، فخرج النبي ﷺ فقال: «أين علي بن أبي طالب»؟ فقيل: يشتكي عينيه، وكان به رمد شديد، فقال ﷺ: «أرسلوا إليه»، فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له: «اللهمَّ أذهب عنه الحرّ والبرد»، فبريء حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه ﷺ الراية وفُتحت على يديه، ولم يرمد بعدها أبداً، ولم يجد حرًّا ولا برداً منذ يومئذ، فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء، وثياب الشتاء في الصيف، ولا يبالي ولا تباله.

وخوَّف به النبي ﷺ وفد ثقيف، فقال: «لتنتهينّ أو لأبعثن عليكم رجلاً مني» ـ أو قال

(1) عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده قال لما قتل علي رضي الله تعالى عنه يوم أحد أصحاب الألوية قال جبريل عليه السلام يا رسول الله إن هذه لهي المواساة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه مني وأنا منه قال جبريل وأنا منكما يا رسول الله . **معجم الطبراني الكبير**: باب الألف . أبو رافع مولى رسول الله ﷺ إبراهيم ويقال اسمه أسلم . عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه .

(2) عن جابر بن عبد الله ﭬ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الناس من شجر شتى، وأنا وعلي من شجرة واحدة». رواه الطبراني في الأوسط. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: الحديث رقم: 14582.

ـ «مثل نفسي، فليضربنّ أعناقكم وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم». فقال عمر ﷺ: فيهما أو في أحديهما، فو الله ما تمنَّيْت الإمارة إلا يومئذ، فجعلت أنصب صدري رجاء أن يقول هو هذا، قال: فالتفت إلى عليّ فأخذ بيده فقال ﷺ: «هو هذا».

وقال ﷺ ليلة أسري به: «نظرت إلى ساق العرش، فرأيت كتاباً فهمته محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته به».

وقال ﷺ **ليلة يوم بدر**: «مَن يستقي لنا من الماء»؟ فأحجم الناس، فقام علي ﷺ، فاحتضن القربة ثم أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة، فانحدر فيها، فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل: تأهبوا لنصر محمد ﷺ وحزبه، فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر من سمعه، فلما جازوا بالبئر سلَّموا عليه من عند آخرهم إكراماً وإجلالاً وتبجيلاً، وكان رأس رسول الله ﷺ في حجر علي، وهو يوحى إليه، فلما سُرِّي عنه قال: «يا علي! صلَّيت العصر»؟ قال: لا، قال: «اللهمَّ إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة رسولك، فرُدَّ عليه الشمس»، فردّها عليه، فصلّى وغابت الشمس.

وفي رواية: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر عليّ، فكره أن يتحرك حتى غابت الشمس، فلم يصلِّ العصر، ففزع النبي ﷺ، وذكر له أنه لم يصلِّ العصر، فدعا رسول الله ﷺ الله ﷻ أن يردَّ عليه الشمس، فأقبلت الشمس لها خوار حتى ارتفعت قدر ما كانت في وقت العصر، فصلَّى ثم رجعت.

وقال ﷺ: «ادعو لي سيد العرب»؛ يعني: عليًا ﷺ، فقالت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها ولعن شانئيها: أ لستَ سيد العرب؟ فقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم، وعليّ سيد العرب»، فلما جاءه أرسل إلى الأنصار، فأتوه فقال ﷺ: «يا معشر الأنصار! ألا أدلكم على ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي أبداً»؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «هذا عليٌّ، فأحبُّوه بحبي وأكرموه بكرامتي، فإن جبريل ﵇ أخبرني بالذي قلت لكم عن الله عزّ وجل»، والمراد سيد شباب العرب؛ لأنه ﷺ قال: «أبو بكر سيد كهول العرب» جمعاً بين الحديثين.

وقال ﷺ: «ليلة أُسري بي انتهيت إلى ربِّي عزّ وجل»، قال: «فأوحى إليّ أو أمرني»

ـ شكَّ الراوي ـ «في علي ثلاث: أنه سيد المسلمين، وولي المتقين، وقائد الغرّ المحجلين».

وقال النبي ﷺ: «إنك سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجلين، ويعسوب الدين».

وقال ﷺ: «أنا دار الحكمة، وعليٌّ بابها».

وقال ﷺ: «أنا دار العلم، وعليٌّ بابها».

وقال ﷺ: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها. ومن أراد العلم، فليأْت الباب».

وقال ـ كرَّم الله وجهه ـ: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله! بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم، ولا أدري ما القضاء؟! فضرب صدري ثم قال: «اللهمَّ اهدِ قلبه وثبّت لسانه»، فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين».

وقال ﷺ: «ليهنك العلم أبا الحسن، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً». ونهلت هنا بمعنى شربت، وكرر لاختلاف لفظه وحقّه أن يعدي بمن يقول: نهلت منه نهلاً؛ أي: رُويت منه ريًّا، فيجوز أنه أقامه مقام شربت، فعدَّى بنفسه.

وجاء خصمان إلى النبي ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله! إن لي حماراً وإن لهذا بقرة، وأن بقرته قتلت حماري. فبدا رجل من الحاضرين، فقال: لا ضمان على البهائم، فقال ﷺ: «اقضِ بينهما يا علي»، فقال علي رضي الله عنه لهما: «أكانا مرسلَيْن أو مشدودين أم أحدهما مشدوداً والآخر مرسلاً»؟ فقال: كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة، وصاحبها معها. فقال عليّ: صاحب البقرة ضامن الحمار، فأقرّ رسول الله ﷺ حكمه وأمضاه.

وقال ﷺ: «عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي؛ لا يفترقان حتى يَرِدا عليَّ الحوض»[1].

---

(1) قوله ﷺ: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». رواه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك عن أم سلمة رذي الله تعاليى عغنها. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 5594.

وقال ﷺ: «لا يحل لأحد أن يُجنب في هذا المسجد غيري وغيرك»[1].

وقال ﷺ: «النظر إلى عليّ عبادة»[2].

وقال ﷺ: «عليٌّ إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذولٌ مَن خذله»[3].

وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «إنك تقاتل على القرآن كما قاتلت على تنزيله»[4].

وقال ﷺ: «عليٌّ مني بمنزلة رأسي من بدني»[5].

وقال ﷺ: «عليٌّ مني كمنزلتي من ربي»[6].

وقال ﷺ: «عليٌّ باب حطة؛ مَن دخل فيه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً»[7].

وقال ﷺ: «عليٌّ يزهر في الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا»[8].

وقال ﷺ: «مَن سرَّه أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة وأقربهم قرابة وأفضلهم حالة وأعظمهم عند رسول الله ﷺ، فلينظر إلى عليّ»[9].

---

(1) قوله ﷺ: «يا علي! لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك. رواه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب علي رضي الله عنه الحديث رقم: 3727 وقال حسن غريب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(2) قوله ﷺ: «النظر إلى علي عبادة». رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود وعن عمران بن حصين رضي الله عنه. ورمز السيوطي لصحته. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 9319.

(3) قوله ﷺ: «علي إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله». رواه الحاكم في المستدرك عن جابر رضي الله عنه. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 5591.

(4) لم أجده فيما لدي من مصادر والله أعلم.

(5) قوله ﷺ: «علي مني بمنزلة رأسي من بدني». رواه الخطيب في التاريخ عن البراء الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنه. ورمز السيوطي لضعفه. الجامع الصغير للإمام السيوطي ـ الحديث رقم: 5596.

(6) لم أجده فيما لدي من مصادر والله أعلم.

(7) قوله ﷺ: «علي باب حطة: من دخل منه كان مؤمنا، ومن خرج منه كان كافرا». رواه الدارقطني في الأفراد عن ابن عباس رضي الله عنه. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 5592.

(8) قوله ﷺ: «علي يزهر في الجنة ككواكب الصبح لأهل الدنيا». رواه البيهقي في فضائل الصحابة الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 5599. **قال المناوي: يعني** يضيء لأهل الجنة كما يضيء الكوكب النير المشرق لأهل الدنيا.

(9) عن الشعبي قال: رأى أبو بكر عليا فقال: من سره أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة من رسول الله ﷺ وأقربه قرابة وأفضله دالة وأعظمه غناء (بالفتح أي: نفعا) عن نبيه فلينظر إلى هذا، فبلغ عليا قول أبي بكر فقال: أما إذا قال ذاك إنه لأواه وإنه لأرحم الأمة وإنه لصاحب رسول الله ﷺ في الغار وإنه لأعظم الناس غناء عن نبيه ﷺ في ذات يده. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأشراف وابن مردويه . **انظر: كنز العمال للمتقي الهندي**:المجلد

وقال ﷺ: «مَن آذى عليًّا فقد آذاني، ومن سبَّ عليًّا فقد سبَّني»[1].

وقال ﷺ: «مَن أحبَّ عليًّا فقد أحبَّني، ومن أحبَّني فقد أحب الله، ومن أبغض عليًّا فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله»[2].

وقال ﷺ لعليّ رضي الله عنه: «مَن أطاعك فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاك عصاني».

وقال ﷺ، بعد أن جَمَع الصحابة رضي الله عنهم يوم غدير خم: «ألستم تعلمون أني أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم»؟ قالوا: بلى، فأخذ بيد علي رضي الله عنه وقال: «اللهمَّ مَن كنتُ مولاه، فعليٌّ مولاه. اللهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَنْ عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحبَّ مَن حبّه، وابغض مَن أبغضه، وأدر له الحق حيث دار».

وله طرق كثيرة، ورواه عن النبي ﷺ ثلاثون صحابيًّا رضي الله عنهم.

وأخذ رسول الله ﷺ بيد علي رضي الله عنه، وقال: «هذا وليِّي وأنا وليّه؛ والَيْت مَنْ والاه، وعاديت من عاداه».

وقال عليّ ـ كرَّم الله وجهه ورضي الله عنه ـ: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبيّ الأُمي ﷺ؛ لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق».

وقال ﷺ: «لا يحبّ عليًّا منافق، ولا يبغضه مؤمن»[3].

الثالث عشر. فضائل علي رضي الله عنه ـ الحديث رقم: 36375.

(1) روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله الجدلي قال دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله ﷺ فيكم قلت معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: -من سب عليا فقد سبني. **مسند الإمام أحمد للإمام أحمد ابن حنبل**: المجلد السادس. أحاديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ ـ حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ.

(2) روى الطبراني في الكبير عن أبي الطفيل قال سمعت أم سلمة تقول أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب عليا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله». **معجم الطبراني الكبير**: ذكر أزواج رسول الله ﷺ . أم سلمة . أبو الطفيل عن أم سلمة .رضي الله عنها.

(3) قوله ﷺ: «لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن». أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب مناقب علي رقم: (3736) . وقال: حسن صحيح ـ عن أم سلمة رضي الله عنها . **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الحادي عشر. فضائل علي رضي الله عنه . ـ الحديث رقم: 32884.

وقال جابر بن عبد الله ﵁: كنا نعرف المنافقين ببغضهم علي بن أبي طالب ﵁.

وقال ﷺ: «حبُّ عليّ يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب»[1].

وقال ﷺ لعليّ ﵁: «يا عليّ! أنت قسيم النار يوم القيامة»[2]، ومعناه ما قاله علي الرضى: تقول النار: هذا لي وهذا لك.

وقال ﷺ: «لا يجوز أحدكم الصراط إلا من كتب له علي الجواز»[3].

وقال ﷺ: «إن السعيد، كل السعيد، حق السعيد مَنْ أحبَّ عليًّا في حياته وبعد مماته»[4].

وقال ﷺ: «ما مررت بسماء إلا وأهلها مشتاقون إلى عليّ بن أبي طالب، وما في الجنّة نبيّ إلا وهو يشتاق إلى علي بن أبي طالب»[5].

ولما بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ﵁ أميراً على الحج سنة تسع، ونزلت بعد بعثه إياه سورة براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم؛ أن لا يصدَّ عن البيت أحد جاءه، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام، فقيل لرسول الله ﷺ: لو بعثت بها إلى أبي بكر ﵁؟ فقال ﵁: «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي»، ثم دعا بعلي ﵁، فقال: «اخرج بهذه القصة ـ من صدر براءة ـ وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا في منى أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد، فهو إلى مدته»، فخرج ﵁ على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر الصدِّيق ﵁ في الطريق، فقال: أميرٌ أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، حتى إذا كان يوم النحر قام عليّ ﵁ وأذَّن في الناس بالذي أمر به رسول الله ﷺ.

---

(1) قوله ﷺ: «حب علي يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب». رواه تمام وابن عساكر ـ عن أبي؛ وأورده ابن الجوزي في الموضوعات). **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الحادي عشر. تتمة الإكمال من فضائل علي ﵁ ـ الحديث رقم: 33021.

(2) لم أجده فيما لدي من مصادر والله أعلم.

(3) لم أجده فيما لدي من مصادر والله أعلم.

(4) لم أجده فيما لدي من مصادر والله أعلم.

(5) لم أجده فيما لدي من مصادر والله أعلم.

وفي سنة عشر في رمضان بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، وعقد له لواءه وعمَّمه بيده، فأرخى طرفها من قدامه نحو ذراع، ومن خلفه قيد شبر، فقيل: يا رسول الله! تبعثني إلى قوم أسنُّ مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء!! فوضع ﷺ يده في صدره: «اللهمَّ ثبِّت لسانه، واهْدِ قلبه». وقال ﷺ: «يا علي! إذا جلس إليك الخصمان، فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر» الحديث.

فخرج رضي الله عنه في ثلاثمائة فارس، ولما قفل وافى النبي ﷺ بمكة قد قدمها للحج سنة عشر، قال له ﷺ: «بِمَ أهللت»؟ فقال: بما أهلَّ به رسول الله ﷺ، فقال: «لولا أن معي الهَدْي لأهللت»، وكان الهدي الذي قدم به عليٌّ من اليمن، والذي أتى به النبي ﷺ مائة.

ولما رمى جمرة العقبة نحر ﷺ ثلاثاً وستين بدنة، ثم أعطى عليًّا فنحر ما غبر وأشركه في هديه، واستغنى به في تفرقة لحومها وجلولها وجلالها.

وقال ﷺ: «إني أمرتُ بسدِّ هذه الأبواب غير باب علي»، فقال فيه: «قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكن أُمرت بشيء فاتبعته»(1).

ولا يشكل هذا قوله ﷺ: «لا يبقين باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر». وقوله ﷺ: «سدُّوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر»(2)، وطرقه كثيرة؛ لأن ذلك فيه التصريح، لأن أمرهم بالسدّ كان في مرض موته، وهذا ليس فيه ذلك، فحُمِل هذا على أمر مقدَّم على المرض جمعاً بين الأحاديث.

---

(1) عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد. قال: فقال يوماً: «سدوا هذه الأبواب إلا باب علي». قال: فتكلم أناس في ذلك. قال: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم، وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني أمرت بشيء فاتبعته». رواه أحمد وفيه ميمون أبو عبد الله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح. **مجمع الزوائد. للحافظ الهيثمي**- الحديث رقم: 14671.

(2) روى البخاري في صحيحه بسنده عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنْ خُلَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ. **فتح الباري، شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني**:المجلد الأول. كِتَاب الصَّلَاةِ. باب الْخَوْخَةِ وَالْمَمَرِّ فِي الْمَسْجِدِ.

وقال ﷺ: «إن الجنَّة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان ﷺ»[1].

وقال ﷺ: «الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وبلال ﷺ».

وفي رواية:«والمقداد رضي الله عنه».

وقيل لعمر رضي الله عنه: إنك تصنع بعلي رضي الله عنه ما لا تصنعه بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال رضي الله عنه: «إنه مولاي».

وجاءه ﷺ أعرابيان يختصمان، فقال لعلي رضي الله عنه: اقضِ بينهما. فقال أحدهما: بيننا، فوثب إليه عمر وأخذ بتلابيبه وقال: «ويحك! ما تدري مَن هذا؟ هذا مولاي ومولى كل مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن».

ونازع رجل عمر رضي الله عنه في مسألة: فقال: بيني وبينك هذا الجالس، وأشار إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال الرجل: هذا الأبطن؟!، فنهض عمر رضي الله عنه عن مجلسه وأخذ بتلابيبه حتى شاله من الأرض، ثم قال: «أتدري مَن صغّرت؟ مولاي ومولى كل مسلم».

وقال عمر رضي الله عنه: عليٌّ أقضانا. وكان رضي الله عنه يتعوَّذ بالله من قضية ليس لها أبو الحسن.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أفرض أهل المدينة وأقضاها علي رضي الله عنه.

---

(1) قطعة من حديث لفظه: «عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عن جده قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إن الله يحب من أصحابك ثلاثة، فأحبهم: علي بن أبي طالب وأبو ذر والمقداد بن الأسود. قال: فأتاه جبريل فقال: يا محمد إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة من أصحابك. وعنده أنس بن مالك، فرجا أن يكون لبعض الأنصار، قال: فأراد أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فهابه، فخرج فلقي أبا بكر فقال: يا أبا بكر إني كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً فأتاه جبريل فقال: إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة من أصحابك. فرجوت أن يكون لبعض الأنصار فهبته أن أسأله، فهل لك أن تدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم [فتسأله]؟ فقال: إني أخاف أن أسأله فلا أكون منهم، ويسبني قومي. ثم لقي عمر بن الخطاب فقال له مثل قول أبي بكر. قال: فلقي علياً فقال له علي: نعم إن كنت منهم أحمد الله، وإن لم أكن منهم أحمد الله. فدخل على نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن أنساً حدثني أنه كان عندك آنفاً، وأن جبريل أتاك فقال: يا محمد إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة من أصحابك، فمن هم يا نبي الله؟ قال: «أنت منهم يا علي، وعمار بن ياسر، وسيشهد معك مشاهد بين فضلها عظيم خيرها، وسلمان منا أهل البيت، وهو ناصح فاتخذه لنفسك». رواه أبو يعلى وفيه النضر بن حميد الكندي وهو متروك. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**- الحديث رقم: 14688.

وقالت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها ولعن شانئيهما: عليٌّ أعلم مَنْ بقي بالسُّنّة.

وقال ابن عباس ﷺ: ما أنزل الله: [ياأيها الذين آمنوا] إلا وعليّ أميرها وشريفها.

وقد عاتب الله أصحاب محمَّد ﷺ في غير مكان، وما ذكر عليًّا إلا بخير، وقال: ما أنزل الله في أحد من كتاب الله ما أنزل الله في علي.

وقال أيضاً: نزلت في علي ثلاثمائة آية.

قال العلماء: منها قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ الآية، [البقرة: 274].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، [المائدة:55].

وقوله ﷻ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ الآية، [السجدة:18]. نزلت فيه وفي الوليد بن عقبة.

وقوله ﷻ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، [الزمر:22]. نزلت فيه وفي حمزة ﵁. وكان أبو لهب ممزّقٌ قلبه.

وقوله ﷻ: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾، [القصص:61]. نزلت فيه وفي حمزة، وكان الممتع أبا جهل.

وقوله ﷻ: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، [مريم:96].

وقال محمد بن الحنفية ﵁: لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ودّ لعليّ وأهل بيته ﵃.

ولما نزل قوله ﷻ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾، [الحاقة:12]. قال النبي ﷺ: «اللهمَّ اجعلها أذن علي». قال علي ﵁: «ما نسيت بعد ذلك شيئاً»[1].

وقال ﵁: «علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم، فانفتح من كل باب ألف باب»،

---

(1) عن علي ﵁ في قوله: [وتعيها أذن واعية] قال: قال لي رسول الله ﷺ: سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي! فما سمعت من رسول الله ﷺ شيئا فنسيته». رواه ابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة. **كنز العمال للمتقي الهندي**: الحديث رقم: 36526.

ولهذا رجعت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إليه في كثير من العلوم إليه؛ كالأصول والتفسير، فإن رئيسهم ابن عباس ﵁ تلميذه. والمشايخ رحمهم الله تعالى في علم السر وتصفية الباطن، فإن المرجع إليه، وعلم النحو إنما ظهر منه، ولهذا قال ﵁: «لو كسرت الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجليهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم. والله ما من آية نزلت في برّ أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وفي أيِّ شيء نزلت».

واختُصَّ ﵁ بغَسْل النبي ﷺ، قال ﷺ لعلي ﵁: «لا يغسلني إلا أنت».

وقال علي ﵁: «أوصاني رسول الله ﷺ لا يغسله غيري»، «فإنه لا يرى عورتي إلا طمست عيناه»[1].

[صفاته ﵁]: وكان ﵁ ربعة من الرجال، أدعج العينين عظيمهما، حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كثير شعر اللحية، أبيض الرأس واللحية، وربما خضب، طويل اللحية، عريض ما بين المنكبين، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري؛ لا يبين عضده من ساعده، قد أدمج إدماجاً، شثن الكفين عظيم الكراديس أغيد، كأنّ عنقه إبريق فضة، شديد الساعد واليد، عظيم البطن، ضخم مشاش المنكب، ضخم عضلة الذراع، دقيق مستدقها، ضخم عضلة الساق، دقيق مستدقها ـ وقيل: كأنما كسر وجبر ـ ضحوك السنّ، وهو إلى السمن أقرب، آدم شديد الأدمة، وإذا نظرت إليه قلت: آدم، وإن تبيَّنته قلت: أسمر أدنى من أن يكون آدم، خفيف المشي إذا مشى انكفأ، وإذا مشى إلى الحرب هرول، قويّ ما صارع أحداً إلا صرعه، وإذا أمسك بذراع رجل بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، شجاع منصور على من لاقاه.

---

(1) روى البزار بسنده عن سيدنا علي ﵁ قال: أوصاني النبي ﷺ أن لا يغسله أحد غيري «فإنه لا يرى عورتي أحد إلا طمست عيناه». قال علي ﵁: فكان العباس وأسامة يناولاني الماء من وراء الستر. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي** ـ الحديث رقم: 14267.

[تفسير المفردات]:

وقوله: **ربعة** أو مربوع الخلق لا طويل ولا قصير، جمعه ربعات ـ بالتحريك ـ وهو شاذ، لأن فعلة لا يحرك في الجمع إذا كان صفة، وإنما يحرَّك إذا كان اسماً، ولم يكن موضع العين واواً وياء.

والدعج: شدَّة سواد العين مع سعتها، يقال: عين دعجا، والأدعج من الرجال: الأسود. **والمشاش**: رؤوس العظام اللينة، الواحد: مشاشة، **ودمج** الشيء دموجاً إذا دخل في الشيء واستحكم، وكذلك اندمج يدّمج ـ بتشديد الدال ـ يريد ـ و الله أعلم ـ أن عظمي عضدَيْه وساعديه للينهما قد اندمجا، وهكذا هو في خفة الأسد.

وشثن الكفين ـ بالتسكين ـ عظيمهما، يقول: ششنت كفه شثناً ـ بالتحريك ـ أي: خشنت وعظمت.

والكراديس: رؤوس العظام، ومعناه: ضخم الأعضاء. **والأغيد**: الوسنان المائل العنق. والغيد: النعومة، وامرأة غيداء وغادت أيضاً: ناعمة بيِّنة الغيد.

[شجاعته ﵁]: وأما إبلاؤه ـ كرَّم الله وجهه ـ وشجاعته، فقد بلغت التواتر حتى صارت معلومة. ومن ذلك أن عمرو بن عبد ودّ كان من مشاهير الأبطال وشجعان العرب، وكانوا يعدُّونه بألف رجل لما نادى يوم الخندق بطلب من يبارزه؛ سكت الصحابة ﵃ كأنما على رؤوسهم الطير، لِمَا يعلمون من شجاعته، فقام عليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ وهو مقنع بالحديد، فقال: أنا له يا رسول الله، فقال له ﷺ: «اجلس، إنه عمرو!». ثم نادى عمرو وجعل يؤنّبهم، ويقول: أين جنّتكم التي تزعمون أنه من قُتل منكم دخلها؟ أفلا تُبرزون إليَّ رجلاً؟ فقام علي ﵁، وقال: «أنا له يا رسول الله»، قال ﵁: «اجلس، إنه عمرو». ثم نادى الثالثة، وقال: [شعر]

ولقد نجحت من الندا بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع وقفة الرجل المناجز
وكذاك أني لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز

إن الشجاعـــة فـــي الفتـــى والجــود مــن خيــر الغرائــز

فقام عليّ ـ كرَّم الله وجهه ورضي عنه ـ فقال: «أنا له يا رسول الله»؟ فقال: «إنه عمرو»، فقال: «وإن كان عمرو»!! فأذن له رسول الله ﷺ وأعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه الحديد، وعمَّمه عمامته وقال: «اللهمَّ أعِنْه عليه»، ورفع ﷺ عمامته إلى السماء وقال: «إلهي أخذت عبيدة مني يوم بدر، وحمزة يوم أُحد، وهذا عليٌّ أخي وابن عمي، فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين»، فمشى إليه عليّ رضي الله عنه وهو يقول: [شعر]

لا تعجلــن فقــد أتــاك مجيب صوتــك غير عاجز

ذو نيـــة وبصـــيـــرة والصدق منجــى كل فائز

إنــي لأرجــو أن أقيــم عليــك نائحــة الجنائــز

مــن ضربــة بخــلاء يبقى ذكرهــا عنــد الهَزائــز

فقال عمرو: مَن أنت؟.

قال رضي الله عنه: «أنا عليّ».

قال: ابن عبد مناف؟.

فقال رضي الله عنه: «أنا علي بن أبي طالب»... ثم قال رضي الله عنه له: «يا عمرو! سمعت أنك تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه إحداهما»؟.

قال: أجل.

فقال علي رضي الله عنه: «إني أدعوك إلى الله تعالى وإلى رسوله وإلى الإسلام».

قال: لا حاجة لي في ذلك.

قال رضي الله عنه: «فارجع إلى ديارك واترك القتال معنا، فإن انتظم أمر محمد [ﷺ] وظفر على أعدائه فقد أسعدته وأمددته، وإلا فحصل مطلوبك من غير قتال».

قال عمرو: إن نساء قريش لا يقلن هذا، كيف وقد قدرت على استيفاء نذري وأنا أرجع ولم أُوف به؟ وكان عمرو قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد أُحداً،

ونذر أن لا يدَّهن حتى ينتقم من محمَّد ﷺ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه.

فقال له علي ﵁: «فإني أدعوك إلى البراز».

قال: لِمَ يا ابن أخي غيرك من أعمامك مَن هو أسنُّ منك، فإني أكره أن أهريق دمك.

فقال علي ﵁: لكن و الله ما أكره أن أهريق دمك!!.

فغضب ونزل عن فرسه وسلَّ سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو عليّ ﵁، فاستقبله عليٌّ ـ كرَّم الله وجهه ـ بدرقته، فضربه عمرو فيها فقدّها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجَّه، وضربه عليّ ﵁ على حبل العاتق فسقط، وثار العجاج وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرف أن عليًّا ﵁ قتله.

وفي «القاموس»: كان عليٌّ ذا شجتين في قرني رأسه، أحدهما من عمرو بن عبد ود. والثانية: من ابن ملجم، ولهذا يقال له: ذو القرنين.

وفيه ـ أي في القاموس ـ أيضاً: وذو القرنين الاسكندري الرومي، وعلي بن أبي طالب لقوله ﷺ: «إن لك في الجنّة بيتاً»، ويُروى: «كنزاً، وإنك لذو قرنيها وذو طرفي الجنة وملكها الأعظم، تملك جميع الجنة كما ملك ذو القرنين جميع الأرض». وذو قرني الأمة فأُضمر وإن لم يتقدّم ذكرها، وذو جبليها للحسن والحسين، وذو شجتين في قرني رأسه، أحدهما من عمرو بن عبد ودّ، والثانية من ابن ملجم، وهذا أصح، انتهى.

وفي يوم خيبر لما قتل ﵁ أخا مرحب؛ خرج إليه مرحب ولم يكن في أهل خيبر أشجع منه، ولم يقدر أحد من أهل الإسلام أن يقاومه في الحرب، وهو يقول: [شعر]

قــد عَلِمَــت خيبــر أنــي مرحب　　　شــاكي الســلاح بطــلٌ مجــرّب

أضــرب أحيانــاً وحينــاً أُضرب　　　إذ الحــروب أقبلــت تلهــب

إن حمــامــي للحِمــى لا يقـــرب

وكان قد لبس درعين، وتقلَّد سيفين، واعتمَّ بعمامتين، ولبس فوقهما؟؟ وحجراً قد ثقبه قدر البيضة على رأسه، وله رمح سنانه ثلاثة أسنان، فبرز له عليّ ـ كرَّم الله وجهه

ـ وهو يقول:

أنــا الــذي ســمَّتني أمــي حيدره ضرغــام لجــام وليــث قســوره

وفي رواية بدل هذا المصراع:

كليــث غابــات كريــه المنظــره عبــل الذراعيــن غليــظ القصره

أوفيهــم بالصــاع كيــد السنــدره

وفي رواية: أكيلكم بالصاع... إلى آخره.

قوله: **عبل الذراعين**؛ أي: ضخمهما. **والمقصرة**: أصل العنق. **والسندرة**: ضرب من الكيل كبير، واسم امرأة كانت تبيع الحنطة وتوفي الكيل.

النكتة في ارتجاز علي بهذا الرجز أن مرحباً قد رأى في المنام أن أسداً يفترسه، فلعلَّ الله أطلع عليًّا ﵁ على رؤيا مرحب، فأراد أن يذكّره رؤياه ليقذف في قلبه الرعب. انتهى.

فلما اختلطا أراد مرحب أن يضرب عليًّا ﵁، فسبقه علي بالسيف ذي الفقار، فتترس مرحب فوقع السيف على الترس فقدّه وقدَّ الحجر والمغفر والعمامتين، وفلق عمامته حتى أخذ في الأضراس، فقتله ثم حمل المسلمون على الكفار وقتلوا ثمانية من رؤسائهم، وفرَّ الباقون إلى الحصن، وتبعهم المسلمون، فضرب يهودي يدي عليّ ضربة سقط منها الترس، فبادر يهودي آخر فأخذ الترس، فغضب عليّ ﵁ فتناول باب الحصن، وكان من حديد فقلعه وتترّس به، ولم يزل في يده وهو يقاتل، ثم لما وضعت الحرب أوزارها ألقى عليّ ذلك الباب وراء ظهره ثمانين شبراً، وفي هذا الباب قال الشاعر: [شعر]

عليٌّ رمــى بــاب المدينــة خيبر ثمانيــن شــبراً وافيــاً لــم يثلــم

تعجيز وتصدير هذا البيت لشيخ الجفري: [شعر]

عليٌّ رمــى بــاب المدينــة خيبر وراء ظهره ســلم إن أنت بمســلم

بقــدرة كان ذاك وقــدره ثمانيــن شــبراً وافيــاً لــم يثلــم

وعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «لقد رأيتني في سبعة نفر وأنا ثامنهم، نجهد أن نقلب ذلك الباب، فما نستطيع أن نقلبه».

وعن جابر رضي الله عنه أنه جرَّب بعد ذلك، فلم يحمله أربعون.

وفي رواية البيهقي: فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلاً، فكان جهداً أن أعادوا الباب مكانه.

وفي «شرح المواقف» قال علي رضي الله عنه: «ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية، ولكن بقوة الهمّة».

ومن كراماته رضي الله عنه أنه حدَّث بحديث فكذَّبه رجل، فقال له: ادعو الله عليك إن كنت كاذباً، فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره.

وعن حجر المرادي قال: قال لي علي رضي الله عنه: «كيف بك وقد أمرت أن تلعنني»؟.

فقلت: أوَ كائنٌ ذلك؟.

قال رضي الله عنه: «نعم».

قلت: فكيف أصنع؟.

فقال رضي الله عنه: «الْعني ولا تتبرَّأْ مني».

قال: فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج ـ وكان أميراً على اليمن ـ أن ألعنه، فقلت: إن الأمير أمرني أن ألعن عليًّا فالعنوه!!! لعنه الله، فما فطن لها إلا رجل.

[وصف ضرار بن حمزة لسيدنا علي رضي الله عنه]:

ورُوي أن ضرار بن حمزة الصدا، وكان من أولياء علي رضي الله عنه، ألجأته ضرورة الحال حتى وفد على معاوية رضي الله عنهما، فقال له معاوية رضي الله عنه: صفْ لي عليًّا، فقال: اعفني يا أمير المؤمنين، فقال: أقسمتُ عليك لتصفنَّه!!.

فقال: والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم

من جوانبه، وينطق بالحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قَصُر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويسننا إذا سنناه،ويأتينا إذا دعوناه، ونحن و الله مع تقريبه إيانا وقربه منّا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظّم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه؛ قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرِّي غيري، إليَّ تعرضت أم إليَّ تشوفت، هيهات هيهات!! قد طلَّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وحظّك قليل. آه! آه! من قلَّة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق.

فبكى معاوية رضي الله عنه وقال: رحمه الله تعالى أبا الحسن، كان و الله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟. فقال: حزن من ذُبح واحدها في حجرها.

[وصف الإمام الحسن البصري رضي الله عنه لسيدنا الإمام علي رضي الله عنه]:

وسُئل الحسن البصري رضي الله عنه عن عليّ رضي الله عنه، فقال: كان و الله سهماً صائباً من مرامي الله عز وجل على عدوّه، وربانيّ هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لم يكن بالتوبة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله تعالى؛ أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض موثقه؛ ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه يكنس بيت المال، ثم يصلّي فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين.

وحُكي أن أخاه عقيلاً صنع هريساً ودعا عليًّا رضي الله عنه، فسأله عنه فقال رضي الله عنه: كنا نوفر كل يوم ما تُعطينا من بيت المال شيئاً قليلاً حتى اجتمع ما اشترينا به سمناً وتمراً.

فقال رضي الله عنه: أوَ كان يكفيكم ذاك بعد الذي عزلتم منه؟. قالوا: نعم، فنقصَه مما كان يعطيه، وقال: لا يحلّ أن أُعطيك أكثر من هذا. فغضب وحمى حديدة وقرَّبها من خدِّه وهو غافل، فتأوَّه فقال رضي الله عنه: «تجزع من هذه، وتعرضني لنار جهنم»، فقال: لأذهبن إلى

من يعطيني تبراً ويطعمني تمراً، فلحق بمعاوية ﵁.

وحُكي أن عقيلاً سأله، فقال له: «اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين، فأُعطيك معهم»، فألحَّ عليه فقال لرجل: «خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت السوق وقل له: دق هذه الأقفال فخذ ما في الحوانيت»، فقال: تريد أن تتخذني سارقاً؟ فقال علي ﵁: «وأنت تريد أن تتخذني سارقاً؛ آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم»؟! فقال: لآتينَّ معاوية، فأتى معاوية ﵁ فأعطاه مائة ألف ثم قال له: اصعد المنبر واذكر ما أوْلاك عليّ وما أوليناك، فصعد المنبر فقال: أيها الناس! إني أخبركم أني أردت عليًّا أن يختارني على دينه، فاختار دينه عليٌّ. وإني أردت معاوية أن يختارني على دينه، فاختارني على دينه.

وقال معاوية ﵁ يوماً: لولا علم بأني خير له من أخيه ما أقام عندي، وتركه.

فقال له عقيل ﵁: أخي خيرٌ لي في ديني، وأنت خيرٌ لي في دنياي. وقد آثرت دنياي، وأسأل الله خاتمة خير. ولما وصل إلى عليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ فَخر من معاوية ﵁، قال لغلامه: اكتب إليه، ثم أملى عليه:

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن أُمي
وبنت محمد سكني وعرسي ... منوط لحمها بدمّي ولحمي
وسبطا أحمد ابناي منها ... فأيُّكم له سهمٌ كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرًّا ... غلاماً ما بلغت أوان حلمي

قال البيهقي: إنَّ هذا الشعر مما يجب على كل متولي أن يحفظه؛ ليعلم مفاخره في الإسلام.

وأنشد لسيدنا علي ﵁ في «القاموس» في مادة: ودق، قوله: [شعر]

تلكم قريش تمناني لتقتلني ... فلا وربّك لا برّوا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمّتي لهم ... بذات ودقين لا يبقى لها أثر

ثم قال: قال المازني: لم يصح أنه تكلم بشيء من الشعر غير هذين البيتين. وصوَّبه الزمخشري.انتهى. قال بعضهم: وهذا لعمري في الغرابة نجابه.انتهى.

ومن كلامه ﵁: «الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم». «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً». «ما هلك امرؤ عرف قدره». «قيمة كل امرىء ما يُحسنه». «مَن عرف نفسه عرف ربّه». واشتهر على الألسنة أنه حديث، وأفرده الحافظ السيوطي برسالة سمّاها «القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه»، قال فيها: إن هذا الحديث ليس بصحيح، وقد سُئل عنه النووي ﵁ فقال: إنه ليس بثابت، وقال الزركشي في «الأحاديث المشتهرة» إنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي ﵁. قال النووي ﵁: **معناه:** مَن عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله، والعبودية له؛ عرف ربّه بالقوة والربوبية والكمال المطلق والصفات العلى... إلى آخر ما أطال به رحمه الله تعالى.

ومن كلامه ـ كرَّم الله وجهه ـ: «مَن عذُب لسانه كَثُر إخوانه. بالبر يستعبد الحرّ بشر. مال البخيل بحادث أو وارث. لا تنظر الذي قال وانظر إلى ما قال. الجزع عند البلاء تمام المحنة. لا ظفر مع البغي. لا ثناء مع الكبر. لا صحة مع النّهم والتخم. لا شرف مع سوء الأدب. لا راحة مع الحسد. لا سؤدد مع الانتقام. لا صواب مع ترك المشورة. لا مروءة للكذوب. لا كرم أعزّ من التُّقى. لا شفيع أنجح من التوبة. لا لباس أجمل من العافية. لا داء أعْيَا من الجهل. المرء عدوّ ما جهله. رحم الله عبداً عرف قدره ولم يتعدَّ طوره. إعادة الاعتذار تذكّر بالذنب. النصح بين الملأ تقريع. نعت الجاهل كروضة على مزبلة. الجزع أتعب من الصبر. أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة. الحكمة ضالّة المؤمن. البخل جامع لمساوىء العيوب. إذا حلّت المقادير ضلَّت المعاذير. عبد الشهوة أذلّ من عبد الرقّ. الحاسد مغتاظ على مَن لا ذنب له. كفى بالذنب شفيعاً للمذنب. السعيد مَن وُعِظ بغيره. الإحسان يقطع اللسان. أفقر الفقر الحمق. أغنى الغنى العقل. الطامع في وثاق الذلّ. ليس العجب ممن هلك كيف هلك، العجب ممن نجا، كيف نجا؟ احذروا نفار النعم، فما شارد بمردود. مصارع العقول تحت بروق الأطماع. إذا وصلت إليكم النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر. إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو منه شكر القدرة عليه. ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وعلى

صفحات وجهه. البخيل يستعجل الفقير، ويعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء. لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه. العلم يرفع الوضيع، والجهل يضع الرفيع. العلم خيرٌ من المال؛ العلم يحرسك، وأنت تحرس المال. العلم حاكم، والمال محكوم عليه. قصم ظهري عالم متهتّك وجاهل متنسّك؛ هذا ينفر الناس بتهتّكه، وهذا يضلّ الناس بتنسّكه. أقل قيمة أقل العلماء؛ إذ قيمة كل امرىء ما يحسنه. كونوا كالنحلة في الطير، إنه ليس من الطير شيء إلا وهو يستضعفها، ولو يعلم الطير ما في جوفها من البركة ما فعلوا ذلك بها. خالِطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم، فإن للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحبَّ. كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً بها منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل متقبّل؟ يا حملة القرآن! اعملوا به، فإن العالم مَن عَمِل بما عَلِم، ووافق عَمَله عِلْمه. وسيكون أقوام يحبون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف سرائرهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتى أن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس على غيره ويدعُه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالستهم تلك إلى الله تعالى. لا يخافنَّ أحد منكم إلاّ ذنبه، ولا يرجو إلا ربّه، ولا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم. الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. الفقيه كلّ الفقيه مَن لم يُقنِط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره؛ لأنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا عالم لا فهم عنده، ولا قراءة لا تدبُّر فيها، وأبردها على كبدي إذا سئلت عمّا لا أعلم أن أقول: الله أعلم. مَن أراد أن ينصف الناس من نفسه، فليحب لهم ما يُحبّ لنفسه. الحزم سوء الظن ـ وهو حديث[1] ـ. التوفيق خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والعقل خير صاحب، والأدب خير ميراث، ولا وحشة أشدّ من العجب. أخوف ما أخاف عليكم اتِّباع الهوى، وطول الأمل. كونوا مصابيح الليل، خلقان الثياب، جرد القلوب؛ تُعرفون به في ملكوت السماء وتعرفون به في الأرض. موت الإنسان بعد أن

(1) قوله ﷺ: «الحزم سوء الظن»: رواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب عن علي ﷺ، والقضاعي عن عبد الرحمن بن عائذ ﷺ. **الجامع الصغير للإمام السيوطي**– الحديث رقم: 3815.

كبر وعرف ربّه خيرٌ من موته طفلاً بغير حساب في الآخرة. أعلم الناس بالله أشدُّهم حبًّا وتعظيماً لأهل لا إله إلا الله. سبعٌ من الشيطان: شدة الغضب، وشدة العطاس، وشدة التثاؤب، والقيء، والرعاف، والنجوى، والنوم عند الفكر.

قال أبو عبيدة: ارتحل الإمام علي بن أبي طالب ﷺ بتسع كلمات قطع بهن الأطماع عن اللحاق بواحدة منهن؛ ثلاث في المناجات، وهي قوله: «كفاني عزًّا أن تكون لي ربًّا، وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً، أنت لي كما أحبّ فوفِّقني لما تحب». وثلاث في العلم، وهي قوله: «المرء مخبوء تحت لسانه»، وقوله: «تكلّموا تُعرفوا»، وقوله: «ما هلك امرء عرف قدره». وثلاث في الأدب، وهي قوله: «أنعم على مَن شئت تكن أميره، واستغنِ عمَّن شئت تكن نظيره، واحتجْ لمن شئت تكن أسيره».

ومن كلامه ﷺ: «جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة». قيل له: ما النقص في اللذّة؟ قال:لا ينال شهوة حلال إلا جاء ما ينغّصه إيّاها. إن للمنكبات نهايات لا بدَّ لأحد إذا نُكِب أن ينتهي إليها، فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها، فإن رفعها قبل انقضاء مدّتها زيادة في مكر الله تعالى. وسئل ﷺ عن القدر؟، فقال: «طريقٌ مظلم لا تسلكه، وبحر عميق لا تَلِجه. سرُّ الله تعالى قد خفي، فلا تُفْشِه. أيها السائل! إن الله خلقك لما شاء، فيستعملك لما شاء. وقال له يهودي: متى كان ربّنا؟ فتغيَّر لونه، وقال: «لم يكن، فكان هو كان بلا كينونة، كان بلا كيف، كان ليس له قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية، فأسلم اليهودي. وافتقد ﷺ درعاً وهو بصفِّين، فوجدها عند يهودي، فتحاكما فيها إلى قاضيه شريح ﷺ، وجلس بجنبه وقال: «لولا أن خصمي يهودي لاستويت في المجلس، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تساووا بينهم في المجالس» ـ وفي رواية: «أصغروهم من حيث أصغرهم الله» ـ. ثم ادّعى بها وأنكر اليهودي، فطلب شُريح بيِّنة من عليّ، فأتى بالحسن وقنبر رضي الله عنهما ـ، فقال له شُريح: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدّمني لأقاضيه، وقاضيه حكم عليه؛ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ، وإن الدرع درعك.

وجلس رجلان يتغديان؛ مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة، فمرَّ بهما

ثالث فأجلساه، فأكلوا الأرغفة الثمانية على السواء، ثم أعطاهما الثالث ثمانية دراهم عِوَضاً عما أكله من طعامهما، فتنازعا، فصاحب الخمسة الأرغفة يقول: لي خمسة دراهم، ولصاحب الثلاثة ثلاثة. وصاحب الثلاثة أرغفة يدّعي أن له أربعة دراهم. فاختصما إلى عليٍّ ـ كرَّم الله وجهه ـ فقال لصاحب الثلاثة: «خذ ما رضي به صاحبك ـ وهو الثلاثة ـ فإن ذلك خيرٌ لك»، فقال: لا أرضى إلا بمرِّ الحق، فقال علي ﵁: «ليس لك في مرّ الحقّ إلا درهم واحد». فسأله عن بيان وجه ذلك، فقال ﵁: «أليست الثمانية الأرغفة أربعة وعشرين ثلثاً، فأكل كل واحد ثمانية، فصاحب الخمسة الأرغفة له خمسة عشر ثلثاً؛ أكل ثمانية وبقي له سبعة. وأنت لك تسعة أثلاث؛ أكلت ثمانية وبقي لك واحد، فله سبعة دراهم بسبعة، ولك واحد بواحدك»، فقال: رضيت الآن.

وسُئل ﵁ عن مخرج جمع الكسور، فأجاب بديهة: «اضرب أيام أسبوعك في أيام سنتك». وسُئل عن السخاء، فقال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتكرّم. وأثنى عليه عدوٌّ له فأطراه، فقال: إني لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك. وقال له: ثبَّتك الله، فقال علي ﵁: صدرك وكلامه في الحكم والعلم والأدب.

وغيرها كثير بديع، وأفرده غير واحد بالتأليف، وكلماته الدالّة على علوِّ قدره؛ علماً وزهداً ومعرفة بالله تعالى لا تُحصى، وقضاياه وما جرّبناه لا تُستقصى، ولم يكذب على واحد من الصحابة ما كُذب عليه.

ومن جملة ما وُضع عنه الوصية الطويلة التي ذُكر فيها: يا عليّ! يا عليّ!... **نصَّ جهابذة المحدثين على وضعها.**

ثم أنه ﵁ أحد المشار إليهم بالفتيا، وأحد الزهّاد المذكورين، وأحد الشجعان المشهورين، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد الستّة أهل الشورى، وأحد العشرة النُّجبا.

وتعداد فضائله ومناقبه ومكانته ﵁ في العلم والفهم والاستقامة والشجاعة والشهامة والفراسة الصادقة والكرامات الخارقة، وشدّته في نصرة الإسلام، ورسوخ قدمه في الإيمان، وسخائه وصداقته مع ضيق الحال، وشفقته على المسلمين، وزهده وتواضعه، وتفصيل ذلك باب واسع يحتمل مجلدات، وقد أفرد ترجمته بالتأليف

جماعة، منهم: قاضي القضاة الجزري في كتاب سمّاه: «**أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب**»، والحافظ أبو عبد الله الذهبي، وقد بسط المقال وأوسع المجال في مناقبه المحبّ الطبري في «**الرياض النضرة**» وفي «**ذخائر العقبى**»[1].

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل، والقاضي إسماعيل بن إسحاق، والنسائي وغيرهم ﷺ: لم يُرْوَ في فضائل أحد من الصحابة ﷺ بالأسانيد الحسان ما رُوي في فضائل علي ﷺ.

قال بعضهم: وسببه ـ و الله أعلم ـ أن الله أطلع نبيّه على ما يكون بعده مما ابتُلي به، على ما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة، فاقتضى ذلك نصح الأُمة باشتهاره بتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسّك ممن بلغته. ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سَمِع من الصحابة ﷺ تلك وبثّها نصحاً للأُمة أيضاً، ثم لما اشتدَّ الخطْب واشتغلت طائفة من بني أُمية بتنقيصه وسبِّه ﷺ على المنابر، ووافقتهم الخوارج، بل قالوا بكفره ـ قبَّحهم الله ـ اشتغلت جهابذة الحفاظ من أهل السُّنّة ببثّ فضائله، حتى كثرت نصحاً للأمة ونصرة للحق.

من الأحق بالخلافة؟

ثم اعلم أنه ﷺ **هو الحقيق بالخلافة بعد الأئمّة الثلاثة، باتفاق أهل الحلّ والعقد عليه؛** بل قال بعضهم: انعقد عليه الإجماع. ووجه انعقاده في زمن الشورى على أنه له أو لعثمان، وهذا إجماع لولا عثمان ﷺ لكانت لعلي ﷺ، فحين خرج عثمان بقتله من البين بقيت لعلي إجماعاً. ومن ثم قال إمام الحرمين: فلا أكترث بقول من قال: لا إجماع على إمامة علي ﷺ .

وعن أبي جعفر الأنصاري قال: دخلت مع المصريين على عثمان ﷺ، فلما قتلوه خرجت أشُدُّ حتى ملأت فروجي عَدْواً حتى دخلت المسجد، فإذا رجل جالس في

(1) **كتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**: لمحب الدين: أحمد بن عبد الله الطبري. المتوفى: سنة 694 أربع وتسعين وستمائة. كما في كشف الظنون لحاجي خليفة.

نحو عشرة، وعليه عمامة سوداء، فقال: ويحك ما وراءك؟ قلت: قد والله فرغ من القتل. قال: تبًّا لهم آخر الدهر، فنظرت فإذا هو عليّ بن أبي طالب ﵁.

ولما بلغه ﵁ قتل عثمان ﵁؛ خرج ذاهل العقل، فأخذه ولده محمَّد بوسطه تخوّفاً عليه، فقال: ضلّ لا أُم لك، فدخل على عثمان، فوجده مقتولاً، فاسترجع وقال لابنيه الحسَن والحسين: كيف قتل عثمان؟ وأنتما على الباب؟؛ لأنه كان أرسلهما وقال: قوما على باب عثمان بسيفيكما، فلا تدعا أحداً يصل إليه. وبعث عدّة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس الدخول على عثمان ﵁، ويسألونه إخراج مروان ولطم على ولده الحسن، وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة، وعبد الله بن الزبير، وخرج وهو غضبان، فأتى داره ودخلها وأغلق عليه الباب، فأتاه الناس ومن حضر من المهاجرين والأنصار، فضربوا الباب عليه، ودخلوا فقالوا: لا بدَّ للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحقُّ بها منك. فقال ﵁: «لا تريدوني، فإني لكم وزير خيرٌ مني لكم أمير»، فقالوا: والله لا نعلم أحداً أحقَّ بها منك، قال: «فإن أبَيْتم عليَّ، فإن بيعتي لا تكون سرًّا، ولكن أشقّ المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني»، فخرج إلى المسجد فبايعه الناس، وأوَّل مَن بايعه طلحة ﵁؛ وذلك في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار ﵃، وتخلَّف عنها نفر، فلم يُكرههم، فسئل عنهم فقال ﵁: «أولئك قعدوا عن الحق، ولم يقيموا مع الباطل». وتخلّف عن بيعته معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام، فإنه لما بلغهم قتل عثمان حزنوا عليه؛ لا سيما أهل دمشق، وأتى البريد بثوبه بالدماء، فنُصِب على المنبر ونعاه معاوية ﵁ إلى أهلها، فتعاقدوا على الطلب بدمه، وكانوا ستّين ألفاً.

ويقال: إن طلحة والزبير بايَعَا كارهيْن، ثم خرجا إلى مكّة وعائشة ـ رضي الله عنها وعن أبيها ولعن شانئيها ـ بها، فأخذاها وخرجوا إلى البصرة يطلبون بدم عثمان ﵁ من غير أمر علي، والتفَّ قتلة عثمان على علي وصاروا من رؤوس الملأ، وخاف عليّ من أن ينتقض الناس، فسار بعسكر المدينة وبرؤوس قتلة عثمان إلى العراق، فالتقى بطلحة والزبير، وهو يوم الجمل، وكان في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، والتحم القتال من الغوغاء، وخرج الأمر عن عليّ وعن طلحة والزبير ﵄، وقُتل طلحة وانهزم

الزبير لما ذكّره علي ﷺ بقول النبي ﷺ له: «ستقاتله وأنت له ظالم»، فلحقه عمرو بن حرموز بوادي السباع، فطعنه غيلة فقتله، وكان سنّ كل واحد من طلحة وابن الزبير أربعاً وستين سنة، وبلغت عدّة القتلى عشرين ألفاً وثمانية آلاف، وقيل: سبعة عشر ألفاً، وقيل: ثلاثة عشر ألفاً. وذُكر أنه قطعت على خطام الجمل سبعون يداً كلهم من بني ضبطة، كلما قطعت يد رجل تقدم آخر.

وأقام عليّ ﷺ بالبصرة خمس عشرة ليلة ثم انصرف إلى الكوفة، ثم بلغه خروج معاوية ﷺ وأهل الشام إليه في ستين ألفاً، فسار نحوهم في سبعين أو تسعين ألفاً، فالتقوا على صفِّين بناحية الفرات، وتخلف عنها جماعة من سادات الصحابة ﷺ، منهم: سعد بن أبي وقاص الذي افتتح العراق، وسعيد بن زيد، وأُسامة بن زيد، وزيد بن ثابت، وأبو السير السلمي، ومحمد بن سلمة، وأبو موسى الأشعري، وابن عمر، وصهيب الرومي ﷺ، وجماعة رأوا السلامة في العزلة، وقالوا: إذا كان غزو الكفار قاتَلْنا، فأما قتال أهل الفتنة والبغي، فلا نقاتل أهل القبلة.

ودار القتال بينهم مائة يوم وعشرة أيام، وكان بينهم تسعون وقعة، وقُتل من جند علي ﷺ عمار بن ياسر ﷺ، ولما قُتل أمسك عن القتال عمرو بن العاص ـ وكان وزير معاوية ـ وتبعه جماعة كثيرون، فقال له معاوية ﷺ: لِمَ لا تقاتل؟ قال: قتلنا هذا الرجل، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية»(1)، فدلَّ على أنا نحن بغاة.

قال له معاوية ﷺ: اسكت، فو الله ما تزال تدحض في بولك!، أنحن قتلناه؟! إنما قتله مَن أرسله إلينا يقاتلنا، وإنما دفعنا عن أنفسنا، فقُتل. فبلغ ذلك عليًا ﷺ، فقال: «إن كنت قتلته، فالنبيّ ﷺ قتل حمزة ﷺ حين أرسله إلى قتال الكفار».

وقُتل مع عليّ ﷺ خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين، وأُويس القرني أفضل التابعين على الأصح، وخمسة وعشرون بدرياً، وجملة من قُتل من أصحاب علي خمسة وعشرون ألفاً ﷺ، ومن أصحاب معاوية ﷺ خمسة وأربعون ألفاً.

---

(1) قوله ﷺ: «عمار تقتله الفئة الباغية». رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي قتادة ﷺ. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 5607.

ورُوي أن عليًّا ﵁ كتب إلى معاوية ﵁ يناصحه: «غرك غرك، فصارفه بأن لك ذلك، فاخش فاخش فعلك فعلك بهذا بهذا»، وكتب معاوية في جوابه: «على قدري، على قدري». ولمّا سئم الفريقان القتال؛ رفع أهل الشام الصحف يدعون إلى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص ﵁، وتداعوا إلى الحكومة والصلح، واتفقوا على أن يحكّموا بينهما حكماً من جهة عليّ وحكماً من جهة معاوية، على أنَّ من اتفق الحكمان على توليته الخلافة فهو الخليفة، وكتبوا بينهم كتاباً أن يوافوا رأس الحول، فأدرج مع كل حكم طائفة من أشراف الناس، فبعث علي ﵁ أبا موسى الأشعري ﵁، وبعث معاوية ﵁ عمرو بن العاص ﵁، فاجتمع الحكمان بدومة الجندل، وهي مسيرة عشرة أيام عن دمشق وعشرة أيام عن الكوفة وعشرة أيام عن المدينة. ورجع عليّ إلى الكوفة، ومعاوية إلى الشام، وغضب خلق أزيد من عشرة آلاف من جيش علي ﵁، وقالوا: لا حكم إلا لله، فإن الله يقول: [إن الحكم إلا لله]، وكفّروا الفريقين وضللوا عليًّا ﵁ بفعله، واعتزلوه وخرجوا عليه، فسُمُّوا الخوارج، ونصبوا راية الخلاف وعسكروا بحوراء، وقطعوا السبيل، فبعث إليهم ابن عباس ليبيّن لهم الحق، فخاصمهم وحجّهم، فرجع منهم كثيرون وأَبَى الباقون، فساروا إلى النهروان، فسار إليهم علي ورامَ رجعتهم فأبوا إلا القتال، فقاتلهم فقتل واستأصل جمهورهم، ولم ينجُ منهم إلا القاتل، وقتل فيهم ذا الشديد الذي أخبر به النبي ﷺ ؛ وذلك سنة ثمان وثلاثين.

واجتمع الناس بأدرج في شعبان وحضرهما سعد بن أبي وقاص وابن عمرو وغيرهما، وقد اتفق الحكمان على أن يخلع كلٌّ منهما صاحبه، ويختار المسلمون خليفة يرضونه، وقد عيَّن للخلافة يومئذ عبد الله بن عمر بن الخطاب ﵁، وحضر معاوية ﵁ ولم يحضر علي ﵁، فبدأ أبو موسى مكيدة من عمرو بن العاص، فتكلم وخلع عليًّا ثم قال عمرو: وأنا قد خلعت عليًّا كما خلعه، وأثبتُّ خلافة معاوية. وتفرّق الناس وصار في خلاف من أصحابه، فتعب علي ﵁ وقال: أُعصى ويُطاع معاوية! ولم ينظر إلى ما وقع من أبي موسى؛ لأنه كان ناشئاً عن مكر وخديعة، وما هو كذلك لا يُنظر إليه، وظهر في زمانه الخوارج عليه؛ كالأشعث بن قيس، ومسعود بن فدك التميمي، ويزيد بن حسن الطائي وغيرهم. وظهر في زمانه الغلاة في حقه كعبد الله بن

سبأ وأصحابه، ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة، وصدق فيه قول النبي ﷺ لعلي ﵁: «هلك فيك اثنان: محبٌّ غالٍ، ومبغض قالٍ»[1].

وتحقَّق فيه ﵁ شبه الأنبياء وسمات الأصفياء، حيث قال ﷺ مخاطباً له: «يا عليّ! إنّ فيك مثلاً من ابن مريم؛ أبغضه اليهود حتى بهتوا أُمه، وأحبَّه النصارى حتى نزّلوه المنزلة التي ليس لها».

وسلك قوم في محبته طريقة ذات خطر عظيم، فخطَّؤوا الصحابة السابقين له بالخلافة في تقدّمهم عليه، فأقدموا على نقض إجماع خير القرون أسدّهم إجماعاً في أمرٍ قد انقضى، وفرغ منه، وتضمّن قولهم تعجيز عليّ ﵁ حيث بايع لمن قبله تقيةً، وحاشاه ﵁، فلم يكن رعديد الجَنان، ولا العاجز الجبان، ولا الإمّعة المهان؛ بل كان سيداً شجاعاً، مسموعاً مطاعاً، ويكفي في تعريفه أن الصحابة ﵃ لم تستخفّهم الأهواء، ولم يحرصوا إلا على تسكين الدهماء، ومراعاة ما هو الأول.

إنَّ عليًّا ﵁ لما قدم البصرة قام إليه عبد الله بن الكرا، وقيس بن عباد، فقالا له: ألا تُخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه يستولي على الأمر ويضرب الناس بعضهم على بعض، أعهدٌ من رسول الله ﷺ عَهِده إليك؟ فحدِّثنا به، فأنت الموثوق والمأمون على ما سمعت.

فقال: «أما أن يكون عندي عهد من النبي ﷺ في ذلك، فلا و الله! لئن كنت أول من صدّق به لا أكون أوّل من كذّب عليه. ولو كان عندي عهْد من رسول الله ﷺ في ذلك؛ ما تركت أخا بني تيم بن مَرّة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره، ولقاتلتهما بيدي، ولو لم أجد إلا بردتي هذه. ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً، ولم يمت فجأة؛ مكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر ﵁ فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر ﵁، فأبى ﷺ وغضب وقال: «إنكنَّ صواحب يوسف، مُرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناس»، فلما قبض الله نبيَّه ﷺ

---

(1) عن أبي جحيفة ﵁ قال: سمعت عليا ﵁ على المنبر يقول: هلك فيَّ رجلان: محب غال، ومبغض غال. رواه ابن منيع؛ ورواته ثقات. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الحادي عشر. الرافضة ـ قبحهم الله ـ الحديث رقم: 31633.

نظرنا في أمورنا، فاخترنا لدنيانا مَن رَضِيَه رسول الله ﷺ لديننا، وكانت الصلاة أعظم شعار الإسلام وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر، فكان لذلك أهلاً لم يختلف عليه اثنان منا، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم تنقطع منه البراءة، فأدَّيت إلى أبي بكر حقّه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذاً ما أعطاني، وأغزو إذا غزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي، فلما قُبض وُلِّيَها عمر بن الخطاب، وأخذ بسُنَّة صاحبه، وما يُعرف من أمره، فبايعنا عمر ولم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم يقطع البراءة، فأدَّيت إلى عمر حقّه، وعرفت له طاعته، وغزَوْت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا غزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي، فلما قُبض ذكرتُ في نفسي سابقتي وقرابتي وفضلي، وأنا أظنّ أنه لا يعدل بي، ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنباً إلا لحقه في قبره، فأخرج منها نفسه وولده، ولو كانت محاباة منه لآثر ولده، وبرىء منها إلى رهط من قريش ستة؛ أنا أحدهم، فلما اجتمع الرهط تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وأنا أظنّ أن لا يعدلوا بي، فأخذ عبد الرَّحمن بن عوف مواثيقنا على أن نطيع ونسمع أمر مَن ولَّاه الله عزّ وجل أمرنا، ثم ضرب بيده على يد عثمان رضي الله عنه، فبايعه، فنظرت في أمري، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، وإذا ميثاقي قد أُخذ لغيري، فبايعنا عثمان، فأدَّيْت إلى عثمان حقه، وعرفتُ له طاعته، وغزوتُ معه في جيوشه، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا غزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي، فلما أصيب عثمان نظرت في أمري، فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهدٍ من رسول الله ﷺ إليهما بالصلاة قد مضيا، وهذا الذي أُخذ له ميثاقي قد أُصيب، فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين»؛ يعني: البصرة والكوفة.

واعلم أنه يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من الاختلاف والإضراب صفحاً عن إخبار المؤرخين؛ لا سيما جهلة الرواة وضلّال الشيعة والمبتدعة القادحين في أحدٍ منهم، فقد قال ﷺ: «إذا ذُكر أصحابي، فأمسكوا»[1]. والواجب على كل من سمع شيئاً من ذلك أن يتثبّت فيه، ولا ينسبه إلى أحدٍ بمجرّد

(1) أخرج الطبراني في الكبير بسنده عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا». **معجم الطبراني الكبير**: باب الثاء . ثوبان مولى رسول الله ﷺ . مولى آل رسول الله ﷺ .

رؤيته في كتاب أو سماعه من شخص؛ بل لا بدَّ أن يبحث عنه حتى تصح نسبته إلى أحدهم، فحينئذ يجب أن يلتمس لهم أحسن التأويلات وأصوب المخارج. أما ما لم يصح عنهم، فمردود لذاته، فلا يحتاج إلى تأويل، فيتأول توقف عليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ في بيعة أبي بكر ﵁ على أنه لم يكن بغياً منه عليه ولا خروجاً عن طاعته، ولا قدحاً في إمامته، وإنما هو لما أصابه من الكآبة والحزن بفقد رسول الله ﷺ، فلم يتفرغ للنظر والاجتهاد، فلما ظهر له الحق دخل فيمن دخل، كما سبق. ويتأول توقفه عن نصْرة عثمان ودفع الغوغاء على أن عثمان ﵁ منعه من ذلك، كما منع غيره تجافياً عن إيقاع الحرب وإراقة الدماء بين المسلمين، حتى قال ﵁: «من وضع السلاح من غلماني فهو حرّ».

وعن شدّاد بن أوس قال: لما اشتدَّ الحصار بعثمان ﵁ يوم الدار؛ رأيت عليًّا ﵁ خارجاً من منزله معتمًّا بعمامة رسول الله ﷺ، متقلّداً سيفه وأمامه الحسين والحسين وعبد الله بن عمر ﵃ في نفرٍ من المهاجرين والأنصار ﵃، فحملوا على الناس وفرقوهم ثم دخلوا على عثمان ﵁، فقال عليّ ﵁: «السلام عليك يا أمير المؤمنين، إن رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل والمدبر، وإني والله لا أرى القوم إلا قاتلوك، فمُرْنا فلنقاتل»، فقال عثمان ﵁: أنشد الله رجلاً رأى لله ﷻ عليه حقاً أن يهريق في سببي محجمة دم أو يهريق دمه فيَّ، فأعاد عليّ القول، فأجاب عثمان ﵁ بمثل ما أجاب، فرأيت عليًّا ﵁ خارجاً من الباب وهو يقول: «اللهمَّ إنك تعلم أنّا قد بذلنا المجهود»، ثم دخل المسجد.

ويُؤول توقفه في قبول البيعة بعده إعظاماً لقتل عثمان ﵁ وإنكاراً؛ لأنَّ من وجوه المهاجرين والأنصار أقسموا عليه وناشدوه الله في حفظ بقية الأُمة وصيانة دار الهجرة؛ إذ قتلة عثمان ﵁ قصدوا الاستيلاء على المدينة والفتك بأهلها، وكانوا جهلة ليس لهم سابقة في الإسلام، ولا علم بأمر الدين، ولا صحبة لسيد المرسلين ﷺ، فقَبِل البيعة.

ويؤول توقفه عن القصاص من قَتَلة عثمان ﵁، على أنه لما رأى شوكتهم وكثرتهم وقوتهم وجزمهم بالخروج على مَن طالبهم بدمه؛ اقتضى النظر الصائب تأخير الأمر

احترازاً عن إثارة الفتن إلى أن يرسّخ قدمه في الخلافة. ويتحقق التمكن من الأمور فيها على وجهها ويتمّ له انتظام شملها واتفاق كلمة المسلمين، ثم بعد يلتقطهم واحداً بعد واحد، ويسلّمهم إلى مَن له القود. ويدل لذلك أن بعض قتلته عزم على الخروج على عليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ وعلى مقاتلته لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان رضي الله عنه.

والذين تمالؤوا على قتل عثمان رضي الله عنه كانوا جموعاً كثيرة، قيل: سبعمائة، وقيل: ألف من أهل مصر ونحو ذلك من البصرة والكوفة؛ بل ورد أنهم هم وعشائرهم نحوٌ من عشرة آلاف. ويحتمل أنه رأى أنهم بغاة لما لهم من المنعة الظاهرة والتأويلات الفاسدة، حيث استحلُّوا دمه بما أنكروا عليه من الأُمور؛ كجعله مروان ابن عمّه كاتباً له، وردّه إلى المدينة بعد أن طرده النبي صلى الله عليه وسلم، وقضية محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما، والباغي إذا انقاد إلى الإمام العدل لا يؤاخذ بما أتلف في حال الحرب عن تأويله ما كان أو ما لا، كما هو المرجح من قول الشافعي رضي الله عنه، وبه قال جماعة آخرون من العلماء.

ويحتمل أن قتلة عثمان رضي الله عنه لم يكونوا بغاة، وإنما كانوا ظلمة لعدم الاعتداد بشبهتهم، ولأنهم أصرُّوا على الباطل بعد كشف الشبه وإيضاح الحق، وليس كل من انتحل شبهة يصير بها مجتهداً؛ لأن الشبهة تُعرض للقاصر عن درجة الاجتهاد.

ويؤول قتله ـ كرَّم الله وجهه ـ للخوارج المارقين على أنه ثبت عنده كفرهم لما أنهم استحلوا دماء المسلمين، وكفَّروا أشراف المؤمنين، أو على أنه رأى حلّ قتالهم لعلمه بعدالة نفسه، وإرادتهم خلعه.

ويؤول مقاتلة الزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم على قصدهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ظنًّا منهم قدرته على قتلة عثمان رضي الله عنهم، مع تراخيه في القصاص، وإن كان فاسداً. وقد صحَّ ندم طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم على ذلك.

وتؤول مقاتلة معاوية وعمرو لعليّ رضي الله عنه؛ على ظنّهم أنه مالأ على قتل عثمان رضي الله عنه، حيث ترك إعانته ونصره وجعل قتلته خواصه وبطانته، ولم تكن منازعة معاوية في خلافة عليّ للإجماع على حقيقتها لعليّ.

غاية الأمر أخطؤوا في الاجتهاد، وذلك لا يوجب التفسيق فضلاً عن التكفير، ولهذا منع عليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ أصحابه عن بعض أهل الشام، وقال: «إخواننا بغوا علينا».

على أن المحققين من أصحابنا ـ رحمهم الله ـ أجمعوا على أن غزوة الجمل كانت فلتة من غير قصد من الفريقين؛ بل كانت تهييجاً من قتلة عثمان، حيث صاروا فرقتين واختلطوا بالعسكرين، وأقاموا الحرب خوفاً من القصاص، ولم يكن خروج عائشة رضي الله عنها إلا لقصد الإصلاح وتسكين الفتنة، فوقعت في الحرب.

والذي اتفق عليه أهل الحق أن المصيب في جميع ذلك عليّ ﷺ، لِمَا ثبت من إمامته ببيعة أهل الحِلّ والعقد، وأن المخالفين بغاة لخروجهم على الإمام الحق بشبهة، وأن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشبّهة، فلشدّة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام:

قسم مثل أصحاب قرية أيلة ظهر لهم بالاجتهاد أن الحقَّ في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته.

وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحقَّ في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته.

وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيَّروا فيها، فاعتزلوا الفريقين، وكلهم معذورون مأجورون ﷺ.

وسُئل بعضهم عن أمر عليّ ﷺ، فأجاب بقول الله: [تلك أمة قد خلت] الآية.

وسئل ميمون بن مهران عن أهل صفِّين، فقال: تلك دماء طهَّر الله يدي منها، فلا أُريد أن أخضب بها لساني.

وسُئل بعضهم عن بعض ما مرَّ، فقال: أصحاب رسول الله ﷺ كلهم عين، والعين لا تمسّ، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.انتهى.

[قول الغزالي ﷺ في حكم رواية ما شجر بين الصحابة ومقتل الحسين ﷺ]:

وقال الغزالي ﷺ وغيره: ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين ﷺ،

وحكاياته وما جرى بين الصحابة ﷺ من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم ﷺ، وهم أعلام الدين الذين تلقى الأئمة الدين عنهم رواية، ونحن تلقّيْناه من الأئمة دراية، فالطاعن فيهم طاعن في نفسه ودينه.

[قول ابن الصلاح والنووي ﷺ]: قال ابن الصلاح والنووي: الصحابة ﷺ كلهم عدول، وكان للنبيّ ﷺ مائة ألف وأربعة عشر ألف صحابي عند موته ﷺ، والقرآن والأخبار مصرحان بعدالتهم وجلالتهم، ولما جرى بينهم محامل لا يحتمل ذكرها هذا الكتاب.انتهى ملخصاً.

ولا يشكل هذا على ما ذكرته في هذا الكتاب؛ لأن المراد أنه لا يجوز للوعّاظ الجهلة الذين يأتون بالأخبار الكاذبة الموضوعة ونحوها، ولا يبيّنون المحامل، والحق الذي يجب اعتقاده، فيوقعون العامّة في بغض الصحابة ﷺ وتنقيصهم ونحو ذلك من المفاسد بخلاف ما ذكرناه، فإنه غاية إجلالهم وتنزيههم، ولسان الحق فيه على مقتضى الواقع بحسب ما قضت به الأدلّة على توعّد أهل السُّنّة، فهو حسن مطلوب.

وقد ذكر الأئمّة ﷺ في كتبهم نبذاً، وتأوّلوا منه جملاً؛ لأمرين:

أحدهما: صون الأذهان السليمة عن التدنّس بالعقائد الردية التي تجرها حكايات الروافض ورواياتهم.

وثانيهما: ابتناء بعض الأحكام الفقهية عليها.

ومن ثم قال أبو حنيفة ﷺ: لولا عليّ ﷺ لم تكن تعرف السيرة في الخوارج، هذا ما يتعلق بالعلماء.

وأما العامة: فلا يجوز لهم الكلام فيما يتعلق بذلك لفرط جهلهم بالدليل، وعدم معرفتهم بالتأويل؛ بخلاف العلماء، فإنهم مأمورون بالبيان وإزالة خفاء ما أشكل على الأذهان ليبيِّنه للناس ولا يكتمونه.

هذا ملخص ما ذكره أهل السِّيَر، وإنما ذكرته استتباعاً لترجمة السبطين وأبيهما أمير المؤمنين ﷺ أجمعين؛ لتعلم أن لهم أُسوة بسلفهم، وفيه تسلية لخلفهم ويظهر بذلك

سرّ قوله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ الآية، [البقرة:214].وقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، [العنكبوت:2].

وقوله ﷺ: «أشدُّ الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل»[1].

وقوله ﷺ: «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمَن رَضِيَ فله الرِّضا، ومن سخط فله السخط»[2]. وهذا وقع لي كثيراً في هذا المجموع، بل في غالبه؛ لكنه لا يخلو عن فرائد الفوائد.

ولما طال النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، واشتدَّ الخلاف على الناس؛ تعاقد مَنْ بقي من الخوارج على قتل عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص ﷺ، وانتدب ثلاثة منهم لذلك، فاجتمعوا ـ لعنهم الله ـ بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا على قتلهم، فقال عبد الرَّحمن بن ملجم المرادي ـ لعنه الله ـ وهو من حمير، وعداده في بني مراد لكونه حليفهم ـ: أنا لكم بعلي.

وقال الترك بن عبد الله التميمي ـ لعنه الله ـ: أنا لكم بمعاوية رضي الله عنه.

وقال عمرو بن بكر التميمي ـ لعنه الله ـ: أنا أكفيكم عمر رضي الله عنه.

فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي سمّى له حتى يقتله أو يموت دونه، فاتعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان سنة أربعين. ثم توجَّه التُّرك ـ لعنه الله ـ إلى دمشق وضرب معاوية رضي الله عنه، فأصاب وركه، فقطع عنه عرق النكاح، فلم يولد له بعد ذلك، فلما أخذه قال له: الأمان والبشارة، فقد قُتل علي في هذه الليلة،

---

(1) قوله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه: فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». رواه البخاري، والترمذي، وابن ماجه، والإمام أحمد، كلهم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. **الجامع الصغير** للإمام السيوطي 1/ 136 ـ الحديث رقم: 1054 .

(2) قوله ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط». أخرجه الترمذي، وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه. ورمز السيوطي لحسنه. **الجامع الصغير للسيوطي** ـ الحديث رقم: 2298.

فاستبقاه حتى جاء الخبر بذلك، فقطع يده ورجله وأطلقه، وأقام بالبصرة حتى بلغ زياد بن أبيه أنه وُلد له، فقال: أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له!! فقتله. قالوا: وأمر معاوية ﷺ باتخاذ المقصورة من ذلك الوقت.

وتوجَّه عمرو بن بكر ـ لعنه الله ـ إلى مصر، وكان يومئذ بعمرو بن العاص وجع الظهر أو البطن، فبعث مكانه رجلاً من بني سهم يقال له: خارجة، وقيل: سهلاً العامري؛ ليصلِّي بالناس، فقتله عمرو بن بكر يحسبه عمرو بن العاص. ولما علم قال: أردت عمرواً وأراد الله خارجة.

وقدم ابن ملجم ـ لعنه الله ـ الكوفة، واشترى سيفاً بألف وسقاه السم، ولقي أصحابه وكاتمهم ما يريد، ورأى امرأة جميلة من بني تيم الرباب يقال لها: قطام بنت شحنة، فكانت ترى رأي الخوارج، وكان عليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ قتل أباها وأخاها بالنّهروان، فأعجبته فخطبها، فقالت: آليت أن لا أتزوَّج إلا على مهر هو ثلاثة آلاف ومسَد وقينة وقتل علي بن أبي طالبﷺ!، فقال: ما يُغنيك ـ أو ما يغنيني ـ منك قتل علي، وأنا أعلم أني إن قتلته لم أفت. فقالت: إن قتلته ونجوت، فهو الذي أردت، فتبلغ شفا نفسي ويهنيك العيش معي. وإن قُتلت فما عند الله خيرٌ من الدنيا وما فيها. فقال: و الله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل عليّ، فقد أعطيتك ما شرطت. فقالت له: سألتمس مَن يشدّ ظهرك، فبعثت إلى ابن عمٍّ لها يدعى وردان بن مخالد فأجابها، ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة. وقال ابن ماكولا: بجرة ـ بفتح الباء والجيم ـ، وقال أبو عمرو بضم الموحدة وسكون الجيم. فقال له: يا شبيب! هل لك في شرف الدنيا والآخرة لتساعدني على قتل علي بن أبي طالب؟ قال: ثكلتك أُمك، لقد جئت شيئاً أدًّا، كيف نقدر على ذلك؟ قال: إنه رجل لا حرس له، ويخرج إلى المسجد منفرداً؛ نكمن له في المسجد، فإذا خرج قتلناه، فإن نجونا نجونا، وإن قتلنا سعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة، فقال: ويلك عليٌّ ذو سابقة في الإسلام مع النبي ﷺ؟ ما تنشرح نفسي لقتله. فقال: إنه حكم الرجال في دين الله، وقتل إخواننا الصالحين، فنقتله ببعض من قتل، ولا تسكن في دينك. فأجابه، وكان ابن ملجم ـ لعنه الله ـ في خلال ذلك يأتي عليًّا يسأله ويستحمله فحمله، وقال ﷺ : [شعر]

أريـد حياتـه ويريـد قتلـي عذيـري مـن خليلـي مـن مراد

ثم قال: «هذا و الله قاتلي»!، فقيل: ألا تقتله؟ فقال ﷺ: «ومن يقتلني»؟ ووردت عنه آثار تدلّ على أنه علم مصابه.

وكان ـ كرَّم الله وجهه ـ حين تراكمت عليه الفتن والمحن، يقول: «و الله لوددت أن لو بعث أشقاها».

وقال ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ: «يا علي! أتدري مَن أشقى الأوَّلين»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «قاتلك». وفي رواية: «من أشقى الآخرين؟ الذي يضربك على هذه، فتبلّ منها هذه» وأخذ بلحيته[1].

وقال ﷺ: «مَن أشقى الأولين يا علي»؟ قال: «الذي عقر ناقة صالح»، فقال: «صدقت، فمن أشقى الآخرين»؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه» وأشار إلى يافوخه.

وقال علي ـ كرَّم الله وجهه ـ للنبيّ ﷺ: إنك قلت لي يوم أُحد: «أُخِّرت عن الشهادة»، واستشهد من استشهد أن الشهادة من ورائك، قال ﷺ: «فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه بدم» وأومأ ﷺ بيده إلى لحيته ورأسه، فقال عليّ ﷺ: يا رسول الله! أمّا أن تثبت لي شهادة ما أثبت، فليس ذلك من مواطن الصبر، ولكن مواطن البشرى والكرامة. وقال لعليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ رجلٌ من الخوارج: اتَّق الله يا عليّ! إنك ميت، فقال علي ﷺ: «بل مقتول بضربة على هذا تخضب هذه ـ يعني: لحيته من رأسه ـ عهدٌ معهود، وقضاء مقضي، وقد خاب من افترى».

وجاءه رجل من مراد، فقال: احترس، فإن ناساً من مراد يريدون قتلك. فقال ﷺ: «إنَّ مع كل رجل ملكين يحفظانه ما لم يقدر عليه، فإذا جاء القدر خلَّيا بينه وبينه، وإن الأجل جُنَّة حصينة».

---

(1) عن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: قاتلك يا علي. رواه ابن عساكر. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الثالث عشر. فضائل علي ﷺ ـ الحديث رقم: 36429.

وخطب ـ كرَّم الله وجهه ـ فقال: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذا»، قال الناس: أعلمنا مَن هو لنبيره أو لنبيرن عشيرته؟ فقال ﷺ: «أنشدكم بالله أن يقتل بي غير قاتلي»، قالوا: إن كنت قد علمت ذلك فاستخلف إذاً. قال: «ولكنكم أكِلكم إلى من وكلكم رسول الله ﷺ».

قوله: لنبيره؛ أي: لنهلكه، والبوار: الهلاك.

وكان عليٌّ ـ كرَّم الله وجهه ـ في شهر رمضان قُتل فيه ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبد الله بن جعفر، ولا يزيد على ثلاث لقم، ويقول: «أحبُّ أن ألقى الله وأنا خميص»، فلما كان ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين أكثر الخروج والنظر إلى السماء، ويقول: «و الله ما كذبت ولا كذبت، وإنها الليلة التي وُعدت». ولم ينم تلك الليلة إلا قليلاً، ثم انتبه وقال ﷺ للحسين ﷺ: «يا بنيّ! رأيت النبيّ ﷺ في نومتي، فقلت: يا رسول الله! ما لقيت من أُمتك من اللأْواء واللدود؟ فقال: «ادع الله عليهم»، فقلت: «اللهمَّ أبدلني خيراً منهم، وأبدلهم بي من هو شرّ مني». وجاء مؤذنه ابن النباخ يؤذنه بالصلاة، فخرج فأقبل الإوز يصحن في وجهه، فطردوهن فقال ﷺ: «دعوهنّ، فإنهنَّ نوائح». وفي رواية قال: «هذه صائحة تتبعها نائحة»، فلم يقدر أن يفتح باب داره، ثم تكلّف وفتح الباب، فتعلق إزاره في الباب، وخرج إلى المسجد وابن النباخ بين يديه، والحسَن خلفه، فنادى: «أيها الناس! الصلاة الصلاة» كذلك كما كان يصنع كل يوم يخرج ومعه درته يوقظ الناس، فاعترضه الرجلان على السدّة، فبدره شبيب فضربه فأخطأه ووقعت ضربته في السدّة، وضربه ابن ملجم ـ لعنه الله ـ بالسيف، فأصاب جبهته إلى قرنه، ووصل دماغه. وقال ـ لعنه الله –الحكم: لله يا عليّ! لا لك ولا أصحابك. فقال علي: «فُزت ورب الكعبة»، وقال ﷺ: «لا يفوتكم الكلب»، وفي رواية: «لا يفوتكم الرجل»، فشدَّ الناس عليهما من كل جانب؛ فأما شبيب، فأفلت خارجاً من باب كندة. وأما ابن ملجم، فلما همَّ الناس به حمل عليهم بسيفه، ففرجوا له، فتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة فرماها عليه، واحتمله وضرب به الأرض وقعد على صدره وانتزع سيفه عنه، فقال علي ﷺ: «احبسوه، فإن أعش فأنا وليّ دمي عفواً وقصاصاً وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند ربّ العالمين، ولا تمثّلوا

به». واستخلف ﷺ جعدة بن هبيرة، فصلَّى بهم تلك الصلاة. وحبس ابن ملجم، فقالت له أُم كلثوم بنت علي رضي الله عنها: و الله قتلت أمير المؤمنين؟ قال: ما قتلت إلا أباك، و الله لأرجو أن لا يكون على أمير المؤمنين بأس. قال: فلِمَ تبكين؟ ثم قال: والله لقد سممته شهراً ـ يعني: سيفه ـ فإن أخلفني أبعده الله واستحقه. وقالوا لعليّ: يا أمير المؤمنين! خلِّ بيننا وبين مراد ولا تقوم ناحية ولا راضية أبداً. قال: «لا، ولكن احبسوا الرجل فإن أنا مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص». ودخل عليه عمرو ذي مرّ وقد عصب رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين! أرني ضربتك. قال: فحلَّها فقال: خدش وليس شيء، فقال ﷺ: «إني مفارقكم»، فبكت أُم كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: «اسكتي، فلو ترين ما أرى لما بكيت». فقال عمرو: يا أمير المؤمنين! ماذا ترى؟ قال ﷺ: «هذه الملائكة وفود والنبيُّون ومحمد ﷺ يقول: يا عليّ! أبشر فما تصير إليه خير مما أنت فيه».

ثم أوصى عليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ وصية طويلة، في آخرها: «يا بني عبد المطلب! لا تخوضوا دماء المسلمين خوضاً، تقولون قتل أمير المؤمنين. ألا لا تقتلوا بي إلاّ قاتلي، انظروا وإذا أنا متّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تُمثِّلوا به، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة، ولو بالكلب العقور»[1].

وقال للحسن والحسين رضي الله عنهما: «أُوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوى منها عنكما، وقولا الحقّ، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، واصْنعا للآخرة، وكونا للظالم خصْماء، وللمظلوم أنصاراً، ولا تأخذكما في الله لومة لائم». ثم نظر إلى ولده محمد ابن الحنفية رضي الله عنهما، فقال: «هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟» فقال: نعم، قال: «أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير

(1) روى الطبراني عن إسماعيل بن راشد قال: كان من حديث ابن ملجم لعنه الله وأصحابه. قلت: فذكر الحديث في وفاة علي وقتله إلى أن قال: فقال علي للحسين: إن بقيت رأيت فيه رأيي وإن هلكت من ضربتي هذه فاضربه ضربة ولا تمثل به،فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المثلة ولو بالكلب العقور. وهو بتمامه في مناقب علي ﷺ . **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد السادس 27 كتاب الحدود والديات 4 بابان في المثلة والخِصاء1 باب النهي عن المثلة ـ الحديث رقم: 10493.

أخويك لعظم حقهما عليك، ولا توثق أمراً دونهما». ثم قال: «أوصيكما به، فإنه أخوكما وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه».

ولما فرغ ـ كرَّم الله وجهه ـ من وصيته، قال: «اقرىء عليكم السلام ورحمة الله وبركاته»، ثم لم يتكلم إلا لا إله إلا الله، حتى قبضه الله.

وكان قتله ﵁ يوم الجمعة يوم سبعة عشر من رمضان، مثل صبيحة يوم بدر، وقيل غير ذلك.

واختُلف في قبضه، فقيل: قُبض من يومه، وقيل: بقي يوم الجمعة والسبت، وقُبِض يوم الأحد.

[غسله ودفنه ﵁]: وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ﵃، ومحمد بن الحنفية ﵁ يصبّ الماء. وقيل: إن عليًّا كان عنده مسك فضل من حنوط رسول الله ﷺ؛ أوصى أن يحنّط به. وكُفِّن في ثلاثة أثواب ليس فيه قميص، وصلَّى عليه ابنه الحسن، وكبَّر عليه أربعاً، وقيل: سبعاً.

واختُلف في موضع دفنه، فقيل: في قصر الإمارة في الكوفة، وقيل: في رحبة الكوفة، وقيل: بنجف الحيرة. والنَّجف ـ بالتحريك ـ: مكان لا يعلوه الماء مستطيل، والجمع: نجاف ـ بالكسر ـ، والنجا: فائض أسكفة الباب، وهي عتبته العليا. والحيرة ـ بالكسر ـ: مدينة بقرب الكوفة، والنسبة إليها حيري وحاري أيضاً على غير قياس، وكأنهم قلبوا التحتية ألفاً.

قال الخجندي: والأصح عندهم مدفون من وراء المسجد، وهو الذي يؤمّه الناس اليوم، دُفن ليلاً وعُفِي قبره لئلا ينبشه الخوارج. وقيل: نقله الحسن إلى المدينة، وقيل: لما حملوه ليدفنوه مع رسول الله ﷺ، فبينما هم يسيرون ليلاً إذ ندَّ الجمل الذي عليه، فلم يدر أين ذهب، ولم يقدروا عليه، فلذلك تقول أهل العراق: هو في السحاب. وقيل: إن البعير وقع في بلاد طي، فأخذوه ودفنوه. وقيل: دُفن بالكوفة، ثم حُمل إلى المدينة ودُفن عند فاطمة. وقيل: وهو أول من حوِّل من قبر إلى قبر، وقيل: دُفن بالعراق وهو موضع يزار الآن. وقيل: بين منزله والجامع الأعظم.

[سنه ﵁ يوم مقتله]: واختلف في سنِّه يومئذ، فقيل: ثلاث وستون، وقيل: سبع وخمسون، وقيل: ثمان وخمسون، وقيل: ثمان وستون. وذُكر في كتاب «مواليد أهل البيت»: أن سنَّه خمس وسبعون، ولم يذكر غيره.

وصحب ﵁ النبي ﷺ منها بمكّة ثلاث عشرة سنة، وسنُّه يوم صحبه اثنتا عشرة سنة. ثم هاجر، فصحبه بالمدينة عشر سنين، وعاش بعده ثلاثين سنة، ولما دُفن علي ـ كرَّم الله وجهه ـ بعث الحسين إلى ابن ملجم، فأخرجه من السجن ليقتله، فاجتمع الناس وجاؤوا بالنفط والبواري والنار، قالوا: نحرقه، فقال الحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية: دعونا نشفي أنفسنا منه، فقطعوا أيديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، ثم كحل عينيه بمسمار محمّى فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمّك بمكحول ممض، وجعل يقرأ: [اقرأ باسم ربك الذي خلق] إلى آخر السورة، وعيناه تسيلان على خدِّه. ثم عولج على لسانه ليُقطع، فجزع فقيل له: قطعت يداك ورجلاك، وسيلت عيناك فلم تجزع، فلما صرنا إلى لسانك جزعت؟! قال: وما ذاك من جزع، إلا أني أكره أن أكون في الدنيا فواقاً لا أذكر الله تعالى، فقطعوا لسانه ثم جعلوه في قوصرة واحرقوه بالنار، وكان ابن ملجم ـ لعنه الله ـ أسمر أبلج في جبهته أثر السجود، ومدحه عمران بن حطان ـ لعنه الله ـ على قتله لعلي ﵁، فقال: [شعر]

ما ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الأرض أقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا
لله در المرادي الذي سفكت ... كفاه مهجة شرّ الخلق إنسانا
أمسى عشية عشاه بضَرْبة ... مما جناه من الآثام عريانا

قاتله الله تعالى وأخزاه ما أجرأه على الله تعالى، فأجابه إمام الشافعية القاضي أبو الطيب رحمه الله تعالى، يقول: [شعر]

إني لأبرأ مما أنت قائله ... في ابن ملجم الملعون بهتانا

إنـــي لأذكـــره يومـــاً فألعَنـــه دنيـــا وألعن عمـــران بـــن حطانا

عليك ثـــم عليـــه الدهـــر متصلاً لعائـــن اللـــه إســـراراً وإعلانـــا

فأنتـــم مـــن كلاب النار جـــاء لنا نـــص الشـــريعة برهانـــاً وتبيانـــا

وأجاب أيضاً بكر بن حماد الباهري، بقوله: [شعر]

قـل لابـن ملجم والأقـــدار غالبة
هـدمـت ويـلـك لـلإسـلام أركـانـا

قتلت أفضل مـن يمشي على قـدم
وأول الـنـاس إسـلامـاً وإيـمـانـا

وأعـلـم الـنـاس بـالـقـرآن ثـم بما
سـنَّ الـرسـول لـنـا شـرعـاً وتبيانا

صـهـر الـنـبـيّ ومـــولاه ونـاصـره
أضـحـت مـنـاقـبـه نـــوراً وبـرهـانـا

وكـــان منه على رغـــم الحشو له
مكان هـــارون من موسى بن عمرانا

وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكراً
لـيـثـاً إذا ألـقـى الأقـــران أقـرانـا

ذكـــرت قـاتـلـه والـدمـع منحدرٌ
فقلت سبحان رب الـعـرش سبحانا

إنـــي لأحـسـبـه مـا كـــان مـن بشرٍ
يخشى المعاد ولكن كـان شيطانا

أشـقـى مـــراداً إذا عـدت أفاعلها
وأخـسـر الـنـاس عـنـد الـلـه ميزانا

كعاقر الناقة الأولــى التي جلبت
على ثمود بــأرض الحجر خسرانا

قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها
قـبـل الـمـنـيـة أزمـــانـــاً فـأزمـانـا

فــلا عـفـا الـلـه عـنـه مـا تحمَّله
ولا سـقـى قـبـر عـمـران بـن حطانا

بـقـولـه بـيـت شـعـر ضـــلَّ مجترماً
ونــــال مـا نـالـه ظـلـمـاً وعـدوانـا

بـل ضـربـة مـن غـوى أورثـتـه لظى
مـخـلـداً قـد أتـى الـرحـمـن عصيانا

كــأنــه لــم يـــرد قــصــداً بضربته
إلا ليصلى عــذاب الـخـلـد نيرانا

وأجاب أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفرائيني: [شعر]

كذبت ويـح الـذي حج الحجيج له
وقــد ركـبـت ضـــلالاً مـنـك بهتانا

لـتـلـقـيـن بـهـا نــــاراً مـؤجَّـجـة
يــوم الـقـيـامـة لا زلـفـى ورضــوانـا

تبَّت يـداه لقد خابت وقـد خسرت
وصــار أنجس من في الحشر ميزانا

وهــذا جوابي لــذاك الـنَّـدل مرتجلاً
أرجـــو بـــذاك مــن الـرحـمـن غفرانا

وأجاب الحميري:

لا درّ درّ الـمـرادي الـذي سفكت
كـفـاه مهجة خـيـر الـخـلـق إنسانا

قــد صـــار مـمـا تـعــاطـاه بضربته
مـمـا عليه ذوو الإســـلام عريانا

أبـكـى الـسـمـاء لـبـاب كـان يعمره
منها وحـنّـت عليه الأرض أحيانا

طــوراً أقــول ابــن ملعونين ملتقط
مـن نسل إبليس لا بـل كـان شيطانا

ويــل أُمـــه أي مـــاذا لعنة ولـدت
لا إن كما قـال عـمـران بـن حطانا

عــبــداً تـحـمـل إثـمــاً لـو تحمّله
نــهـلان طـرفـة عـيـن هــدّ نهلانا

والشيخ الجفري:

إن الــمــرادي وعـمــران بـن حطانا
عليهما لـعـنـة الـرحـمـن مـا كانا

كــم فـاعـل فعله أشـقـاه لا عجبٌ
ومـــادح مـدحـه أوْلاه خـسـرانـا

بالفعل فـاز الـمـرادي بالجحيم غدا
وفـــاز أيـضـاً بـهـا بـالـقـول عمرانا

كلاهما غير مشكورين لـم يزلا
حـــازا لـخـسـران دنـيـانـا وأخـرانـا

فـابـن ملجم أشـقـى الآخـريـن يـداً
وابـــن حـطـان عـنـه حــطّ إيـمـانـا

عليهما لعنة الرحمن ما نفس
بدا وما غاب أزماناً فأزمانا

هما عن الحدِّ بالتحقيق قد خرجا
قولاً وفعلاً على العدوان أعوانا

بالإثم باءا في سرٍّ وفي علنٍ
به وفيه هما لا شكَّ إخوانا

قد قال ذا الجفري المشهور في ملأ
بذا لقد دان إسراراً وإعلانا

لم لا يكونا وبالمحظور قد عُرفا
كلاهما قد أتى ظلماً وبهتانا

[من روى عنه ﷺ من الأحاديث]: وروى عن علي ـ كرَّم الله وجهه ـ بنوه الحسن والحسين، ومحمد، وعمر، وفاطمة، وابن أخيه عبد الله بن جعفر، وكاتبه عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ.

[مروياته ﷺ]: ومرويّاته في كتب الأحاديث خمسمائة وستّة وثمانون حديثاً؛ في الصحيحين منها أربعة وأربعون حديثاً اتفقا على عشرين منها، وانفرد البخاري بتسعة، وانفرد مسلم بخمسة عشر حديثاً.

كان نقش خاتمه: الملك لله الواحد القهّار، وكان **قاضيه** شريح بن الحارث الكندي، **وحاجبه** قنبر مولاه، وكان قبله بشر مولاه أيضاً، وكان أميره على مصر قيس بن سعد بن عبادة، وكان ذا رأي ودهاء، فاجتهد معاوية ﷺ في إخراجه بأن أظهر له من شيعته، فبلغ عليًّا فعزله، وولّاها مالك بن الحارث الأشتر، فمات وولّاها بعده محمد بن أبي بكر، ولما رجع علي بعد التحكيم إلى العراق؛ سار عمرو بن العاص، فانهزم أهلها واستتر محمد بن أبي بكر ثم قتل ووليدا عمرو من قبل معاوية، وجعلها له طعمة.

[أولاده ﷺ]: وكان لعلي ﷺ من الولد خمسة عشر ابناً، وثمانية عشر بنتاً، هذا ما اتفق عليه واختلف في الذكور إلى عشرين، والإناث إلى اثنتين وعشرين. انتهى ما بالمشرع من ترجمة البطين الأترع والبحر المحيط الذخار مع الاقتصار للاختصار؛ لأن مناقبه لا تُحصى بِعَدّ، وشمائله لا تنحصر بحدّ.

قلت: وحيث اختلفوا في محلّ قبره المنيف، وموضع مضجع جسده الشريف؛ أحببت أن أذكر ما اختلفوا فيه بعد موته ـ تغمّده الله برحمته وأسكنه ببحبوح جنّته ـ فأقول:

أما الذين لا غالوا ولا قالوا، فهم أهل السُّنّة السالكين معه على قدم واعتقادهم فيه حسب ما عرفته بالطول الذي تقدم.

وأما الخوارج، فقولهم فيه هو ما كان من قولهم بصفِّين عندما اجتمع المسلمون على الحكمين، وهو قولهم: ما الحكم إلا الله، وأبوا ما جاء في ذلك عنه وعن رسول الله ﷺ، فعليهم غضب الله وكفاهم ما جاء على لسان نبيّ الله بأن وليَّهم ابن ملجم أشقى الآخرين، ومحله معروف عند جميع المسلمين من دون تعيين، فهم يوم القيامة معه عند قيامه؛ لأن كلًّا يقوم يومئذ تحت لواء إمامه، وقد كنت قديماً وقفت على قصيدة لبعض نواصب الخارج، وكان يعد بما قال بها عند بعض الخوارج فضلاً عن غيرهم من الحدّ خارج؛ لأنه ذكر المحدثين خصوصاً، وسائر المسلمين بما لا يليق، وادَّعى بأنه في قوله ذلك من أهل الحقّ والتحقيق، وزعم أيضاً أنه لجميع العلوم والفنون جامع، وما له عنها حال المحاورة في الآثام جميعاً دافع، لكنه بعد أن أبرق وأرعد وقرّب فيما ادعّاه وأبعد؛ أمر جماعته بعدم إفشائها وأكد عليهم في حفظها وإخفائها، فقال: ألا فاحفظوها عن أعداء ديني ومذهبي، فعند ذلك بما فهمت وعمت في بحرها وحذوت حذوها ورويتها بحرف رويّها، فقلت: [شعر]

أقول لمن أوصى بإخفاء قوله

كما يتخفى في الأنام ببوله

لك الويل في جد الكلام وهزله

إذا كنت تخشـــى أن يَحُول بحَوْله رجال هم كالأُسد في النظم والنثر
فدع عنك ذكر الرافعين عن الخفض
بسُنَّة طه المصطفى طاهر العرض
وإن خفضوا هم بالإضافة للفرض
فنصبك فيما قلت خفض على خفض وبالجزم مجزوم بحتـــى ولم تدر
تـقـول بــأن الـجـنّـة خُلقت لكم
ومــا هــي إلا لـلـذي هــو مثلكم
فكم أنتم قل لي وكم كان عدكم
وكـــم كبرها أن تلـــك إلا لأجلكم فقدِّرهـــا إن كنت تقـــدر بالحصر
لأني سمعت بالكتاب الذي يرضي
بأن عرضها عرض السموات والأرض
فما بالك بالطول إن قست بالعرض
وربي بلا شكٍّ لمن شاء بها يقضي وخص بها من شاء في محكم الذِّكر
فسلّم لأمـر الله إن كنت مسلماً
لأن إلــهــي لـلـسـعـادة أبهما
ومثلك مثلي جـديـران بالعما
فلســـنا الذي نعلم بما قـــد تقضّما ومن ذا الـــذي يدري بخاتمة العمر
تشبثت بـالـثـوري أيـنـك أينه
فبينك بُـعـد المشرقين وبينه
فــإن الـــذي لـم تـــدرِ مـــاذا يزينه
ومن ذا يحـــب في الملا ويشـــينه فسفياننا ســـفيان في السرِّ والجهر
وقلت بأنك بابن عباس ملتجي

ومثلك لا يذهب إليه ولا يجي
فـدع عنك ما تحكي أيـا متفنجي

فليس الـــذي حلَّ الجنان بخارجي فخذها بلا نحوٍ من السيد الجفري

وأمّا الشيعة، فقد افترقوا فيه فرقاً، وكل فرقة من تلك الفرق افترقت أيضاً فرقاً، فسنذكر ما ظفرنا به من افتراقهم، وما كان فيه من اختلافهم باختلافهم، فقد يحتاج إلى ذلك مع الكلام معهم في المفاوضة.

قال البغدادي في كتابه الموسوم بـ«المعارضة للرافضة»: أما الشيعة، فقد اختلفت ثلاثة أقسام: الغالية، والإمامية، والزيدية.

القسم الأول: الغالية، وهي تفرقت إلى أحد عشر فرقة: الطيّارة، والبيانية، والمعبرية، والمنصورية، والخاطبية، والمعمورية، واليربعية، والمفضلية، والشريعية، والسبابية، والمفرضية. والجميع من هذه الفرق الغالية مُجمع على إبطال معاد الأشباح يوم القيامة، وأن عليًا ﷺ إله. وتفرّق كل فرقة بقول، فالطيارة ترى أن الله تعالى إنما يحل في الأنبياء والأوصياء فقط، والبيانية ترى أن الله تعالى يحل في أشباح الناس كلهم، والمعبرية تزعم أن الله تعالى في كل شيء، والمنصورية ترى أن الله تعالى يحل في الشيخ وفي عليّ فقط، والخطابية ترى أن الأئمّة أنبياء وأن الله تعالى يبعث في كل وقت نبيَّيْن صامتاً وناطقاً، وكان محمد ناطقاً وعلي صامتاً. والمعمورية كذلك ترى مع ترك الصلاة، واليربعية ترى أن الله تعالى ظهر في المسيح، وفي علي، وفي جعفر بن محمد الصادق فقط، وأن جعفراً لم يُرَ، وإنما يُرى شبحه ـ أي: ظهر فيه ونطق عنه ـ، وأن جميع الشيعة يأتيهم الوحي من الله ﷻ. والمفضلية ترى أن الأئمة كلهم آلهة، وقولهم في كل واحد منهم كقول النصارى في المسيح عليه الصّلاة والسلام. والشريعية ترى أن الله تعالى إنما أشرق في خمسة أشخاص فقط: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين. والسبابية ترى أن عليًا لم يمت، وأنه يرجع قبل يوم القيامة. والمفوضية ترى أن الله تعالى فوَّض تدبير الخلائق كلها إلى الأئمة، وأنه قد أقدر محمداً على خلق العالم، وأن الله تعالى لم يخلق مِن ذلك شيئاً.

القسم الثاني: الإمامية، أربعة عشر فرقة: القطيعية، والكيسانية، والكوتيَّة، والمعبرية، والمحمديـة، والحسينيـة، والذاووسيــة، والإسماعيليــة، والقرامطيــة، والمباركيـة، والشمطية، والعمارية، والمطورية، والموسوية. والمجموع من فرق هذه الإمامية متفقة على أن إمامة عليّ نص، وأن الأئمة معصومون وأنهم يعلمون كل شيء حتى عدد الحصى والقطر والرمال وورق الأشجار، وأن كلهم للمعجزات، وأن إمامة المفضول لا تجوز، وأن الصحابة ﷺ ارتدت إلا ستة: سلمان، وأبا ذرّ، وعمار، وحذيفة، والمقداد، وصهيباً ـ كما مرَّ ـ وتفرّق كل فرقة بقول؛ فالقطيعية والإثنا عشرية الذين قطعوا على موت موسى بن جعفر، وأن الإمامة قد انتهت إلى القائم المنتظر، وهو محمد بن الحسن العسكري. والكيسانية ترى أن صارت بعد علي إلى محمد ابن الحنفية، دون الحسن والحسين. والكوتية ترى أن محمد بن الحنفية حي في جبال رضوى. والمعبرية وقفت على أبي جعفر محمد بن علي الباقر، وزعمت أنه أوصى إلى المغيرة بن شعبة وأنه إمامهم إلى خروج المهدي. والمحمدية ترى أن القائم محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين، وأنه أوصى إلى أبي منصور دون بني هاشم، كما وصَّى موسى عليه الصلاة والسلام إلى يوشع بن نون دون ولده وولد أخيه هارون. والحسينية ترى أن أبا منصور أوصى إلى الحسين بن أبي منصور، وأنه الإمام بعده. والذاووسية ترى أن أبا جعفر لم يمت، وأن القائم المهدي. والإسماعيلية ترى أن الإمامة بعد جعفر صارت إلى إسماعيل ولده، وأنه فُقِد ولم يمت، وهو المنتظر. والقرامطية ترى أن جعفرا نصّ على ابن ابنه محمد بن إسماعيل مات، وأن الإمامة في ولده. والشمبطية ترى أن الإمامة بعد جعفر في محمد ابنه، ثم ولده. والعمارية ـ وهم القحطبية ـ ترى أن الإمامة بعد جعفر صارت إلى ابنه عبد الله. والمطورية وقفت على موسى بن جعفر، وأنه حيّ لم يمت ولا يموت، وهو المهدي. والموسوية تقول: لا ندري؛ مات أو لم يمت، ويقفوا في الإمامة بعده.

القسم الثالث: وهم الزيدية، وهم ستّ فرق: الجارودية، والسلمانية، والبشرية، والمعتمية، واليعقوبية، والبرائية. والجميع منهم متفق على أن الإمامة صارت إلى علي بن الحسين إلى ابنه زيد دون محمد، ثم بعده إلى كل خارج باطن الحق من ولد الحسن والحسين عليهما السلام، وأجمعوا أيضاً على إنكار الرجعة وترك التبرّي من الشيخين

إلا البرائية يتبرّؤون منهما. وتفترق كل فرقة بقول، فالجارودية تزعم أن النبي ﷺ نصَّ على عليّ ﵁ بصفته لا باسمه، وأن عليًّا هو الإمام بعده. والسلمانية ترى سَوْق الأئمة وترتيب أئمتهم إلى علي بن الحسين، ثم تجعلها بينهم فيمن خرج. والبشرية ترى أن عليًّا إنما صار إماماً حين لم يقبل البيعة، فلما قبل البيعة إماماً. والمعتمية ترى أن البيعة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما لم تكن خطأ؛ لأن عليًّا تركها لهما. واليعقوبية ترى مثل ذلك إلا أنها تتبرّأ من عثمان ﵁، وتكفره. والبرائية ترى التبرّي من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتقول بالرجعة، فهذه الإحدى والثلاثون فرقة من الرافضة.

قلت: وقد اتفق لي بعد رجوعي من حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيِّه محمَّد صفوة الأنام ﷺ، وارتحالي إلى المسجد الأقصى بالبيت المقدس من أرض الشام، وذلك في عام ناهيك به من عام؛ عام ستّ وتسعين بعد المائة والألف من هجرة نبيِّه الكريم عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأشرف التسليم، عند ركوبي من بندر جدَّه في سفينة المحب الودود الناخوذ اللطيف الشيخ سعيد بن داود، وكان معنا بالسفينة رجل عليه سيماء الخير عابراً من جدّة إلى أرض الهند، يقال له: أبو الخير، وما زال كل يوم في المركب يأتي عندي ويفاوضني بالكلام، فأتى إليَّ يوماً من الأيام وقت القيلولة وأكثر الناس نيام، وأعطاني صرًّا من الشعر بيتين وطلب مني لهما بعض تبيين، وهما: [شعر]

كفى في الفضل مولاناً على وقوع الشك فيه أنه الله
ومات الشافعي وليس يدري عليٌّ ربّه أم ربه الله!!!

ومذ رأيتهما وفهمت ما فهمت منهما؛ عجزتهما وصدّرتهما وذيّلتهما بما يليق بهما، وعارضتهما وله أعطيتهما؛ وذلك: [شعر]

كفى في الفضل مولانا عليّ بأن وجهه كرَّمه الله
وحاشاه بأن فضلاً يزده وقوع الشك فيه أنه الله
ومات الشافعي وليس يدري بعلم غير ما علّمه الله

جهـول غيـره مـات مُشـكٌّ   علـيٌّ ربـه أم ربّـه اللـه
معجّزهـا مصدّرهـا شـريف   حسـيني علـوي سـامحه اللـه
وبالجفـري يلقـب مـن قديـم   علـى مـا لقّبـوه يحمـد اللـه
فخذهـا يـا أبـا الخيـر ارتجالاً   بحسـن وارد أورده اللـه

والعراض:

كفى في الفضل مولانا علي   بأن يدعى صريحاً أسد الله
وأن عـدوّه يبغضـه ربـي   وأن محبَّـه قـد حبَّـه الله
ومات الشـافعي على يقينٍ   بإسـلام مع الإيمـان بالله
ومات الرافضي وليس يدري   علـيٌّ ربّـه أم ربَّـه اللـه
ففـي الله بـدا شـكّ لدَيْه   وخامـره عليـه لعنـة الله
وأبـدى مقالة منـه افتراء   على الحبـر الذي أيَّده الله
لقد أملى طباق الأرض علماً   بفهـمٍ جيِّـدٍ فهَّمـه اللـه
فذا مـا قاله الجفري عرضاً   على ما قيـل إلهاماً من الله

وتذكرت عند هذا بأني قديماً عجّزت وصدّرت وذيّلت الأبيات المنسوبات للشافعي، فاستحسنت إيرادها هنا؛ لأن لها مناسبة كما ترى بهذا الكلام، وهو: [شعر]

زعـم الرافضـون حـبَّ علـيٍّ   وبنيـه الكـرام أهـل النجابـه
وادعـوا شـيعة لمـن قـد ذكرنا   كذبـوا والـذي قـرأت كتابـه
أنـا عبـدٌ لعبـد عبـد علـي   وأنـا بالحسـين حُـزْت القرابـه
وأنـا مـن صميـم عتـرة طـه   غيـر أنـي أحـب كل الصحابـه

لعن الله أمّة لنبيٍّ حرَّفوا بدّلوا معاني كتابه
قذفوا زوجة النبي وزادوا لعنوا مِن بعده أصحابه
وأنا الجفري المعجز دأْبي والمصدّر لكل قول نيابه
عن أُناسٍ تقدَّموني بهذا وسلكت سبيلهم في الصلابه
ليس لي مدخلٌ يعلم ولكن أشحذ الفكر خائفاً من ذهابه
ناظم ناثر كذوب صدوق ليس لي قطّ في الهوى من طلابه
فاعذروني واحكموا لي بصدقي واشهدوا أنني ساكن طابه
مسلم سالماً ومؤمن حالاً ومن الله أرتجي للإجابة
ختم الله للجميع بخيرٍ ويجير الجميع فضلاً عقابه
بالنبي الكريم والآل جمعاً ولذا نرتجي بجاه الصحابه

وأيضاً كان بعض الإخوان الأدباء حسن المحاورة أتى إليَّ بقصيدة لبعض السادة الزيدية المساورة، وطلب مني بأن أجوب عليها وأن أَحْذُ حذوه في كلامها وأسلوبها، فأجبته إلى ذلك وإن كنت خالياً عن العلوم، خامد الفطنة، جامد القريحة، قليل الفكر في المعقول والمنقول والمفهوم، قلت: [شعر]

قسماً بربِّي والنبي خيرُ الورى وبرافع الخلفاءِ فضلاً حيدرا
إن كلاماً قد نظم المسوري حسن سوى شيء به قد نُكِّرا
إلا أن يقول بأن حيدر خائف أو زال أو ماشي إلى ورا
فلقد خطا أن قال كان تقيَّة منه وخوفاً حيث كان منه مؤخرا
كيف وأبو طالب قال مقالة فاصدع بأمرك لا تخاف من ترا
و الله لن يصلوا إليك بأسرهم حتى أوسد وهو كان كافرا
كيف بمن قد قال لو كشف الغطا وغير هذا من مقال سُطِّرا

حاشـا وكلَّا أن يكـون آخـذاً ... فـي دينـه لومـة لائـم مـا أرا
بـل إنـه صدقـاً يقينـاً راضيـاً ... في كل مـا قد صار قدمـاً أو جرا
حيـث أنـه بعـد الثلاثة قـد بدا ... بالحـرب في صفِّيـن ذابح من برا
وفي الفضيلة حسـيناً مـا قد أتى ... عنـه ويكفينـا الحسـن إذا خبرا
فأبـن لنا الوصـل الذي قـد قلته ... وعلّـة الفصـل الـذي قـد قُدِّرا
إن قلـت خـاف أو أننا فـي أمره ... وقعـت فيـه وقلـت شـيئاً مفترا
أو قلـت راضٍ فأنـت فينـا مننا ... فالصيد كل الصيد في جوف الفرا
فاصدع بـذا يا المسـوري فإن ذا ... ديـن وليـس علينـا متسَـتِّرا
نحـن الـذي قلنا بمـا قـد قاله ... ولـه تبعنـا قدمـاً أو آخـرا
وبـه سـلكنا ذا الطريـق ولم نزل ... نحـن عليهـا بالممات ونحشـرا
أشـهدكم علـيَّ جمعاً فاشـهدوا ... يـا أميـن البيـت مـن أُمِّ القـرا
ولا تخافـوا فيمـا لجـرح قلتـه ... فأنا الفتى الجفري سـلالة جعفرا
فـإن افتخرت فإنني بأهل الكسـا ... أفخر وحاشـى مثلـي أن يتقهقرا
ليـس التقيـة شـأننا فـي ديننـا ... قسـماً بربـي والنبيّ خيـر الورا

وكنت أيضاً ببندر مسكه اصطحبت أنا ورجل أديب ظريف من علماء شيعة الإحساء والقطيف، يقال له الشيخ محمد بن عيثان، وهو عندهم غاية في التشيُّع وفي هذا الشان، فأرسلت إليه بهذين البيتين كان سبب نظمهما وارد ورود في الحين، وهما: [شعر]

سـلبت والمسـلوب قلبـي وبي ... مـن قمـرٍ أهـواه صـوب غبي
قـد حـلَّ و اللـه وطـه النبـيّ ... من بعـد بطن الحـوت والعقرب

فأجابني بجواب فيه ما فيه، فأحببت أن أُظهره ولا أخفيه، وهو: [شعر]

تيمنى حب فتى مغربي ... كنت به مغرًّا كما كان بي
لله دهراً قد تقضى به ... في خفض عيش مخضل مخصب
قد كان والواشون في غفلةٍ ... عنا يحاربني على مذهبي
لَجَّ به الواشون حتى غدا ... يشرب في الحبّ سوى مشربي
فغدت إن أسأله قبلة ... أطفىء بها ما كان من حر بي
يستر عني صفحة خدّه ... في أنه بالقلب للعقرب

فلما رأيته لمح إلى ما تراه من تلميح؛ أجبته فوراً، لا بالكتابة، بل بالصريح، فقلت: [شعر]

إني بأهل الكسا أصبحت ذا شأن
ولست من عاذل نفسي ولا شاني
فالعاذل عيّ والشاني فعيّ ثاني
من حبنا فاز فوزاً يا ابن عيثان
أريك لمحب فيما قلته طعني
وقد علمت بما شاني وما فني
إن كان ذلك من حيث أنني سني
حاشا يسلبك البرقع ويسلبني
إني أنا الجفري المشهور بين الناس
وجعفري علوي من غير ما إلباس
سني وسنيّ وبري عن وصمة الوسواس
ماذا خلتني كغيري فتنة الخنّاس
أشعت حبَّ أبي بكر فتشييعي
حب عليّ أنا الموسوم بالشيعي

لا أرتضي حبّ أصحاب النبيّ ولا
زوج النبيّ على مـن ســبَّ تشنيعي

أنــا على مـا عليه المرتضى أبــداً
أقـفـوه فـي سيره حسب الــذي وردا

ولــم أقــل إثـمـا يـومـاً وخــاف غـداً
كيف وقــد قــام جـهـراً بعدَ مـا قعدا

لــو لــم يكن بالجمل قــام وصفين
وأضحك السيف إعلاناً على الدين

لقلت مـا قــال أهــل الــذم بالشَّيْن
إذ قــد رمـــوه بـــخــذلان وتجبين

لأنـــه عــنـدهـم بـالـعـجـز قــد قهرا
وصـــار بالقهر مــن بعد الثلاثة ورا

لكن أقــول رضي فيما مضى وجرى
وقد رضيت بقى من ليس يرضى خرا

حــاشــا عــلــيٌّ بـــأن يـأخـذ فــي الله
لــومــة لائـــم فـمـا قــد كـــان بـالــلَّاه

مــع الــتــنــزل لــو قـلـت بـمـا قـالـوا
تـقـيـة بـدلـيــل فـيــه قـــد غــالــوا

فعنه ما حِلْت بل هم عنه قد حالوا
وقــد وقـفـت وكـلْـت غير مـا كالوا

فالحمد لله هــذا السير سير علي
لأنـــنـــي تـــابــع فــيــه الإمـــــام علي

وكـل من كـان في الدنيا دعـى بوليّ
قـال مقالتي هـذي مـن خفيٍّ وجليّ

بالهند والسِّند والترك مع أهل الصين
وفـي العجم قاطبة من كل ذي تكين

يكفيك ما قاله الجامي من اليقين
وليس يحتاج في أرض العرب تبيين

إن كنت غاوي فعن أهل الهوى غاوي
أو صرت لاوي فلا عن غيرهم لاوي

تظنني في الهوى داع الهوى هاوي
حـاشـا وكـلّا فـلا هـاوي ولا غـاوي

بعد دانـي قـريـب الملتقى تأتي
قطع بالبَيْن ما من قلبي بل وأحشائي

مـا مـن لـداء دواء أيـن دواء دائـي
الـلـه يـعـلـم والـمـخـتـار ان دائـي

حـبُّ الـذي قـد رمـى قلبي وأسباه
وفـي هـواه رمـاه بـل وألـجـاه

إلـى سـواه ومـا قـد كـان إلا هو
مـا مـن سـواه سـواه كـيـف أنـسـاه

قاضي الهوى في الهوى ما كان لي قاضي
ومـا رَضِـي بفنون العشق من راضي

ماضي على ما عهد من أمره الماضي
هـل غيره زاد بين الـنـاس أمراضي

يـا مــن غــدا قلبه مــن شـأنـه قاسي
وصــار فيما هــو الـمـزمـور ذا باسي

أمَـا وَرَد بالبخاري كالجبل راسي
لا يرحم الله مَـن لا يرحم الناس

إن ظـنَّ غيري ســواه قد سكن قلبي
فــذاك ظــنٌّ وعــنــه قــد نــهـا ربّــي

ما لي ســواه أرى في البُعد والقرب
كـيـف يـكـون وقــد خــامــره لـبّـي

ختمي صلواتي وتسليمي على الهادي
والآل والصحب أهل الفضل أسيادي

بعد أنفاس من حاضرٍ ومــن بادي
تجري ومن غيرهم من كل ذي عادي

وأقول بمَنْ على كل شيء قدير بعد ذا مذيّلاً بيتين للغير، وهو: [شعر]

أحـــبُّ عـلـيًّـا والـبـتـول وولـدهـا
ولـم أجحد الشيخين فضل التقدُّم

وأبــرأ ممن نــال عثمان فـي الملا
كـمـا أتــبــرَّا مــن ولا ابـــن ملجم

فلست أرى ســبَّ الصحابة طاعة
فمن سبَّهم قــال الـنـبـيّ: فـي جهنّم

إذا أنــا ذا ذنــب بفعلي ونيّتي
وأعـــرف مــن نفسي بـأنـي بمجرم

فكيف أنــال مــن أُنـــاسٍ تقدَّموا
بـصـحـبـة طــه فــي مــقــامٍ مـقـدَّم

وفيهم أتــى خير الــقــرون بــلا خفا
وعنهم رضــي ربــي لــدى كــل عالم

نعم أتـرضـى لـي على الكل منهُم
ولــم أخـــشَ فــي ذاك لــومــة لائــم

وأســـأل ربــي يعفو عني ووالـــدي
وولـــدي مــع قومي وعــن كــل مسلم

بجاه النبي والآل والصحب كلّهم
وكـــــل ولـــــي لـــلإلـــه مـعـظّـم

ربّنا اغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول، فاكتبنا مع الشاهدين. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم. هذا ما تيسّر والتحق بترجمة حيدرة سابق مَن سبق.

[بعض من سيرة سيد الوجود حبيبنا ومولانا محمد ﷺ]

ثم قلت:

وهــو الذي قــد خُـصَّ باليقين بســر إلبــاسٍ مــع تلقيــن
من النبيّ المصطفى خيرُ الورى مــن على ظهر البراق قد ســرى

المذكور هنا مَنْ لولاه لم تخرج الدنيا من العدم ﷺ: [شعر]

محمــد ســيّد الكونيــن والثقليـ ـــن والفريقين من عــربٍ وعجم
نبيّنــا الآمــر الناهــي فــلا أحــد أبرّ فــي قــول: لا ، مِنــه ولا نعم

قال في «**المشرع**»[1] من أوعب فيه وجمع:

[سيدنا] محمَّد ﷺ النبيّ العربي القرشي الهاشمي الحرمي الأبطحي المنتخب من خير بطون العرب، وأعرقها في النَّسب، وأشرفها في الحسب، وهو ﷺ الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس.

قال ﷺ لجابر ﷺ: «إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره»[2]، ولما

---

(1) **المشرع الروي في مناقب السادة آل باعلوي** ﷺ **لأبي بكر الشلي** : الجزء الأول ـ صفحة 94 وما بعدها.

(2) قوله ﷺ : «أول ما خلق اللهُ نورُ نبيكِ يا جابر». رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله ﷺ بلفظ قال: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء. قال ﷺ: «يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقُدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا مَلَكٌ ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جِنِّيٌ ولا إنسي، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسَّم ذلك النور أربعة أجزاء؛ فخلق من الجزء الأول: القلم، ومن الثاني: اللوح، ومن الثالث: العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الجزء الأول: حَمَلَة العرش،

تعلّقت إرادة الحق تعالى بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة المحمّدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منها العوالم كلها على صورة حكمه، كما سبق في سابق إرادته.

ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه ﷺ إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به؛ انتقل حكم الزمان إلى الاسم الظاهر، فظهر محمد ﷺ بكلِّيته جسماً وروحاً، فهو ﷺ وإن تأخرت طينته، فقد عُرفت قيمته، فهو خزانة السرّ وموضع نفوذ الأمر.

وحملت به أُمه ـ رضي الله عنها وعن أبيه سيدنا عبد الله ـ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، في رجب ليلة الجمعة، وقيل: يوم الاثنين أيام منى، وظهر لحمله ﷺ عجائب، ووُجِد لإيجاده غرائب.

ولما تمَّ لها من حملها شهران توفي أبوه عبد الله ﵁، وقيل: توفي في المهد، وقيل:

ومن الثاني: الكرسي، ومن الثالث: باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأول: السماوات، ومن الثاني: الأرضين، ومن الثالث: الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأول: نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني: نور قلوبهم وهى المعرفة بالله، ومن الثالث: نور إنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله». الحديث. كذا في المواهب. وقال فيها أيضاً: واختُلِف هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي أم لا؟. فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني: الأصح أن العرش قبل القلم، لِما ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «قدَّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»، فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، فحديث عبادة بن الصامت مرفوعاً: «أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، فقال رب وما أكتب؟ قال أكتب مقادير كل شيء» رواه أحمد والترمذي وصححه. وروى أحمد والترمذي وصححه أيضا من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً: «إن الماء خلق قبل العرش». وروى السدي بأسانيد متعددة إن الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء، فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور النبوي المحمدي والماء والعرش انتهى. وقيل: الأولية في كل شيء بالإضافة إلى جنسه، أي: «أول ما خلق الله من الأنوار نوري» وكذا باقيها. وفي أحكام ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام». انتهى ما في المواهب. تنبيه: قال الشبراملسي ليس المراد بقوله: «من نوره» ظاهره من أن الله تعالى له نور قائم بذاته لاستحالته عليه . لأنَّ النور لا يقوم إلا بالأجسام، بل المراد خلق من نور مخلوق له قبل نور محمد، وأضافه إليه تعالى لكونه تولى خلقه، ثم قال: ويحتمل أن الإضافة بيانية، أي خلق نور نبيه من نور هو ذاته تعالى لكن لا بمعنى أنها مادة خلق نور نبيه منها، بل بمعنى أنه تعالى تعلقت إرادته بإيجاد نور بلا توسط شيء في وجوده، قال وهذا أولى الأجوبة نظير ما ذكره البيضاوي في قوله تعالى: [ثم سواه ونفخ فيه من روحه] حيث قال: أضافه إلى نفسه تشريفاً وإشعاراً بأنه خلقٌ عجيب وأن له مناسبة إلى حضرة الربوبية انتهى ملخصاً.

وهو ابن شهرين، وقيل: ابن سبعة، وقيل: ابن ثمانية وعشرين شهراً، والراجح الأول.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: لما توفي عبد الله ﷺ قالت الملائكة: إلهنا وسيدنا بقي نبيّك يتيماً! فقال الله: «أنا له حافظ ونصير». وذكر العلماء في حكمة ذلك ما لا نطيل بذكره، وقد قال ﷺ: «ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء، فإني كنت في الصغر يتيماً وفي الكبر غريباً»[1].

واختُلِف في **عام ولادته** ﷺ، فالأكثرون على أنه عام الفيل، والمشهور أنه بعد الفيل بخمسين يوماً، وقيل: بأربعين يوماً، وقيل: بشهر، وقيل: قبل الفيل بخمس عشر سنة، وقيل غير ذلك.

واختُلف في **الشهر الذي وُلد فيه** ﷺ، والمشهور أنه ربيع الأول، وقيل: في ربيع الثاني، وقيل: في صفر، وقيل: في رجب، وقيل: في رمضان.

واختُلف في اليوم، فقيل: إنه غير معيَّن، وإنما وُلد يوم الاثنين، وقيل: لليلتين خَلَتا من ربيع الأول، وقيل: لثمان، وهو اختيار أكثر المحدثين. وقيل: لعشر، وقيل: لاثنتي عشر، وهو المشهور الذي عمل أهل مكة وغيرهم عليه.

واختُلف في **الوقت الذي وُلد فيه** ﷺ، والمشهور أنه يوم الاثنين عند طلوع الفجر وقت طلوع الغفر لعشرين مضت من برج الحمل، ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان، وقيل: وُلد ليلاً.

واختُلف في **مدة حمله** ﷺ، فقيل: تسعة أشهر، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية، وقيل: سبعة، وقيل: ستّة.

ووُلد ﷺ في **محل المولد** المشهور بمكّة في سوق الليل آخر شِعب بني هاشم، وقيل: وُلد بردم بني حح، فليس هو الردم المسمى الآن بالمدعى؛ لأن هذا إنما كان في خلافة عمر رضي الله عنه. وقيل: بعسفان، ولم يعوّل عليه أئمتنا.

---

(1) قال ابن حجر المكي نقلا عن السيوطي إنه حديث موضوع لا يحل روايته إلا لبيان أنه مفترى كحديث ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء، فإني كنت في الصغر يتيما، وفي الكبر غريبا، **فإنه موضوع أيضا**. قاله في كشف الخفاء ـ الحديث رقم: 725.

قالوا: يجب الإيمان بأنه ﷺ وُلد بمكّة، وهو أول واجب للأولاد على أصولهم، بل قيل: إن إنكار ذلك كفر لإنكار كونه ﷺ قرشيًّا.

وأوَّل مَن **أرضعته** ثويبة عتيقة أبي لهب؛ أعتقها حين بشّرته بولادته ﷺ.

ولا زال الناس يحتفلون بشهر مولده ﷺ، ويعملون الولائم ويظهرون الناموس ويقرؤون مولده الكريم. ومما جُرِّب من خواصّه أنه أمان في ذلك العام، وكتب الله في سابق حكمته القديمة أن نبيَّه الكريم يكون رضيعاً لحليمة رضي الله عنها، فأخذته وخرجت به إلى منازل بني سعد، ولم تزل تتعرف الخير والسعادة، وتفوز بالحسنى وزيادة.

وشُقَّ صدره الشريف ﷺ عندها، وعند مجيء جبريل عليه السلام له بالوحي، وعند الإسراء.

ولما بلغ ﷺ أربع سنين، وقيل: خمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع، وقيل: اثنتي عشرة سنة وشهراً وعشرة أيام؛ خرجت به أُمه رضي الله عنها ـ إلى أخواله بني النجار بالمدينة، وأقامت عندهم شهراً، وكان نزولهم في دار النابغة.

وكان ﷺ يذكر أُموراً كانت في مقامه ذلك، ونظر إلى الدار فقال: «هاهنا نزلت بي أُمي، وأحسنتُ العوم في بئر بني عدي بن النجار».

وبهذا المذكور في «المواهب» وغيرها يُعلم ردّ قول بعضهم وقد سُئِل: هل عامَ ﷺ؟ الظاهر لا؛ لأنه لم يثبت أنه ﷺ سافر، ولا يأتي من بحر. فماتت أُمه ـ رضي الله عنها ـ بالأبواء، وقيل: بشعب أبي ذئب بالحجون.

وفي القاموس: دار نابغة بمكة فيها مدفن آمنة ـ رضي الله عنها ـ أُم النبيّ ﷺ في علتها التي ماتت بها، ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يقع له خمس سنين عند رأسها، فنظرت إلى وجهه، ثم قالت: [شعر]

بارك الله فيك من غلامٍ ... يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام ... فدى غداة الضرب بالسهام

بمائة من إبل سوام		إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام		من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحِل وفي الحرام		تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر ابراهام		فالله أنهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيراً، وولدت طهراً. ثم ماتت ـ رضي الله عنها ـ، فكنّا نسمع نوح الجنّ عليها، فحفظنا من ذلك: [شعر]

تبكي الفتات البرة الأمينة		ذات الجمال الفضة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينة		أُم نبيّ الله ذي السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه		صارت لدى حفرتها رهينه

قال السيوطي في «مسالك الحنفا»: وقولها: يُبعث بالتحقيق، كذا هو في النسخة. وعندي أنه تصحيف، وإنما هو: «بالتخفيف».

ومات جدّه عبد المطلب كافله، وله ﷺ ثمان سنين، وقيل: تسع، وقيل: عشر، وقيل غير ذلك. وكفله أبو طالب، واسمه عبد مناف، وهو شقيق عبد الله.

ولما بلغ ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمِّه أبي طالب إلى الشام، حتى بلغ بصرى، فرآه بحيرا الراهب، فعرفه بصفته وسأل أبا طالب أن يردَّه خوفاً عليه من اليهود، فردَّه. ولما بلغ ﷺ خمساً وعشرين سنة خرج ومعه ميسرة غلام خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ في تجارة لها في ذي الحجة، حتى بلغ سوق بصرى، وقيل: بسوق حياشة، وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يُظلَّانه من الشمس، ولما رجعوا إلى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علِّيةٍ لها، فرأت رسول الله ﷺ وهو على بعيره وملكان يُظلّان عليه، فتزوَّجها بعد ذلك بنحو شهرين، وقيل: سنُّه إحدى وعشرين سنة، وقيل: ثلاثين ـ كما مرَّ ـ.

ولما بلغ ﷺ خمساً وثلاثين سنة خافت قريش أن تهدم الكعبة السيول، فبنوها، وكان ﷺ ينقل معهم الحجارة.

[بعثته ﷺ]: ولما بلغ ﷺ أربعين سنة وأربعين يوماً، وقيل: وعشرة أيام، وقيل: وشهرين يوم الاثنين لسبع خلت من شهر رمضان، وقيل: لسبع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة، وقيل: لثمان من ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين من الفيل، وقيل: في أوّل ربيع؛ بعثه الله تعالى رحمةً للعالمين، وأوّل ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان يأتي حراء، فيتحنّث ـ أي: يتعبّد ـ فجاءه الملك وهو في غار حراء، وكان لا يمرّ بحجر ولا شجر إلا سلَّم عليه بتحية النبوة: السلام عليك يا رسول الله.

[أول ما نزل من القرآن]: **والصحيح** أن أوَّل ما نزل عليه ﷺ من القرآن: [اقرأ].

وذكر ابن عادل[1] في تفسيره: أن جبريل نزل على النبي ﷺ أربعة وعشرين ألف مرة. وعن الشعبي: أنزلت عليه ﷺ النبوّة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، وكان يعلّمه الكلمة والشيء، ولم ينزل عليه القرآن، فلما مضت الثلاث قرن بنبوّته جبريل، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة، رواه ابن سعد والبيهقي.

فقد تبيَّن أن نبوّته ﷺ كانت متقدّمة على إرساله، ثم فرض الله تعالى من قيام الليل ما ذكره في أول سورة المزمل، ثم نسخه بما في آخرها، ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس، ودخل الناس في الإسلام أرسالاً.

وكان ﷺ يطوف على الناس يدعوهم إلى الإسلام، وكانت قريش تؤذيه بأشدِّ الأذى، ورموه بالشعر والكهانة والجنون، وأقبل كفار قريش على من آمن يعذّبونهم ليردوهم عن دينهم.

وفي سنة خمس من النبوة أذن ﷺ في الهجرة إلى الحبشة، فهاجر أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وقيل أكثر؛ وذلك في رجب.

---

(1) عمر بن علي بن عادل سراج الدين أبو حفص الدمشقي الحنبلي العثماني المعروف بابن عادل، المتوفى بعد سنة 879/ 1474. من تصانيفه: اللباب في علوم الكتاب في ست مجلدات. انظر: هدية العارفين 1/ 794؛ الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي مخطوطات التفسير 1/ 497 ؛ بروكلمان 2/ 114. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة: باب اللام. اللباب في علوم الكتاب.

وفي سنة ستّ أسلم حمزة بن عبد المطلب ﵁، فعُزَّ به ﷺ وكفَّت عنه قريش قليلاً. وأسلم عمر بن الخطاب ﵁ بعد حمزة ﵁ بثلاثة أيام، وقال جبريل ﵇ للنبيّ ﷺ: (لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر).

وفي سنة سبع اجتمعت قريش وتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل!، وكتبوه في صحيفة بخطّ منصور بن عكرمة؛ فشُلَّت يده، وعلقوا الصحيفة في الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب في شِعَبهم إلا أبا لهب، وقَدِم نفر من مهاجرة الحبشة لما بلغهم أن أهل مكّة قد أسلموا وصلّوا مع النبي ﷺ حين قرأ: [والنجم إذا هوى].

ثم هاجر المسلمون الثانية إلى الحبشة، ثم قام رجال في نقض الصحيفة، فأطلع الله ﷻ نبيَّه ﷺ أن الأرَضَة أكلت الصحيفة، ولم تدع إلا اسم الله تعالى؛ وذلك في السنة العاشرة، وفيها مات أبو طالب وله سبع وثمانون سنة، ثم بعده بثلاثة أيام ماتت خديجة رضي الله عنها، ثم تزوَّج ﷺ سودة بنت زمعة رضي الله عنها، ثم خرج ﷺ إلى الطائف في شوال سنة عشر من النبوة لِمَا ناله من قريش بعد موت أبي طالب، فأقام به شهراً يدعوهم إلى الله، فلم يجيبوه، وأغروا به سفهاءهم وانصرف عنهم، ونزل نخلة ـ وهو موضع على مرحلة من مكة ـ صرف إليه سبعة من جنّ نصيبين ـ مدينة بالشام ـ وهو يصلي في جوف الليل، وفي طريقه ﷺ هذه دعا بالدعاء المشهور: «اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوتي... «إلى آخره. ثم دخل مكّة في جوار المطعم بن عدي.

وفي ربيع الأول أُسري بروحه وجسده ﷺ يقظة، ورأى ربّه ﷻ بعيني رأسه، وأُوحي إليه ما أُوحي، وفُرض عليه الصلوات الخمس. وقيل: في ربيع الثاني، وقيل: في رجب، وجزم به النووي في الروضة تبعاً للرافعي. وقيل: في رمضان، وقيل: في شوال، وقيل: كان بعد المبعث بخمس سنين.

ثم لقي ﷺ ستة نفر من الخزرج عند العقبة، فدعاهم فأسلموا.

وفي العام القابل لقيه اثنا عشر رجلاً، وهي العقبة الثانية، وبايعوه بيعة النساء، وبعث إليهم مصعب بن عمير، فأسلم على يديه خلق كثير.

ثم قدم على النبي ﷺ ـ في العقبة الثالثة ـ سبعون رجلاً وامرأتان، وبايعوه على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وعلى حرب الأحمر والأسود، ونقّب عليهم اثني عشر نقيباً.

ثم أمر ﷺ بالهجرة، فخرجوا أرسالاً، ثم اجتمع قريش في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في أمره ﷺ، وحضرهم إبليس في صورة شيخ نجدي، فاجتمع رأيهم على قتله. وأتى جبريل عليه السلام النبيَّ ﷺ، فقال: «لا تبت هذه الليلة على فراشك»، فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه، فأمر عليًّا رضي الله عنه فنام مكانه. ثم خرج ﷺ، وقد أخذ الله على أبصارهم، فلم يره أحد منهم.

ثم أذن الله سبحانه وتعالى له في الهجرة، فخرج لهلال ربيع الأول ومعه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، ولحق بغار ثور واستأجرا عبد الله بن الأريقط دليلاً، ولم يُعرف له إسلام، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ، فأتاهما بهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل أخذ بهم طريق الساحل، فمرّوا بقديد على أُم معبد، فدعا رسول الله ﷺ بشاة خلّفها الجهد عن الغنم، ومسح ﷺ ضرعها وسمّى الله تعالى، فدرَّت، ودعا بإناءٍ فحلب فيه وسقى القوم حتى رووا، ثم شرب آخرهم، ثم حلب عللاً بعد نهل(1)، ثم غادره عندها وذهبوا، فجاء زوجها أبو معبد، فلما رأى اللبن عجب، فقال: أنَّى لك هذا؟ والشاء عازب حيال ولا حلوب؟! فقالت: مرَّ بنا رجل ظاهر الوضاءة، منبلج الوجه، حسن الخلق؛ لم تعبه ثجلة، ولم تزدريه صلعة، وسيم قصيم، في عينه دعج، وفي أشعاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل أزجّ أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن حول المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، أجهر الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنوه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصنٌ بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود لا عابس ولا مفنّد. فقال: و الله هذا صاحب قريش، لو رأيته لاتّبعته.

(1) **العَلَلُ**: الشَّرْبةُ الثانية، وقيل: الشُّرْب بعد الشرب تِباعاً، يقال: عَلَلٌ بعد نَهَلٍ. وعَلَّه يَعُلُّه ويَعِلُّه إِذا سقاه السَّقْيَة الثانية. قاله في اللسان.

[تفسير المفردات]:

قولها: الثَّجلة ـ بفتح المثلثة وسكون الجيم ـ: عظيم البطن، ويُروى بالنون والحاء. ونخول **والصلعة** ـ بفتح الصاد ـ: صغر الرأس. **والوطف**: كثرة شعر الحاجبين والعينين. **والصحل** كالبحة ـ بضم الموحدة ـ أن لا يكون حادّ الصوت. **والحور** ـ بالتحريك ـ: شدّة بياض العين وسواد سوادها. **والكحل** ـ بفتحتين ـ: سواد في أجفان العين خلقة. **والأزجّ**: الدقيق طرف الحاجبين. وفي القاموس: الزجج: دقة الحاجبين في طول. والأقرن: المقرون الحاجبين. **والسطع** ـ بفتحتين ـ أي: ارتفاع وطول. **وفصل** بالصاد المهملة. لا نذر ـ بسكون المعجمة ـ ولا **هذر** ـ بفتحها ـ أي: بيِّن ظاهر يفصل بين الحق والباطل. **لا تشنوه من طول**؛ أي: لا ينقص لفرط طوله، ويُروى: لا تشنى من طول؛ أبدل من الهمزة ياء، يقال: شنيته أشنوه شنًّا وشناناً، قاله ابن الأثير. **ولا تقتحمه عين من قصر**؛ أي: لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً له، وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته. **ومحفود**؛ أي: مخدوم. **والمحشود**: الذي عنده حشد، وهم الجماعة. **ولا عابس**: من عبوس الوجه. **والمفند**: الذي يكثر اللوم، وهو التفنيد.

ثم تعرَّض لهما بقديد سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ﵁، فدعا ﷺ بدعوات، فساخت قوائم فرسه وطلب الأمان، وقال: ادعوا لي ولكما أن أردَّ الناس عنكما ولا أضرَّكما، فوقفا حتى ركب فرسه وأعرض عليهما الزاد والمتاع، فلم يرزأه.

واجتاز ﷺ بعبدٍ يرعى غنماً، فاستقاه اللبن، فقال: ما عندي شاة تُحلب غير أن عناقاً حملت أوّل وما بقي لها لبن، فقال ﷺ: «ادْعُ بها»، فاعتقلها ﷺ ومسح ضرعها حتى أنزلت فحلب، فسقى ﷺ أبا بكر ﵁ ثم الراعي ثم شرب ﷺ، فقال الراعي: أشهد أنك نبيّ، وأن ما جئتنا به حق.

[قدومه ﷺ المدينة المنورة]: وكان قدومه ﷺ المدينة لهلال ربيع الأول، وقيل: لليلتين، وقيل: لاثنتي عشرة، وقيل: لثلاث عشرة، وقيل: اثنين وعشرين.

[كتابة التاريخ بأمره ﷺ]: وأمر ﷺ بالتاريخ، فكُتب من حين الهجرة، وقيل: إن عُمَر ﵁ أوَّل مَن أرَّخ وجعله من المحرم.

وأقام ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف اثنين وعشرين ليلة، وقيل: أربع عشرة، وأسَّس مسجد قباء.

ثم خرج ﷺ من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلَّى بها بمَنْ كان معه من المسلمين.

وأقبل ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر رضي الله عنه، وكلما مرَّ على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم، فيقول: «خلُّوا سبيلها» ـ يعني: ناقته ـ حتى بركت على باب المسجد، ثم ثارت حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول.

ونزل ﷺ وقال: «هذا المنزل إن شاء الله تعالى».

وأقام ﷺ عند أبي أيوب رضي الله عنه سبعة أشهر، وابتاع ﷺ حائط بني النجار بعشرة دنانير، وبناه مسجداً، وسقفه بالجريد، وجعل عمده خشب النخل، وبنى بيوتاً إلى جانبه.

ثم تحوَّل ﷺ من دار أبي أيوب رضي الله عنه إلى مساكنه التي بناها.

وكان ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع، فصُنِع له المنبر. وبعد قدومه بخمسة أشهر آخى بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم على الحق والمواساة والتوارث، وكانوا كذلك إلى أن نزل بعد بدر: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ الآية، [الأنفال:75].

وبنى ﷺ بعائشة ـ رضي الله عنها وعن أبيها ولعن شانئيها ـ في شوال، وشاور أصحابه فيما يجمعهم للصلاة، فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه رضي الله عنه في منامه رجلاً، فعلَّمه الأذان والإقامة، فلما أصبح أخبر النبي ﷺ بما رأى، فقال ﷺ: «إنه لرؤيا حق إن شاء الله تعالى. قم مع بلال، فألق عليه فليؤذّن به، فإنه أندى صوتاً منك»، ورآه أيضاً بضعة عشر رجلاً. ثم زيد في صلاة الحضر ركعتان، وتركت صلاة الفجر وصلاة المغرب وأُقرت صلاة السفر، وقيل: إن الصلاة فُرضت أربعاً، ثم خُفِّف عن المسافر، وقيل: إنها فُرضت في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين.

ونَصَبت أحبار اليهود العداوة للنبيّ ﷺ، وانضاف إلى اليهود جماعة من الأوس

والخزرج منافقون، ونزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ الآية، [الحج:39]. فأذن له بالقتال بعد ما نُهِي عنه في نيّف وسبعين آية، فبعث ﷺ البعوث والسرايا وغزا وقاتل، وكان عدد مغازيه التي خرج فيها بنفسه سبعاً وعشرين؛ قاتل في تسع منها بنفسه، وسراياه التي بعث بها سبع وأربعون سرية، وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه، وهي مائة إلى خمسمائة، فما زاد على خمسمائة يقال له: منسر ـ بالنون ثم المهملة ـ فإن زاد على الثمانمائة سُمِّي جيشاً، فإن زاد على أربعة آلاف سُمِّي جحفلاً، وما افترق من السريّة سُمِّي بعثاً.

[بعوثه وسراياه ﷺ]: وأول بعوثه ﷺ في رمضان، وقيل: في ربيع الأول سنة اثنين؛ بعث عمّه حمزة في ثلاثين رجلاً يعترضون عيراً لقريش، وعقد له لواء أبيض، وهو العلم الذي يُحمل في الحرب يُعرف به موضع صاحب الجيش، وكانت رايته ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض مكتوب فيه: [لا إله إلا الله محمَّد رسول الله]، والتفرقة بينهما عرفية لا لغوية، فقد صرَّح جماعة من أهل اللغة بترادفهما.

ثم سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ في شوال في ستين رجلاً.

ثم سرية سعد بن أبي وقاص إلى الحزاز ـ بمعجمة وزاءين ـ في القعدة، ثم غزوة ودان وهي الأبواء، وهي أول مغازيه ﷺ في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقْدمه في ستين رجلاً.

ثم غزوة بواط ـ بفتح الموحدة وقد يُضم وتخفيف الواو آخره مهملة ـ في ربيع الأوّل من السنة الثانية، في مائتين من أصحابه.

ثم غزوة العشيرة ـ بالشين المعجمة والتصغير ـ خرج ﷺ إليها في جمادى في مائة وخمسين، وقيل: مائتين. وبعد رجوعه منها بعشرة أيام أغار ابن كرز الفهري على سرح المدينة، فخرج ﷺ في طلبه، ففاته وتسمّى بدراً الأولى.

ثم سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش ﷺ في رجب إلى نخلة، فمرَّت بهم عير قريش تحمل زبيباً وأدماً من الطائف، فيها عمرو بن العلاء الحضرمي، فتشاوروا وقالوا: إنْ قاتلناهم هتكنا حُرمة الشهر، وإن تركناهم دخلوا حرم مكة. فأجمعوا على

قتلهم، فقتلوا عمرو واستأسروا رجلين، واستاقوا العير وقدموا على النبي ﷺ، فقال: «ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام»، وتكلَّمت قريش أن محمداً سفك الدماء، وأخذ المال في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ﴾ الآية، [البقرة:217].

[تحويل القبلة وفرض الصيام والزكاة]: ثم حُوِّلت القبلة، قيل: في جمادى، وقيل: في رجب، وقيل: في شعبان، ثم فرض صيام شهر رمضان في شعبان، وزكاة الفطر قبل العيد بيومين.

[غزوة بدر الكبرى]: ثم غزوة بدر الكبرى خرج ﷺ يوم السبت لثنتي عشرة من رمضان أو لثمان فيه، ومعه ثلاثمائة وخمسة أو ثمانية لم يحضرها إنما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم معهم ثلاثة أفراس وتسعون بعيراً، وكان المشركون تسعمائة وخمسين معهم مائة فرس وسبعمائة بعير، وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة في رمضان، ونزل جبريل عليه السلام في خمسمائة، وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق، ولما التقى الجمْعان تناول ﷺ كفًّا من الحصا، فرمى به في وجوههم وقال: «شاهت الوجوه»، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء، فانهزموا وقُتل من قُتل، وأُسِر من أُسر، واستُشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، وقُتل من المشركين سبعون، وأُسر سبعون.

ولخمسٍ بقين من رمضان كانت سرية عمير بن عدي الخطمي إلى عصماء بنت مروان.

وفي شوال **سريـة** سالـم بن عـمير، ثم **غزوة** بني قينقاع ـ بتثليث النون والضم أشهر ـ للنصف في شوال. وفي ذي الحجّة **غزوة** السويق.

وفي السنة الثالثة في ربيع الأول **سرية** محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف، ولثنتي عشرة في ربيع الأول **غزوة غطفان**، ثم **غزوة نجران**. وفي هلال جمادى الآخر **سرية** زيد بن حارثة إلى القردة، وفي شوال **غزوة أُحد**، **وغزوة حمر الأسد**.

وفي سنة أربع في المحرم **سرية** أبي سلمة، **وسرية** عبد الله بن أنيس، وفي صفر

سرية عاصم بن ثابت وحديث عضل والقارة، **وسرية** المنذر بن عمر إلى بئر معونة، وفي ربيع الأول **غزوة** بني النَّضير، وغزوة الرقاع، وغزوة دومة الجندل. وفي شعبان **غزوة** بدر الأخيرة، **وغزوة** المريسيع. وفي شوال **غزوة الخندق**، وقيل: سنة خمس، وفي ذي القعدة غزوة بني قريظة.

وتزوَّج ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها، وزلزلت المدينة. وفي ذي الحجة أو في ربيع الأول سقط ﷺ عن فرسه، فجحشت ساقه، وجُرحت فخذه اليمنى، وأمر ﷺ بالسَّبق بين ما ضمر من الخيل وبين ما لم يضمر، وفُرض الحج على ما جزم به الرافعي.

وفي السنة السادسة في المحرَّم **سرية** محمد بن مسلمة إلى القرطاء، وفي ربيع الأول **غزوة** بني لحيان، **وغزوة** الغابة، **وسرية** عكاشة بن محصن إلى غمر مرزوق ـ بكسر الغين المعجمة ـ، **وسرية** محمد بن سلمة إلى ذي القَصَّة ـ بفتح القاف والصاد المهملة المشدودة ـ، وفي ربيع الآخر **سرية** زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى بني سليم. وفي جمادى الأولى سريّته أيضاً إلى العميض، وسريته إلى الطرف. وفي جمادى الآخرة، وقيل: في شوال، وقيل: في القعدة **سرية** كرز بن جابر الفهْري إلى العرنيين. وفي رجب **سرية** زيد بن حارثة إلى وادي القرى، وفي شعبان بعث عبد الرَّحمن بن عوف إلى بني كلب، وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مائة رجل إلى بني سعد بن بكر. وفي رمضان بعث زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى أُم فرقة، وسرية عبد الله بن عسكر لقتل أبي رافع. وفي شوال **سرية** عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودي. وفي هلال ذي القعدة **غزوة الحُدَيبية، وبيعة الرضوان**. وأرسل إلى الملوك، وسَحَره ﷺ لُبيد بن الأعصم، وبعث ﷺ إبان بن سعيد قِبَل نجد.

وفي السنة السابعة وقعت **غزوة خيبر**، فسمَّته ﷺ زينب بنت الحارث أخت مرحب، وفتح فدك. وفي جمادى الآخرة فتح وادي القرى، ونام ﷺ عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس. وفي شعبان سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربه، وبعْث أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه إلى بني كلاب، وبشر بن سعد الأنصاري إلى بني مُرَّة. وفي رمضان بعث ﷺ غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة. وفي شوال **سرية** بشر بن سعد الأنصاري

إلى أرض غطفان، وسرية ابن عمر إلى نجد. وفي ذي القعدة **عمرة القضاء**. وفي ذي الحجة **سرية** ابن أبي العرجاء السلمي إلى بني سليم.

وفي السنة الثامنة سرية غابة بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح، وسريته أيضاً إلى مصاب أصحاب بشر بن سعد بفدك، **واتخاذ المنبر والقصاص، وسرية** شجاع بن وهب إلى بني عامر، **وسرية** كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح، **وسرية** مؤتة **وسرية** عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، **وسرية** أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر، **وسرية** أبي قتادة إلى حضرة، **وسرية** أبي قتادة إلى بطن آصه، **وسرية** عبد الله بن أبي حدرف إلى الغابة، **وغزوة فتح مكة، وسرية** خالد بن الوليد إلى العزّى، **وسرية** عمرو بن العاص إلى سواع، **وسرية** سعيد بن الوليد إلى بني خديمة، **وغزوة حُنين، وسرية** أبي عامر الأشعري إلى أوطاس، **وسرية** الطفيل إلى ذي الكفين، **وغزوة الطائف، وسرية** عمرو بن العاص إلى عمان، **وسرية** العلاء الحضرمي إلى المنذر بن ساوى، وقيس بن سعد بن عُبادة إلى ناحية اليمن.

وفي السنة التاسعة بعث عُيينة بن حصين ﵁ إلى بني تميم، والوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق، **وسرية** قطبة بن عامر إلى خثعم، والضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب، وعكاشة بن محصن إلى الخباب، **وإسلام كعب بن زهير**، وتتابع الوفود. وهجر ﷺ نسائه، **وغزوة تبوك، وسرية** خالد بن الوليد من تبوك إلى أُكيدر، وكتابته من تبوك إلى هرقل، وقصّة اللعان، ورجم المرأة الغامدية، **ووفاة النجاشي**.

[**بعوثه وسفراؤه ﷺ**]: **وفي السَّنة العاشرة** بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وخالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وعلي بن أبي طالب إلى اليمن، وجرير بن عبد الله البجلي إلى تخريب ذي الخلصة، وإلى ذي الكلاع، وأبي عبيدة بن الجراح إلى أهل نجران، وقصة بديل، وتميم الداري، وحجّة الوداع.

وفي السنة الحادية عشرة سرية أُسامة بن زيد إلى أبنى، وظهر الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة بن خويلد في آخر صفر لليلتين بقيتا منه.

[**مرضع ووفاته ﷺ**]: يوم الأربعاء ابتدأ به ﷺ صداع في بيت ميمونة، وقيل: زينب بنت جحش، واستأذن ﷺ نساءه في أن يُمرَّض في بيت عائشة ـ رضي الله عنها وعن أبيها ولعن شانئيها ـ، فأذنَّ له، فخرج ﷺ يمشي بين الفضل بن العبّاس وعلي بن أبي طالب عاصباً رأسه، تخطّ قدماه حتى دخل بيت عائشة، ثم اشتدَّ وجعه، فقال: «صبُّوا عليَّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلِّي أستريح»، فأجلسوه في مخضب من نحاس وسكبوا عليه الماء، ثم خرج فقام خطيباً. وفي خطبته: «إن الله تعالى خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله»، فبكى أبو بكر ﷺ.

وكان ﷺ لم يشتكِ شكوى إلا سأل الله تعالى العافية، كان في مرضه الذي توفي فيه، فإنه لم يدع فيه بالبقاء، بل عاتب نفسه ويقول: «يا نفس! ما لك تلوذين كل ملاذ»؟ وكان يصلّي بالناس، وإنما انقطع ثلاثة أيام، وقيل: سبعة عشر صلاة، وأمر أبا بكر ﷺ بالصلاة بالناس، وضجَّ المسلمون لفقده، فلما سمع الضجة خرج ﷺ بين عليّ والفضل بن العباس رضي الله عنهما وصلَّى، ثم قال: «يا معشر المسلمين! أنتم في وداع الله وكنفه، والله خليفتي عليكم بتقوى الله، وحفظ طاعته، فإني مفارق الدنيا». وأوصى المهاجرين الأوّلين فيما بينهم، وأوصى بالأنصار.

[**آخر ما تكلم به ، ووفاته ﷺ**]: وتردَّد جبريل عليه السلام ثلاثة أيام قبل موته ﷺ برسالة من الله ، يقول له: (كيف)؟ ويقول: «أجدني وجعاً يا أمين الله»، ثم جاء الثالث ومعه ملك الموت، وقال له: «يا محمَّد! إن ربك يقرئك السلام ويقول: كيف تجدك؟. قال ﷺ: «أجدني يا أمين وجعاً، مَنْ هذا معك؟» قال: هذا ملك الموت، وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك، وآخر عهدك بها، ولن أثني على هالك من ولد آدم بعدك، ولن أهبط الأرض إلى أحد بعدك، فوجد ﷺ سكرة الموت، وعنده قدح فيه ماء، وأخذ من ذلك الماء فمسح به وجهه، وقال: «اللهمَّ أعِنِّي على سكرات الموت»، وقال: «ربِّ اغفر لي وألحقني بالرفيق الأعلى»، وكان آخر ما تكلَّم به النبي ﷺ، **فتوفي** عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين نصف النهار في مثل هذا الوقت الذي دخل فيه المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

[**سيدنا الخضر عليه السلام يعزي الأمة بوفاته ﷺ**]: وسمعوا صوتاً من ناحية البيت،

ولا يرون الشخص: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا، وإيَّاه فارجوا، وإنما المصاب مَنْ حُرِم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال عليٌّ ﵁: «هذا الخضر ﵇».

[حال الصحابة ﵃ بعد وفاته ﷺ]: ولما سجَّته ﷺ الملائكة دُهِش الناس وطارت عقولهم، فمنهم من خبل، ومنهم من أصمت، ومنهم من أقعد. واجتمع أصحابه حوله يبكون، وكان أبو بكر ﵁ غائباً، فجاء وعيناه تهملان وزفراته تردد، وغصصه تتصاعد، ودخل على النبي ﷺ، فأكبَّ عليه وكشف الثوب عن وجهه، وقال: «طبت حيًّا وميتاً، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء، فعظمت عليَّ الغصّة، وجللت عن البكاء، ولو أن موتك كان اختياراً لجُدْنا لموتك بالنفوس. اذكرنا يا محمَّد عند ربك، ولنكن من بالك»، وخرج ﵁ وأقبل الناس إليه، فقال: «أمَّا بعد، مَن كان يعبد محمَّداً فإن محمَّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله: **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله﴾** الآية، [آل عمران:144]. وقال: **﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾**، [الزمر: 30]».

[غسله وتجهيزه ودفنه ﷺ]: ولما فرغ الناس من بيعة أبي بكر الصدِّيق ﵁؛ أقبلوا على تجهيزه ﷺ، فضرب العباس له من ثياب يمانية صفاف وأذنوا لرجال بني هاشم، فقعدوا بين الحيطان والكلمة، ودخل العباس وعلي والفضل وأبو سفيان بن الحارث وأسامة بن زيد ﵃، وأُلقي عليهم النعاس وناداهم منادٍ: انتبهوا ولا تغسلوا النبي ﷺ، فإنه كان طاهراً. فقال العباس ﵁: لا ندع سنته. بصوت لا ندري ما هو، وغشيهم النعاس ثانية، فنادى مناد: أضجعوا رسول الله ﷺ على ظهره وغسلوه وعليه ثيابه، فغسَّلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه بالقميص، والذين تولوا غسله ﷺ علي بن أبي طالب، والعباس وابناه الفضل وقثم، وأسامة بن زيد، وشقران مولاه ﷺ . وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه مع عليّ، وأُسامة وشقران يصبّان الماء عليه، وأعينهم معصوبة لحديث علي: لا يغسله غيري، «فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طُمِست عيناه» كما سبق.

وعن عليّ ﵁ يرفعه: «لا يغسلني أحد إلا أنت»، وفي رواية: أوصاني رسول الله ﷺ: «إذا أنا متُّ، فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس».

وغُسِّل ﷺ ثلاث غسلات، الأولى: بالماء القراح، والثانية: بالماء والسدر، والثالثة: بالماء والكافور. وجُعل على يده خرقة وأدخلها تحت القميص، ثم اعتُصِر قميصه وحنّطوا مساجده ومفاصله، ووضّوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه، وجمّروه عوداً وبزاً، ثم أدرجوه في ثلاثة أثواب بيض سحولية؛ ليس فيها قميص ولا عمامة.

والسحولية ـ بفتح السين ـ نسبة إلى السحولي، وهو القصار؛ لأنه يسحلها ـ أي: يغسلها ـ أو إلى قرية باليمن. وحُكي ضم السين، جمع سحل، وهو الثوب الأبيض النقي، ولا يكون إلا من قطن، وفيه شذوذ؛ لأنه نُسب إلى الجمع، وقيل: إن اسم القرية بالضم.

[الصلاة عليه ﷺ وأول من صلى عليه]: وأول من صلَّى عليه الملائكة أفواجاً، ثم أهل بيته وبنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار ﵃ ثم الناس؛ يصلون عليه أفراداً لا يؤمّهم أحد، ثم النساء والغلمان.

[موضع دفنه ﷺ]: واختلفوا في موضع دفنه ﷺ، فقال أبو بكر ﵁: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يُقبر نبي إلا حيث يموت»، وقال علي ﵁: وأنا أيضاً سمعته.

وحفر أبو طلحة ﵁ لحد رسول الله ﷺ في موضع فراشه، ونزل في قبره ﷺ العباس وعليّ والفضل وقثم ﵃، وفرش شقران قطيفة نجرانية في القبر كان يلبسها ﷺ، وقال: و الله لا يلبسها أحدٌ بعدك. ومن ثم قال البغوي في «التهذيب»: لا بأس بذلك، والصواب كراهة ذلك. وأجابوا عن هذا بأن شقران انفرد بفعل ذلك. على أن ابن عبد البرّ نقل أن القطيفة أُخرجت من القبر لما فرغوا من وضع اللَّبِن. وبُني في القبر تسع لَبِنَات، وكان آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن العباس ﵁، وقيل: عليّ ﵁.

ورشّ بلال بن رباح ﵁ قبره ﷺ بقربة بدأ من قِبَل رأسه، وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء، ورفع القبر من الأرض قدر شبر.

[وقت دفنه ﷺ]: واختُلف في وقت دفنه، **فقيل**: يوم الثلاثاء، **وقيل**: ليلة الأربعاء،

وقيل: يوم الأربعاء، **وقيل**: يوم الخميس. وسبب تأخيره اشتغالهم بأمر الخلافة، واختلافهم في غسله، وموضع دفنه. ولما دفنوه قالت فاطمة رضي الله عنها: كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟ وأخذت من تراب القبر، فوضعته على عينيها وشمَّته، وأنشأت تقول: [شعر]

ماذا علـيَّ من شـم تربـة أحمد   أن لا يشـم مـدى الزمـان غواليا

صُبَّـت علـيَّ مصائـب لـو أنها   صُبَّـت علـى الأيام صـرن لياليا

وعن أنس رضي الله عنه، قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة؛ أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه ﷺ؛ أظلم منها كل شيء، وما نفضنا أيدينا عن التراب، وإنا لفي لدفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

[من آيات الحزن على وفاته ﷺ]: ومن آياته ﷺ بعد موته ما ذُكر من حزن حماره عليه، حتى تردَّى في بئر. وكذا ناقته، فإنها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت، وحماره هذا أصابه يوم خيبر، وكان أسود، فكلّمه الحمار فقال له ﷺ: «ما اسمك»؟ فقال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدِّي سبعين حماراً، وكلها لا يركبها إلا نبيّ، وقد كنت أتوقعك لتركبني، ولم يبق من نسل جدي غيري، ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت قبلك عند يهودي اسمه مرحب، وكنت أعثر به عمداً، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري. فقال له النبي ﷺ: «فأنت يعفور». وكان ﷺ يركبه ويوجهه إلى دور أصحابه رضي الله عنهم، فيضرب عليهم الباب ويدعوهم، فلما قُبض ﷺ جاء إلى بئر أبي الهيثم بن التيهان، فتردَّى فيها!!!.

وكان له ﷺ من اللقاح القصواء، وهي مقطوعة طرف الأذن. والعضباء، وهي مشقوقة الأذن. والجذعاء، وهي مقطوعة الأذن. وورد: «يُحشر صالح على ناقته، ويحشر ابنا فاطمة على ناقتي العضباء والقصواء، وأُحشر أنا على البراق، ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنّة».

وكانت له ﷺ عشرون لقحة بالغابة، يرح إليه منها كل ليلة بقربتين عظيمتين من اللبن يفرّقها على نسائه رضي الله عنهن.

وكانت خيله ﷺ اثنين وعشرين فرساً، المتفق عليها سبعة. نظمها ابن جماعة بقوله: [شعر]

الخيل سكب نحيف سجة ضرب لــزاز مرتجــز ورد لهـــا أســـرار

وكان له ﷺ مائة شاة، وله ديك أبيض. وورد أن لله ديكاً أبيض جناحاه موشيان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ؛ جناحٌ بالمشرق وجناحٌ بالمغرب، رأسه تحت العرش وقوائمه في الهواء، يؤذّن في كل سَحَر، يسمعه أهل السماوات والأرض إلا الثّقلين، فعند ذلك تجيبه ديوك أهل الأرض. ولم يُنقل أنه ﷺ اقتنى من البقر شيئاً.

وكان له ﷺ تسعة أسياف، وسبعة أدرع، ومِغْفَرٌ من حديد، وخمسة أرماح. وكان له عَنَزَةٌ دون الرمح شبه العكاز، وله سبع قسي، وجعبة من جلد، وثلاثة أتراس، ومِجَنٌّ، ومحجزٌ وهو عصا معطفة قدر ذراع معلقة على بعيره.

وكانت له ﷺ مخصرةٌ[1] تسمى العرجون، وقضيب من شوحط[2] يسمى الممشوق، وكان يمسك في يده ﷺ العصا.

ومن ثم كان من أسمائه ﷺ: صاحب الهراوة، وهي لغة العصا.

[أسماؤه ﷺ]: وجاء من أسمائه وألقابه في القرآن العظيم وغيره عدد كثير، قال بعضهم: له تسعة وتسعون اسماً، وبعضهم: ألف اسم. وذُكِر في المواهب ما يزيد على أربعمائة، ورتبها على حروف المعجم، وأشهرها محمّد [ﷺ]، وبه سمّاه جدَّه عبد المطلب. وقال: إني لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم؛ وذلك لرؤيا كان رآها مع ما حدَّثته به أُمه رضي الله عنها، حين قال لها الملك: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وضعته فسمِّيه محمداً.

[فضل التسمي باسمه ﷺ]: ومن خصائصه ﷺ: أن التسمِّي باسمه ميمون ونافع في الدنيا والآخرة.

---

(1) قال في القاموس: **والمِخْصَرَةُ**، كمِكْنَسَةٍ: ما يُتَوَكَّأُ عليه كالعَصا ونَحْوِه، وما يأخُذُه الملِكُ يُشيرُ به إذا خاطَبَ، والخَطيبُ إذا خَطَبَ. وذُو المِخْصَرَةِ: عبدُ اللّهِ بنُ أُنَيْسٍ ﷺ، لأَنَّ النبي ﷺ أعطاه مِخْصَرَةً، وقال: «تَلْقاني بها في الجنةِ».

(2) قال في القاموس: **الشَّوْحَط**: ضَرْبٌ من شَجر الجبال تتخذ منه القِسِيُّ.

قال ﷺ: «قال الله: وعزتي وجلالي لا أُعذّب أحداً تسمّى باسمك في النار». رواه معد[1].

وقال ﷺ: «لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسمي».

وقال ﷺ: «ما ضرَّ أحدكم أن يكون في بيته محمَّد ومحمدان وثلاثة»[2].

وقال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ألا ليقم مَنِ اسمه محمَّد، فليدخل الجنة كرامة لنبيِّه محمد ﷺ»[3].

وقال ﷺ: «مَنْ كان له ثلاثة من الولد ولم يسمّ أحدهم بمحمَّد، فقد جهل»[4].

وقال ﷺ: «مَنْ وُلد له مولود فسمّاه محمداً حُبًّا لي وتبرّكاً باسمي؛ كان هو ومولوده في الجنّة»[5].

وقال ﷺ: «ما من أحد في بيته أحد اسمه محمَّد إلا رُزِقوا من بركات اسم محمَّد ﷺ»[6].

---

(1) روى أبو نعيم بسنده مرفوعا قال الله تعالى: «وعزتي وجلالي لا عذبت أحدا تسمى باسمك في النار»، كذا ذكره القاري. **كشف الخفاء للعجلوني** ـ الحديث رقم: 1245.

(2) **قال في فيض القدير**: قوله ﷺ: «ما ضر أحدكم لو كان في بيته محمد ومحمدان وثلاثة» فيه ندب التسمي به قال مالك ﷺ: ما كان في أهل بيت اسم محمد إلا كثرت بركته. وروى الحافظ ابن طاهر السلفي من حديث حميد الطويل عن أنس ﷺ مرفوعاً يوقف عبدان بين يدي اللّه ﷻ فيقول اللّه لهما ادخلا الجنة فإني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه محمد ولا أحمد». رواه ابن سعد في الطبقات عن عثمان العمري مرسلاً. **فيض القدير شح الجامع الصغير** ـ الحديث رقم: 7923.

(3) أخرج في كتاب الخصائص لابن سبع عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنه إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة تكرم لنبيه محمد ﷺ» وقال مالك ﷺ: سمعت أهل المدينة يقولون: ما من أهل بيت فيهم اسم محمد إلا رزقوا رزق خير، وقال ابن رشد: يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك بالتجربة أو عندهم فيه أثر.

(4) قوله ﷺ: «من ولد له ثلاثة أولاد فلم يسم أحدهم محمدا فقد جهل». قوله: «فقد جهل»: أي فعل فعل أهل الجهل مع ما في ذلك من عظيم البركة التي فاتته، وفي رواية لابن عساكر عن أبي أمامة مرفوعا: «من ولد له مولود فسماه محمدا تبركا به، كان هو ومولوده في الجنة»، قال السيوطي في مختصر الموضوعات: هذا أمثل حديث ورد في هذا الباب، وإسناده حسن، أما حديث البحث «من ولد له ثلاثة أولاد فلم يسم أحدهم محمدا فقد جهل»، فضعيف. رواه الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن ابن عباس رضي الله عنهما. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 9084.

(5) قوله ﷺ: «من ولد له مولود فسماه محمداً تبركاً به كان هو ومولوده في الجنة». رواه ابن عساكر عن أبي أمامة رفعه. قال السيوطي في مختصر الموضوعات هذا أمثل حديث ورد في هذا الباب وإسناده حسن. **كشف الخفاء للعجلوني** ـ الحديث رقم: 2644.

(6) لم أجده بهذا اللفظ فيما لدي من مصادر والله أعلم.

وعن عليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ: «ما اجتمع قوم في مشورة مع رجل اسمه محمَّد، فلم يُدخلوه في مشورتهم إلا لم يبارك لهم».

وقال مالك ﷺ: سمعت أهل مكّة يقولون: ما من بيت فيهم اسم محمَّدٍ إلا رُزِقوا رزق خير. قال ابن رشد: يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك بالتجربة أو عندهم في ذلك أثر، فعُلِم أحبِّية التسمية بمحمد ﷺ. ومن ثم قال الإمام الشافعي لما قيل له: لِمَ سمَّيْت ولدك محمداً؟: أسمَيْته بأحبِّ الأسماء إليّ، ولقد أحسن من قال: [شعر]

وحسبك من إفراط حُبِّي أنني ... لأجلك قد أحببت كلَّ محمَّد

وقال ﷺ: «يوقف عبدان بين يدي الله تعالى، فيأمر بهما إلى الجنّة، فيقولان: ربنا ما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً يُجازينا الجنة! فيقول الله تعالى: أُدخلا الجنّة، فإني آلَيْت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمّد».

وعن عليّ ﷺ: «ما من مائدة وُضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدّس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين».

وعن الحسن البصري ﷺ قال: إن الله تعالى يوقف بين يديه يوم القيامة من اسمه أحمد ومحمد، فيقول: يا جبريل! خذ بيدَيْ عبدي فأدخلهما الجنة، فإني استحييت إذا عُذِّب بالنار من اسمه اسم حبيبي محمَّد ﷺ.

وفي الشفا عن شريح بن يونس؛ أنه قال: إن لله ملائكة سيّاحين عبادتها دخول كل دار فيها أحمد ومحمد إكراماً منهم لمحمَّد ﷺ. **ومعناه**: طاعتهم دخول كل دار. وفي رواية: عيادتها ـ بالتحتانية ـ والأول أقعد بالمعنى. وقدّم أحمد في الرواية على جهة الترقي؛ لأن محمداً أبلغ من جهة المعنى، ولا ينافي ما تقرَّر قوله ﷺ: «أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرَّحمن»[(1)]؛ لأن هذه أحبِّية مخصوصة لا مطلقاً؛ لأنهم كانوا يسمّون عبد العزى، عبد مناف، عبد الدار، فكأنه قيل لهم: أحب الأسماءِ المضافة للعبودية هذان، لا مطلقاً؛ لأن أحبَّها إليه مطلقاً: محمداً وأحمداً؛ إذ لا يختار لنبيّه ﷺ

(1) قوله ﷺ: «**أحب الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن**». رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، عن ابن عمر رضي الله عنهما. **الجامع الصغير** للإمام السيوطي ـ الحديث رقم: 206.

إلا الأفضل، وما أحسن قول البوصيري ﵁: [شعر]

فــإن لــي ذمــة منــه بتســميتي　　محمّداً وهو أوفــى الخلق بالذِّمَمِ

انتهى ما قصَدنا نقله من كتاب «المشرع»، وسنرجع إلى ما نحن بصدده، فلنعم المرجع.

اعلم أن الخلافة السرية الجهرية المخصوصة من المصطفى محمد خير البرية ﷺ لعليّ المرتضى زوج الزَّهر البتول، وأبو الذريةِ المطهّرة منها بنصّ الرسول الشافع لأُمّته بيوم ترمى بشرر كالقصر فيه الحاطمة، هي قوله: «كل نبيّ ذريته من صلبه، وأنا ذريتي من صلب علي وبطن فاطمة». ويعضد بآية المباهلة الكريمة هذا القول لدى علماء الفروع والأصول، ويستأنس له بحديث: «خلفت فيكم الثَّقلين: كتاب الله وأهل بيتي من دون مَيْن، فلن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض»[1]، فما بقي من بعد هذا الخوض لخائض من خوض، فهذه الخلافة الأبدية التي هي حاوية لكل ظهور من يوم قال النبي ﷺ فيه هذا الحديث إلى يوم النشور عارية عن المخاصمة والمنازعة، سالمة عن المناقشة والمدافعة، ظاهرة كالشمس الشارقة نهاراً، بكل محل مؤيَّدة، منصورة مذكورة بالله عزّ وجل.

فأما إلباس الخرقة، فقد تقدَّم فيه ما يُغني عن الإعادة بترجمة الحسن البصري ﵁ إمام مَنْ بعده مِن أرباب الزهادة.

وأما التلقين هو ما ذكره الوفي الصّفي الحفي شارح رسالة العمري سبط علي بن الشيخ خليل المرصفي، حيث قال في شرحه: روى الشيخ جمال الدين يوسف الكوراني الشهير في مصر المحروسة بالعجمي، في رسالته التي ألّفها، وهي في القدر لطيفة الحجم، غزيرة النفع؛ أن الإمام علي بن أبي طالب ﵁ سأل النبي ﷺ، فقال له: يا رسول الله! دلّني على أقرب الطُّرُق الموصلة إلى معرفة الله تعالى وأسهلها

---

(1) روى الإمام احمد في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري﵁ عن النبي ﷺ إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله ﷻ وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروني بما تخلفوني فيهما». **مسند الإمام أحمد** ـ المجلد الثالث. مسند أبي سعيد الخدرى ﵁.

على عباده في السلوك، وأفضلها عند الله تعالى. فقال له رسول الله ﷺ: «يا علي! عليك بدوام الذِّكر في الخلوات». فقال علي رضي الله عنه: هكذا فضيلة الذكر، وكل الناس ذاكرون. وقد ورد في رواية صحيحة: «أفضل ما قلت أنا والنبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[1]، فقال له رسول الله ﷺ: «يا علي! لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض مَنْ يقول: الله الله»[2]؛ أي: يموت أهل هذه الكلمة، فيخرب العالم وتقوم الساعة، فهذه الكلمة عمارة العالم بأسره. فقال علي رضي الله عنه: «كيف أذكر يا رسول الله»؟ قال له ﷺ يعلِّمه كيفية التلقين وآدابه: غمِّض عينيك الظاهرتين عن الموجودات الظاهرة والباطنتين عن السوى، واسمع مني بأذنيك الظاهرتين بجمعية تامّة حتى لا تسمع بالأذنين الباطنتين غير ما أسمعه لك ـ ثلاث مرات ـ كلمة الإخلاص، ثم إذا فرغت من أسماعك الثلاث قل أنت بعد ذلك ـ ثلاث مرات ـ مثل ما قلت لك، وأنا أسمع لك ما تقول بكمال جمعيتي المفيضة على متفرقات قواك البشرية، فتتَّحد قواك ومداركك بحيث تنتفي المغايرة بين قوى نفسك، فيصير كل واحد من أعضائك يعمل عمل صاحبه غير متقيد بوصف ولا أثر لارتفاع المغايرة والغيرية بين الأعضاء، فتكون كلك ذاكراً؛ لساناً وقلباً وعيناً ويداً وجميع جزئياتك كلها، فقال رسول الله ﷺ بلسانه مع حضور قلبه: «لا إله إلا الله» مفيضاً عليه من حجيته بقلبه حتى انغمر في أنوار تلك الفيض النبوي والمدد الإلهي ثلاث مرات متوالية، مغمضاً عينيه الشريفتين، رافعاً بها صوته الشريف، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يسمع قوله ﷺ، وهذه الكلمة المرات الثلاث، ثم لما أتمَّ ﷺ الثلاث، قال علي رضي الله عنه مثل ما قال ﷺ: لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً بها صوته، وربما كان رفع صوت عليّ بها دون صوته الشريف، ولم يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، ولو رفع بها فوق صوته لم يمتنع، ولو خفض دون صوته لم يمتنع أيضاً؛ لأن المثل حاصل بالجهر في الجملة، فيكون خرج من عمدة الأمر

---

(1) قوله ﷺ: «**أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي:]لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ**». أخرجه الإمام مالك في الموطأ بسنده عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ رضي الله عنه. انظر: **موطأ الإمام مالك** 2 / 150 ـ الحديث رقم: 449.

(2) ورد في الحديث الصحيح عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله». أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، والترمذي في كتاب الفتن وقال: حديث حسن، والإمام أحمد في المسند. وورد: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله» .

بذلك. كل ذلك والنبيّ ﷺ يسمع ما قاله في المرات الثالث، وهو لقن مَن به ذكروا، وعُرفوا بالأخذ عنه واشتهروا.

فإذا علمت ذلك وتحققت لما هنالك؛ عرفت أن للذكر فضلاً عظيماً وسرّه لذاكره جسيماً.

قال الشيخ العالم العلّامة الرباني الملا أحمد البصري الشهير بالقباني، في كتابه «منهج الرشاد» الذي شرح به رائية الحبيب عبد الله الحداد، ولقد أحسن وأجاد كل الإجادة في فعله حيث شرح قول الحبيب بقوله ووضعه في محله عند ذكره لهذه الأربعة البيوت: [شعر]

وإن رُمْت أن تحظـى بقلب منوّر	تقي من الأغيار فاعكف على الذِّكر
وثابر عليه في الظـلام وفي الضِّيا	وفي كل حال باللّسـان وبالسـرِّ
فإنـك إن لازمتـه بتوجُّـهٍ	بدا لك نور ليس كالشمس والبدر
ولكنـه نـور مـن اللـه واردٌ	أتى ذكره في سـورة النور فاستقر

[ثمرات الذكر]: **قال في رسالته «المعاونة»**: وللذكر ثمرات ونتائج يجدها من واظب عليه بوصف الأدب والحضور، **أقلها** أن يجد فيه من الحلاوة واللذّة ما يستحقر في جنبه كل ما يعرفه من اللذّات الدنيوية، **وأعلاها** أن يفنى بالمذكور عن الذكر وعمّن سواه، ومن قعد ـ وهو على طهارة ـ في خلوة مستقبل القبلة، ساكن الأطراف، مطرق الرأس ثم ذكر الله بقلبٍ حاضر وأدبٍ وافر؛ رأى في قلبه للذكر أثراً ظاهراً، فإن داوم على ذلك أشرقت عليه أنوار القرب وانكشفت له أسرار الغيب، انتهى.

وقال رضي الله عنه **في «رسالة المريد»**: ومن سرَّه أن يذوق شيئاً من أسرار الطريقة ويكاشف بأنوار الحقيقة، فليعكف على الذِّكر لله بقلب حاضر وأدب وافر، وإقبال صادق، وتوجُّه خارق، فما اجتمعت هذه المعاني في شخص إلا كوشف بالملكوت الأعلى، وطالت روحه حقائق العلم الأصفى، وشاهدت عين سرّه الجمال الأقدس الأسمى، انتهى.

وقال ﷺ في «**الحكم الفائقة**»: الذِّكر لله مغناطيس القلوب يجذبها من مواطن الغفلة إلى عوالم الغيوب.

وقال ﷺ في «**النصائح**»: واعلموا معاشر الإخوان ـ جعلنا الله وإياكم من الذاكرين له كثيراً، ومن الذين لا تُلهيهم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله ـ إن الذكر لله من أعظم الأوامر، وأفضل القربات وأوصل الوسائل، قال الله عزَّ وجلّ من قائل: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، [البقرة:152]. وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، [الأحزاب:41-42]. وقال ﷻ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾، [الأعراف:205]. وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، [الرعد:28].

وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرَّب إليَّ شبراً تقرَّبت إليه ذراعاً، وإن تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[1].

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فيضربوا أعناقكم وتضربوا أعناقهم»؟ قالوا: بلى، قال: «ذكر الله»[2].

---

(1) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنّ عَبْدِي بِي. وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي. إنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ. وَإِنْ تَقَرّبَ مِنّي شِبْراً، تَقَرّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً. وَإِنْ تَقَرّبَ إِلَيّ ذِرَاعاً، تَقَرّبْتُ مِنْهُ بَاعاً. وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم. **صحيح مسلم**: الجزء الرابع 48 ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 1 ـ باب الحث على ذكر الله تعالى - الحديث رقم: 2 ـ (2675).

(2) أخرج الترمذي بسنده عن أبي الدّرْدَاءِ ﷺ قالَ: قالَ النبيّ ﷺ : «أَلاَ أُنَبّئُكُم بِخَيْرِ أعمَالِكُمْ وأَزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قالُوا بَلَى، قالَ ذِكْرُ الله تَعَالَى» فقالَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ ما شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ الله مِنْ ذِكْرِ الله». **سنن الترمذي**: المجلّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللّهِ ﷺ 6 بابٌ منه ـ الحديث رقم: 3437.

وقال ﷺ: «ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله مِن ذكر الله»[1].

وقال ﷺ: «لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله، ومن أعطاه المال سخاء»[2].

وقال ﷺ: «مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره؛ مثل الحيّ والميت[3]، ومثل الشجرة الخضراء بين الشجر اليابس، وذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين».

وما ورد في الأمر بالذكر وفي فضله من الآيات والأخبار يطول ذكره ويتعذّر حصره.

[مراتب الذكر]: **قال العلماء رحمهم الله:** أفضل الذِّكر ما كان بالقلب واللسان جميعاً، وذكر القلب على انفراده أفضل من ذكر اللسان على انفراده.انتهى.

قلت: معنى ذكر القلب أن تكون صورة الذكر الجاري حاضرة فيه وجارية عليه، مثل إذا قال الذاكر بلسانه: [لا إله إلا الله]، يكون كذلك قائلاً لها بقلبه.

وقد يكون معنى ذكر القلب أن يكون معنى الذكر الجاري على اللسان حاضراً فيه، مثل أن يقول بلسانه: [لا إله إلا الله]، ويكون معنى هذه الكلمة الشريفة الذي هو انفراد الحق بالألوهية حاضراً في القلب، والله أعلم.

---

(1) قوله ﷺ: «ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ـ ثلاث مرات ـ «أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ رضي الله عنه بإسناد حسن. **تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي**: المجلد الأول. كتاب الأذكار والدعوات: الباب الأول في فضيلة الذكر ـ الحديث رقم: 1.

(2) قوله ﷺ: «لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله، ومن إعطاء المال سحاء». أخرجه ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن ابن عمر رضي الله عنهما عنه موقوفاً. **كنْز العمال للمتقي الهندي**- الحديث رقم: 1850.

(3) أخرج البخاري بسنده عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». **صحيح البخاري**: الجزء الرابع 83 كتاب الدعوات 66 باب فضل ذكر الله عز وجل ـ الحديث رقم: 6044. وهو عند مسلم بلفظ: «مثل البيت الذي يذكر اللّه فيه والبيت الذي لا يذكر اللّه فيه مثل الحي والميت». **صحيح مسلم**: الجزء الأول 6 كتاب صلاة المسافرين وقصرها 29 باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد ـ الحديث: 211 ـ (779). أما الزيادات ما بعده فلم أجدها فيما لدي من مصادر، والله أعلم.

قال حجّة الإسلام رحمه الله تعالى: الذِّكر على أربع مراتب، **الأولى**: ذكر اللسان فقط. **والثانية**: ذكر القلب مع اللسان تكلّفاً. **والثالثة**: ذكر القلب طبعاً وحضوره مع اللسان من غير تكلّف. **والرابعة**: استيلاء المذكور على القلب واستغراقه به. **قال**: والمرتبة الأولى قليلة النفع وضعيفة الأثر؛ يعني بها ذكر اللسان مع غفلة القلب.انتهى كلامه بمعناه.

ولا شكَّ أن ذكر اللسان مع غفلة القلب قليل الفائدة والنفع، ولكنه خير من ترك الذكر رأساً.

قيل لبعض العارفين: إنا لنذكر الله ولا نجد حضوراً، فقال: احمدوا الله الذي زيّن جارحة من جوارحكم بذكره ـ يعني بها اللسان ـ.

فينبغي لمن أخذ في الذكر بلسانه أن يتكلف إحضار قلبه مع اللسان حتى يصير ذاكراً بهما جميعاً؛ تكلفاً في أول الأمر ثم لا يزال يواظب على ذلك حتى يذوق القلب لذّة الذكر وتشرق عليه أنواره، فعند ذلك يحضر بلا تكلف ولا مؤنة، بل ربما صار إلى حالة لا يمكنه معها الصبر عن الذكر ولا الغفلة عنه.

[من آداب الذكر]: **ثم اعلموا** ـ رحمكم الله ـ أن للذكر آداباً، وأن **حضور القلب** مع اللسان حال الذكر هو أهمها وآكدها، فعليكم به فإن الذاكر لا يكاد يصل إلى شيء من فوائد الذكر وثمراته المقصودة إلا بالحضور.

ومن آداب الذكر أن يكون الذاكر لله تعالى على أكمل الآداب وأحسن الهيئات ظاهراً وباطناً، وأن يكون على طهارة ونظافة تامّة، وأن يكون في حال ذكره خاشعاً لله معظّماً لجلاله مستقبلاً للقبلة مطرقاً، ساكن الأطراف، كأنه في الصلاة.

ثم إن المطلوب من العبد أن لا يزال ذاكراً لله في جميع أحواله وعلى دوام أوقاته، فإن أمكنه الدوام على هذه الآداب التي ذكرناها من الطهارة والاستقبال وغيرهما في دوام أحواله، كما هو شأن أرباب الخلوة والانقطاع إلى الله تعالى فعل وداوم، وإن لم يمكنه الدوام على ذلك ـ وهو الأكثر والأغلب ـ **فينبغي له أن يجعل له وقتاً معيناً يجلس فيه للذكر متأدباً** بهذه الآداب التي ذكرناها، وبما في معناها مما لم نذكره.

ثم لا يزال في بقية أوقاته ذاكراً لله قائماً وقاعداً ومضطجعاً من غير حدٍّ ولا تقييد، كما قال الله ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾، [النساء: 103].

وليحذر من الغفلة عن الذكر في وقت من الأوقات، فإن الغفلة عن ذكر الله كثيرة الضرر. قال النبي ﷺ: «مَن قعد مقعداً لم يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة[1]، ومن مشى ممشى لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة» انتهى.

ومعنى **الترة**: الحسرة، **وقيل**: التبعة، وربما تسلّط الشيطان على الغافل واستولى عليه بسبب غفلته عن ذكر مولاه، كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾، [الزخرف:36]. وقال ﷻ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾، [المجادلة:19].

ومن شأن المؤمن أن يذكر ربه كثيراً[2]، كما أنّ من وصف المنافق أن لا يذكر

---

(1) عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الله تِرَةً، وَمَن اضْطَجَعَ مَضْجعاً لا يَذْكُرُ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الله تِرَةً». **تهذيب سنن أبي داود لابن القيم**: 37 ـ كتاب الأدب 1733 باب كراهية يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ـ الحديث رقم: 4848.

(2) وقد أمرنا في محكم التنزيل وعلى لسان رسول الله الكريم ﷺ أن نداوم على الإكثار من ذكر الله سراً وجهراً ولا نترك الذكر لفظاً إلا إذا حصل لنا ثمرته التي هي دوام الحضور مع الله في جميع أحوالنا، فلا يزال الذاكر ينسى أفراد العالم شيئاً بعد شيء إلى أن يحجب عن شهوده لشيء منه، ويصير لا يرى إلا الله، ثم إنه يحجب عن شهوده نفسه كذلك بأن يرقّ ويدقّ حتى يصير كالذرة ثم يغيب فإذا تحقق بالمقام قيل له ارجع إلى شهود أفراد العالم، وانظر ما انطوت عليه من الحقائق، فإنها كلّها دلائلُ على ذلك فإنك حجبت عن معرفتي بقدر ما حجبت عن شهود العالم ثم يرجع بعد معرفة الله إلى أفراد العالم شيئاً بعد شيء إلى أن لا يغيب عنه من العالم ذرة إلا ما كان فوق دائرته فتأمل. وكذلك ينبغي لنا أن نحث أحبابنا على حضور مجالس الذكر ونحارب من سعى في إبطال مجلس ذكر ونجادله ونباحثه، فإن ظهر الحق على يده أيدناه وقاتلنا معه، وذلك لأن غالب من يعقد مجالس الذكر في المساجد يدخله الدخيل من حب الرياء والسمعة والشهرة، فإن ذكر الله تعالى من أعظم القربات، ومثل ذلك يقعد له إبليس في كلِّ مرصد، حتى يحرف نيته. وقد وقع للإمام الجنيد ﷺ أن الإمام أحمد بن سريج ﷺ قال له: إن رفع أصواتكم بالذكر يؤذي حلقتنا في العلم، فقال له ينبغي مراعاة أقرب الطريقين إلى الله تعالى، فقال ابن سريج فإذا وجب مراعاة طريقتنا لأنها أقرب إلى الله تعالى من طريقكم، فقال الجنيد ﷺ وما علامة القرب؟ قال ابن سريج: أن يكون الغالب عليه شهود الحق، فقال الجنيد ﷺ: هذا عليكم لا لكم، لأن الغالب عليكم إنما هو شهود أحكام دين الله لا الله، فقال ابن سريج: نريد حالة يقع الامتحان بها، فقال الجنيد يا فلان خذ هذا الحجر وألقه في حضرة هؤلاء الفقراء، فألقاه فصاحوا كلهم: [الله] ثم قال له: خذ هذا الحجر وألقه بين هؤلاء الذين يطالعون في العلم، فألقاه فقالوا له: حرام عليك، فقال ابن سريج: الحق معك يا أبا القاسم. وكان سيدي علي الخواص ﷺ يقول: من علامة ترجيح ذكر الله على قراءة العلم ثقل العلم على لسان الإنسان وهو يطلع في الروح وخفة ذكر الله تعالى، فإن

ربه إلاّ قليلاً، قال الله في وصف المنافقين: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾،[النساء:142].

وفي ملازمة الذكر والمداومة عليه طرد الشيطان وقطعٌ لوسوسته، كما ورد: «إن الشيطان جاثم على قلب العبد، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس له»[1]، فينبغي وتتأكد المواظبة والملازمة لذكر الله على دوام الأوقات، وفي عموم الأحوال قال عليه الصلاة والسّلام للرجل الذي قال له: يا رسول الله! قد كثُرت شرائع الإسلام، فمرني بشيء أتشبّت به. فقال له: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»[2].

وقد عدَّ العلماء رحمهم الله تعالى من فضائل الذكر وأرجحيّته على غيره من الأعمال الصالحة أنها تمكن المداومة عليه في جميع الأوقات والأحوال؛ لأنه غير مؤقت بوقت، بل هو مأمور به على الدوام، ويتعاطاه المحدِثُ والجُنُبُ والمشغول

المشرف على الانتقال من هذه الدار يجب عليه استغنام ما هو الأفضل، فلو كان تعلم مسائل الفقه والنحو والأصول أفضل لما ثقلت على لسان المحتضر وأهل الله تعالى لقصر أملهم كأنهم محتضرون في كل وقت اهـ. وينبغي لطالب العلم أن يتلطف في العبارة للذاكرين. ولا يقوم عليهم كقيامه على من يخرجه من الدين، بل فعله ذلك هو الذي ينكر لأنه كالمنع من الدين ولو استحضر عظمة الله تعالى لما استطاع أن ينطق بكلمة في حق أحد من الذاكرين له. فلازم يا أخي على الذكر وانصر أصحابه بالطريق الشرعي. إكراماً لله تعالى وتعظيماً له، وإن احتفت قرائن الرياء وعدم الإخلاص في الذاكرين فانصر طلبة العلم المخلصين، ولا تكن من الذين ينصرون أحد الفريقين بحظ النفس والله يتولى هداك. واعلم أن مراد الشارع ﷺ ومن بعده المشايخ من مريدهم، إذا أكثر من الذكر باللسان والقلب أن يحصل له الأنس ويصير قلبه لا يغفل ولا يتكلف للذكر، بل يكون الحق مشهوده على الدوام وتارة يشهد بقلبه وتارة يشهد هو، أنه في حضرة الله وإن الله يراه، وكلا الحالين إذا دام يمنع العبد من وقوعه في المعاصي وسوء الأدب مع الله تعالى، وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة. وما ثم كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى، لأنه يصير جليساً للحق كلما ذكر. وقد اختلى مريد سنة كاملة، فما رأى نفسه وقعت له كرامة، فذكر ذلك لشيخه فقال: أتريد كرامة أعظم من مجالسة الحق تعالى، ثم قال له: ما رأيت أكثف حجاباً منك لك في الكرامة العظمى سنة كاملة ولا تشعر بها، انتهى، فاعلم ذلك.

(1) قوله ﷺ: «الشيطان يلتقم قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس عنده، وإذا نسي الله التقم قلبه». رواه الحكيم عن أنس رضي الله عنه. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 4972.

(2) أخرج الترمذي بسنده عَن عَبْدِ الله بن بُسْر رضي الله عنه أَنّ رَجُلاً قَالَ: «يا رَسُولَ الله إنّ شَرَائِعَ الإسْلاَم قَدْ كَثُرَتْ عَلَيّ فأخبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبّثُ بِهِ، قالَ: لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ الله». قال أبو عيسى: هَذا حديثٌ حسن غَرِيبٌ مِنَ هَذَا الْوَجْهِ. **سنن الترمذي**: المجَلَّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 4 بابُ ما جَاءَ في فضلِ الذِّكْرِ – الحديث رقم: 3435. **ومسند الإمام أحمد**: المجلد الرابع. مسند الشاميين. حديث عبد الله بن بسر المازني رضي الله عنه .

والفارغ، ولا هكذا غيره من الصلاة والصوم والتلاوة، فإن لها شرائط يعدو عليها، وأوقاتاً لا تصح إلا فيها، وأفضل الأعمال الصلاة، وهي ممنوعة في نحو ثلث النهار من بَعْد صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس، ومن بعد صلاة العصر إلى الغروب. والصوم ممنوع إلا في النهار، وقراءة القرآن الكريم ممنوعة على صاحب الجنابة وغير ممنوعة من صاحب الأشغال التي تفرق القلب، بحيث لا يجتمع معها قلبه؛ وذلك لحرمة القرآن وجلالته. **وأما الذِّكر**، فقد وسّع الله الأمر فيه رحمةً لعباده ومِنَّة عليهم. ومع ذلك، فالمؤنة فيه قليلة والكلفة خفيفة بالنسبة إلى غيره، ففضل الذكر من هذه الحيثيات وغيره من الأعمال ـ وإن كان لبعضها فضلٌ عليه من حيثيات أخرى ـ.

[خصوصيات ذكر الله ﷻ]: فمن خصوصيات الذِّكر خفّة المؤنة فيه مع فضله، وأنها تمكن المداومة عليه حتى أنه ينبغي لمن يكون على حالة يُكره له فيها أن يذكر الله بلسانه، مثل الخلاء والجماع؛ أن لا يغفل عن ذكر الله بقلبه، كذلك قال العُلماء بالله رحمهم الله، فلا تزل ـ رحمك الله ـ ذاكراً وإن كنت صانعاً ومحترفاً وملابساً لشيء من أشغال الدنيا، فلازم الذكر مع ذلك بقلبك ولسانك حسب الإمكان، وإن ذكرت الله تعالى في سرِّك وبحيث تسمع نفسك، فقد أصبت وأحسنت. قال ﷺ: «خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي»(1)، وفي الآية الكريمة: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ الآية، [الأعراف:205].

[الجهر بالذكر]: وإن جهرت بالذكر مع الإخلاص لله فيه ولم تشوش بسبب ذلك على مصلٍّ ولا قارىء، بحيث تخلط عليه صلاته وقراءته، فلا بأس بالجهر ولا منع منه؛ بل هو مستحبّ ومحبوب، وإن كان ذلك مع جماعة اجتمعوا لذكر الله على وفق ما ذكرناه من الإخلاص وعدم التشويش على المصلين والتالين ونحوهم، فذلك مندوب إليه مرغب فيه، وقد وردت بفضله الأخبار.

قال ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يذكرون الله تعالى يريدون بذلك

(1) قوله ﷺ: «خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي». أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعب الإيمان عن سعد ﷺ. **الجامع الصغير** ـ الحديث رقم: 4009.

وجه الله، إلاّ غفر الله لهم وبدّل سيئاتهم حسنات»[1].

وقال ﷺ: «ما قعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفَّتْهُمُ الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»[2].

وقال ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا»، قيل: وما رياض الجنة؟ قال: «حِلَق الذكر»، وفي رواية: «مجالس الذكر»[3].

وورد في الحديث الطويل الذي أوَّله: «إن لله ملائكة سيارة في الأرض يطلبون مجالس الذكر...»، ثم ساق الحديث إلى أن قال في آخره: «فيقول الله للملائكة: أُشهدكم أني قد غفرت لهم ـ أي: للذاكرين ـ وأعطيتهم ما يسألون وأعذْتهم مما يستعيذون، فتقول الملائكة: فيهم فلان عبد أخطأ إنما مرَّ فجلس معهم، فيقول تعالى: هم القوم لا يشْقَى جليسهم» الحديث[4]، وهو مشهور.

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ فيما لدي من مصادر، والله أعلم وأكرم.

(2) عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: عن النَّبِيّ ﷺ قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاّ نَزَلَتْ عَلَيْهِم السّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُم الرّحْمَةُ وَحَفّتْهُم الملاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمْ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ». **صحيح مسلم**: الجزء الرابع 48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 11 باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر- الحديث رقم: 38 ـ (2699). **وسنن أبي داود**: الجزء الأول. كتاب سجود القرآن ـ جماع أبواب فضائل القرآن 349 ت/ 14 م باب في ثواب قراءة القرآن ـ الحديث رقم: 1455.

(3) قوله ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنّةِ فارْتَعُوا، قالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنّةِ؟ قالَ حِلَقُ الذّكْرِ». أخرجه الإمام أحمد، والترمذي واللفظ له ـ بسنده عن أنس بن مالك ﷺ. **سنن الترمذي**: المجَلَّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 87 بابٌ ـ الحديث رقم: 3576.

(4) أخرج الشيخان ـ واللفظ للبخاري ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم؛ وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبّرونك، ويحمدونك، ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة. وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحا. قال: فيقول: فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة. قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فممَّ يتعوذون؟ قال: يتعوذون من النار. قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها. قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟. قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً. وأشد لها مخافة. قال: فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». **صحيح البخاري**: الجزء الرابع 83 كتاب الدعوات66 باب: فضل ذكر الله ﷻ ـ الحديث رقم: 6045. **وصحيح مسلم**: الجزء الرابع 48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 8 باب فضل مجالس الذكر ـ الحديث رقم: 25 ـ (2689).

وقد اختار جماعة من أهل طريقة التصوف ﷺ الجهر بالذكر والاجتماع لذلك(1)،

(1) وفي «**الحاوي للفتاوي** «**للإمام السيوطي**» ـ رحمه الله تعالى ـ قال: «السؤال الثالث والثلاثون»: وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به والجمع بينهما إن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. قال سيدي يوسف العجمي ﷺ: قد اعترض بعض الفضلاء على الجهر بالذكر مستدلاً بقوله تعالى: [واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة] الآية. وقوله ﷺ: «خير الذكر ما خفي». **والجواب**: أن الله تعالى خاطب عامة عباده بمثل قوله: [أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت] وخاطب الخاص بمثل قوله: [أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها]، وخاطب سيد أهل الحضرة محمداً ﷺ بعد أن عرفه بربه ونفسه وأراه كيف مد الظل بمثل قوله: [اذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفةً]، وقوله: [ألم تر إلى ربك كيف مد الظل]، فمن لا يعرف ربه ولا نفسه ولا أراه كيف مد الظل فكيف يذكر ربه في نفسه، أو كيف يرى مد الظل بل هم المخاطبون بمثل قوله تعالى: ﴿**اذكروا الله ذكراً كثيراً**﴾. وأما الذكر الخفي: فهو ما خفي عن الحفظة لا ما يخفض به الصوت، وهو أيضاً خاصٌّ به ﷺ، وبمن له به أسوة حسنة. وعن جابر ﷺ أنَّ رجلاً كان يرفع صوته بالذكر، فقال رجل: لو أنَّ هذا خفض من صوته؟. فقال ﷺ: «دعه فإنه أواه». وقال ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قيل: وما رياض الجنة؟. قال ﷺ: حِلَقُ الذكر». وروي: أنه ﷺ خرج على حلقة من أصحابه قال: ما أجلسكم؟. قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى، ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا. قال ﷺ: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟. قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك. قال ﷺ: أما أني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة. وعن أبي قتادة ﷺ أن النبي ﷺ قال لأبي بكر مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك فقال: إني أسمعت من ناجيت. فقال ﷺ: ارفع صوتك قليلاً. وقال ﷺ لعمر ﷺ: مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك. فقال: إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان. قال ﷺ: اخفض قليلاً». وروي: أنَّ الناس كانوا يذكرون الله تعالى عند غروب الشمس يرفعون أصواتهم بالذكر فإذا خفيت أرسل إليهم عمر بن الخطاب ﷺ أن نوِّروا الذِّكر أي ارفعوا أصواتكم. والجمع بين الآية والحديث السابقين اللذين استدل بهما، وبين هذه الأحاديث والأثر: أنَّ الذاكرين إذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة، وأما إذا كان الذاكر وحده فإن كان من الخاصِّ فالإخفاء في حقه أولى، وإن كان من العامِّ، فالجهر في حقه أفضل. وقد شبه الغزالي ﷺ ذكر شخص واحد وذكر جماعة مجتمعين بمؤذن واحد وجماعة مؤذنين، فكما أنَّ أصوات الجماعة تقطع جرم الهواء أكثر من صوت شخص واحد فكذا ذكر جماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً في رفع الحجب من ذكر شخص واحد، ومن حيث الثواب فلكلٍّ واحد ثواب ذكر نفسه وثواب سماع ذكر رفقائه. وأما قوله أنه أكثر تأثيراً في رفع الحجب فلأنَّ الله تعالى شبه القلوب بالحجارة في قوله : [ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة] ومعلوم أنَّ الحجر لا ينكسر إلا بقوَّة، فقوة ذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد أشدُّ من قوة ذكر شخص واحد. ولهذا قال الشيخ نجم الدين الكبري رحمة الله عليه: أن القوة في الذكر شرطٌ، واستدل بهذه الآية، انتهى. وقال سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي ﷺ في رسالته كشف النور عن أصحاب القبور: في هذه المسألة كلاماً نفيساً أنقله بتمامه لما فيه من فائدة تزيد القاريء نفعاً وعلماً إن شاء الله، كما تفيده حجة في الرد على المعترضين والمنتقدين من أصحاب الذوق الرقيع ـ بالقاف ـ، **قال** ﷺ: «ونحو هذا الحديث أنّ ما اعتاده الصُّوفية ﷺ من عقد حِلَقِ الذكر والجهر به في المساجد، ورفع الصَّوت بالتَّهليل لا كراهة فيه. ذكره في «فتاواه الحديثية»». قال: وقد وردت أخبار تقتضي ندب الجهر بالذكر، وأخبارٌ تقتضي الإسرار به، والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، كما جمع النووي ـ رحمه الله تعالى- به بين الأحاديث الواردة بندب الجهر بالقراءة، والواردة بندب الإسرار بها، انتهى كلامه. وأما خصوص هذا الصَّعق والزَّعق، والصِّياح والاضطراب، والتَّواجد عند سماع أقوال

ولهم في ذلك طرائق معروفة، واختار الآخرون الإسرار به، **والجميع على خير من ربِّهم وسَداد من طرائقهم رحمهم الله ونفع بهم.**

ثم إن أهل هذا الطريق ـ أعني: طريقة التصوف ـ لا يَعْدلون بالذكر لله شيئاً، وعليه تعويلهم وفيه شغلهم بعد إقامة الفرائض واجتناب المحارم، وبه يأمرون المريد والسالك لطريقتهم ويأخذون عليه العهد بالمداومة عليه والملازمة مع شرائط وآداب لهم في طريقهم الذكر لله أهمها وآكدها.

[أنواع الذكر]: والذكر على أنواع كثيرة، ولكل نوع منها فضل وثواب عظيم، وفيه فوائد ومنافع جمّة، وله ثمرات وآثار شريفة، فمن أنواع الذكر ـ بل هو أشرفها وأفضلها ـ قول: [لا إله إلا الله]، قال النبي ﷺ: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله»(1).

المغنين، واحتباك أصوات الذَّاكرين جهراً، فلا نطلق القول فيه، وإنما نفصّل: فإن كان بحقٍّ؛ بأن قام للتَّواجد قومةَ المضطَّر الذي استفزّته المعاني الإلهية الواردة على قلبه وخاطره في ذلك الوقت؛ فإنَّا لا ننكر ذلك، ولكن نسلّمه لفاعله على أنّه ليس كمالاً له، والكمال في السكون، كما قال الشيخ أرسلان رضي الله عنه في رسالته في علم التوحيد: «إذا عرفتَه سكنتَ، وإذا جهلته تحركتَ». وأما إذا كان قيامه وتواجده مجرّد شهوة نفسية بعثته فحرّكته عمداً وهيّمته، وأطربته، وحملته على فعل ذلك الصِّياح والاضطراب، فهو شيطان مَريد، يجب منعه وطرده وإخراجه من بين الجماعة حتى لا يفسد بقيَّة الذَّاكرين، ويشتّت قلوبهم، ويزيل خشوعهم وأدبهم. فإن قال قائل: من أين يعرف المريد المحِقّ من المبطِل؟. نقول له: من شرب الخمرة لا بدَّ أن يتقيّأها، أو تنفح رائحتها من فمه. وبيان ذلك أنّا نسأله: ما الذي حملك حتى صحتَ، وزعقتَ، واضطربتَ؟. فإن بيّن لنا معنى إلهياً يحتمل ذلك وشرح لنا شيئاً من المعاني الواردة على قلبه عند السَّماع بحيث نستدلُّ بالثَّمرة على الأغصان، وبالزَّهرة على البستان، سلَّمنا له ذلك، واعتقدنا فيه الصَّلاح، وأمّا إذا سألناه فوجدناه من جملة الثيران لا يزيد على قوله: همت في محبة ربي، وأهاجني ذكري حقائق الوجود، وهو مُتَعرٍّ من كلِّ فضيلة، فهو شيطانٌ مَّريد، يجب طرده وإخراجه، وتأديبه. انظر: **كشف النور** ـ صفحة 113 تحقيق كاتب السطور عفا الله عنه بمنه وكرمه.

(1) أخرج الترمذي وابن ماجه ـ واللفظ للترمذي ـ عن جابر بن عَبْدِ الله رضي الله عنه يَقُولُ سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إلهَ إلاّ الله وَأَفْضَلُ الدّعَاءِ الحمْدُ لله**». قال أبو عيسى: هَذا حديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إلاّ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بن إبْرَاهِيمَ. **سنن الترمذي**: المجَلَّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 9 باب ما جَاءَ أَنَّ دعوةَ المسلم مُستجَابةٌ ـ الحديث رقم: 3443. **وسنن ابن ماجه**: الجزء الثاني 33 كتاب الأدب55 باب فضل الحامدين ـ الحديث رقم: 3800. **قال المناوي في الفيض**: قوله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا اللّه»: إذ لا يصح الإيمان إلا به، ولأن فيه إثبات الإلهية للّه ونفيها عما عداه وليس ذا في سواه من الأذكار، ولأن للتهليل تأثيراً في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة التي هي معبودات في الظاهر [أفرأيت من اتخذ إلهه هواه] فيفيد نفي عموم الإلهية بقوله: «لا إله» ويثبت الواحد بقوله: «إلا اللّه»، ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قلبه فيتمكن ويتولى على جوارحه ويجد حلاوة هذا من ذاق، وقال بعض العارفين: إنما كانت

أفضل لأنها كلمة توحيد والتوحيد لا يماثله شيء، إذ لو ماثله شيء ما كان واحداً بل اثنين فصاعداً فما ثم ما يزنه إلا المعادل والمماثل، ولا معادل ولا مماثل، فذلك هو المانع لـ «لا إله إلا اللّه» أن تدخل الميزان يوم القيامة، فإن الشرك الذي يقابل التوحيد لا يصح وجوده من العبد مع وجود التوحيد فإن الإنسان إما مشرك وإما موحد، فلا يزن التوحيد إلا الشرك، ولا يجتمعان في ميزان أبداً، فعليك بالذكر بها فإنه الذكر الأقوى، وله النور الأضوى والمكانة الزلفى، ولا يشعر بذلك إلا من لزمه وعمل به حتى أحكمه وحكمه.
وقوله ﷺ: «وأفضل الدعاء الحمد للّه»: لأنَّ الدعاء عبارة عن ذكر اللّه وأن تطلب منه الحاجة والحمد يشملها فإن الحامد للّه إنما يحمده على نعمه والحمد على النعم طلب المزيد. **وفي الحديث القدسي** إن اللّه يقول: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»، فنبه به على وجه تسمية الحمد دعاء وهو كونه محصلاً لمقصود الدعاء فأطلق عليه دعاء مجازاً لذلك فإن حقيقة الدعاء طلب الإنعام، والشكر كفيل بحصول الإنعام للوعد الصادق بقوله: [لئن شكرتم لأزيدنكم] وقال الطيبي: لعله جعل أفضل الدعاء من حيث إنه سؤال لطيف يدق مسلكه. قال: وقد يكون قوله الحمد للّه: تلميح وإشارة إلى: [اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم] وأي دعاء أفضل وأجمع وأكمل منه. قال المناوي: دلَّ هذا الحديث بمنطوقه على أن كلا من الكلمتين أفضل نوعه، ودل بمفهومه على أن [لا إله إلا اللّه] أفضل من [الحمد للّه] فإن نوع الذكر أفضل من نوعه.

[**تنبيه**]: قال حجة الإسلام الإمام الغزالي ﷺ: ليس شيءٌ من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد للّه، فإن النعم كلها من اللّه، وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته، وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد لدخولهما فيه بل الرتبة الأولى من معارف الإيمان التقديس، ثم إذا عرف ذاتاً مقدسة يعرف أنه لا يقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط، فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة وينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل فلذلك ضوعف الحمد ما لم يضاعف غيره من الأذكار مطلقاً.

[**تنبيه آخر**]: قال البدر الدماميني: لا يمتنع أن يفوق الذكر مع سهولته الأعمال الشاقة الصعبة من الجهاد ونحوه وإن ورد: أفضل العبادات أشقها لأنَّ في الإخلاص في الذكر من المشقة سيما الحمد في حال الفقر ما يصير به أعظم الأعمال وأيضاً فلا يلزم أن يكون الثواب على قدر المشقة في كل حال فإن ثواب كلمة الشهادة مع سهولتها أكثر من العبادات الشاقة.

[**تنبيه آخر**]: قال بعض العارفين: سميت كلمة الشهادة تهليلاً من الإهلال وهو رفع الصوت أي إذا ذكر بما ارتفع الصوت الذي هو النفس الخارج به على كل نفس ظهر فيه غير هذه الكلمة ولذلك كانت أفضل ما قاله النبييون كما في الخبر الآتي، فأرفع الكلمات «لا إله إلا اللّه» وهي أربع كلمات نفي ومنفي وإيجاب وموجوب، والأربعة الأسماء الإلهية أصل وجود العالم، والأربعة الطبيعية أصل وجود الأجسام والأربعة العناصر أصل وجود المولودات والأربعة الأخلاط أصل وجود الحيوان والأربعة الحقائق أصل وجود الإنسان، فالأربعة الإلهية: الحياة والعلم والإرادة والقدرة، والأربعة الطبيعية: الحرارة واليبوسة والرطوبة والبرودة، والأربعة العناصر: ركن النار والهواء والماء والتراب، والأربعة الأخلاط: المرتان والدم والبلغم، والأربعة الحقائق: الجسم والتغذي والحس والنطق، فإذا قال عبده لا إله إلا اللّه على هذا التربيع كان لسان العالم ونائب الحق في النطق، وهذه الكلمة اثنا عشر حرفاً فاستوعبت بهذا العدد بسائط أسماء الأعداد وهي اثنا عشر العشرات والمئون والألوف ومن واحد إلى تسعة، ثم بعد هذا يقع التركيب بما يخرجك من الآحاد إلى ما لا يتناهى، وهو ما يتركب منها فلا إله إلا اللّه وإن انحصرت في هذا القدر في الوجود فجزاؤها لا يتناهى.

وقال ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله»[1].

وقال ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى: «لا إله إلا الله حصني، ومَنْ دخل حصني أَمِنَ مِنْ عذابي»[2].

---

(1) قوله ﷺ: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي:]لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ». أخرجه الإمام مالك في الموطأ بسنده عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ ﷺ. انظر: **موطأ الإمام مالك** 2 / 150 ـ الحديث رقم: 449.

(2) **قال الإمام الرازي**: [لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه] أربعة وعشرون حرفاً، وساعات الليل والنهار كذلك، فكأنه قيل كل ذنب أذنب من صغيرة وكبيرة، سر وجهر، خطأ وعمد، قول وفعل، في هذه الساعات مغفورة بهذه الحروف والكلمات، والشهادتان سبع كلمات، وللعبد سبعة أعضاء، وللنار سبعة أبواب، فكل كلمة من السبع تغلق باباً من الأبواب السبعة على عضو من الأعضاء السبعة. **وقال أيضاً**: جعل اللّه العذاب عذابين؛ أحدهما السيف من يد المسلمين، والثاني عذاب الآخرة، فالسيف في غلاف يرى، والنار في غلاف لا يرى، فقال لرسوله ﷺ: من أخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا إله إلا اللّه أدخلنا السيف في الغمد الذي يرى، وصار محسناً، ومن أخرج لسان القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو السر فقال لا إله إلا اللّه أدخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة، وأدخلنا القائل في حصنها حتى يكون واحداً بواحد ولا ظلم ولا جور. **[فائدة جليلة]** في تاريخ نيسابور للحاكم أن علياً الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ﷺ لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة الرازي وابن أسلم الطوسي ومعهما من أهل العلم والحديث من لا يحصى ﷺ فقالا: أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة، بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك نذكرك به؟ فاستوقف ﷺ غلمانه وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلائق برؤية طلعته فكانت له ذؤابتان متدليتان على عاتقه والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصاخ ومتمرغ في التراب ومقبّل لحافر بغلته، وعلا الضجيج فصاحت الأئمة الأعلام: معاشر الناس انصتوا واسمعوا ما ينفعكم، ولا تؤذونا بصراخكم، وكان المستملي أبو زرعة والطوسي فقال الرضا ﷺ : حدثنا أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء عن أبيه علي المرتضى قال حدثني حبيبي وقرة عيني رسول اللّه ﷺ قال: حدثني جبريل عليه السلام قال حدثني رب العزة يقول: **[كلمة لا إله إلا اللّه حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي]** ثم أرخى الستر على القبة وسار فعُدَّ أهل المحابر والدواين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً. وقال **الأستاذ أبو القاسم القشيري**: اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن معه في قبره فرؤي في النوم بعد موته فقيل ما فعل اللّه بك قال غفر لي بتلفظي بلا إله إلا اللّه وتصديقي بأن محمداً رسول اللّه ﷺ . وذكر الجمال الزرندي في معراج الوصول أن الحافظ أبا نعيم روى هذا الحديث بسنده عن أهل البيت إلى عليّ سيد الأولياء ﷺ وكرم الله وجهه قال: قال رسول اللّه سيد الأنبياء ﷺ : حدثني جبريل عليه السلام سيد الملائكة قال: قال اللّه: [إني أنا اللّه لا إله إلا أنا فاعبدني فمن جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا اللّه بالإخلاص دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي]. والحديث أخرجه الشيرازي في الألقاب عن علي أمير المؤمنين، ونحوه خبر الحاكم في تاريخه، وأبو نعيم عن سيدنا علي أيضاً: «لا إله إلا اللّه حصني ..» إلخ. قال الحافظ العراقي: إسناده ضعيف. انظر: **فيض القدير للمناوي**: الحديث رقم: 6047.

وقال ﷺ: «جدِّدوا إيمانكم»، قالوا: وكيف نُجدِّد إيماننا؟ فقال ﷺ: «أكثروا من قول: لا إله إلا الله»(1).

وقال ﷺ: «سبحان الله نصف الميزان، والحمد لله تملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب»(2).

وورد: «أن عموداً من نور واقف بين يدي الله، فإذا قال القائل: لا إله إلا الله؛ اهتزَّ ذلك العمود، فيقول: اسكن، فيقول: كيف أسكن ولم تغفر لقائلها؟! فيقول تعالى: قد غفرتُ له، فيسكن»(3).

وورد أيضاً: «أن العبد إذا قال لا إله إلا الله لم تمر لا إله إلا الله على سيئة في صحيفة إلا محتها، حتى تجد حسنة فتسكن إلى جنبها»(4).

وورد أيضاً: «أن لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ في كفة، ولا إله إلا الله في كفة؛ لرجحت بهنَّ لا إله إلا الله»(5).

وما ورد في فضل هذه الكلمة كثير شهير، والقصد الإشادة دون الاستقصاء، ويكفي في معرفة فضلها أنها الكلمة التي يدخل بها الإنسان في الإسلام، ومَن خَتَم له

---

(1) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**جددوا إيمانكم**». قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «أكثروا من قول لا إله إلا الله». رواه أحمد والطبراني. قال الهيثمي: ورجال أحمد ثقات. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد العاشر38 كتاب الأذكار 12 باب ما جاء في فضل لا إله إلا الله ـ الحديث رقم: 16799.

(2) أخرج الترمذي بسنده عَن عَبْدِ الله بن عَمْرو ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «التّسْبِيحُ نِصْفُ المِيزَانِ والْحَمْدُ لله يَمْلَؤُهُ. وَلاَ إلَهَ إلاّ الله لَيْسَ لَهَا دُونَ الله حِجَابٌ حَتّى تَخْلُصَ إلَيْهِ». قال أبو عيسى: هَذا حديثٌ غَريبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ولَيْسَ إسْنَادُهُ بالقَوِيّ. **سنن الترمذي**: المجَلَّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 92 بابٌ ـ الحديث رقم: 3584.

(3) لم أجده فيما لدي من مصادر والله أعلم وأكرم.

(4) لم أجده فيما لدي من مصادر والله أعلم وأكرم.

(5) قطعة من حديث تمامه عنه ﷺ: «لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فمن قالها عند موته وجبت له الجنة، قالوا: يا رسول الله! فمن قالها في صحته؟ قال: تلك أوجب وأوجب، والذي نفسي بيده! لو جيء بالسماوات والأرضين ومن فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعت في كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن». أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **كنْز العمال للمتقي الهندي** ـ الحديث رقم: 42206.

عند الموت بها فاز بالسعادة الأبدية التي لا شقاوة بعدها.

اللهمَّ يا كريم نسألك أن تُحيينا وتُميتنا وتَبْعثنا على قول لا إله إلا الله مخلصين، ووالدينا وأحبابنا والمسلمين، آمين.

فضل: [في لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير]

وقال ﷺ في [لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير]، مَنْ قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل عليه السلام»[1].

وقال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حِرْزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»[2].

وقال ﷺ **أيضاً**: «مَن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو

(1) عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ﷺ قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». **صحيح مسلم**: الجزء الرابع48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار10 باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ـ الحديث رقم: 30 ـ (2693).

(2) روى الشيخان ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ». **صحيح البخاري**: الجزء الثاني63 كتاب بدء الخلق11 باب: صفة إبليس وجنوده ـ الحديث رقم: 3119. وهو عند مسلم بلفظ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرّةٍ. كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ. وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ. وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيّئَةٍ. وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتّىَ يُمْسِيَ. وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمّا جَاءَ بِهِ إِلاّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرّةٍ، حُطّتْ خَطَايَاهُ. وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». **صحيح مسلم**: الجزء الرابع48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار10 باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ـ الحديث: 28 ـ (2691).

على كل شيء قدير؛ لم يسبقها عمل ولم تبق معها خطيئة»(1).

فضل: [سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر]

ومن أفضل أنواع الذِّكر وأجمعها قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فقد ورد عنه ﷺ: «أنها خير الكلام وأحبه إلى الله»(2).

وقال ﷺ: «لأنْ أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، و الله أكبر؛ أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس»(3).

وقال ﷺ: «لقيت إبراهيم ﵇ ليلة أُسْرِيَ بي، فقال: يا محمَّد! اقرأ على أُمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة الترب عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، و الله أكبر»(4).

وقال ﷺ في هذه الكلمات الأربع: «مَنْ قالهنَّ غُرِس له بكل واحدة منهن شجرة»؛ أي: في الجنّة(5).

---

(1) عن أبي أمامة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقها عمل ولم تبق معها سيئة». **معجم الطبراني الكبير**: باب الصاد . صدي بن العجلان . محمد بن زياد الألهاني عن أبي أمامة ﵁ .

(2) عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلاَمِ إِلَى اللَّهِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلاَمِ إِلَى اللَّهِ. فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلاَمِ إِلَى اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»**. **صحيح مسلم**: الجزء الرابع 48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 22 باب فضل: [سبحان الله وبحمده] ـ الحديث رقم: 85 ـ (2731).

(3) روى مسلم ـ واللفظ له ـ والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبّ إِلَيّ مِمّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشّمْسُ**». **انظر: صحيح مسلم**: الجزء الرابع 48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 10 باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ـ الحديث رقم: 32 ـ (2695). **وسنن الترمذي**: المجَلّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 12 بابٌ ـ الحديث رقم: 3667.

(4) روى الترمذي بسنده عَن ابنِ مَسْعُودٍ ﵁ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لَقِيتُ إبْرَاهِيمَ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بي فقالَ : يا مُحمدُ: أَقْرِيء أُمّتَكَ مِنّي السّلاَمَ وَاخْبِرْهُمْ أَنّ الْجَنّةَ طَيّبَةُ التّرْبَةِ عَذْبَةُ الماءِ، وأَنّهَا قِيعَانٌ، وَأَنّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ الله والْحَمْدُ لله وَلاَ إلهَ إلاّ الله وَالله أكْبَرُ». قال: وفي البابِ عَن أبي أيّوبَ. قال أبو عيسى: هَذا حديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ابنِ مَسْعُودٍ. **سنن الترمذي**: المجَلّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 60 بابٌ ـ الحديث رقم: 3529.

(5) عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده غرس له ألف شجرة في الجنة أصلها من ذهب وفرعها من در وطلعها كثدي الأبكار ألين من الزبد، وأحلى من الشهد كلما أخذ منها شيء

وقال ﷺ لأبي الدرداء ﵁: «قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، و الله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، فإنهنَّ الباقيات الصالحات، وهن يحططن الخطايا كما تحطّ الشجرة ورقها»[1].

فضل: [لا حول ولا قوة إلا بالله]

وقال ﷺ في لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم أنها : «كنزٌ من كنوز الجنّة»[2].

وأنها: «دواء من تسعة وتسعين داء؛ أدناها الهمّ»[3].

وقال ﷺ: «مَنْ كانت لله عليه نعمة وأحبَّ بقاءها، فليُكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم»[4].

عاد كما كان». أخرجه الحاكم في التاريخ، والديلمي . **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الأول. الإكمال ـ الحديث رقم: 2058 .

(1) روى الإمام أحمد في المسند بسنده عن أنس بن مالك ﵁ **أن رسول الله ﷺ أخذ غصناً فنفضه فلم ينتفض ثم نفضه فلم ينتفض ثم نفضه فانتفض فقال رسول الله ﷺ : «إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها»**. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المجلد الثالث ـ مسند الإمام أنس بن مالك ﵁.

(2) أخرج الشيخان ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﵁ قَالَ لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ» وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، **فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ. فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ ﷺ: «أَلا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟». قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فدَاكَ أَبِي وَأُمِّي. قَالَ ﷺ: «لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ»**. **صحيح البخاري**: الجزء الثالث67 كتاب المغازي 36 باب غزوة خيبر ـ الحديث رقم: 3968. **وصحيح مسلم**: الجزء الرابع 48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 13 باب استحباب خفض الصوت بالذكر ـ الحديث رقم: 44 ـ (2704).

(3) عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم». رواه الطبراني في الأوسط. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد العاشر 38 كتاب الأذكار 26 باب ما جاء في لا حول ولا قوة إلا بالله ـ الحديث رقم: 16901.

(4) روى الطبراني في الكبير بسنده عن عقبة بن عامر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها فليكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله». **معجم الطبراني الكبير**: باب الظاء . عقبة بن عامر الجهني. ابن لهيعة عن أبي عشانة ﵁ ـ الحديث رقم: 8541.

فضل: [سبحان الله وبحمده]

ومن أنواع الذِّكر الفاضلة قول: سبحان الله وبحمده.

قال ﷺ: «أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»(1).

وسُئِل ﷺ: أيُّ الكلام أفضل؟ قال ﷺ: «ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده»(2).

وقال ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده غُرِست له نخلة في الجنّة، ومن قالها مائة مرة كُتبت له ألف حسنة وحُطَّت عنه ألف خطيئة»(3).

وقال ﷺ: «مَن قال حين يُصبح وحين يُمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة؛ لم يأتِ أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»(4).

وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(5).

---

(1) سبق تخريجه.

(2) روى مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ سُئِلَ: أَيّ الْكَلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَى اللّهُ لِمَلاَئِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ». **صحيح مسلم**: الجزء الرابع48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 22 باب فضل سبحان الله وبحمده ـ الحديث رقم: 84 ـ (2731).

(3) روى مسلم والترمذي ـ واللفظ لمسلم ـ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ. حَدّثَنِي أَبِي قَالَ: كُنّا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلّ يَوْمٍ، أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ ﷺ: «يُسَبّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ. أَوْ يُحَطّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ. **صحيح مسلم**: الجزء الرابع48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار10 باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ـ الحديث رقم: 37 ـ (2698). **وسنن الترمذي**: المجَلّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 60 بابٌ ـ الحديث رقم: 3530. **ومسند الإمام أحمد بن حنبل**: المجلد الأول. مسند أبي إسحق سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(4) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : «مَنْ قَالَ، حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمّا جَاءَ بِهِ، إِلاّ أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ». **صحيح مسلم**: الجزء الرابع 48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 10 باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ـ الحديث رقم: 29 ـ (2692). **وسنن الترمذي**: المجَلّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 62 بابٌ ـ الحديث رقم: 3536.

(5) روى الشيخان ـ واللفظ للبخاري وهو آخر ما ختم به صحيحه ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**». **صحيح البخاري**: الجزء الرابع 83 كتاب الدعوات65 باب: فضل التسبيح ـ الحديث رقم: 6043. **وصحيح**

وعن أُم المؤمنين جويرية رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة تسبِّح، فقال: «ما زلت على الحالة التي فارقتك عليها»؟ قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وُزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَة عرشه، ومداد كلماته»[1].

انتهى المقصود منه.

وقال الشيخ الإمام الهُمام النوراني الملا إبراهيم بن الملا حسن الكوراني في كتابه «إنباه الأنباه»: خاتمة فيما ورد من الأحاديث في فضل [لا إله إلا الله] نختم بها الكتاب، تبرُّكاً بكلام خاتم النبيِّين ﷺ وعليهم وعلى آلهم وصحبهم أجمعين، ورجاء لحصول نصيب من الخير الحاصل لمن يبلغ شيئاً من أحاديثه؛ كالواحد وكالأربعين، وذلك كالنضارة التي يتضمنها قوله ﷺ: «نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، فأدَّاها كما سمعها».

وقوله ﷺ: «نضَّر الله امرأً سمع منا حديثاً فأدَّاه عنا كما سمعه، فرُبَّ مبلِّغ أوعى من سامع».

وقوله ﷺ: «نضّر الله رجلاً سمع منّا كلمة فبلَّغها كما سمعها، فرُبَّ مبلِّغ أوعى من سامع»[2].

مسلم: الجزء الرابع48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 10 باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ـ الحديث رقم: 31 ـ (2694). **وسنن ابن ماجه**: الجزء الثاني33 كتاب الأدب 56باب فضل التسبيح ـ الحديث رقم: 3806.

(1) روى مسلم بسنده عَنِ ابْنِ عَبّاس، عَنْ جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها أَنّ النّبِيّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلّىَ الصّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا. ثُمّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىَ، وَهِيَ جَالِسَةٌ. فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَىَ الْحَالِ الّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النّبِيّ ﷺ : «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلاَثَ مَرّاتٍ. لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنّ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». **صحيح مسلم**: الجزء الرابع 48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار19 باب التسبيح أول النهار وعند النوم ـ الحديث رقم: 79 ـ (2726).

(2) روى أصحاب السنن وغيرهم بطرق كثيرة، وألفاظ مختلفة عن ابن مسعود رضي الله عنه، وغيره، ومن ألفاظه: «نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، فأدَّاها إلى من لم يسمعها، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

كالشفاعة والمغفرة والبعث في زمرة العلماء يوم القيامة وغيرها من الأمور التي يتضمنها، نحو قوله ﷺ: «مَن حفظ على أُمتي أربعين حديثاً من أمر دينها؛ بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً»[1].

وقال ﷺ: «مَن كتب عني أربعين حديثاً رجاء أن يغفر الله له؛ غفر له وأعطاه ثواب الشهداء»[2].

وقوله ﷺ: «مَن حفظ على أُمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله فقيهاً، وكنت له شافعاً وشهيداً»[3].

وقوله ﷺ: «مَنْ حفظ على أُمتي أربعين حديثاً ينفعهم الله تعالى بها، قيل له: ادخل من أيِّ أبواب الجنّة شئت»[4].

وكالرحمة في الدعاء النبوي، فيما رُوي عن عليّ ﷺ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: **«اللهمَّ ارحم خلفائي» ـ ثلاث مرات ـ قيل: يا رسول الله! ومَن خلفاءك؟ قال: «الذين يأتون من بعدي ويَرْوُون أحاديثي ويُعلّمون الناس»**، عزاه الحافظ السيوطي في «الجامع الكبير» لجماعة منهم الطبراني والرامهرمزي والخطيب وغيرهم[5].

ورويناه موصولاً عن شيخنا العارف بالله العالم الراسخ المحقق الكامل الأكمل المكمّل سيدي الشيخ أبي الفضل صفي الدين أحمد بن محمد الدجاني المدني،

---

(1) قوله ﷺ: «**من حمل من أمتي أربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما**». رواه ابن عدي في الكامل بسنده عن أنس ﷺ. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 8649.

(2) قوله ﷺ: «من كتب عني أربعين حديثا رجاء أن يغفر الله له غفر له وأعطاه ثواب الشهداء». رواه ابن الجوزي في العلل ـ عن ابن عمرو. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد العاشر. الإكمال من رواية الحديث وآداب الكتابة ـ الحديث رقم: 29223.

(3) قوله ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله فقيها وكنت له يوم القيامة شافعا وشهيدا». رواه الشيرازي في الألقاب، وابن حبان في الضعفاء، وأبو بكر في الغيلانيات، والبيهقي والسلفي وابن النجار ـ عن أبي الدرداء ﷺ؛ وابن الجوزي في العلل ـ عن أبي سعيد ﷺ. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد العاشر. الإكمال من رواية الحديث وآداب الكتابة ـ الحديث رقم: 29184.

(4) لم أجده فيما لدي من مصادر والله أعلم.

(5) قوله ﷺ: «اللهم ارحم خلفائي الذين يأتون من بعدي، الذين يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس». رواه الطبراني في الأوسط عن علي ﷺ. الجامع الصغير للإمام السيوطي ـ الحديث رقم: 1544.

الشهير بالقشاشي، أيَّدنا الله به في السرِّ والعلن وأمدّنا به ظاهراً وباطناً بمزيد الفضل والإحسان، سماعاً من لفظه بمنزله بظاهر المدينة على ساكنها أفضل الصّلاة والسلام، عن شيخه العارف بالله، المحقق أبي المواهب أحمد بن علي بن عبد القدوس القرشي العباسي الشناوي ثم المدني طاب ثراه، عن شيخ الإسلام الشمس محمد بن أحمد الرملي، عن شيخ الإسلام الزين زكريا بن محمد السبكي القاهري الأزهري، عن مشايخه الأربعة: أبي الجود عبد الرَّحمن، وأبي الفضائل محمَّد بن الجمال محمد بن المرشدي، وابن عمهما أبي بكر بن أحمد بن إبراهيم المرشدي، والحافظ النجم ابن الحافظ الرحلة التقيّ محمد بن فهد المكي؛ كلهم عن الجمال أبي المحاسن محمد بن إبراهيم المرشدي المكي الحنفي، قال: قرأت على إبراهيم بن محمد الحريري المؤذن بالمسجد الحرام، قال: أنا[1] إسحاق بن يحيى بن إسحاق الآمدي، وأنا في الرابعة بدمشق قال: أنا يوسف بن خليل الحافظ قال: أنبأنا أبو الفتح ناصر بن محمد الوبري قال: أنبأنا أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد الثقفي قال: ثنا أبو بكر أحمد بن الفضل الباطرقاني إملاءً قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: أنا أحمد بن أبي عبيدة الكوفي بها قال: ثنا محمد بن الحسين الهمداني قال: ثنا أحمد بن عيسى العلوي قال: ثنا أحمد بن أبي فديك، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت علي بن أبي طالب ﵁ يقول: قال رسول الله ﷺ: **«اللهمَّ ارحم خلفائي»، قلنا: مَنْ خلفاءك؟ قال: «الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنّتي ويُعلِّمونها الناس»**.

وكالفوز بالحلول في الجنّة فيما رويناه عن شيخنا ـ قدّس سره ـ بسنده السابق إلى الجمال المرشدي، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الاسكندري فيما قرىء عليه وأنا أسمع بالقاهرة في الرحلة الثالثة قدم علينا، (أنا) علي بن عمر بن ابي بكر الصوفي، (أنا) عبد الرَّحمن بن مكي، (أنا) أبو طاهر السلفي، (أنا) أبو علي أحمد بن محمد بن الفضل بن شهريار الأصبهاني بها، (أنا) أبو محمد هبة الله

(1) سيرد معنا فيما يلي من أسانيد الأحاديث قوله: «أنا، و: ثنا، وأنبا..» وهو مختصر لقولهم أنبأنا وحدثنا... وقد ذهب أكثر علمائنا إلى أنه لا فرق بين قول المحدث «ثنا» وقوله: «أنا»، وذهب آخرون إلى أن قوله «ثنا» دال على أنه سمعه لفظاً. وأن قوله «أنا» يدل على أنه سمعه قراءة عليه.

بن محمد بن الحسن النيسابوري إملاء، حدثنا الحاكم أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحافظ، (ثنا) أبو علي الحسين بن محمد الصنعاني بمرو، (أنا) أبو رجاء محمد بن حمدويه، حدثنا العلاء بن مسلمة، (ثنا) إسماعيل بن يحيى التميمي، عن سفيان الثوري، عن ليث، عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَدَّى إِلَى أُمَّتِي حَدِيثًا وَاحِدًا يُقِيمُ بِهِ سُنَّةً، وَيَرُدُّ بِهِ بِدْعَةً، فَلَهُ الْجَنَّةُ**»[1].

فأقول سائلاً من الله الكريم بلسان الذلّ والافتقار أن يُدخلني ووالدي ومشايخي وإخواني وأصحابي ومَن وقف على كتابي هذا من المحبِّين في خالص رحمته الواسع الأقطار، وأن يحشرنا فيمن دخل في بركات دعا نبيّه المصطفى المختار، وأن يجعلنا ومَن بلغ بتوفيقه من أهل الرعاية عند الرواية والدِّراية إنه جوَّاد كريم رؤوف رحيم، آمين.

وصلَّى الله على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، عدد خلق الله، بدوام الله الملك الحق المبين.

(1) الأربعين البلدانية لأبي طاهر السلفي ـ صفحة: 37.

[الحديث الأول]

أخبرني شيخنا العارف بالله، وقدوتي إلى الله ﷻ سيدي الشيخ صفي الدين أحمد بن محمد الدجاني المدني ـ قدِّس سرّه ـ بسنده السابق إلى القاضي زكريا، قال: (أنا) العزيز بن الفرات، عن أبي العباس أحمد بن الجوني، عن أُم أحمد زينب ابنة مكي بن علي بن كامل الحرانية، (أنا) أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج الرصافي، (أنا) أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين، (أنا) أبو علي الحسن بن علي التميمي، (أنا) أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي، (أنا) عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، (ثنا) أبي، (أنا) إبراهيم بن مهدي، (أنا) إسماعيل بن عباس، عن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب،

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «مفاتيح الجنّة شهادة أن لا إله إلا الله»[1].

[الحديث الثاني]

أخبرني شيخنا سيدي الشيخ صفي الدين أحمد بن محمد الدجاني المدني ـ قدِّس سرّه ـ عن الشيخ أبي المواهب أحمد الشناوي ـ قدِّس سرّه ـ عن العلامة أحمد بن قاسم العبادي، عن السيد الجمال يوسف الأرميوني، عن الحافظ جلال الدين السيوطي، عن التقي الشمني، عن الجمال عبد الله بن العلا علي الكتاني الحنبلي قال: أنا علاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد العرضي، أخبرتنا زينب بنت مكي بن

(1) روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ «مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله». **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المجلد الخامس. مسند الأنصار رضي الله عنهم حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

علي الحرانية بسنده السابق إلى الإمام أحمد بن حنبل قال: (ثنا) الوليد بن مسلم، (ثنا) الأوزاعي، (ثني) عمير بن هاني أن جنادة بن أبي أُمية حدثه أن عبادة بن الصامت حدثه

عن رسول الله ﷺ، قال: «مَن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أَمَته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنّة حق، وأن البعث حق؛ أدخله الجنَّة على ما كان من عمل من أيِّ أبواب الجنّة الثمانية شاء»[1].

[الحديث الثالث]

أخبرني شيخنا ـ قدّس سرّه ـ بسنده إلى الشمس محمد الرملي، عن شيخ الإسلام علي بن يس الطرابلسي، عن الحافظ شمس الدين السخاوي، عن أُم محمد بنت عمر بن عبد العزيز، عن أبي عمر محمد بن أبي العباس الصالح، عن الفخر أبي الحسن الصالحي، عن أبي علي حنبل بسنده السابق إلى الإسلام أحمد، (ثنا) أبو معاوية، (أنا) الأعمش، عن شمر بن عطية، عن أشياخه،

عن أبي ذرٍّ ؓ قال: قلت: يا رسول الله! أَوْصني. قال ﷺ: «إذا عملت سيئة فأتْبِعها حسنة تُمحها». قال: قلت: يا رسول الله! أَمِنَ الحسنة لا إله إلا الله؟ قال: «هي أفضل الحسنات»[2].

(1) روى الشيخان وغيرهما ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ عُبَادَةَ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ**». قَالَ الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ: «**مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ**». **صحيح البخاري**: الجزء الثاني 64 كتاب الأنبياء 48 باب: قوله: [يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم...] ـ الحديث رقم: 3252.

(2) عن أبي ذر ؓ قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال ﷺ: «**إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها**». **قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال ﷺ**: «**هي أفضل الحسنات**». رواه أحمد ورجاله ثقات . **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المجلد الخامس. مسند الأنصار ؓ حديث أبي ذر الغفاري ؓ.

[الحديث الرابع]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ عن شيخه أبي المواهب، عن النور علي بن يحيى الزيادي، عن الشهاب أحمد بن حمزة الرملي، عن الحافظ السخاوي، عن الحافظ ابن حجر، (أنا) أبو الحسن علي بن أبي المجد الدمشقي، (أنا) أبو العباس أحمد الصالح الحجار، (أنا) أبو عبد الله الحسين الزبيدي، (أنا) أبو الوقت عبد الأول السنجري، (أنا) أبو الحسن عبد الرَّحمن الداودي، (أنا) أبو محمد عبد الله بن الحموي السرخسي، (أنا) أبو عبد الله محمد القريري، (أنا) الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ثنا) عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﵁؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«مَن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة؛ كانت له عدل عشر رقاب وكُتبت له مائة حسنة ومُحيت عنه مائة سيّئة، وكانت له حِرْزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»[1].

[الحديث الخامس]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ عن الشيخ أحمد الشناوي ـ قدِّس سرّه ـ عن الشيخ محمد البكري، عن والده الشيخ أبي الحسن البكري، عن القاضي زكريا، عن الحافظ بن حجر، (أنا) أبو الحسن محمد البالسي، (أنا) أبو محمد عبد الرَّحمن المقدسي الصالحي، (أنا) أبو العباس أحمد النابلسي، (أنا) أبو عبد الله محمد الحراني، (أنا) فقيه الحرم أبو عبد الله محمد الصاعدي الفراوي، (أنا) الإمام أبو الحسين عبد الغافر

---

(1) روى الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»**. **صحيح مسلم**: 10 ـ باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ـ الحديث رقم: 7018.

الفارسي النيسابوري، (أنا) الإمام أبو أحمد محمد الجلودي النيسابوري، (أنا) أبو إسحاق إبراهيم الفقيه الزاهد، (أنا) الحافظ الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، (حدثنا) إسحاق بن منصور، (أنا) معاذ بن هشام، (ثنا) أبي، عن قتادة، (ثنا) أنس بن مالك ﵁:

أن نبيّ الله ﷺ ومعاذ بن جبل ﵁ رديفه على الرحل، قال: «يا معاذ»! قال: لبَّيك يا رسول الله وسعديك! قال: «يا معاذ»! قال: لبيك يا رسول الله وسعديك! قال: «يا معاذ»! قال: لبيك يا رسول الله وسعديك! قال ﷺ: «ما من عبدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلاّ حرَّمه على النار». قال: يا رسول الله! أفلا أُخبروا فيستبشروا؟ قال: «إذاً يتّكلوا»، فأخبر بها معاذ عند موته تأثّماً»[1].

[الحديث السادس]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سره ـ عن الشيخ أحمد الشناوي، عن والده علي بن عبد القدوس، عن ابن حجر المكي، عن الجلال السيوطي، عن التقي الشمني، عن الشرف أبي الطاهر محمد بن الكويك، عن أبي محمد عبد الرَّحمن بن عبد الهادي المقدسي بسنده السابق إلى مسلم، (ثنا) زهير بن حرب، ثنا جرير، عن سهيل، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح:

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضعٌ وسبعون ـ أو ـ بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[2].

---

(1) روى مسلم وغيره ـ واللفظ لمسلم ـ **عَنْ قَتَادَةَ ﵁ قَالَ: حَدّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﵁ أَنّ نَبِيّ اللهَ ﷺ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﵁ رَدِيفُهُ عَلَى الرّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. قالَ: «يا مُعَاذُ»، قال: لبّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وسَعْدَيْكَ. قالَ: «يا مُعَاذُ» قال: لَبّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وسَعْدَيْكَ قال ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاّ الله، وَأَنّ مُحَمّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إلاّ حَرّمَهُ الله عَلَى النّارِ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهَا النّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إذا يَتّكِلُوا» فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، تَأَثّما. صحيح مسلم بشرح النووي**: كتاب الإيمان. باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.

(2) قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء**

[الحديث السابع]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ عن الشيخ أحمد الشناوي، عن الشمس العلقمي، عن الجلال السيوطي، عن علم الدين صالح البلقيني، عن أبيه السراج عمر بن رسلان البلقيني، عن الشمس محمد بن القماح، عن أبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن نصر، عن أبي الفتح منصور الفراوي والمؤيد السيوطي، كلاهما عن فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي بسنده إلى مسلم، قال: (ثنا) أبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب كلاهما عن إسماعيل بن إبراهيم قال أبو بكر: (ثنا) ابن علية عن خالد، (ثنا) الوليد بن مسلم عن حمران، عن عثمان قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»[1].

[الحديث الثامن]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ عن شيخه أبي المواهب، عن العلّامة أحمد بن قاسم العيادي، عن الشيخ أبي الحسن البكري، عن القاضي زكريا، عن الحافظ ابن حجر، عن أبي الحسن علي بن أبي المجد الدمشقي، عن أبي العباس الصالحي الحجار، (أنا) أبو محمد الأنجب، (أنا) أبو زرعة طاهر المقدسي، (أنا) الفقيه محمد بن الحسين المفوي، (أنا) أبو طلحة القاسم الخطيب، (ثنا) أبو الحسين علي القطان، (ثنا) الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، (ثنا) عبد الحميد بن بيان الواسطي، (ثنا) خلد بن عبد الله، عن يونس، عن حميد بن هلال، عن هصان بن الكاهن، عن عبد الرَّحمن بن سمرة، عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

شعبة من الإيمان». أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 3096.

(1) روى مسلم في صحيحه بسنده عَنْ عُثْمَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله دَخَلَ الْجَنّةَ**». **صحيح مسلم**: الجزء الأول1 كتاب الإيمان 10باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ـ الحديث رقم: 43 ـ (26).

«ما من نفس تموت تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن، إلا غفر الله لها»[1].

[الحديث التاسع]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ عن شيخه أبي المواهب، عن الشيخ حسن الدنجهري، عن الجلال السيوطي التقي بن فهد المكي، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي، عن أبي العباس الحجازي بسنده السابق إلى ابن ماجه، قال: (ثنا) إبراهيم بن المنذر الحزامي، (ثنا) زكريا بن منظور، (ثنا) محمد بن عقبة، عن أُم هانىء قالت:

قال رسول الله ﷺ: «**لا إله إلا الله لا يسبقها عمل، ولا تترك ذنباً**»[2].

[الحديث العاشر]

وبه إلى ابن ماجه أبو بكر بن أبي شيبة، أنا بكر بن عبد الرَّحمن، (ثنا) عيسى بن المختار، عن محمد بن أبي ليلى، عن عطية العوفي، عن أبي سعيدٍ ﷺ، عن النبي ﷺ قال:

«مَن قال في دُبُر كلِّ صلاة الغداة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير؛ كان كعتاق رقبة من ولد إسماعيل»[3].

---

(1) روى ابن ماجه في سننه بسنده عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ تَشْهَدُ أَنْ لَاإِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبِ مُوقِنٍ، إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهَا**». في الزوائد الحديث رواه النسائيّ، في عمل اليوم والليلة، من طرق. **سنن ابن ماجه**: الجزء الثاني 33 كتاب الأدب (54) باب فضل لاإله إلا الله ـ الحديث رقم: 3796.

(2) **سنن ابن ماجه**: الجزء الثاني 33 كتاب الأدب 54 باب فضل لاإله إلا الله ـ الحديث رقم: 3797 .

(3) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ، فِي دُبُرِ صلاةِ الْغَدَاةِ: لَاإِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكَ وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ كَعَتَاقِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». في الزوائد: في إسناده عطية العوفيّ، وهو ضعيف. وكذلك الراوي عنه. **سنن ابن ماجه**: الجزء الثاني 33 كتاب الأدب 54 باب فضل لاإله إلا الله ـ الحديث رقم: 3799.

[الحديث الحادي عشر]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ بسنده إلى شيخ الإسلام زكريا، (أنا) الشمر أبو عبد الله الغاباني، (أنا) الحافظ الولي أبو زرعة أحمد بن الحافظ عبد الرحيم العراقي، (أنا) أبو حفص عمر بن أميلة المراغي، (أنا) الفخر أبو الحسن بن البخاري، (أنا) أبو حفص عمر بن طبرزد البغدادي، (أنا) أبو الفتح عبد الملك الكروخي، (أنا) القاضي أبو عامر الأزدي، (أنا) أبو محمد عبد الجبار الجراحي المروزي، (أنا) العباس محمد المخبوبي المروزي، (أنا) الحافظ الحجة أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي، حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري، قال: سَمِعْتُ طلحة بن خراش قال: سمعتُ جابر بن عبد الله ﵁ يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أفضل الذِّكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»[1].

(1) أخرج الترمذي وابن ماجه ـ واللفظ للترمذي ـ عن جابر بن عَبْدِ الله ﵁ يَقُولُ سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقُولُ: **«أَفْضَلُ الذّكْرِ لا إلهَ إلاّ الله وَأَفْضَلُ الدّعَاءِ الحمْدُ لله»**. قال أبو عيسى: هَذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إلاّ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بنِ إبْرَاهِيمَ. سنن الترمذي: المجَلَّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 9 باب ما جَاءَ أَنَّ دعوةَ المسلم مُستجَابةٌ ـ الحديث رقم: 3443. **وسنن ابن ماجه**: الجزء الثاني 33 كتاب الأدب 55 باب فضل الحامدين– اَلحديث رقم: 3800. **قال المناوي في الفيض**: قوله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا اللّه»: إذ لا يصح الإيمان إلا به، ولأن فيه إثبات الإلهية للّه ونفيها عما عداه وليس ذا في سواه من الأذكار، ولأن للتهليل تأثيراً في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة التي هي معبودات في الظاهر [أفرأيت من اتخذ إلهه هواه] فيفيد نفي عموم الإلهية بقوله: «لا إله» ويثبت الواحد بقوله: «إلا اللّه»، ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قلبه فيتمكن ويتولى على جوارحه ويجد حلاوة هذا من ذاق، وقال بعض العارفين: إنما كانت أفضل لأنها كلمة توحيد والتوحيد لا يماثله شيء، إذ لو ماثله شيء ما كان واحداً بل اثنين فصاعداً فما ثم ما يزنه إلا المعادل والمماثل، ولا معادل ولا مماثل، فذلك هو المانع لـ «لا إله إلا اللّه» أن تدخل الميزان يوم القيامة، فإن الشرك الذي يقابل التوحيد لا يصح وجوده من العبد مع وجود التوحيد فإن الإنسان إما مشرك وإما موحد، فلا يزن التوحيد إلا الشرك، ولا يجتمعان في ميزان أبداً، فعليك بالذكر بها فإنه الذكر الأقوى، وله النور الأضوى والمكانة الزلفى، ولا يشعر بذلك إلا من لزمه وعمل به حتى أحكمه وحكمه. وقوله ﷺ: «وأفضل الدعاء الحمد للّه»: لأنَّ الدعاء عبارة عن ذكر اللّه وأن تطلب منه الحاجة والحمد يشملها فإن الحامد للّه إنما يحمده على نعمه والحمد على النعم طلب المزيد. **وفي الحديث القدسي** إن اللّه يقول: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»، فنبه به على وجه تسمية الحمد دعاء وهو كونه محصلاً لمقصود الدعاء فأطلق عليه دعاء مجازاً لذلك فإن حقيقة الدعاء طلب الإنعام، والشكر كفيل بحصول الإنعام للوعد الصادق بقوله: [لئن شكرتم لأزيدنكم] وقال الطيبي: لعله جعل أفضل الدعاء من حيث إنه سؤال لطيف يدق مسلكه. قال: وقد يكون قوله الحمد للّه: تلميح وإشارة إلى: [اهدنا الصراط

قلت: قال ابن حبان: أخبرنا محمد بن علي الأنصاري، عن ولد أنس بن مالك بالبصرة، (ثنا) يحيى بن حبيب بن عربي به مثله.

[الحديث الثاني عشر]

وبه إلى الترمذي قال: (ثنا) أحمد بن منيع، (ثنا) يزيد بن هارون، (ثنا) زهر بن سنان، (ثنا) محمد بن واسع قال: قدمت مكة، فلقيني أخي سالم بن عبد الله بن عمر، فحدثني عن أبيه عن جدِّه؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«مَن دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد،

المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم] وأي دعاء أفضل وأجمع وأكمل منه. **قال المناوي**: دلَّ هذا الحديث بمنطوقه على أن كلا من الكلمتين أفضل نوعه، ودل بمفهومه على أن [لا إله إلا اللّه] أفضل من [الحمد للّه] فإن نوع الذكر أفضل من نوعه. [**تنبيه**]: قال حجة الإسلام الإمام الغزالي ﷺ: ليس شيءٌ من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد للّه، فإن النعم كلها من اللّه، وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته، وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد لدخولهما فيه بل الرتبة الأولى من معارف الإيمان التقديس، ثم إذا عرف ذاتاً مقدسة يعرف أنه لا يقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط، فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة وينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل فلذلك ضوعف الحمد ما لم يضاعف غيره من الأذكار مطلقاً. [**تنبيه آخر**]: قال البدر الدماميني: لا يمتنع أن يفوق الذكر مع سهولته الأعمال الشاقة الصعبة من الجهاد ونحوه وإن ورد: أفضل العبادات أشقها لأنَّ في الإخلاص في الذكر من المشقة سيما الحمد في حال الفقر ما يصير به أعظم الأعمال وأيضاً فلا يلزم أن يكون الثواب على قدر المشقة في كل حال فإن ثواب كلمة الشهادة مع سهولتها أكثر من العبادات الشاقة. [**تنبيه آخر**]: **قال بعض العارفين**: سميت كلمة الشهادة تهليلاً من الإهلال وهو رفع الصوت أي إذا ذكر بما ارتفع الصوت الذي هو النفس الخارج به على كل نفس ظهر فيه غير هذه الكلمة ولذلك كانت أفضل ما قاله النبييون كما في الخبر الآتي، فأرفع الكلمات «لا إله إلا اللّه» وهي أربع كلمات نفي ومنفي وإيجاب وموجوب، والأربعة الأسماء الإلهية أصل وجود العالم، والأربعة الطبيعية أصل وجود الأجسام والأربعة العناصر أصل وجود المولودات والأربعة الأخلاط أصل وجود الحيوان والأربعة الحقائق أصل وجود الإنسان، فالأربعة الإلهية: الحياة والعلم والإرادة والقدرة، والأربعة الطبيعية: الحرارة واليبوسة والرطوبة والبرودة، والأربعة العناصر: ركن النار والهواء والماء والتراب، والأربعة الأخلاط: المرتان والدم والبلغم، والأربعة الحقائق: الجسم والتغذي والحس والنطق، فإذا قال عبده لا إله إلا اللّه على هذا التربيع كان لسان العالم ونائب الحق في النطق، وهذه الكلمة اثنا عشر حرفاً فاستوعبت بهذا العدد بسائط أسماء الأعداد وهي اثنا عشر العشرات والمئون والألوف ومن واحد إلى تسعة، ثم بعد هذا يقع التركيب بما يخرجك من الآحاد إلى ما لا يتناهى، وهو ما يتركب منها فلا إله إلا اللّه وإن انحصرت في هذا القدر في الوجود فجزاؤها لا يتناهى.

يُحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير؛ كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»[1].

[الحديث الثالث عشر]

وبه إلى الترمذي قال: (ثنا) علي بن خشرم، حدثنا الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليّ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أُعلِّمك كلمات إذا قلتهنّ غفر الله لك، وإن كنت مغفوراً لك»؟ قال: «قل: لا إله إلا الله العليّ العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم»[2].

قال علي بن خشرم: وأخبرنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه بمثل ذلك، إلا أنه قال في آخرها: «الحمد لله رب العالمين».

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي ﵁.

قلت: قال ابن أبي شيبة: ثنا محمد بن عبد الله الأسدي، عن علي بن صالح، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلمة، عن عليّ ﵁ قال: قال لي النبي ﷺ:

«ألا أُعلِّمك كلمات إذا قلتهنّ غفر لك، مع أنه مغفور لك؟ لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم،

---

(1) أخرج الترمذي بسنده عن محمد بن واسع قَالَ قَدِمتُ مكَّةَ فلقيني أخي سالِمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بن عُمرَ ﵄ فحَدَّثَنِي عَن أبيهِ عَن جدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«من دخلَ السُّوقَ فَقَالَ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ يُحيي ويُميتُ وهوَ حيٌّ لا يموتُ بيدهِ الخيرُ وهوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ كتبَ اللَّهُ لهُ ألفَ ألفِ حسنةٍ ومحى عنْهُ ألفَ ألفِ سيئةٍ ورفعَ لهُ ألفَ ألفِ درجةٍ»**. **سنن الترمذي**: المجَلَّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 36 باب ما يَقُولُ إذا دخلَ السُّوقَ ـ الحديث رقم: 3488.

(2) قوله ﷺ: **«ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك، وإن كنت مغفورا لك؟ قل: لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين»**. رواه الترمذي عن علي ﵁، ورواه الخطيب في التاريخ بلفظ: **«إذا أنت قلتهن وعليك مثل عدد الذر خطايا غفر الله لك»**. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 2880.

الحمد لله رب العالمين».

فرواه من حديث أبي إسحاق من غير وجه الترمذي.

[الحديث الرابع عشر]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ بسنده إلى الحافظ ابن حجر، عن الحافظ أبي الحسن علي الهيثمي، عن أبي الفتح محمد الميدومي، عن أبي الفرج عبد اللطيف الحراني، عن محمد الكراني، (أنا) أبو منصور محمود الصيرفي، (أنا) أبو الحسين بن بادشاه، قال: (أنا) الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. قال في «المعجم الكبير»: (ثنا) علي بن عبد العزيز، (ثنا) محمد بن عمار الموصلي، (ثنا) يحيى بن اليمان، حدثنا المنهال بن خليفة، عن أبي عبد الله الشامي، عن أبي مليكة الذماري، عن نمران اليحصبي، عن بلال ﵁ قال:

قال رسول الله ﷺ: «يا بلال! نادِ في الناس: **مَنْ قال لا إله إلا الله قبل موته بسنة دخل الجنة، أو شهراً أو جمعة أو يوم أو ساعة**»، **قال: إذاً يتَّكِلوا! قال**: «**وإن اتَّكلوا**»[1].

[الحديث الخامس عشر]

وبه إلى أبي القاسم الطبراني في «الكبير» قال: (ثنا) أحمد بن محمد بن نافع الطحان، حدثنا أحمد بن صالح ح [2]، و(ثنا) علي بن عبد العزيز، (ثنا) هارون بن عبد الله، قالا: (ثنا) قدامة بن محمَّد الأشجعي، (ثني) مخرمة بن بكر بن عبد الله الأشجعي، عن أبيه، عن أبي حرب بن زيد بن خالد الجهني قال: أشهد على أبي زيد بن خالد الجهني أنه قال: أرسلني رسول الله ﷺ أبشِّر الناس أنه:

---

(1) قوله ﷺ: «**يا بلال ناد في الناس من قال لا إله إلا الله قبل موته بسنة دخل الجنة أو شهر أو جمعة أو يوم أو ساعة قال إذا يتكلوا قال وان اتكلوا**». رواه أبو عثمان النهدي عن بلال ﵁. **معجم الطبراني الكبير**: باب الباء . بلال بن رباح ﵁ مؤذن رسول الله ﷺ شهد بدرا .

(2) هذه الحاء «ح» عند المحدثين تفيد تحويل السند إلى سند آخر.

«مَنْ شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فله الجنّة»[1].

[الحديث السادس عشر]

وبه إلى الطبراني في «الكبير» قال: (ثنا) أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، (ثنا) أبي، (ثنا) إسماعيل بن عياش، (ثنا) راشد بن داود، (ثنا) يعلى بن شداد بن أوس، حدثني أبي شداد بن أوس وعبادة بن الصامت ﷺ يصدقه، قال:

كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «هل منكم أحد مِن أهل الكتاب»؟ فقيل: لا يا رسول الله، فأمر ﷺ بغلق الباب فقال: «ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إله إلا الله»، فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع النبي ﷺ يده، ثم قال: «الحمد لله، اللهمَّ إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنّة، إنك لا تُخلف الميعاد». ثم قال ﷺ: «أبشروا، فإن الله قد غفر لكم»[2].

قلت: قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده: (ثنا) عمر بن الخطاب السجستاني، حدثنا الحسن بن علي السكوني، حدَّثنا إسماعيل بن عياش، عن راشد بن داود، عن يعلى بن شداد بن أوس وعبادة حاضر فصدَّقه، وقال: **بايعنا رسول الله ﷺ فقال: «فيكم غريب؟» ـ يعني: أهل الكتاب ـ فقلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلْق الباب، فقال: «ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إله إلا الله»، فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال: «اللهمَّ إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد». ثم قال: «أبْشِروا، فإن الله قد غفر لكم»**. قال البزار: وهذا لا نعلمه

---

(1) روى الطبراني في الكبير عن أبي حرب بن زيد بن خالد الجهني قال أشهد على أبي زيد بن خالد الجهني أنه قال: **أرسلني رسول الله ﷺ أبشر الناس أنه من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فله الجنة». معجم الطبراني الكبير**: باب الزاي . زيد بن خالد الجهني . أبو حرب بن زيد بن خالد الجهني عن أبيه.

(2) عن يعلى بن شداد ﷺ قال: حدثني أبي شداد ﷺ وعبادة بن الصامت ﷺ حاضر يصدِّقه قال: **كنا عند النبي ﷺ فقال: «هل فيكم غريب؟» يعني أهل الكتاب قلنا: لا يا رسول الله. فأمر بغلق الباب، وقال: «ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله» فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع ﷺ يده ثم قال: «الحمد لله، اللَّهُمَّ إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد»،ثم قال ﷺ: «ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم»**. رواه أحمد والطبراني والبزار ورجاله موثقون. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المجلد الرابع. مسند الشاميين. حديث شداد بن أوس ﷺ.

يُروى إلا بهذا الإسناد.

قلت: وهذا الحديث أصل لتلقين مشايخ الطريقة الذكر لجماعة من المريدين، وفي التحفظ عن الأجنبي عن طريقتهم فيما يخصهم، و الله أعلم.

[الحديث السابع عشر]

وبه إلى الطبراني في «الكبير» قال: (ثنا) أحمد بن إبراهيم، (ثنا) إبراهيم بن عبد الله بن العلاء بن زيد، (ثنا) أبي عبد الله بن العلاء، عن الزهري والأوزاعي قالا: (ثنا) المطلب بن عبد الله بن الخطيب، حدثني عبد الرَّحمن بن أبي عمرة، حدثني أبي قال: **كنا مع رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها، ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله؛ لا يلقى الله بهما أحد يوم القيامة إلا دخل الجنة على ما كان مِن عمل»**[1].

[الحديث الثامن عشر]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ بسنده إلى الحافظ ابن حجر قال: أخبرني أبو المعالي عبد الله الحلاوي، عن أُم عبد الله زينب ابنة الكمال المقدسية، عن الحافظ

---

(1) عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري رضي الله عنه قال: حدثني أبي قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها فأصاب الناس مخمصة، فاستأذن الناس رسول الله ﷺ في نحر بعض ظهورهم، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يأذن لهم في ذلك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أرأيت يا رسول الله إذا نحن نحرنا ظهرنا ثم لقينا عدونا غدا ونحن جياع رجال! فقال رسول الله ﷺ فما ترى يا عمر؟ قال: تدعو الناس ببقايا أزوادهم ثم تدعو لنا فيها بالبركة فإن الله عز وجل سيبلغنا بدعوتك إن شاء الله. قال: فكأنما كان على رسول الله ﷺ غطاء فكشف فدعا بثوب فأمر به فبسط ثم دعا الناس ببقايا أزوادهم فجاؤوا بما كان عندهم فمن الناس من جاء بالجفنة من الطعام أو الحفنة ومنهم من جاء بمثل البيضة فأمر به رسول الله ﷺ فوضع على ذلك الثوب ثم دعا فيه بالبركة وتكلم بما شاء الله أن يتكلم ثم نادى في الجيش فجاؤوا ثم أمرهم فأكلوا وطعموا وملأوا أوعيتهم ومزاودهم ثم دعا بركوة فوضعت بين يديه ثم دعا بماء فصبه فيها ثم مج فيها فتكلم بما شاء الله أن يتكلم ثم أدخل خنصره فيها فأقسم بالله لقد رأيت أصابع رسول الله ﷺ تفجر ينابيع من الماء ثم أمر الناس فشربوا وسقوا وملأوا قربهم وأداويهم **ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله لا يلقى الله بهما أحد يوم القيامة إلا دخل الجنة على ما كان. معجم الطبراني الكبير:** باب الألف . أسيد بن مالك أبو عمرة الأنصاري رضي الله عنه. باب من دلائل نبوة رسول الله ﷺ.

أبي الحجاج يوسف الدمشقي، عن أبي سعيد خليل الداراني، عن أبي علي الحسين الحداد، (أنا) أبو نعيم أحمد الأصبهاني الحافظ، (أنا) أبو القاسم الطبراني. قال في «المعجم الأوسط»: (ثنا) الحسين بن محمد بن حاتم العجلي، (ثنا) الحسين بن علي بن يزيد الصدائي، حدثني أبي، (ثنا) حفص العامري، عن موسى الصغير، عن عبيد الله بن عتبة، عن أبي هريرة ﵁، قال:

قال رسول الله ﷺ: «**مَن قال: لا إله إلا الله نفعته يوماً من دهره، ولو بعد ما يصيبه العذاب**»[1].

قلت: هذا الحديث وما في معناه من الأُصول الدالَّة على أن مَن مات على التوحيد ثم أُدخل النار بذنوبه لا يخلد في النار، ولو كان من أصحاب الكبائر ومات بلا توبة؛ خلافاً للمعتزلة. مما يفسر حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً عن الطبراني: «**لا يضرّ مع الإسلام ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل**» وما في معناه[2]؛ أي: لا يضرّه مضرة توجب خلوده، كما لا ينفع مع الشرك عمل؛ أي: نفعاً يوجب دخوله الجنّة؛ وذلك لأصول مقطوع بها، منها: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، [النساء:48].

وقوله ﷺ: «يا ابن الخطاب! اذهب نادِ في الناس: لا يدخل الجنّة إلا المؤمنون»[3]،

---

(1) عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله نفعته يوماً من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه». رواه البزار والطبراني في الأوسط والصغير ورجاله رجال الصحيح. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**- الحديث رقم: 13.

(2) ولفظه: «**كما لا ينفع مع الشرك شيء، كذلك لا يضر مع الإيمان شيء**». قال في الفيض: وأراد بالإيمان الحقيقي الكامل الذي يملأ القلب نوراً فتستأنس النفس وتصير تحت سلطنته وقهره فهذا هو الذي لا يضر معه شيء من الأشياء إذ الإيمان كما في شرح الحكم قد يكون بالغيب وقد يكون عن كشف وشهود وهو الحقيقي. رواه الخطيب في التاريخ عن عمر ﵁، وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمرو ﵁. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 6409.

(3) عن عَبْدِ الله بْنِ عَبّاسٍ ﵄. قَالَ: **حَدّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ ﵁ قَالَ: لَمّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النّبِيّ ﷺ. فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فُلاَنٌ شَهِيدٌ. حَتّى مَرّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «كَلاّ. إِنّي رَأَيْتُهُ فِي النّارِ. فِي بُرْدَةٍ غَلّهَا. أَوْ عَبَاءَةٍ» ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «يا ابْنَ الْخَطّابِ! اذْهَبْ فَنَادِ فِي النّاسِ أَنّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنّةَ إِلاّ الْمُؤْمِنُونَ» قَالَ ﵁ فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: «أَلاَ إِنّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنّةَ إِلاّ الْمُؤْمِنُونَ»**. صحيح مسلم **بشرح النووي**: كتاب. باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

فلا ينافي حديث: «وأما الكافر، فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُعطى بها خيراً»[1]؛ أي: خيراً تجني ثمرته في الجنّة لا مطلق الإثابة؛ لِمَا رُوي عن ابن مسعود ﷺ: «ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر إلا أثابه الله، قيل: ما إثابة الكافر؟ قال: «إن كان قد وصل رحماً أو تصدّق بصدقة أو عمل حسنة؛ أثابه الله تعالى المال والولد والصحة وأشباه ذلك». قيل: وما إثابته في الآخرة؟ قال: «عذاباً دون العذاب، وقرأ: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾، [غافر:46][2]. عزاه الحافظ السيوطي والحاكم والبيهقي وغيرهما عنه.

وعن زينب بنت أبي سلمة أن أبا لهب أعتق جارية يقال لها ثُويبة، وكانت أرضعت النبي ﷺ فرأى أبا لهب بعض أهله في النوم، فسأله: ما وجد؟ فقال: ما وجدت بعدكم راحة، غير أني سُقيت في هذه مني ـ وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه ـ في عتقي ثويبة[3]. عزاه السيوطي لعبد الرزاق.

وفي «**صحيح البخاري**»[4] قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب، كان أبو لهب أعتقها، فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبو لهب أُريه بعض أهله بشر خيبة، فقال: ماذا

---

(1) روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ﷻ لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في الآخرة. قال: وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا**». **مسند الإمام أحمد**: المجلد الثالث. مسند أنس بن مالك ﷺ.

(2) قوله ﷺ: «**ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر إلا أثابه الله، قيل ما إثابة الكافر؟ قال: إن كان قد وصل رحما، أو تصدق بصدقة، أو عمل حسنة، أثابه الله تعالى المال والولد والصحة، وأشباه ذلك، قيل وما إثابته في الآخرة؟ قال عذاب دون العذاب، وقرأ: [أدخلوا آل فرعون أشد العذاب]**. رواه الحاكم والبيهقي والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن شاهين عن ابن مسعود ﷺ.**كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الثاني. الفصل الرابع في التفسير من فصول الباب السابع في القرآن وفضائله، من الكتاب الثاني من حرف الهمزة في الأذكار من قسم الأقوال من كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. (التفسير من الإكمال) من الفصل الرابع في التفسير ـ الحديث رقم: 3038.

(3) روى عبد الرزاق في المصنف عن زينب بنت أبي سلمة أن أبا لهب أعتق جارية له يقال لها ثويبة وكانت قد أرضعت النبي ﷺ، فرأى أبا لهب بعضُ أهله في النوم فسأله ما وجد، فقال: ما وجدت بعدكم راحة غير أني سقيت في هذه مني ـ وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه ـ في عتقي ثويبة. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الثاني عشر. فضائل متفرقة ـ الحديث رقم: 35490.

(4) **صحيح البخاري**: باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ـ الجزء 16 ـ الحديث رقم: 4711.

لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألقَ بعدكم أيّ راحة، غير أني سقيت في هذه بعتقي ثويبة، انتهى.

والذي رأى أبا لهب في المنام من أهله هو العباس، فيما ذكره الحافظ ابن حجر عن السهيلي.

ثم **قال الحافظ ابن حجر**(1): قال البيهقي: ما ورد من بطلان الخير للكفار، فمعناه أنهم لا يكون لهم التخلص من النار ودخول الجنة، ويجوز أن يُخفَّف عنهم من العذاب الذي يستوجبونه على ما ارتكبوه من الجرائم ـ سوى الكفر ـ بما عملوه من الخيرات، انتهى.

فظهر بطلان مذهب المرجئة القائلين بأنه لا يضرّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فلا حجة لهم في حديث ابن عمرو السابق ولا ما في معناه، مثل ما نورده الآن.

[الحديث التاسع عشر]

وبالسند السابق إلى الطبراني قال في «الكبير»: (ثنا) علي بن عبد الله العزيز، (ثنا) محمد بن عمار الموصلي، (ثنا) يحيى بن يمان، (ثنا) سفيان، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال:

«**مَنْ قال لا إله إلا الله؛ لم يضرّه معها خطيئة**»(2).

فإنَّ معناه بمقتضى الأصول الصحيحة: مَنْ مات على التوحيد لم يضرّه معه خطيئة ولو كبيرة مات عليها بلا توبة مضرة توجب له الخلود؛ بل لا بدَّ من الخروج بوعد الله إن لم يغفر له. وأما مضرة الدخول في الجملة، فهو تحت المشيئة، فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء، و الله على كل شيء قدير. اللهمَّ اغفر لنا ولا تعذِّبنا يا أرحم الراحمين، آمين.

---

(1) **فتح الباري، شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني**: المجلد التاسع. كِتَاب النِّكَاحِ. باب وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَيَحْرُمُ مِنْ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنْ النَّسَبِ.

(2) لم أجده بهذا اللفظ وإن كانت شواهده لا تحصى كثرة، والله أعلم.

[الحديث الموفِّي عشرين]

وبالسند السابق إلى الطبراني في «الأوسط» قال: (ثنا) إبراهيم، (ثنا) عمرو بن خلف، (ثنا) فضل بن سليمان النميري، (ثنا) عمر بن سعيد بن سرحة التنوخي، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عُثمان بن عفان، عن أبي بكر الصدِّيق ﵁ قال:

قلت: يا رسول الله! فيما نجاة هذا الأمر؟ فقال: «في الكلمة التي راودت عليها عمّي فأباها؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»[1].

[الحديث الواحد والعشرون]

وبه إلى الطبراني في «الكبير» و »الأوسط» قال: (ثنا) أحمد بن إبراهيم، (ثنا) سليمان بن عبد الرَّحمن الدمشقي، حدثنا الصلت بن عبد الرَّحمن الزبيدي، (ثنا) سفيان الثوري، عن عبد الرَّحمن بن عبد الله، عن قتادة، عن أبي مجلز، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا شرع أحدكم بالرمح إلى الرحل، فإن كان سنانه عند ثغرة نحره، فقال لا إله إلا الله، فليرفع عنه الرمح»[2].

[الحديث الثاني والعشرون]

وبه إلى الطبراني في «الكبير»، (ثنا) أحمد بن عمرو البزار، (ثنا) عمار بن خالد الواسطي، (ثنا) القاسم بن مالك المزني، عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه قال:

---

(1) روى الطبراني في «الأوسط» بسنده عن سيدنا أبي بكر ﵁ قال: قلت: يا رسول الله فيم نجاة هذا الأمر ؟. قال ﷺ: في الكلمة التي أردت عليها عمي فأبى، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله». وفي لفظ: «وأني رسول الله». **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الأول. كتاب الإيمان والإسلام من قسم الأفعال وفيه أربعة أبواب. الفصل الرابع في فضل الشهادتين– الحديث رقم: 1408.

(2) روى الطبراني في الكبير بسنده عن أبي عبيدة عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «**إذا أشرع أحدكم بالرمح إلى الرجل فإن كان سنانه عند ثغرة نحره فقال لا إله إلا الله فليرفع عنه الرمح**». **معجم الطبراني الكبير**: باب الظاء . عبد الله بن مسعود الهذلي . باب .

قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقّها على الله**»[1].

[الحديث الثالث والعشرون]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ بسنده إلى الحافظ ابن حجر، (أنا) أبو محمد عبد الله بن محمد المكي، (أنا) الإمام رضي الدين أبو أحمد إبراهيم الطبري، (أنا) أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة، (أنا) أبو طاهر أحمد السلفي الأصفهاني، (أنا) أبو عبد الله أبو عبد الله القاسم بن الفضل الثقفي قال: (ثنا) أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ إملاءً، (ثنا) أبو القسم عبد الرَّحمن بن مترية البلخي، (ثنا) أبو شهاب معمر بن محمد العوفي البلخي، (ثنا) مكي بن إبراهيم البلخي، (ثنا) عبد الله بن سعيد بن أبي هند المزني، عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرَّحمن بن الحارث، عن أبي صالح؛ أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول:

قال رسول الله ﷺ: «**مَن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات حين يصبح؛ كتب الله له بها مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيئة، وكانت عدل رقبة، وحفظ بها يومه حتى يُمسي. ومَن قالها مثل ذلك حين يمسي، كان له مثل ذلك**»[2].

---

(1) قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها. قيل: وما حقها ؟ قال: زنى بعد إحصان، وكفر بعد إيمان، أو قتل نفس فيقتل بها**». رواه الطبراني في الأوسط عن أبي بكرة ﷺ، وابن جرير عن أنس ﷺ. انظر: **كنـز العمال للمتقي الهندي**: 1/ 88 ـ الحديث رقم: 375.

(2) روى أبو داود في سننه بسنده عن ابن أبي عائش، وقال حماد: عن أبي عيَّاش أنٍ رسول اللّه ﷺ قال: «من قال إذا أصبح: لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، كان له عدل رقبةٍ من ولد إسماعيل، وكتب له عشر حسناتٍ، وحطَّ عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجاتٍ، وكان في حرزٍ من الشيطان حتى يمسي؛ وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتَّى يصبح». قال في حديث حماد: فرأى رجل رسول اللّه ﷺ فيما يرى النائم فقال: يارسول اللّه، إن أبا عياش يحدِّث عنك بكذا وكذا، قال ﷺ: «صدق أبو عياش». قال أبو داود: رواه إسماعيل بن جعفر وموسى الزَّمِعيُّ، وعبد اللّه بن جعفر عن سهيل، عن أبيه، عن ابن عائش. **سُنَنُ أبي دَاوُد**: الجزء الثاني 35ـ كتاب الأدب107 ت/ 97، 98 م باب ما يقول عند النوم 110 ت/ 100، 101 م باب ما يقول إذا أصبح ـ الحديث رقم: 5077.

[الحديث الرابع والعشرون]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ بسنده السابق إلى الجمال المرشدي قال: أخبرني إبراهيم بن علي بن المظفر الحسيني، عن أبي الفضل أحمد بن عساكر، عن أبي روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الهروي، (أنا) أبو القاسم تميم بن أبي سعيد الجرجاني، (أنا) الحاكم أبو الحسن علي بن محمد البحاثي، (أنا) الحسن محمد بن أحمد الزوزي، (أنا) الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي قال: (أنا) ابن سلم، (حدثنا) حرملة بن يحيى، (حدثني) ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث؛ أن دراجاً حدَّثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري ﵁، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال:

«قال موسى: يا ربِّ! علِّمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال: يا ربّ! كل عبادك يقول هذا، قال: قل لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، قال: إنما أريد شيئاً تخصّني به، قال: يا موسى! لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفّة ولا إله إلا الله في كفة؛ مالت بهنّ»[1].

قلت: عزاه الحافظ السيوطي لجماعة، منهم: أبو يعلى والبيهقي والحاكم وأبو نعيم عن أبي سعيد أيضاً، بلفظ: «قال موسى: يا رب علمني شيئاً أذكرك به،قال: يا موسى قل لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقول هذا. قال: قل لا إله إلا الله ، قال: لا إله إلالا أنت يا ربي إنما أريد شيئا تخصني به . قال: يا موسى...لو أن السماوات السبع ـ وعامرهنَّ خيري ـ والأرضين السبع في كفة؛ مالت بهم لا إله إلا الله»، وعزاه في مكان آخر إلى أبي يعلى عن أبي سعيدٍ أيضاً بلفظ: «سأل موسى ربَّه حين أعطاه التوراة أن يعلِّمه دعوة يدعو بها، فأمره أن يدعوه لا إله إلا الله، فقال موسى: كلُّ عبادك يدعو بهذا، وأنا أريد أن تخصّني بدعوة أدعوك بها. فقال تعالى: يا موسى! لو إن السماوات وساكنها والبحار وما فيها وُضعوا في كفَّة ووُضِعت لا إله إلا الله في كفة؛ لوَزِنَت لا

---

(1) عن أبي سعيد الخدري ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: **«قال موسى** ﵇ : **يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال: كل عبادك يقول هذا! قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت، إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله»**. رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا وفيهم ضعف. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد العاشر 38 كتاب الأذكار 12باب ما جاء في فضل لا إله إلا الله ـ الحديث رقم: 16802.

إله إلا الله»[1].

قلت: رواية «وعامرهن غيري» من المتشابهات التي يسلك فيها طريق التفويض أو التأويل، والأول أسلم وأحكم لأمْن صاحبه من الخلل. والثاني: إن كان بمجرد الفكر ففيه خطر، فإن معرفة المتشابهات فوق طور العقول من طريق أفكارها، وإن كان عن وهب إلهي فهو تأويل الراسخين في العلم الذي مع اشتماله على نفي التشبيه الموافق لليس كمثله شيء فيه صرف الكلام عن ظاهره، كما يصرفه أهل النظر الفكري، ومما يقرب إلى ذلك أن يقال: إن لا إله إلا الله قد تبيَّن أنها دالَّة على أن الكمالات بالذات كلها لله ﷻ، وأن كلَّ ما حصل لغيره تعالى منها، فإنما هو مِن إضافة الله تعالى عليه، ومرَّ أن معنى ليس في الوجود معه غيره؛ أنه ليس لغيره بالنسبة إليه تعالى رتبة المعِيَّة، وإنما رتبة التبعية، فليست أغياراً مستقلة، وإنما هي وجوه نور الوجود المطلق المنزَّه عن كل قيد مع القابلية لها المستلزم لتنزّهه عن كل قيد في عين تجلِّيه فيما شاء منها؛ كما قال ﷻ: [الله نور السماوات والأرض]، فعمار السماوات والأرض وجوه التجلِّيات الأسمائية، و[الله] اسم الذات، ولله الأسماء الحسنى كلها، وله الكمال كله بالذات، وما له الكمال بالذات لا شك أنه أكمل مما له الكمال بغيره، على الوجه المشار إليه في هذا بسراً أطيب منه رطباً المؤيد بقوله في جواب قولهم: [من أشد منا قوة]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾، [فصلت: 15]. والدالّ على الأكمل أكمل من الدال على الكامل، فـ«لا إله إلا الله» إذا قُوبلت بالسماوات والأرض وعامرهن من وجوه التجلِّيات الأسمائية التي هي الذات من وجه؛ مالت بهنَّ لذلك، وأن الثقل في بعض مراتب التنزُّلات من الكمالات، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، [المزمل: 5].

(1) روى أبو يعلى عن أبي سعيد الخدري ﵁: «سأل موسى ربه حين أعطاه التوراة أن يعلمه دعوة يدعو بها فأمره بأن يدعو بلا إله إلا الله فقال موسى كل عبادك يدعو بها وأنا أريد أن تخصني بدعوة أدعوك بها فقال: يا موسى لو أن السموات وساكنها والبحار ومافيها وضعوا في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لوزنت لا إله إلا الله». **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الأول. الفصل الثالث في فضل الإيمان والإسلام وفيه فرعان. فضل الشهادتين من الإكمال ـ الحديث رقم: 161.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[1] في حديث البخاري: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فينفصم عنه، وإنَّ جبينه ليتفصَّد عرقاً»، ما نصّه: زاد ابن أبي الزناد عن هشام بهذا الإسناد عند البيهقي في «الدلائل»: «وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته، فتضرب جرانها من ثقل ما يُوحى إليه».انتهى.

وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: **أنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فَثَقُلت عليَّ حتّى خفت أن تُرَضّ فخذي، ثم سُرِّي عنه**[2].

ثم نقول: تضمن سؤال موسى عليه السلام بقوله: «إنما أُريد شيئاً تخصّني به» أن يعلِّمه ذكراً أفضل من الأذكار المتداولة بين العباد، ودلَّ الجواب على أن الذي تطلبه من أفضل الأذكار هو المتداول بين العباد، فالمطلوب خصوصاً هو المبذول عموماً فوق التخصيص في عين التعميم بتعليم مرتبة لا إله إلا الله، والله أعلم، وبالله التوفيق.

[الحديث الخامس والعشرون]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ بسنده السابق إلى الجمال المرشدي، قال: أخبرني عمر بن حسن بن يزيد المراغي، عن أبي الحسن علي بن أحمد المقدسي، (أنا) أبو طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي، عن مرشد بن يحيى المديني، (أنا) أبو الحسن علي بن عمر الحراني، (ثنا) حمزة بن محمد بن علي الكناني، (ثنا) عمران بن موسى بن حميد الطبيب، (ثنا) يحيى بن عبد الله بن بكير، حدثني الليث بن سعد، عن عامر بن يحيى المعافري، عن أبي عبد الرَّحمن الحيلي؛ أنه قال: سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ:

«يصاح برجلٍ من أُمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلّاً؛ كل سجلٍّ منها مدّ البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى: أتنكر مِن هذا شيئاً؟

---

(1) **فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني**: المجلد الأول 1كتاب بدء الوحي2 باب.

(2) **فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني**: المجلد الأول. كِتَاب الصَّلَاةِ. باب مَا يُذْكَرُ فِي الْفَخِذِ.

فيقول: لا يا ربّ! فيقول الله عزّ وجل: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا يا ربّ! فيقول الله عزّ وجل: بلى إنَّ لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمَّداً عبده ورسوله. فيقول: يا ربّ! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفّة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثَقُلت البطاقة»[1].

[الحديث السادس والعشرون]

وبالإسناد إلى مسلم قال: ثني زهير بن حرب، (ثنا) يحيى ـ يعني: ابن سعيد ـ عن حماد بن سلمة، (ثنا) ثابت، عن أنس بن مالك ﵁ قال: **كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار، فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر! فقال رسول الله ﷺ: «على الفطرة»، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «خرجت من النار»، فنظروا فإذا هو راعي معزى**[2].

---

(1) أخرج الترمذي والإمام أحمد ـ واللفظ للترمذي ـ بسنده عن أَبي عَبْدِ الرحمنِ المَعَافِرِيّ ثمّ الْحُبُلِيّ قالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بنَ عَمْرِو بن العَاص ﵁ يَقُولُ قال رَسُولَ الله ﷺ : **«إنّ الله سَيُخَلّصُ رَجُلاً مِنْ أُمّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجلاّ، كُلّ سِجَلٍ مِثْلُ مَدّ البَصَرِ ثُمّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحافِظُونَ؟ فيَقُولُ لاَ يَا رَبّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ لاَ يَا رَبّ، فَيَقُولُ: بَلَى إنّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاّ الله وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ يَا ربّ مَا هَذِهِ البطَاقَةُ مَع هَذِهِ السّجِلاّتُ؟ فَقَالَ فَإِنّكَ لاَ تُظْلَمُ. قالَ: فَتُوْضَعُ السّجِلاّتُ فِي كِفّةٍ وَالبِطَاقَةُ في كِفّةٍ فَطَاشَتِ السّجِلاّتُ وَثَقُلَت البِطَاقَةُ، ولا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شَيْءٌ»**. قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. **سنن الترمذي**: المجلد الرابع. أبواب الايمان، عن رسول اللّه ﷺ 17 باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا اللّه ـ الحديث رقم: 2776. **ومسند الإمام أحمد بن حنبل**: المجلد الثاني. أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما.

(2) روى مسلم في صحيحه بسنده عَنْ سيدنا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: **كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُغِيرُ إذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَاناً أَمْسَكَ، وَإِلاّ أَغَارَ، فَسَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «عَلَى الْفِطْرَةِ» ثُمّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «خَرَجْتَ مِنَ النّارِ» فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزىً. صحيح مسلم بشرح النووي**: كتاب الصلاة. باب الإِمساك عن الإِغارة على قوم في دار الكفر إِذا سمع فيهم الأذان.

طريق آخر: وبالإسناد إلى الطبراني في «الكبير» قال: (ثنا) الحسين بن اسحاق التستري، حدثنا موسى بن محمد بن جيشان، حدثنا مسلم بن قتيبة، حدثنا عبد الجبّار بن عباس، عن عون بن أبي حجيفة، عن أبيه قال: **كان رسول الله ﷺ في مسير، فسمع قائلاً يقول: الله أكبر الله أكبر! فقال النبي ﷺ: «دعوة الحق»، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال النبيّ ﷺ: «كلمة الإخلاص»، فقال: أشهد أن محمَّداً رسول الله، فقال النبي ﷺ: «خرج صاحبها من النار»، ثم قال النبي ﷺ: «تجدون هذا صاحب معز أو صاحب كلاب يتصيّد»**(1).

[الحديث السابع والعشرون]

وبه إلى الجمال المرشدي، قال: أخبرني إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي، (أنا) أحمد بن أبي طالب الحجار، عن جعفر بن علي الهمداني، (أنا) أبو طاهر أحمد السلفي، (أنا) أبو البقاء المعمر بن محمد الحبال، (أنا) أبو القاسم زيد بن جعفر العلوي، (أنا) أبو جعفر محمد بن دُحيم الشيباني، (ثنا) أبو عمر أحمد بن حازم بن أبي عذرة، (أنا) عبيد الله بن موسى، (أنا) ابن أبي ليلى، عن الشعبي، عن عبد الرَّحمن بن أبي ليلى، عن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات بعد صلاة الغداة؛ كان كعدل مَنْ أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل**».

طريق آخر: وبه إلى الجمّال المرشدي، (أنا) إبراهيم بن أحمد البعلي، (أنا) أحمد بن أبي طالب، (أنا) ابن اللتي، (أنا) أبو الوقت، (أنا) أبو الحسن الداودي، (أنا) أبو محمّد بن حمويه، (أنا) إبراهيم، (ثنا) عبد بن حميد، (ثنا) يزيد بن هارون، (أنا) داود بن أبي هند، عن عامر، عن عبد الرَّحمن بن أبي ليلى، عن أبي أيوب الأنصاري؛ أن

(1) روى الطبراني في الكبير بسنده عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال كان النبي ﷺ في مسير فسمع قائلا يقول: الله أكبر الله أكبر فقال النبي ﷺ دعوة الحق فقال أشهد أن لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ كلمة الإخلاص فقال أشهد أن محمدا رسول الله فقال النبي ﷺ خرج صاحبها من النار ثم قال النبي ﷺ تجدون هذا صاحب معزى أو صاحب كلاب يتصيد». **معجم الطبراني الكبير**: باب الواو. وهب بن عبد الله أبو جحيفة السوائي. عبد الجبار بن العباس الهمذاني الشبامي عن عون بن أبي جحيفة.

رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات؛ كنَّ له كعدل عشر رقاب أو رقبة**» [1].

[الحديث الثامن والعشرون]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ بسنده إلى القاضي زكريا، عن قاضي الحرمين السراج أبي المكاره عبد اللطيف بن أبي الفتح محمد الحسني القاسي المكي الحنبلي، عن كلثوم ابنة الحافظ محمد بن رافع السلامي قالت: (أنا) أبو الفضل عبد الرحيم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر، (أنا) جدي أبو محمد إسماعيل، (أنا) أبو طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي، (أنا) أبو محمد هبة الله بن أحمد الأنصاري الأكفاني، (أنا) أبو الحسين مكي بن محمّد الأزدي المصري، (أنا) أبو مسلم محمّد بن أحمد البغوي ببغداد، حدثنا أبو نصر عبد الملك بن عبد العزيز النسائي التمار، (ثنا) حماد بن أبي سلمة، عن ابن أبي الورقاء، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«**مَن قال إحْدى عشر مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؛ كتب الله له ألفي ألف حسنة**»[2].

[الحديث التاسع والعشرون]

وبه إلى السراج الحنبلي عن الشمس أبي عبد الله محمّد بن محمد المكودي الدهان، عن القطب موسى اليونيني وهو آخر من حدث عنه إسماعيل بن صارم، (أنا)

---

(1) روى الطبراني في الكبير بسنده عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كن له كعدل عشر رقاب من ولد إسماعيل** عليه السلام». **معجم الطبراني الكبير**: باب الخاء. خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري بدري. عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي أيوب رضي الله عنه.

(2) روى الطبراني بسنده عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد كتب الله له ألفي ألف حسنة**». رواه الطبراني وفيه فائد أبو الورقاء وهو متروك. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي** ـ الحديث رقم: 16827.

أبو القاسم هبة الله بن علي البوصيري، أنا أبو صادق مرشد بن يحيى المديني، (أنا) أبو الحسن علي بن عُمر الحراني، (أنا) أبو القاسم حمزة بن محمَّد الكتاني الحافظ إملاء، (أنا) يحيى بن يزيد يكنى أبا شريك، (ثنا) حمام بن إسماعيل، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال:

«أكْثِروا من شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قبل أن يُحال بينكم وبينها، ولقِّنوها موتاكم»[1].

[الحديث الثلاثون]

وبه إلى السراج الحنبلي، عن إبراهيم بن محمدٍ المؤذن بالمسجد الحرام، (أنا) أحمد بنُ أبي طالب أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الكاشغري، (أنا) أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، (أنا) أبو عبد الله ملك بن أحمد البانياسي، (أنا) أبو الحسن أحمد بن محمد، (أنا) أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، حدثنا عبيد بن أسباط، (ثنا) أبي، حدثنا عبد الملك بن عمير، عن وراد، عن المغيرة بن شعبة ﷺ، قال:

إن رسول الله ﷺ كان يقول في دُبُر كل صلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهمَّ لا مانع لِمَا أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[2].

(1) قوله ﷺ: «**أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها، ولقنوها موتاكم**». أبو يعلى في مسنده وابن عدي في الكامل أبي هريرة ﷺ. **قال المناوي في الفيض**: «أكثروا من شهادة أن لا إله إلا اللّه»: أي أكثروا النطق بها على مطابقة القلب. «قبل أن يحال بينكم وبينها»: بالموت فلا تسطيعون الإتيان بها وما للعمر إذا ذهب مسترجع ولا للوقت إذا ضاع مستدرك. «ولقنوها موتاكم» أي لا إله إلا اللّه فقط يعني من حضره الموت فيندب تلقينه لا إله إلا اللّه ولا يلقن محمد رسول اللّه خلافاً لجمع ويلقن كلمة الشهادة مرة فقط بلا إلحاح ولا يقال له قل بل يذكرها عنده. **الجامع الصغير للإمام السيوطي**: الحديث رقم: 1410.

(2) روى الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عَنْ وَرّادٍ مَوْلَى الْمُغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ: كَتَبَ الْمُغِيْرَةُ بْنُ شُعْبَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ﷺ أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصّلاَةِ وَسَلّمَ، قَالَ: «لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اللّهُمّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ. وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ. وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدّ مِنْكَ الْجَدّ». **صحيح مسلم بشرح النووي**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته. **وصحيح البخاري**: باب الذكر بعد الصلاة 1/ 168 ـ الحديث رقم: 844.

[الحديث الواحد والثلاثون]

وبه إلى السراج الحنبلي، (أنا) الشهاب أبو العباس أحمد بن محمد الحلبي، ثم الصالحي، (أنا) أبو العباس أحمد بن عبد الرَّحمن المرادي، (أنا) الحافظ أبو عبد الله محمَّد بن عبد الرَّحمن، (أنا) المؤيد بن محمّد بن علي الطوسي، (أنا) أبو بكر أحمد بن سهل، (أنا) أبو بكر يعقوب بن أحمد الصيريفيني، حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي، (ثنا) أبو حامد الشرقي أحمد بن محمّد الحافظ، (ثنا) إبراهيم بن عبد الله السعدي، حدثنا الوليد بن القسم، ثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما قال عبدٌ لا إله إلا الله مخلصاً قطّ إلا فُتِحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش؛ ما اجتنب الكبائر»[1].

[الحديث الثاني والثلاثون]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ بسنده السابق إلى الحافظ أبي عيسى الترمذي، قال: (ثنا) سفيان بن وكيع، (ثنا) إسماعيل بن محمد بن حجادة، حدثنا عبد الجبار بن عباس، عن أبي إسحاق، عن الأغرّ أبي مسلم، قال: اشهدوا على أبي سعيدٍ وأبي هريرة أنهُما شهدا على النبي ﷺ قال:

«مَن قال لا إله إلا الله و الله أكبر؛ صدّقه ربه فقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: يقول الله تبارك وتعالى: لا إله إلا أنا وأنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: يقول الله: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله، قال الله: لا إله إلا أنا ولا حول ولا

(1) روى الترمذي في سننه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد «لا إله إلا الله» قط مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر». **الجامع الصغير للإمام السيوطي**: المجلد الخامس. باب: حرف الميم ـ الحديث رقم: 7955.

قوّة إلا بي»، فكان يقول: «مَن قالها في مرضه ثم مات؛ لم تطعمه النار»[1].

[الحديث الثالث والثلاثون]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ بسنده السابق إلى ابن حبان قال: أخبرنا أحمد بن زهير بتستر، حدثنا المعتمر بن سهل الأهوازي، (ثنا) محمد بن إسحاق الكوفي، عن مسعر بن كرام، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عبد الله بن باباه، عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ قال حين آوى إلى فراشه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله و الله أكبر؛ غُفرت له ذنوبه أو خطاياه» ـ شكَّ مسعر ـ «وإن كانت مثل زبد البحر»[2].

[الحديث الرابع والثلاثون]

وبالسند السابق إلى السراج الحنبلي، (أنا) جمع منهم الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين، (أنا) أبو الحسن علي بن محمد العرضي، أخبرتنا زينب ابنة

(1) عن أبي سعيد الخدريّ وأبي هريرة رضي اللّه عنهما أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي لاَ شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ اللَّهُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، لِيَ الْمُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِي، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ»**. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. قال الترمذي: حديث حسن. **سنن الترمذي**: الجزء الخامس ـ صفحة 369.

(2) روى ابن السني بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ـ أَوْ خَطَايَاهُ ـ شَكَّ مِسْعَرٌ ـ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ»**. **عمل اليوم والليلة لابن السني**: 1/ 660 ـ الحديث رقم: 722.

مكي، (أنا) حنبل بن عبد الله الرصافي، (أنا) أبو القاسم هبة الله بن محمد، (أنا) أبو علي الحسن بن علي، (أنا) أبو بكر أحمد بن جعفر، (ثنا) أبو عبد الرَّحمن بن أحمد قال: (ثني) أبي الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ثنا) عفان، (ثنا) حماد بن سلمة، (ثنا) سهيل بن أبي صالح وعبد الله بن عثمان بن خيثم، عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن مسعود ﷺ، قال: إن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ قال: اللهمَّ فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن سيدنا محمداً عبدك ورسولك، فإنك إن تكلني إلى نفسي تقرّبني من الشرِّ وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلاّ برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد؛ إلاّ قال الله ﷻ يوم القيامة لملائكته: إن عبدي عهد عندي عهداً فأَوْفوه إياه، فيدخله الله «الجنّة». قال سهيل: فأخبَرت القاسم بن عبد الرَّحمن أنَّ عوناً أخبرني بكذا وكذا، فقال: ما في أهلنا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها[1].

[الحديث الخامس والثلاثون]

وبالسند السابق إلى الترمذي، (ثنا) محمد بن يحيى، (ثنا) محمد بن يوسف، (ثنا) يونس بن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن أبيه عن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«دعوة ذي النون أن دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من

---

(1) عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال: اللَّهُمَّ فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة، إنك لا تخلف المعياد، إلا قال الله ﷻ يوم القيامة لملائكته: إن عبدي عهد عندي عهداً فأوفوه إياه، فيدخله الله ﷻ الجنة». قال سهيل: فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عوناً أخبرني بكذا وكذا، فقال: ما في أهلنا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها**. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن عون بن عبد الله لم يسمع من ابن مسعود ﷺ. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد العاشر 39 كتاب الأدعية 34 باب الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ التي دعا بها وعلمها ـ الحديث رقم: 17368.

الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قطّ إلا استجاب الله له»(1).

[الحديث السادس والثلاثون]

وبالسند السابق إلى الطبراني في الأوسط، قال: (ثنا) أحمد، (ثنا) أبو عبد الله أحمد بن عبد الرَّحمن بن وهب، حدثني عمي عبد الله بن وهب، عن عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن الصنابحي، (ثني) سعد بن عبادة، سمعت النبي ﷺ يقول:

«مَنْ قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ أطاع بها قلبه وذلَّ بها لسانه. وأشهَد أن محمَّداً رسول الله؛ حرَّمه الله على النار»(2).

[الحديث السابع والثلاثون]

وبه إلى الطبراني في الأوسط، قال أبو مسلم حجاج بن نصير: حدثنا اليمان بن المغيرة، عن عبد الكريم أبي أمية أن مجاهداً أخبره **عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: جئت ورسول الله ﷺ قاعد في أُناس من أصحابه، فيهم عمر بن الخطاب ﷺ، وأدركت آخر الحديث ورسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صلَّى أربع ركعات قبل العصر لم تمسَّه النار»، فقلت بيدي هكذا ـ يحرِّك بيده ـ أن هذا حديث جيد. فقال عمر بن الخطاب ﷺ: لما فاتك من صدر الحديث أجود وأجود. قلت: يا ابن الخطاب! فهات. فقال عمر بن الخطاب: حدثنا رسول الله ﷺ أنه «مَنْ شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنّة»**(3).

(1) عن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بشيء إذا نزل بأحدكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به فيفرج عنه، دعاء ذي النون: لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»**. أخرجه ابن أبي الدنيا في الفرج والحاكم عن سعد. وفي رواية: **«دعوة ذي النون الذي دعا بها وهو في بطن الحوت لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلاّ استجاب الله له»**. رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم والبيهقي والضياء بسندهم عن سعد ﷺ. **كنز العمال للمتقي الهندي**: 2/ 118 الحديث 3418 ـ 3419.

(2) عن سعد بن عبادة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ـ أطاع بها قلبه، وذل بها لسانه ـ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حرمه الله ﷻ على النار»**. رواه الطبراني في الأوسط. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي** ـ الحديث رقم: 34.

(3) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: **جئت ورسول الله ﷺ قاعد في أناس من**

[الحديث الثامن والثلاثون]

وبه إلى الطبراني في الأوسط، حدثنا محمد بن رزيق، حدثنا أبو الطاهر، (ثنا) سلامة بن روح الأيلي ابن أخي عقيل بن خالد، عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني أنس بن مالكٍ الأنصاري ﷺ، قال:

«بينما أسير مع رسول الله ﷺ؛ إذ هبطت به راحلته من قلعة، ورسول الله ﷺ يسير وحده، فلما أسهلت به الطريق ضحك وكبّر، فكبَّرنا لتكبيره. ثم سار رتوة ـ أي خطوة ـ ثم ضحك وكبّر، فكبَّر له لتكبيره. ثم أدركناه، فقال القوم: يا رسول الله! كبّرنا لتكبيرك، ولا ندري مِمَّ ضحكت؟ قال ﷺ: «قاد الناقة لي جبريل عليه السلام، فلما أسهلت التفت إليَّ فقال: أبشر وبشِّر أُمتك أنه من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة، فضحكت وكبّرت ربي. ثم سار رتوة، ثم التفت إليّ، فقال: أبشر وبشِّر أُمتك أنه مَنْ قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة، وقد حرَّم الله عليه النار. فضحكت وكبّرت وفرحت بذلك لأُمتي»[1].

[الحديث التاسع والثلاثون]

وبه إلى الطبراني في الأوسط، حدثني عيسى بن محمد السمسمار، (ثنا) أحمد

أصحابه فيهم عمر بن الخطاب ﷺ وأدركت آخر الحديث ورسول الله ﷺ يقول: «من صلى أربع ركعات قبل العصر لم تمسه النار» فقلت بيدي هكذا يحرك بيده أن هذا حديث جيد فقال عمر بن الخطاب ﷺ: لما فاتك من صدر الحديث أجود وأجود. قلت: يا ابن الخطاب فهات! فقال عمر بن الخطاب ﷺ: حدثنا رسول الله ﷺ: «أنه من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة». رواه الطبراني في الأوسط. انظر: **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي** – الحديث رقم: 37.

(1) عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ قال: **بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ إذ هبطت به راحلته من ثنية ورسول الله ﷺ يسير وحده،فلما أسهلتْ به الطريق ضحك وكبر فكبرنا لتكبيره،ثم سار رتوة (أي: خطوة) ثم ضحك ﷺ وكبر،فكبرنا لتكبيره،ثم أدركناه ﷺ فقال القوم: يا رسول الله كبرنا لتكبيرك، ولا ندري مم ضحكت! فقال ﷺ: «قاد الناقة لي جبريل عليه السلام، فلما أسهلتُ التفتَ إلي فقال: أبشر وبشر أمتك أنه من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة، فضحكت وكبرت ربي، ثم سار رتوة ثم التفت إلي فقال عليه السلام: أبشر وبشر أمتك أنه من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة وقد حرم الله عليه النار، فضحكت وكبرت ربي ففرحت بذلك لأمتي»**. رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: سلامة بن روح وقد ضعفه جماعة ووثقوه. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي** ـ الحديث رقم: 38.

بن سهيل الوراق، (ثنا) مسهر بن مورع العنبري، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ دعا بوضوءٍ فساعة يفرغ عن وضوئه، يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمّداً رسول الله، اللهمَّ اجعلني من التوَّابين واجعلني من المتطهِّرين؛ فُتِحت له ثمانية أبواب الجنة، يدخل من أيّها شاء»[1].

طريق آخر: وبه إلى الطبراني في الأوسط، (ثنا) أحمد، ثنا يحيى بن محمد السبكي، حدثنا يحيى بن كثير العنبري، (ثنا) شعبة عن أبي هاشم الرماني، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، عن أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ قرأ سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة مِنْ مقامه إلى مكة، ومَنْ قرأ بعشر آيات من آخرها ثم خرج الدجّال لم يضره، ومن توضَّأ فقال: سبحانك اللهمَّ وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك؛ كُتبت في رقّ ثم جُعِلت في طابع، فلم يكسر إلى يوم القيامة»[2].

وقال: لم يَرْوِه عن شعبة إلا يحيى. قال الحافظ ابن حجر: ومن خطّه نقلت.

قلت: يعني مرفوعاً، وقد رواه غندر عن شعبة موقوفاً. قال النَّسائي في «اليوم والليلة»: وهو الصواب ورفعه خطأ. **قال الحافظ ابن حجر**: قلت: وإن كان الصواب

---

(1) عن ثوبان ؓ مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دعا بوضوء فساعة يفرغ من وضوئه يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين. فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء**». رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار وقال في الأوسط: تفرد به مسور بن مورع ولم أجد من ترجمه وفيه أحمد بن سهيل الوراق ذكره ابن حبان في الثقات، وفي إسناد الكبير أبو سعيد البقال والأكثر على تضعيفه ووثقه بعضهم. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي** ـ الحديث رقم: 1229.

(2) عن أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره،ومن توضأ فقال: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتب في رق ثم جعل في طابع فلم يكسر إلى يوم القيامة**». رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلا أن النسائي قال بعد تخرجه في اليوم والليلة: هذا خطأ والصواب موقوفاً. ثم رواه من رواية الثوري وغندر عن شعبة موقوفاً. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي** ـ الحديث رقم: 1231.

في الرواية وقفه، فحكمه حكم المرفوع؛ لأن مثل هذا لا يقال من قِبَل الراوي، و الله أعلم، انتهى.

[الحديث الموفِّي الأربعين]

وبه إلى القاضي زكريّا، قال: أخبرني العزّ أبو محمد بن الفرات سماعاً، (أنا) به أبو أحمد حسين بن عبد الرَّحمن التكريتي، (أنا) أبو المعالي عيسى بن عبد الرَّحمن المطعم، (أنا) المنجا عبد الله بن عمر بن اللتي، (أنا) أبو القاسم سعيد بن أحمد بن الحسن البناء، (أنا) أبو نصر محمَّد بن محمد بن علي الزيتني، (أنا) أبو بكر محمَّد بن عمر بن خلف بن الورّاق، (أنا) الحافظ أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، قال في كتاب «البعث»: أخبرنا سعيد، (أنا) محمد، (أنا) محمد، حدثنا عبد الله، (ثنا) محمد بن منصور الطوسي، (ثني) صالح بن إسحاق الجهبذ كوفي دلّني عليه يحيى بن معين، (ثنا) معروف بن واصل، عن يعقوب بن نباتة ـ أو بناتة ـ، عن عبد الرَّحمن الأعور، عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم، فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله، وأنتم معنا؟ فيغضب الله فيخرجهم من النار، فيُلقيهم في نهر يسمى نهر الحياة، فيبرؤون من حرقهم كما يبرؤ القمر من كسوفه، فيدخلون الجنّة، فيسمون الجهنميون»[1]. فقال رجل: يا أنس! أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال أنس ﵁: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار»، نعم أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا.

---

(1) عن أنس بن مالك ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم، فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قولكم لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار؟ فيغضب الله لهم، فيخرجهم فيقذف بهم في نهر الحياة، فيبرءون من حرقهم كما يبرأ القمر من كسوفه، فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين». فقال رجل: يا أنس سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا.** «رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي** ـ الحديث رقم: 18533.

[الحديث الحادي والأربعون]

أخبرني شيخنا ـ قدِّس سرّه ـ بسنده السابق إلى الإمام أحمد، (أنا) حسين وعفان قالا: (ثنا) حماد بن سلمة، عن عثمان البتي، عن نعيم، قال عثمان في حديثه: ابن أبي هند عن حذيفة ﷺ، قال: أسندت النبي ﷺ إلى صدري، فقال:

«من قال لا إله إلا الله»، قال حسين: ابتغاء وجه الله؛ «ختم الله له بها دخل الجنة، ومن صامَ يوماً ابتغاء وجه الله ختم الله له به دخل الجنة، ومن تصدّق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم الله له بها دخل الجنة»[1].

[الحديث الثاني والأربعون]

وبالإسناد إلى القاضي زكريا والجلال السيوطي كلاهما عن محمد بن مقبل، عن الصلاح بن أبي عمرو، عن أبي الحسن البخاري وأبي الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر، كلاهما عن أبي روح عبد المعز بن محمد الهروي، (أنا) تميم بن أبي سعيد الجرجاني، (أنا) أبو سعيدٍ محمد بن عبد الرَّحمن الكنجرودي، (أنا) أبو عمرو حمدان، (أنا) أبو يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي الحافظ، (ثنا) الحسن بن شبيب، (ثنا) هشيم، (ثنا) كوثر، (ثنا) حكيم، عن نافع، عن ابن عمر، عن أبي بكرٍ الصدّيق ﷺ، قال:

قلت: يا رسول الله! ما نجاة هذا الأمر الذي نحن فيه؟ قال: «مَن شهد أن لا إله إلا الله، فهو له نجاة»[2].

---

(1) روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن عثمان البتي عن نعيم قال عفان في حديثه ابن أبي هند عن حذيفة ﷺ قال: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ـ قَالَ حَسَنٌ: ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ـ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». **مسند الإمام أحمد**: المجلد الخامس. مسند الأنصار ﷺ . حديث حذيفة بن اليمان ﷺ عن النبي ﷺ.

(2) عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: **قلت: يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر الذي نحن فيه؟ قال** : ﷺ **«من شهد أن لا إله إلا الله فهو له نجاة»**. رواه أبو يعلى، وفي إسناده: كوثر وهو متروك. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي** ـ الحديث رقم: 2.

[الحديث الثالث والأربعون]

وبه إلى الحافظ أبي يعلى، (ثنا) عمرو بن الضحاك، (ثنا) أبي مستورد أبو همام الهناي، (ثنا) ثابت، عن أنس ﷺ، قال:

«جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما تركت حاجة ولا داجة إلّا قد أتيت، قال: «أليس تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمَّداً رسول الله» ـ ثلاث مرات ـ قال: نعم، قال: «فإن ذلك يأتي على ذلك كله»[1].

[الحديث الرابع والأربعون]

وبه إلى الإمام أحمد، (ثنا) حسن بن موسى، (ثنا) ابن لهيعة، (ثنا) أبو قبيل، عن عبد الله بن ناشر من بني سريع، قال: سمعت أبا رهم قاضي أهل الشام يقول: سمعت أبا أيوب الأنصاري ﷺ يقول: **إن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم إليهم فقال لهم: «إن ربكم عزّ وجل خيَّرني بين سبعين ألفاً يدخلون الجنّة غفراً بغير حساب، وبين الخبيئة عنده لأُمتي»، فقال له بعض أصحابه ﷺ: يا رسول الله! أيخبأ لك ربك؟ فدخل رسول الله ﷺ ثم خرج وهو يُكبر، فقال: «إنَّ ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفاً، والخبيئة عنده». قال أبو رهم: يا أبا أيوب! وما تظن خبيئة رسول الله ﷺ؟ فأكله الناس بأفواههم، فقالوا: وما أنت وخبيئة رسول الله ﷺ؟ فقال أبو أيوب: دعوا الرجل عنكم، أُخبركم عن خبيئة رسول الله ﷺ كما أظن كالمستيقن أنَّ خبيئة رسول الله ﷺ أن يقول: ربِّ مَنْ شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله مصدّقاً لسانه وقلبه، فأدْخِله الجنّة»**[2].

---

(1) عن أنس ﷺ قال: **جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما تركت حاجة ولا داجة إلا [قد] أتيت، قال ﷺ: «أليس تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟» ـ ثلاث مرات ـ قال: نعم، قال ﷺ: «ذاك يأتي على ذاك»**. رواه أبو يعلى والبزار بنحوه، والطبراني في الصغير والأوسط ورجالهم ثقات. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**- الحديث رقم: 16814.

(2) عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ: **إن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم إليهم فقال لهم إن ربكم ﷻ خيرني بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيئة عنده لأمتي فقال له بعض أصحابه ﷺ يا رسول الله أيخبأ ذلك ربك ﷻ فدخل رسول الله ﷺ ثم خرج وهو يكبر فقال: إن ربي ﷻ زادني مع كل ألف سبعين ألفا**

[الحديث الخامس والأربعون]

وبالإسناد إلى الطبراني في"الكبير" قال: (ثنا) عبد الله بن سعد بن يحيى الرقي، (ثنا) أبو فروة يزيد بن محمد بن سفيان، (ثني أبي)، حدثنا ياسين الزيات، عن أبي سلمة الحمصي، عن يحيى بن جابر، عن سلمة بن نفيل ﷺ، قال:

«جاء شاب فقعد بين يدي رسول الله ﷺ، فقال بأعلى صوته: يا رسول الله! أرأيت من لم يدع سيئة إلا عملها، ولا خطيئة إلا ركبها، ولا شرف له سهم إلا أقطعه بيمينه، ومَن لو أقسمت خطاياه على أهل المدينة لغمرتهم؟ فقال النبي ﷺ: «أسلمت ـ أو ـ أنت مسلم»؟ قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله. فقال ﷺ: «اذهب فقد بدّلت سيئاتك حسنات»، فقال: يا رسول الله! وغدراتي وفجراتي؟ قال ﷺ: «وغدراتك وفجراتك» ثلاثاً، فولَّى الشاب وهو يقول: الله أكبر الله أكبر!! فلم أزل أسمعه يكبّر حتى توارى»(1).

[الحديث السادس والأربعون]

وبه إلى الإمام أحمد، (ثنا) محمد بن بكر، (ثنا) عبد الحميد ـ يعني: ابن جعفر ـ (أنا) صالح بن أبي غريب، عن كثير بن مرّة، عن معاذ بن جبل ﷺ قال:

والخبيئة عنده قال أبو رهم: يا أبا أيوب وما تظن خبيئة رسول الله ﷺ فأكله الناس بأفواههم فقالوا: وما أنت وخبيئة رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو أيوب ﷺ: دعوا الرجل عنكم، أخبركم عن خبيئة رسول الله ﷺ كما أظن بل كالمستيقن، إن خبيئة رسول الله ﷺ أن يقول: ربِّ من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله مصدقا لسانه قلبه أدخِله الجنة. مسند الإمام أحمد: المجلد الخامس. مسند الأنصار ﷺ. حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ.

(1) روى الطبراني في الكبير بسنده إلى سيدنا سلمة بن نفيل ﷺ قال: **«جَاءَ شَابٌّ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَدَعْ سَيِّئَةً إِلَّا عَمِلَهَا، وَلَا خَطِيئَةً إِلَّا رَكِبَهَا، وَلَا أَشْرَفَ لَهُ سَهْمٌ فَمَا فَوْقَهُ إِلَّا اقْتَطَعَهُ بِيَمِينِهِ، وَمَنْ لَوْ قُسِّمَتْ خَطَايَاهُ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَغَمَرَتْهُمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْلَمْتَ»؟ أَوْ: «أَنْتَ مُسْلِمٌ؟» قَالَ: أَمَّا أَنَا، فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ ﷺ: «اذْهَبْ، فَقَدْ بَدَّلَ اللهُ سَيِّئَاتِكَ حَسَنَاتٍ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ ﷺ: «وَغَدَرَاتُكَ وَفَجَرَاتُكَ» ثَلَاثًا، فَوَلَّى الشَّابُّ، وَهُوَ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْمَعُهُ يُكَبِّرُ، حَتَّى تَوَارَى عَنِّي، أَوْ خَفِيَ عَنِّي». معجم الطبراني الكبير:** باب السين . سلمة بن نفيل السكوني ثم التراغمي.

قَالَ لَنَا مُعَاذٌ ﷺ فِي مَرَضِهِ: قَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا كُنْتُ أَكْتُمُكُمُوهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[1].

(1) روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: **قَالَ لَنَا مُعَاذٌ ﷺ فِي مَرَضِهِ: قَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا كُنْتُ أَكْتُمُكُمُوهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»**. **مسند الإمام أحمد**: المجلد الخامس. مسند الأنصار ﷺ حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه.

أربعون حديثاً مسندة في فضائل:
[لا إله إلا الله]

يقول العبد الفقير إلى رحمة الله الجوّاد الكريم أرحم الراحمين، إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشهرزوري ثم الشهراني، نزيل المدينة المنورة الغرّاء، على ساكنها النبيّ الأُمِّي خاتم الأنبياء وعليهم أفضل الصلاة والسلام عدد خلق الله، بدوام الله ذي الفضل والنعماء: قد وفى الله ﷻ على يدي الأربعين، فله الحمد على ما أنعم بإبرازها، وسهَّل جمعها، وأراح الخاطر بما أفاد، فلقد كان في خاطري منذ سنين أن أختم هذه الرسالة بأربعين حديثاً مسندة في فضائل [لا إله إلا الله]، ولم يكن عندي من الأصول المسندة ما يستخرج منها هذا العدد، فتعوق الأمر إلى أن أذن الله؛ وذلك أني لما توجهت إلى الجمع والتخريج بإشارة شيخنا ـ قُدِّس سره نفع الله لنا وللمسلمين في الدنيا والدِّين ـ ولم يكن في ظنِّي الظفر إلا بنحو عشرة أحاديث لقلّة الأصول المسندة عندي؛ يسَّر الله ببركة إشارته وفاء أربعين، ولنورد ما تيسَّر من الأحاديث الواردة في [فضل لا إله إلا الله] من كتاب «**جمْع الجوامع**[1]»

---

(1) قال حاجي خليفة في كشف الظنون: «جمع الجوامع»: في الحديث، لجلال الدين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الشافعي. المتوفى: سنة 911. وهو كبير. أوله: (سبحان الله مبدئ الكواكب اللوامع... الخ). ذكر فيه: أنه قصد استيعاب الأحاديث النبوية. وقسمه قسمين: الأول: ساق فيه لفظ الحديث بنصه، يذكر من خرجه، ومن رواه من واحد إلى عشرة أو أكثر يعرف منه حال الحديث، مرتباً ترتيب اللغة على حروف المعجم. والثاني: الأحاديث الفعلية المحضة، أو المشتملة على قول وفعل، أو سبب، أو مراجعة، ونحو ذلك، مرتباً على مسانيد الصحابة، قدم العشرة، ثم بدأ بالباقي على حروف المعجم في الأسماء، ثم بالكنى كذلك، ثم المبهمات، ثم بالنساء، ثم بالمراسيل. وطالع لأجله كتباً كثيرة، قال في الجمع الصغير: قصدت في جمع الجوامع، جمع الأحاديث النبوية بأسرها. قال شارحه المناوي: هذا بحسب ما طلع عليه المؤلف لا باعتبار ما في نفس الأمر لتعذر الإحاطة بها، وإنافتها على ما جمعه الجامع المذكور لو تم، وقد اخترمته المنية قبل إتمامه.

للحافظ أبي الفضل جلال الدين السيوطي ـ رحمه الله تعالى وشَكَر سَعْيه ـ الذي أورد فيه الأحاديث محذوفة الأسانيد غالباً مع العَزْو إلى مخرجيها، وذكر الصحابي تتميماً وتكميلاً للمفاد، فنقول وبالله التوفيق:

أخبرني شيخنا العارف بالله الراسخ والطَّوْد الشامخ، المحقق الكامل الأكمل المكمّل سيدي الشيخ صفي الدين أحمد بن محمد الدجاني المدني ـ قدِّس سرّه ـ بجميع جمع الجوامع للحافظ السيوطي وسائر تآليفه عن شيخه العارف بالله المحقق الراسخ سيدي أبي المواهب أحمد بن علي بن عبد القدّوس القرشي العباسي الشناوي ثم المدني ـ قدّس الله روحه ـ عن جماعة منهُم والده علي، عن الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، عن الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله بجميعها:-

[الحديث الأول]:[1] «أول شيء خطه الله في الكتاب الأول أني الله لا إله إلا أنا، سبقت رحمتي غضبي، فمَنْ شَهِد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً عبده ورسوله، فله الجنّة».

عزاه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنه.

[الحديث الثاني]:[2] «لكل شيء مفتاح، ومفتاح السماوات قول لا إله إلا الله».

عزاه للطبراني عن معقل بن يسار.

[الحديث الثالث]:[3] «افتحوا على صبيانكم أوّل كلمة بلا إله إلا الله، ولقِّنوهم عند الموت لا إله إلا الله، فإنه مَنْ كان أول كلامه لا إله إلا الله، وآخر كلامه لا إله إلا الله ثم عاش ألف سنة ما سُئِل عن ذنبٍ واحد».

عزاه للحاكم في تاريخه، والبيهقي عن ابن عباسٍ رضي الله عنه.

وقال البيهقي: غريب، ويقرب منه قوله:

---

(1) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم: 7958.
(2) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم: 437.
(3) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم: 5.

«**إذا أفصح أولادكم فعلِّموهم لا إله إلا الله، ثم لا تبالوا حتى ماتوا. وإذا ثغروا، فمُرُوهم بالصلاة**»[1].

عزاه لابن السَّني في «عمل يوم وليلة» عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[الحديث الرابع]: «قال الله : إني أنا الله لا إله إلا أنا؛ مَنْ أقرَّ لي بالتوحيد دخل حصني، ومَنْ دخل حصني أَمِنَ عقابي»[2]. عزاه لابن النجار عن عليّ ﵁.

[الحديث الخامس]: «أفضل العلم لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الاستغفار»[3].

عزاه للديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[الحديث السادس]: «لا إله إلا الله تدفع عن قائلها تسعة وتسعين باباً من البلاء؛ أدناها الهمّ»[4].

عزاه للديلمي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

[الحديث السابع]: «لا إله إلا الله كلمة كريمة على الله، ولها عند الله مكان؛ جمعت وسوّلت مَن قالها صادقاً من قلبه دخل الجنّة، ومَنْ قالها كاذباً حقنت له وأحرزت ماله ولقي الله عزّ وجل غداً يحاسبه»[5].

عزاه لأبي نعيم عن عياض الأشعري ﵁ .

وفي المعنى: «قوله لا إله إلا الله كلمة عظيمة كريمة على الله؛ مَن قالها خالصاً استوجب الجنّة، ومَن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النار»[6].

عزاه لابن النجّار عن دينار عن أنس ﵁.

[الحديث الثامن]: «مَنْ قال لا إله إلا الله ومدّها؛ هدمت له أربعة آلاف ذنب من

---

(1) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم: 1439.
(2) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم: 65.
(3) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم: 138.
(4) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم: 46.
(5) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم: 51.
(6) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم: 50.

الكبائر»[1].

عزاه لابن النجار عن نعيم عن أنس ﷺ.

[الحديث التاسع]: «جدِّدُوا إيمانكم، أكثروا من قول لا إله إلا الله»[2].

عن الإمام أحمد والحاكم عن أبي هريرة ﷺ.

[الحديث العاشر]: «كما لا تلتقي الشفتان على قول لا إله إلا الله، كذلك لا تُحجب عن سماء سماء حتى تنتهي إلى العرش، لها دويّ كدويّ النحل؛ تشفع لصاحبها»[3].

الديلمي عن جابر.

[الحديث الحادي عشر]: «مَن قال لا إله إلا الله صباحاً ثم قالها مساءً؛ نادى منادٍ

(1) قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر». قال المحدث محمود الرنكوسي ما معناه أن بعض العلماء طعنوا في هذا الحديث بسبب كثرة الثواب الموعود فيه، وأجاب أن مثل هذا الثواب لا يستكثر من الله، وأورد مثال الكافر وكيف يُكَفِّر عنه ذلك القول أكثر من تلك الذنوب، فما بال المسلم! واستيفاء البحث في هذا الموضوع يكون بالنظر إلى سند الحديث ومتنه: أما السند فضعيف لوجود كذاب فيه، وأما المتن فصحيح عقلا ونقلا، وأخطأ من حكم بوضعه بناء على كثرة الثواب الموعود. أما صحته عقلا: فلما ورد أعلاه، مقارنة مع إسلام الكافر، ولا يبطل هذا الدليل بكون الكافر لم يكن مكلفا، وذلك لما سيأتي نقلا. وأما صحته نقلا: أولا لأنه لا يكبر ذنب مع سعة رحمة اللهِ، إلا الشرك، قال: [إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء]. وثانيا لما روى الإمام أحمد، والترمذي وقال حسن غريب، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمرو:ﷺ إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب! فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب! فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج بطاقة فيها «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله». فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء. فهذا نص صريح في موضوع البحث، وانظر تعليله، صلى الله عليه وسلم: «ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء». وثالثا لقوله ﷺ: إن الله تعالى حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى. رواه الشيخان عن عتبان بن مالك (كشف الخفاء). ختاما يتبين خطأ من حكم على الحديث بالوضع، ونرى سبب إصرار علماؤنا، جزاهم الله الخير، على قصر تصحيح وتضعيف الأحاديث على أكابر محدثي هذه الأمة.

(2) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم: 358.

(3) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم: 885.

من السماء: ألا اقرنوا الآخرة بالأولى، ثم ألقوا ما بينها»[1].

الديلمي عن جابر رضي الله عنه.

[الحديث الثاني عشر]: «عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار، فأكثروا منهما، فإنَّ إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار، ولما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، وهم يحسبون أنهم مهتدون»[2].

عزاه لأبي علي عن أبي بكر رضي الله عنه.

[الحديث الثالث عشر]: «حضر ملك الموت رجلاً يموت فشقّ أعضاءه، فلم يجده عَمِلَ خيراً. ثم شقَّ قلبه، فلم يجد فيه خيراً، ففكّ لحييه، فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فغفر له بكلمة الإخلاص»[3].

عزاه لابن أبي الدنيا في كتاب «المحتضرين»، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[الحديث الرابع عشر]: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، كأني أنظر إليهم وتعلقت الأرض بجنبهم يقولون: لا إله إلا الله، والناس بهمٍّ»[4].

عزاه لتمام والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي لفظٍ آخر: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت، ولا في القبور ولا في النشور؛ كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن»[5].

عزاه للطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[الحديث الخامس عشر]: «ما قال عبدٌ لا إله إلا الله مخلصاً إلا صعدت لا يردّها سحاب، فإذا وصلت إلى الله تعالى نظر الله إلى قائلها، وحقّ على الله أن لا ينظر إلى

---

(1) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي:** الجزء الأول ـ الحديث رقم: 5968.
(2) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي:** الجزء الأول ـ الحديث رقم: 327.
(3) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي:** الجزء الأول ـ الحديث رقم: 12060.
(4) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي:** الجزء الأول ـ الحديث رقم: 1195.
(5) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي:** الجزء الأول ـ الحديث رقم:1194.

موحّد إلاّ رَحِمه»[1].

عزاه للخطيب عن أبي هريرة ﷺ.

[الحديث السادس عشر]: «إذا قال العبد: أشهد أن لا إله إلا الله، قال الله ﷻ: يا ملائكتي! عَلِمَ عبدي أن ليس له ربٌّ غيري، أُشهدكم أني قد غفرتُ له»[2].

عزاه لابن عساكر عن أنس.

[الحديث السابع عشر]: «ما مِنْ عبدٌ يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلّا بعثه الله عزّ وجل يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ولم يرفع لأحدٍ يومئذ عمل أفضل من عمله، إلاّ من قال مثل قوله أو زاد عليه»[3].

عزاه لأبي الشيخ والديلمي عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

[الحديث الثامن عشر]: «من قال لا إله إلا الله قبل كل شيء، لا إله إلاّ الله بعد كل شيء، ولا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء؛ عُوفِيَ من الهمِّ والحزن»[4].

عزاه للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[الحديث التاسع عشر]: «إذا نام العبد على فراشه أو على مضجعه من الأرض التي هو فيها، فانقلب في ليلته على جنْبه الأيمن أو جنبه الأيسر، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. ويقول الله ﷻ: انظروا إلى عبدي لم ينسني في هذا الوقت، أُشهدكم أني قد رحمته وغفرت له»[5].

ابن السَّني في «عمل يوم وليلة»، وابن النجار عن أنس.

[الحديث الموفِّي العشرين]: «مَنْ قال إذا مرَّ بالمقابر: السلام على أهل لا إله إلا

---

(1) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي:** الجزء الأول ـ الحديث رقم: 858 .
(2) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي:** الجزء الأول ـ الحديث رقم: 2452.
(3) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي:** الجزء الأول ـ الحديث رقم:1272.
(4) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي:** الجزء الأول ـ الحديث رقم:5971.
(5) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي:** الجزء الأول ـ الحديث رقم:2873.

الله، كيف وجدتم قول لا إله إلا الله؟ اغفر لمن قال لا إله إلا الله، واحشرنا في زمرة من قال لا إله إلا الله؛ غُفِر له ذنوب خمسين سنة»، قيل: يا رسول الله! من لم يكن له ذنوب خمسين سنة؟ قال: «لوالديه وقرابته ولعامّة المسلمين»[1].

الديلمي في«تاريخ همدان»، والرافعي وابن النجار عن علي رضي الله عنه.

[الحديث الحادي والعشرون]: «إذا صلَّيْتم صلاة الفرض فقولوا في عقب كل صلاة عشر مرات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ يُكتب له من الأجر كأنما أعتق رقبة»[2].

عزاه للرافعي في تاريخه، عن البراء رضي الله عنه.

[الحديث الثاني والعشرون]: «من قال في كل يوم مائة مرة: لا إله إلا الله، فذلك الحق المبين؛ كان له أماناً من الفقر، وأنساً من وحشة القبر، واستجلب بها الغنى، واستقرع بها باب الجنّة»[3].

عزاه للشيرازي في «الألقاب» من طريق ذي النون المصري، عن سالم الخواص، والخطيب والديلمي والرافعي وابن النجار من طريق الفضل بن غانم، عن مالك بن أنس رضي الله عنه، كلاهما عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه. قال الفضل بن غانم: لو رحل الإنسان في هذا الحديث إلى خراسان؛ لكان قليلاً. وعزاه لأبي نعيم من طريق إسحاق بن زريق، عن سالم الخواص، عن مالك رضي الله عنه.

[الحديث الثالث والعشرون]: «أُريت حمزة وجعفراً، وكان بين أيديهما طبق فيه نبق كالزبرجد، فأكلا منه نبقاً، ثم صار عنباً فأكلا منه، ثم صار رطباً فأكلا منه، فقلت لهما: ما وجدتما أفضل الأعمال؟ قالا: قَوْل لا إله إلا الله. قلت: ثم ماذا؟ قالا: الصلاة عليك يا رسول الله. قلت: ثم ماذا؟ قالا: حبّ أبي بكر وعمر»[4].

عزاه للديلمي عن ابن عباس رضي الله عنه.

---

(1) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم:5846.
(2) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم:2286.
(3) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم:5953.
(4) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم:180.

وفي المعنى قوله ﷺ: «إني لأرجو لأُمتي بحب أبي بكر وعمر كما أرجو لهم بقول لا إله إلا الله»[1].

عزاه للديلمي عن أنس رضي الله عنه.

[الحديث الرابع والعشرون]: «إذا خفْت سلطاناً أو غيره، فقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم، لا إله إلا أنت عزّ جارك وجلَّ ثناؤك»[2].

عزاه لابن السَّني عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[الحديث الخامس والعشرون]: «من قرأ: [شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم] إلى: [عند الله الإسلام]، ثم قال: وأنا أشهد بما شهد الله، وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة؛ جيءَ به يوم القيامة، فقيل: عبدي هذا عَهِد إليَّ عهداً وأنا أحقّ مَنْ وفى بالعهد، أدْخِلوا عبدي الجنّة»[3].

عزاه لأبي الشيخ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

اللهُمَّ أنت الذي أنعمت علينا، فيسَّرت لنا القرآن للذكر، وأنت الذي وفَّقْتنا، فشهدنا بما شهدت به من أنه لا إله إلا أنت، واستودعناك هذه الشهادة، وهي لنا عندك وديعة، وقد بلغنا عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إذا استودع الله شيئاً حفظه»، فأسألك بأنك لا إله إلا أنت الأول والآخر، الظاهر والباطن، الصمد المحيط بكل شيء رحمةً وعلماً، وبجاه نبيّك وعبدك محمد حبيبك وخليلك ﷺ؛ أن تُتِمَّ نعمتك فتوفقنا لما تحبّ وترضى، وتحفظ هذه الشهادة علينا، حتى نلقاك بها سالمين آمنين، وصلِّ اللهمَّ على سيدنا ونبيِّنا محمّد عبدك ورسولك النبيُّ الأُمِّي وعلى آله وصحبه وسلم عدد خلقك بدوامك سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم:3492 و 3493.
(2) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم:1871.
(3) **جمع الجوامع أو الجامع الكبير للإمام السيوطي**: الجزء الأول ـ الحديث رقم:6175.

قلت: وحيث قد تقدّم ذكر فضلها؛ أردنا أن نردفه بما تقرَّر من إعرابها لئلا يخلو كتابنا هذا من ذكر الإعراب؛ إذ يحتاج له من يطالع فيه من أهل الآداب.

قال الملا إبراهيم بن حسن الأواه أيضاً في كتابه «عجالة الانتباه في إعراب لا إله إلا الله»، ما صورته:

فيقول على وجه الإيجاز: المنتخب من البسط الوافي:[لا إله إلا الله]، الأصل فيه: الله إله، فلما أريد قصر الخبر على المبتدأ، وهو من قصر الصفة على الموصوف قدَّم الخبر، فاقترن بـ «لا»، وأخر المبتدأ فاقترن بـ «إلاّ»؛ لأن المقصور عليه هو الذي يلي الأول هو الواقع في سياق النفي. ومن القواعد أن المبتدأ إذا اقترن بـ: «إلا» وجب تقديم الخبر، فقبل اعتبار النسخ لا بدّ وأن يتحول مبتدأً من أحد قسميه؛ لأن «لا» النافية للجنس من نواسخ المبتدأ والخبر، ولا ينسخ لاسميتها إلا ما كان مبتدأ. و(حينئذ) فإما أن يتحول مبتدأ من قسمه الأول؛ أي: الاسم المجرد عن العوامل اللفظية المخبر عنه. أو من قسمه الثاني؛ أي: الوصف المعتمد على نفي أو استفهام الرافع لمكتفى به عن الخبر، فإن كان الأول، فيقدر له خبر عام ثم يعتبر النسخ، فيصير له اسم لا في الخبر العام المقدّر خبرها، وهو مرفوع على أنه بدل من اسم «لا» حملاً على محله البعيد الذي هو الرفع بالابتداء الحاصل له بالتحول إليه بعد التقديم. وقيل: اعتبار النسخ والتقدير: «لا إله» موجوداً في الوجود «إلا الله» وهذا هو التقدير المشهور.

فإن قلت: الرفع على المحل يلزم منه اعتبار الابتداء، وقد زال مدخول الناسخ.

قلت: «الله» بدل من «إله» المرفوع بالابتداء الواحد بالنوع القابل لأن يُنسخ وأن لا يُنسخ، الواجب تحققه قبل اعتبار النسخ لما عرفت، والبدل لكونه من التوابع، وهي كل ثان أعرب بإعراب سابقه من جهة واحدة لا يكون بدلاً عن شيء إلاّ إذا كان متلبّساً بإعرابه من جهة واحدة، فـ «الله» لا يكون بدلاً من «إله» المرفوع بالابتداء إلا إذا كان متلبساً بإعرابه من حيث أنه مجرد عن العوامل اللفظية مسنداً إليه، وكلما كان كذلك كان بدلاً منه قبل اعتبار النسخ، وهو اعتبار الابتداء قبل زواله بعده.

فإن قلت: الخبر المقدّر منسوب إلى اسم «لا» بالنفي، وإلى البدل بالإثبات، فبينهما مخالفة بالإيجاب والسلب، فيلزم أن لا يكون البدل مقصوداً بما نسب إلى المتبوع من

الوجود المنفي، بل بنقيضه، وأن لا يصح إحلاله محل الأول، وأن لا يكون في حكم تكرير العامل مع أن الثابت بالاستقراء هو أن البدل تابع مقصود بما نُسب إلى المتبوع دونه، وأنه لا بدّ وأن يصح لإحلاله محل الأول، وأنه في حكم تكرير العامل.

قلت: قد تقدَّم أن «الله» بدل من «إله» المرفوع بالابتداء الواحد بالنوع قبل اعتبار النسخ، وكلما كان بدلاً منه قبل اعتبار النسخ كان بدلاً منه قبل اعتبار الحكم بالنفي والإثبات، فإن البدل هنا مستثنى، والاستثناء مقدّم في النية على الحكم بالنفي والإثبات؛ وذلك لأن حقيقة الاستثناء إخراج ما هو مدخل في مقدّر ومذكور أو مقدر في حكمه بـ «إلا» وإحدى أخواتها، والمراد بالإخراج الدلالة على الخروج، وبالإدخال الدلالة على الدخول، فالمعنى أنه الدلالة على خروج ما هو مدلول على دخوله في متعدد... إلخ. فهو إعلام من المتكلم للسامع بأن ما دلَّ المتعدد على دخوله فيه من المذكور بعد «إلاّ» وإحدى أخواتها خارج عنه في نيّة من حيث أنه محكوم عليه بحكم نفي أو إثبات.

قال الأزهري في«شرح أوضح المسالك» عن الشاطبي: ومعنى إخراجه أن ذكره بعد «إلاّ» مبيّن أنه لم يُرِد دخوله فيما تقدّم، فبيَّن ذلك للسامع بتلك القرينة؛ لأنه كان مراداً للمتكلم ثم أخرجه، هذا حقيقة الإخراج عند أئمّة اللسان سيبويه وغيره، وهو الذي لا يصح غيره، انتهى. وكلما كان الاستثناء مقدّماً على الحكم بالنفي والإثبات في النية؛ كان البدل مقصوداً بما نسب إلى المتبوع؛ لأن المنسوب إلى «إله» بالنفي، وإلى «الله» بالإثبات هو موجود الواحد بالنوع القابل لأنْ ينسب إلى ما هو في سياق النفي بالنفي، وإلى ما هو في سياق الإيجاب بالإيجاب، وكلما كان الخبر واحداً بالنوع كان المنسوب إلى المتبوع بعينه هو المقصود نسبته إلى البدل؛ غير أن حصة متبوعه بعد الحكم تكون منفية، وحصة البدل تكون مثبتة، فإنه إذا اعتبر الحكم ينصب الخبر الواحد بالنوع على التابع والمتبوع انصبابة واحدة، فيأخذ كل منهما حصته اللائقة به من نفي وإثبات حسبما يقتضيه الوضع اللغوي، وذلك غير قادح؛ إذ المتمايزان هما الحصتان بعد الحكم، لا الخبر الواحد بالنوع القابل للنسبتين من غير تمييز إحداهما عن الأخرى قبل الحكم، وكلما كان التمايز بعد الحكم ـ لا قبله ـ لم يكن بينهما

مخالفة بالإيجاب والسلب؛ لأنّ الإبدال كالاستثناء إنما يعتبر قبل الحكم لا بعده، فلا سلب ولا إيجاب قبل الإبدال والاستثناء، فلا مخالفة بالسلب والإيجاب. وكلما كان كذلك، فهو مقصود بما نُسِب إلى المتبوع، ويصح أن يحلّ محله في حكم تكرير العامل؛ إذ يصح أن يقال: الله موجود، فاندفع الإشكال بحذافيره، وبالله التوفيق في فتح المغلق وتنويره.

فإن قلت: قد ظهر وجه الصحة الرفع حملاً على المحل البعيد، فهل يجوز النصب على الاستثناء كما يجوز في نحو ما فعلوه إلا قليل منهم؟

قلت: لا؛ وذلك لأن مدار النصب على الاستثناء إنما هو المشابهة بالمفعول، إما صورةً فقط أو معنى فقط أو فيهما جميعاً. وأما ما انتُفِيَ فيه المشابهة صورة ومعنًى معاً، فلا يجوز نصبه ـ وهذا قول البصريين ـ وهو لاستناده إلى الاستقراء التام هو المذهب المنصور.

والقول الصحيح ـ كما بينَّاه مفصلاً تفصيلاً شافياً في الأصل ـ والمستثنى هنا لم يشابه المفعول؛ لا صورةً ولا معنى. أما معنى، فلأنه بدل من محل «إله» البعيد، وهو (حينئذ) مبتدأ فيكون عمدة لا فضلة. وأما لفظاً، فلأن الكلام لم يُذكر بطرفيه لحذف أحد ركنيه الذي هو الخبر، فصار المستثنى صورة كأحد ركني الكلام حتى ظنَّ بعضهم أنه الخبر، وإن كان ظنًّا فاسداً، وكلما انتفى المشابهة لفظاً ومعنى؛ انتفى النصب وجوباً وجوازاً، فتعيَّن الرفع على الاتّباع؛ إذ لا خافض أيضاً، وبالله التوفيق في المطالب كلًّا وبعضاً.

فإن قلت: «الله» بدل من محل «إله» بدل البعض من الكل، ولا ضمير معه يربطه بالمبدل منه، وقد اشترطوا ذلك في بدل البعض من الكل.

قلت: بدل البعض من الكل قسمان: بدل الجزء من الكل، وبدل الجزئي من الكلي. والمحتاج إلى الضمير للربط هو الأول دون الثاني؛ لأن الجزء إذا قيس إلى كلّه الواقع في التركيب، فبالنظر إلى مجرّد مفهومه لا يفهم منه أنه جزء بدلالة الاستقراء، فلا بدَّ لدلالته على اختصاصه بواحد منها بعينه من رابط خارجي يخصّه به. وأما الجزئي،

فإنه إذا قيس إلى كليه، فبالنظر إلى مجرد مفهومه مقيساً إلى كليه يُفهم اندراجه تحته، وأنه من أفراده لصدق الكلّي عليه وعلى غيره، فهو مربوط به ربطاً ذاتيًّا معنويًّا، فلا حاجة إلى ربط خارجي لفظي، فاعرف ذلك وبالله التوفيق في تنوير كل حالك. وإن كان الثاني ـ أي: تحول مبتدأ من قسمه الثاني ـ بناءً على أن «إله» بمعنى مألوه، فيكون من باب لا شافي إلا أنت، فيقدر له مرفوع عام ثم يعتبر النسخ، فيصير «إله» اسم «لا» واحد المقدّر مرفوعاً به ساد مسدّ خبرها، و «الله» مرفوع بدل من أحد، وإنما صحَّ الرفع بـ «إله» لكونه بمعنى مألوه، فهو اسم جنس بمعنى المفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب. وكلما كان كذلك صحَّ الرفع به؛ لأنهم يرفعون بالجوامد الصّرفة التي لا تشتبه بالصفة قطعاً، كالعرب والأب والعرفج. قال ابن هشام: إنهم قالوا: مررت برجل أبى عشرة نفسه، وبقوم عرب كلهم، وبقاع عرفج كله؛ فرفعوا الفاعل وأكدوه بالأسماء الجامدة لما لحظوا فيها المعنى؛ إذ كان العرب بمعنى الفصحاء، والعرفج بمعنى الخشن، والأب بمعنى الوالد.انتهى. فالرفع بنحو «إله» أوْلى؛ لمشاركته الصفة في الدلالة على ذات ومعنى وضعاً لا تأويلاً، وإن افترقا من وجهٍ آخر. وقد بينّا في الأصل رجحان هذا التقدير على التقدير المشهور صناعة ومعنى من وجوه عديدة، و الله وليّ التأييد.

فإن قلت: لو كان «إله»عاملاً للرفع فيما يليه لوجب إعرابه وتنوينه؛ لأنه مشابه بالمضاف (حينئذ).

قلت: المشابه بالمضاف ما اتصل به شيء من تمام معناه، نحو: لا حسناً فعله مذموم، والمرفوع بـ «إله» في (أ) ليس كذلك؛ لأن المعنى نفي الألوهية عن كل أحد إلاّ عنه تعالى؛ لا نفي ألوهية كل أحد من شيء آخر، فأحد المرفوع بـ «إله» ليس من تمام معنى «إله»؛ لأنه المنفي عنه إله والمنفي عنه ليس من تمام معنى المنفي؛ لأنهما طرفا النسبة، ولا شكَّ في تغايرهما، فلم يكن مشابها بالمضاف، فلم يلزم إعرابه ولا تنوينه، وهكذا الجواب في «لا شافي إلا أنت» و «لا كاشف به إلا هو»، والحمد لله ربّ العالمين.

وذكر أيضاً نجل الحسن ـ أحسن الله إليه بفعله الحسن ـ بالعجالة المذكورة

لأساس الكلمة المبرورة، ما حاصله:

اعلم أولاً أن «لا إله إلا الله» أجمع الأنبياء على الدعوة إليها. قال الإمام حجّة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتاب «العلم» من «الإحياء»: والذي ينبغي أن يُقطع المحصل به ولا يستريب فيه أنه إذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً، فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناها، وهو قول: لا إله إلا الله محمَّد رسول الله، انتهى الغرض منه.

وأسند البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تقدُمُ على قوم من أهل الكتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله، فإذا عرفوا ذلك فأَخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات» الحديث. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[1]: الأكثر رووه بلفظ: «فادعهم إلى شهادة أن [لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله] فإن هم أطاعوا لك بذلك». ومنهم من رووه بلفظ: «فادعهم إلى أن يوحدوا الله، فإذا عرفوا الله». ومنهم من رواه بلفظ: «فادعهم إلى عبادة الله».

ووجه الجمع بينهما أن المراد بالعبادة التوحيد، والمراد بالتوحيد الإقرار بالشهادتين والإشارة بقوله ذلك إلى التوحيد، وقوله: «فإذا عرفوا الله»؛ أي: عرفوا توحيد الله. والمراد بالمعرفة الإقرار والطواعية، فبذلك يجمع بين هذه الألفاظ المختلفة في الصفة الواحدة، وبالله التوفيق.

أقول: النطق بلا إله إلا الله مع التصديق بمضمونها يتضمن التصديق بوجود الله تعالى، واتصافه بجميع صفاته الكمالية الثبوتية والسلبية بحسب الطاقة المتفاوت مراتبها في المؤمنين والعلماء من أهل النظر والعارفين والمحققين، فقول الأكثرين ـ ومنهم الشيخ الأشعري رحمه الله تعالى ـ: أن أول واجب معرفة الله تعالى؛ موافق لما دلَّ عليه الحديث الصحيح، فإن لا إله إلا الله تدلّ بمنطوقها على قصر الألوهية على

(1) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني**: المجلد الثالث عشر. كِتَاب التَّوْحِيدِ. باب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الله تعالى، وتوحيد الألوهية يستلزم توحيد الأفعال مع إثبات الكسب للعبد بالإذن، وهو يستلزم توحيد القدرة الذاتية لله تعالى؛ أي: قصر القادرية بالذات على الله تعالى، وأما العبد، فلا قوّة له إلا بالله؛ كما قال تعالى: ﴿ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾، [الكهف:39]. وهو يستلزم اتّصاف الحق بوجوب الوجود وجميع صفات الكمال وتنزّهه عن جميع ما ينافي الكمال. وبيان ذلك مفصلاً مقام غير المقام والمجال، وهذا متضمن لجميع مسائل معرفة الله تعالى إجمالاً؛ فلهذا قال النبي ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها...**» الحديث[1]؛ أي: حتى يقولوها عن قولي وأمري المتضمن للتصديق بمحمّد رسول الله، فهو في معنى قوله في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله...» الحديث.

ولما كان الأمر من عظم شأن لا إله إلا الله وجلالة قدرها ـ كما أشير إليه ـ فينبغي الاعتناء بها كلَّ الاعتناء، ومِن ذلك معرفة إعرابها لأهله.

(1) قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**»، رواه الأربعة بسندهم عن أبي هريرة ﷺ، قال السيوطي: والحديث متواتر. الجامع الصغير للإمام السيوطي ـ الحديث رقم: 1630.

فصلٌ في سر
[لا إله إلا الله]

قلت: ولما ذكرنا فضلها وألحقنا ما تقرَّر من إعرابها وما تؤول إليه؛ أحببنا أيضاً أن نذكر ما ظهر من سرِّها على أهل الاستقامة المستعلين لذكرها، سيما المداومين عليه.

قال الشيخ الفقيه الصوفي، مَن بمدينة الرسول ﷺ ناشىء، الولي الصالح، الحاوي لجميع المصالح، أحمد بن محمد عبد النبيّ الشهير بالقشاشي، في كتابه: «ضوء الهالة في تدبر الجلالة»: **واعلم** أن الاسم الأعظم هو [الله]، ذكر غيب في شهادة، وذكر [الله] هو ذكر شهادة في غيب، وذكر [الله] ذكر شهادة في شهادة من حيث التفصيل، وذكر [هو] هو ذكر غيب في غيب من حيث الرّد والإجمال، وهكذا جميع الأذكار على هذا التفسير، فتيقظ لسرّه، فلا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فمجموع الواقع في حيّز الكلام خطاب حضرته وترجمان السُّنّة؛ لا خطاب الذات للذات، فافهم المشار إليه.

قال الشيخ الأكبر روَّح الله روحه ونوَّر ضريحه: [شعر]

قــرأت كتاب الحق بالحــقّ مبهماً   فلم أرَ مشــهوداً سوى ألسن الحقّ

والمشهود كله ألسنة الكتاب، وتفصيل قضايا المنشآت بـ[ياأيها الذين آمنوا] و[يا أيها الناس] و[يا عبادي]، [وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض] من تِعْداد نِعَمه، فالعالم مذكور [الله]، و[الله] مذكور العالم.

ومما وقع لي من فتوح هذا الذِّكر الكريم وفضله العميم بإذن الله العظيم؛ أني وجدت ذات ليلة بعد الذِّكر حين اجتماعي بأخي السيد السَّند الخليفة الأعظم الأمجد السيد سالم ابن السيد أحمد شيخان، حين زيارته للنبيّ ﷺ، بربيع الآخر سنة اثنين وأربعين وألف، وكانت آخر زيارته رحمه الله تعالى؛ ثقلاً عظيماً عجزت معه عن القيام

لصلاة العشاء الآخرة مع الجماعة، فرأيت الحال اضطرني إلى الإسلام له، فامتديت يسيراً لعلّ أن يسرَّى عني، فأقوم للصلاة، فذهبت عيني في النوم قليلاً مع تيقظ القلب، ثم قوّمت بعد لحظة للصلاة، فلم أجد فكاكاً من الحالة التي أنا بها، فأردت العود إلى الاستراحة لكثرة ما أجد على جميعي من الثقل، فلم أستطع العودَ، فتأجج من بين أضلعي حرارة لها وهج كوهج النار المتأجّجة بنفخ الكير العظيم صاعداً وهابطاً، واشتعل الذِّكر في باطني بقلبي اشتعالاً باطناً، حتى صار يحرّك ظاهري يميناً وشمالاً حركة قهرية نارية كحركة المخاض للولادة، فرأيت بالقلب (حينئذ) عوالم يذكرون الله قياماً أجسامهم متداخلة كالسُّرج المتعددة في البيت الواحد، متأججين بالذِّكر ككير الحداد ووهجه، وذكرهم مع القلب مني: الله الله، ولهم صولة وهيمان، وأنا أراهم تحت ضلوع الجنب الأيسر مني وأنا معهم كذلك من داخل الضلوع فيما هم فيه، حتى أني لأجد أطراف الضلوع تكاد تمسّ رأسي حال كوني محلًّا له، وأجد ما أنا فيه داخلاً وخارجاً، وأجد ظلّ أطراف الضلوع من أعلاها واقعاً على واجدهم بلا عدد، والسعة هناك بلا حدّ، فعلمت بذلك عياناً سرّ كون آدم عليه الصّلاة والسلام في القبضة الإلهية مع جملة الذرِّيّة، وهو المخاطب المسؤول خارجها المختار؛ أي: اليدين الإلهية يختار، فاختار يمين الله، وكلتا يديه يمين مباركة، كما قال: «اخترت يمين ربي، وكلْتا يدي ربي يمين مباركة» كما في الحديث[1]، هذا هو من علوم هذا المنزل، حتى رأيت القلب مشخصاً كالأترجّة العظيمة، ويحكي كونها ولونها، وله

(1) في حديث الترمذي ولفظه: « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله فحمد الله بأذنه، فقال له ربه ﷻ: يرحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس، فقل السلام عليكم، فقال السلام عليكم قالوا: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، قال الله ﷻ له ويداه مقبوضتان: اختر أيتهما شئت، قال: اخترت يمين ربي ﷻ وكلتا يديه يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم، قال: يا رب من هذا؟ قال: هذا ابنك داود وقد كتبت له عمره أربعين سنة، قال: يا رب زده في عمره، قال: فذاك الذي كتبت له، قال: أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة، قال: أنت وذاك. قال: ثم سكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها، فكان آدم يعد لنفسه فأتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد تعجلت، قد كتب لي ألف سنة، قال: بلى ولكنك قد جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته، قال: فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود. رواه الترمذي والحاكم بسندهما عن أبي هريرة ﷺ، **أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن**: باب رقم: 95ـ الحديث رقم: 3368، وقال: حسن غريب.

صعود وهبوط يفعل به في الكل، وينفعل عنه به الكل.

ورأيت في القلب من العيون الإلهية ما لا أُحصي عدده جارٍ في تفصيل قوله ﷻ: [فألهمها فجورها وتقواها]. **ورأيت** في القلب جميع المختزنات العلمية، والفتوحات الربانية الذوقية، والوجدانات الكشفية، والإدراكات العقلية والفكرية والنطقية والفقهية وغيرها، والعلوم الجدلية واليقينية وأهاليها، وسبب نزاع أهل النزاع، ووفاق أهل الوفاق، ومنهم بمتسنّن ومبتدع ومطيع وعاص. ورأيت فيه جميع علوم الحِرَف والصنائع الإسلامية والملية، وأنها تملى عليهم من قلوبهم، إذا أذن الله لهم بعلمها وعملها. **ورأيت** فيه المذاهب المختلفة والنِّحَل المتفرقة والمؤتلفة، وجميع التصريفات العنصرية الكونية الفعلية والمستعلية الطبيعية ومآخذها، وجميع مبثوثات المقادير الإلهية الجملية. ورأيت فيه الألسنة التي ينطق بها أهل اللغات المختلفة ومنشأها عن اللسان العربي، ومردّها إليه. **ورأيت** أن الأمر معرب في نفسه غير معجم، وبذلك كان معلوماً بلا غيبة ولا إمكانها. **ورأيت** مجرى الشرائع الواردة عن النبيِّين من عين قلوبهم إلى عين قلوب أُممهم القابلين منهم والرادّين لهم. **ورأيت** لِمَ أُوخذ الرادُّون وأُجِرَ القابلون، **ورأيت** الأجر لا لِعِوَض، والعقاب كذلك. ورأيت أعمال النار هي النار، وأعمال الجنّة هي الجنة. حتى رأيت العرض جوهراً، والجوهر عرضاً، ودرجات الجنّة ودركات النار كذلك. **ورأيت** من حيث يقال للقارىء: اقرأ وارقَ، فإن منزلك عند آخر آية. ورأيت الوارد من الحق إلى الخلق ما هم فيه، لا ما هو فيه أحد بلا أحدية، وما هم فيه محض الإثنينية. **ورأيت** السرّ جهراً، ورأيت الأخفى سرًّا، وعمادهما هما، والصورة روحاً، والروح صورة. ورأيت الجامع بين الحقّ والخلق ما ليس بحق، ولا خلق. **ورأيت** الدِّين علاقة وبسيطية، والإسلام يشمله والمسلمين متعلقة وأفئدتهم منوطة به أزلاً وأبداً، والجزاء قضاء الله في العباد كما شاء، وتلاوته ولنجزي كل نفس بما تسعى. **ورأيت** الأمر لا يقبل الحصر لذاته في ذرة من ذراته، سواء كان عادياً أو عقلياً أو شرعياً، وهو بذلك القيد والأقل مطلق بلا حساب. **ورأيت** الأشياء مفصلة من الاسم (الله) متعلقة به حسب قضائه وعطائه بما في سعتها وما بلغوا معشار ما أتاهم، وفيه قال ﷻ: [لله ما في السماوات وما في الأرض]، و [لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير]. **ورأيت** الميز بين الأشياءِ واجب الوجود وحاكماً بالحدود، وكلّها راجعة إلى الاسم [الله]، وتلاوة منزلها: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ

ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾، [البقرة:231] إذ هي من الاسم نفسه. **ورأيت** الأمر أوضح واضح، وأخفي خفي. **ورأيت** الجلالة أحاطت بالكون وخلصت إلى المكوِّن، فلم يكن كون إلهي حتى عاد الكون من الجلالة كالجلالة من الكون. **ورأيت** الباطن ينازع الظاهر، والظاهر ينازع الباطن، وبينهما دور لا ينقضي نسب الكون لا أوّل لها إلا فرضاً لجياً وتقديراً، ولا آخر لها إلا فرضاً سجياً. **ورأيت** الافتتاح والاختتام نسبة من اختلاف ذوي الألسن متفجراً من قلوبهم، يجري مدده بوارد ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، [الإسراء:20]. **ورأيت** كل شيء منه يستمدّ. **ورأيت** معنى: «**وسعني قلب عبدي المؤمن**»[1]، ولم يشذَّ عن القلب شيء؛ حسًّا ولا معنًى. **ورأيت** الكلّ مؤمناً ولم يبق إلا مؤمن ودين الحق ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾، [الصف:9]. **ورأيت** أنه لم يخرج عن القلب شيء، ولم يؤت أحد شيئاً إلا من قلبه، ولم يصدع صادع إلا قلبه، فمَن وجد الصادع جملة بالحق، فقد وجد المفتاح ووجد الفتاح، ومَنْ وجده لم يفقد شيئاً وفيه قوله ﷺ: «اسْتَفْتِ نفسك، وإن أفتاك المفتون»، وفي الرواية الأخرى: «قلبك»[2] مكان

(1) قال العجلوني في «كشف الخفاء»: ذكره في الإحياء بلفظ: «قال الله لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع». قال العراقي في تخريجه: لم أر له أصلا، ووافقه في الدرر تبعاً للزركشي، ثم قال العراقي: «وفي حديث أبي عتبة عند الطبراني بعد قوله: «وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها» انتهى. وقال في المقاصد تبعاً لشيخه في اللآلئ ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ **ومعناه**: وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي. وإلا فمن قال إن الله ﷻ يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده وكأنه أشار بما في الإسرائيليات إلى ما أخرجه أحمد في الزهد عن وهب ابن منبه قال: إن الله فتح السماوات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب!، فقال الله: «إن السماوات والأرض ضعفن عن أن يسعنني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين». انظر: **كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني** ـ الحديث رقم 2256.

(2) أخرج الإمام أحمد بسنده عن وابصة الأسدي قال عفان حدثني غير مرة ولم يقل حدثني جلساؤه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئا من البر والإثم إلا سألته عنه وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم، فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ . فقلت: دعوني فأدنو منه فإنه أحب الناس إلي أن أدنو منه. قال ﷺ: دعوا وابصة، أدن يا وابصة ـ مرتين أو ثلاثا ـ قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه ﷺ. فقال ﷺ : «يا وابصة أخبرك أو تسألني ؟». قلت: لا بل أخبرني. فقال ﷺ: جئت تسألني عن البر والإثم؟. فقال: نعم... فجمع ﷺ أنامله؛ فجعل ينكت بهنَّ في صدري ويقول: يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك ـ ثلاث مرات ـ البرُّ ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك». **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المجلد الرابع. مسند الشاميين. حديث وابصة بن معبد الأسدي نزل الرقة ﷺ.

نفسك؛ ليفهم أن القلب والنفس الناطقية الإلهية واحد. ورأيت الأُمهات بأولادها سلسلة موصولة. **ورأيت** الحروف الثمانية والعشرين، والخطاب الإلهي والكوني مُنْدمجٌ فيها اندماج الشجرة وبعضها في كلِّها، وكلّها في بعضها، وهي معربة معجَمة. **ورأيت** الإعجام من جملة عروبتها. **ورأيت** الأشخاص من دون ولادة مجموعة غير متفرقة، وإلى ذلك حنينها. **ورأيت** النور قد رفع الستور بذاته، وما كانت الستور الآمنة، فمتى اجتمع أعطى الظلمة والسِّتر للأحدية، ومتى تفرق وانتشر أعطى البيان والكشف بحسب الإرادة؛ لا بحسب القابلية ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾،[هود:107] فهو ولا زائد عليه عند أجر المزيد، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾، [التوبة:104]. **ورأيت** التصريفات أحوال المعاملات ونطق منزلها «أعمالكم عمالكم». **ورأيت** الطاعة حجّة لك مُنطقة، والمعصية حجّة عليك مُسكتة. **ورأيت** الأدب استغرق المقامات علوًّا وسفلاً، وروحاً وجسداً؛ معنًى وحسًّا، بياناً وخفاءً وجماداً وحيواناً ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾، [الأنبياء:27]. **ورأيت** الكلّ يدورون ولا يدرون، ويعلمون ولا يعلمون. **ورأيت** التعريف الإلهي قائد الكل إلى النَّيْل منه؛ مِن أقصى ذرّاته إلى أعلى مكنوناته. **ورأيت** الصغير والكبير صغيراً. **ورأيت** الغيرة لم تبق كون أثر إلا سلبته وكانت مكانه، ومِنْ نُطق منزلها «مرضت فلم تعدني، وجُعْت فلم تطعمني»[1]، ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، [البقرة:200]. وما في معناه. **ورأيت** مرصوداً بباب هذه الخزائن: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ

---

(1) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «إِنّ اللّهَ ﷻ يَقُولُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنّ عَبْدِي فُلاَناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ. أَمَا إِنّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي» **صحيح الإمام مسلم** عن أبي هريرة ﷺ في كتاب البر والصلة والآداب ـ فضل عيادة المريض. **قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم**: قوله ﷻ: «مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده» **قال العلماء**: إنما أضاف المرض إليه ﷻ، والمراد العبد تشريفاً للعبد وتقريباً له، قالوا: ومعنى وجدتني عنده أي وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل عليه قوله ﷻ في تمام الحديث: «لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، لو أسقيته لوجدت ذلك عندي» أي: ثوابه والله أعلم.

أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾، [الواقعة: 58 ـ 59]، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾، [الواقعة: 63، 64]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾، [الواقعة: 68، 69]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾، [الواقعة: 71، 72]؛ مُنادَى بذلك عند كل كائن ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، [يس: 82، 83]. **ورأيت** العجب العجاب ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾، [مريم: 91، 95]. **ورأيت** المشبع من الطعام، والمرويّ من الماءِ، والساتر من الثياب، والقاطع من الحديد، والمعطي كل شيء خلقه هو الحقّ، وعنوانه ﴿هو الله﴾، وهذا كله من فتحه. **ورأيت** الذات ظاهرة للصفات، والصفة ظاهرة بالذات، والفارق بينهما هما. **ورأيت** مَن لا قيمة له؛ لا قيمة له. **ورأيت** المسكت عين المنطق فيها وجعل لك أو عليك. **ورأيت** الحجج متعلقات بساق القلب، فمن أُكرم بالتقوى أُنزلت عليه الحجّة منه، ومن أُهين أمسكت عنه، ومن تلاوة هذا المنزل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾، [الأنعام: 83]. **ورأيت** منشأ ضرب الرق في الذرية بين الأحدية، وشاهداً من شواهدها، وكتاباً مبيناً مفصلاً برازخ حدودهما ﴿مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، [الدخان: 39]، وأن الجنّة والنار حقّ، والبعث حق، والدنيا حق، والآخرة حق، وكل ما وعد الله حقّ، ولقاء الحق حق، وأن الله يبعث من في القبور، وتلاوته: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، [الجاثية: 22]. **ورأيت** سرًّا يُحرم كشفه، وسرًّا يُسنّ سرّه، وسرًّا يباح ستره، وسرًّا يباح إفشاؤه، ولا سرَّ عند الحق. **ورأيت** الذاتيات الأول متعلقة بفروعها تعلق افتقار الشيء إلى نفسه، والفروع كذلك في حال الفناء. **ورأيت** الأمر أكبر وأصغر، ولا أصغر ولا أكبر. **ورأيت** المبدأ من القلب، والمعاد إليه. **ورأيت** الجنّة والنار منه، فتفجران بمفاتيح خزائنهما والقلب ولي كلّها ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، [الملك: 14]. **ورأيت** الإشراك من القلب وإلى القلب، والتوحيد منه إليه. **ورأيت** التوحيد ذاتاً، والإشراك عرضاً بلا ذات شخصه الوهم سلطانه، الحاكم من جداول الفكر في شريعة

من شرائع العقل المختصّة بالريب والشك. **ورأيت** الرَّيب منقطعاً على شاطىء بحر اليقين من القلب، وكلما بَعُد منه وُجِد، وكلما قَرُب منه فُقِد. **ورأيت** الشلالات متفجرة من جداول الشك واردة إلى مصدر الكشف، فكلما باشرها اليقين رجعت إلى العَدم، وكلما امتازت عنه أخذت بأهلها غرقاً في جداولها ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾، [الأنعام: 132]. **ورأيت** الحروف فاعلة منفعلة لاحقة منها مستلقحة على تفصيل في ذوات السنين، والثلاثة والسن والنقط كذلك. **ورأيت** العلاج علاجها، والنتاج نتاجها، وهي الداء والدواء، فمتى انبسطت بالجنّة والنار وحلقت على جميع المؤثرين والآثار، وهي الفعالة بالفلك الأعلى والأرواح العلا. **ورأيت** التخالف من إلقاء نحوستها والتالف من سعودها بإذن الله، وعنوانها ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾، [فاطر: 10]، وترجمته بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾، [الأحزاب: 70، 71]. **ورأيت** الإحسان رأس القلب، والإيمان وسطه، والإسلام قدمه. **ورأيت** الأشخاص بحسب ذلك موزَّعين على تلك الأحكام، فمجموعٌ له ومبغض عليه. **ورأيت** الإمام القلبي يصلي بالكل، والكل يصلِّي إليه، والقبلة عين المستقبل. **ورأيت** القلب في الغافلين أسيراً أسراً، وكسير كسراً، وفي الذاكرين مثل ذلك، والمنازل مختلفة. **ورأيت** مَن قال ما قال فمن بعض جداوله قال، وبحسب فتحه منه في الأعمال والعمل نال. **ورأيت** الإصرار قهاراً فوق عالم الدَّرْك؛ أي: عالم الإدراك منه؛ أي: من المصرّ ومقهوراً مثل ذلك في حق المقابلين. **ورأيت** شهادة الأحدية لذاتها مقبولة مع قطع الخصام غير معلومة. **ورأيت** البارز ضميراً مستتراً، والظاهر يأباه الستر ويقبله الإضمار. **ورأيت** البيانات من الربّ إلى القلب نازلة لا لأهلها كإدرار المطر المغيث، والشكوك والظنون والوهمية تحكيها نازلة إلى أهلها. **ورأيت** الوجوب الذاتي العلمي قطع الواحد اثنين، وشتَّت المجموع فريقين؛ فريقٌ في الجنّة، وفريق في السّعير. **ورأيت** حياة الكل بعضه، وحياة البعض كله، وقد سلب البعض والكل. **ورأيت** القوم أحزاباً محزّبة في صف الأسماء الإلهية بحسب الغالب يتجاذبون، وكلٌّ بيده السلاح والدم بينهم سفاح، وقتلهم عين الحياة وحياتهم عين القتل. **ورأيت** أبا سعيد الخراز[1] رضي الله عنه برز بجمْعه بين الضدَّيْن، كما وجده

(1) سيدي العارف بالله تعالى الولي الصالح والعارف بالله تعالى أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز رضي الله عنه. من أهل بغداد، صحب ذا النون المصري وسرياً السقطي، وبشر بن الحارث رضي الله عنهم، وكنيته الخراز لاشتغاله بالخرازة،

متفجراً من قلبه، فساق بساق السوق منادياً، فلم يُجِبْه إلا هو، فانمحق بدره في سراره، وظهر من أوّل شهرة مستهلًّا بأنواره. **ورأيت** الكمل الوارثين أخلاق رب العالمين قائمين بالجلالة متنزّلين بمضمونها للهدى والضلالة فرضاً واجباً ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، [النور: 35]، ومن يشأ يُضْلِلْه، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، [يوسف: 21]، بأيديهم يتلونه. **ورأيت** التابعين لهم بذلك كذلك إلى يوم الدين. **ورأيت** الإبابة استولت بعزّتها على المؤمنين والكافرين. **ورأيت** الكافرين مؤمنين، والمؤمنين كافرين في منازل لا يحصر عددها، وترجمة سرّها و﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: 76]. **ورأيت** الرؤية مانعة عنها معطية لها، واسمها حجابها. **ورأيت** الأُميين آمنين في الغرفات يتنعمون مع الذين أنعم الله عليهم بلا ترقب. **ورأيت** الكتاب والمتعلمين منحدرين يرتقون، ومنهم المعوقون والمأسورون. **ورأيت** السلام شفيعاً في المسلمين على من يعلمون ومن لا يعلمون. **ورأيت** الأُمهات قد أخذتهن الرحمة على أولادهنّ، وهن يتضرعنَّ إلى الرحمن الرحيم أن لا يكونوا خاسرين. **ورأيت** البسملة شافعة في التالين إلا مَنْ أباها مِنَ المشركين. **ورأيت** البارز إلى العباد وحياً من ذاتهم يخاطبون به، وهم المخاطَبون. **ورأيت** الغرة قد قهرت المؤمنين كما قهرت الكافرين، والجهات مختلفة. **ورأيت** الباقيات الصالحات تهرع إلى الله بارزة من قلوب العباد آخذة بنواصيهم إلى الجنة؛ هلمّوا هلمّوا ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾، [مريم: 76]. **ورأيت** الرحمة لا تؤاخذ أحداً، والعفو لا يتعاظمه ذنب، والعافية سابقة. **ورأيت** الأخذ بالنواصي من أهلها وهم يصطرخون فيها، فمن قلوبهم تفجرت ينابيع الثمرات، وبذلك عادت إليهم لا إلى غيرهم في جميع الحالات. **ورأيت** أموراً لا تنفعهم تفصيلاً، ولا تنخرم تحويلاً، ولا تقبل تبديلاً؛ كل ذلك في نحو من ثلاث درجات أو أقل، والله أعلم.

ثم سكن بإذن الله تعالى ما بي، ولم تزل بي غمومةٌ أياماً وإلى الله المصير؛ كلُّ

وكان الجنيد ﷺ يقول: لو طالبنا الله بحقيقة ما كان عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا، فإنه أقام كذا وكذا سنة يخرز فما فاته الحق بين خرزتين!. وكان ﷺ ونفعنا بمحبته من أئمة القوم وجلة مشايخهم، وأول من تكلم في علم الفناء والبقاء، وله كتب في هذا معتبرة، منها كتاب الصدق، وكتاب الضياء، وكتاب الكشف والبيان، وكتاب الحقائق وغيرها. وهي رسائل صغيرة لكنها نفيسة ترسم الطريق بدقة ووضوح. توفي ﷺ سنة 277 هجرية.

ذلك من ثمرة هذين الاسمين الذكرين، **هو الله**، فكن مستمسكاً بهما تعثر على السرّ الغريب بإذن الله في أقرب قريب، وتَفُز بأسرار البساطة في عين التركيب، و الله سريع مجيب، فاستجب بالله لله منك ومن كل شيء لتكون معه عنك، فهو معك أينما كنت، فلا تغفل فعليك بالجهاد الأبدي، وإن سبق ما سبق من التقصير في مدة أول العمر، وإن طالت وقلّت الآخرة فهو بإذن الله حين الإكرام والجلال وإن قلَّ، فلا تخجل. قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ ، [النحل: 10، 11]، وهذه كيفية من كيفيات الذكر.

وكذلك الدائرة أوّلها أَلِف، والثانية لام، والثالثة لام، والرابعة هاء؛ تأخذ من باطنها باعتبار ﴿هو الله﴾ كذلك، فيعود باطنها ظاهرها، وكذلك إن شئت تأخذ الدائرة من باطن الدائرة أَلِفاً، والثاني لاماً، والثالث لاماً، والألف هاء، كذلك عاد الباطن ظاهراً والظاهر باطناً، أو تنشيء في كل جهة من الدوائر المذكورة دائرة هو كاملة بصورة ﴿الله هو﴾، وهو الله، ثم لك ذلك كما ترى والمستقر أُم القرى، وكل نقطة من نقط الدائرة أَلِف إذا شئت، ومن الأخرى مثلها إلى آخرها أيضاً، كما أن كل دائرة منها مجموع أسماء بنقطها كذلك، بل كل نقطة إلى لا نقطة كما ترفع النقطة الحسِّية إلى النقطة الغيبية إلى محض المحض؛ بلا غيب ولا شهادة، انتهى.

قلت: وقد وقفت على أبيات للعالم العلّامة محيي الدروس السيد الشريف جعفر الصادق العيدروس، مطلعها: [شعر]

كافح القلب سـرّ معنـى الجلالة وهــو غــرٌّ بشــأن ســلمى فهاله

فعجّزتها وصدّرتها وخمّستها، وقد كان قبلي خمَّسها العالم العلم المزهر مولانا وقدوتنا الحبيب عبد الله بن جعفر مدهر، فأبقيت تخميسه بكله حيث وضع في محله، فصار النصف لي والنصف لهما، يعرف ذلك ويخرجه من كان فهماً، فأحببت ذكر ما ذكر أولاً بهذا المحل، فرحم الله امرأ أصلح وستر ما به من زلل، وهو هذا:

جـلّ مـن شـدَّ للحبيب رحاله
ذاكــراً بــالـدوام فـي كـل حاله

منشداً واصفاً بما قال حاله

كافح القلب سر معنى الجلاله ابتداء رآه لا انتها لهُ

حار في شأنه به مذ تجلّا

وتباعد مِنْ خوف مَن نحوه أدلّا

فرأى النور في سويداه حلّا

فغدا مصطلم به إذ تجلّى وهو غرٌّ بشأن سلمى فهاله

وغدا جا ما لما كان شتا

وأنا عنده بذا عين أنتا

وتجلّت له الحقيقة بحتا

وانمحى منه مشهد الكون حتى غاب عن حسِّه ولم يَدْرِ حاله

وعلى قدره علا الكل قدّرا

وسرى السرّ فيه بالله سرّا

طار بالطور قد نفى الخلق طرا

منذ أمسى محصل السرّ جهرا أصبحت دولة الغنا كلها له

فالتعلي لديه عين التدلي

حين أضحى بكل وجه يصلّي

وتخلى عن السِّوى بالتخلّي

ثم عمّته واردات التجلي فتحلّى بما هو قد أناله

عنه موسى بحين نودي نابا

ومع ذا كما علمت استرابا

حين ما خرَّ قد وقف ما أنابا

أصبح البدر به يشبه دابا واستدارت لديه بالنور هاله

وســمــا عــن تــزايــد وانــتــقــاص
وغـــدا خــاضــعــاً لــه كــل عاصي
وانــطــوى فيه كــل دانٍ وقاصي

واصطفى الحــق قلبه لاختصاص بالنبــيّ الكريــم حيــن ابتهالــه

فــســمــا ونـــمــا هــنــا بــجــلال
وتــحــلَّــى بــحــلــيــة مـــن جــمــال
وارتـــفـــع بــرتــبــة مـــن كــمــال

وتجــاوز ســواه فــي كل حــال فاكتســى خلقــه البقــا لا محاله

واعلم أيها المريد الطالب ـ أرشدك الله إلى أسنى المطالب ـ بأنك قد تحقَّقت بما ذكر فضل الذكر للذاكر، وعرفت ما أتى في حقِّه بأول وآخر، وما كان ذلك قليلاً من كثير كمثقال ذرة من قناطير، لكن تيقن واعتقد بأن مطلق لفظ شهادة أن [لا إله إلا الله] لا يتمّ بها الدخول في دين الإسلام بدون تلفظ واعتقاد شهادة أن]محمداً رسول الله] إلى كافة الأنام، ومَن زعم أنها تكفيه عما بَقِيَ من الأركان المفروضة من الله للإسلام والإيمان؛ كترك الصلاة والزكاة والصوم والسعي مع القدرة إلى بيت الله الحرام، مما هو مذكور مسطور في جميع الكتب كالشمس الشارقة في الظهور، فذاك قد باء من الله بالبُعد والخذلان، وحُرم توفيقه المطلوب بالسرِّ والإعلان، حيث قد خالف الرسول فيما يقول، ومخالف الرسول بلا شكّ مخالف في كل قول، وبهذا الاعتقاد الذي هو محل الانتقاد، ظهر به قوم بكيش[1] مكران قابلوا ما جاء به الرسول عن الله بالنكران، وزعموا أن لهم رسولاً غير الرسول يقال له: (داهي) أتاهم من المدينة برسالة عن الرسول ﷺ، وأمرهم بالذكر وترك العبادة، وصار بهذا الأمر الكل منهم لاهي، ويعرفون الآن بـ «الداهية الذِّكرية» لا النمازية، ولفظ «النماز» عندهم

(1) اسم موضعين، قال ياقوت في معجمه: **كِيش**: هو تعجيم قيس: جزيرة في وسط البحر تعد من أعمال فارس لأن أهلها فرس، وقد ذكرتها في قيس، وتعد في أعمال عمان، وقد نسب المحدثون إليها إسماعيل بن مسلم العبدي الكيشي قاضيها، كان من أهل البصرة، يروي عن الحسن وأبي المتوكل وغيرهما، روى عنه يحيى بن سعيد ووكيع وعبد الرحمن بن المهدي وكان ثقة، وليس بالمكّيّ.

الصلاة المفروضة باللغة الفارسية، ولهم أمير وقاضي، وأمرهم بذلك القطر ماضي، ولهم محلات يذكرون الله فيها يناديهم لسان حالها بما قيل فيها: [شعر]

مجالس ذكر الله تنهاك أن ترى   بها ذاكراً لله ضعف العقيدة

فهذا قولهم وفعلهم حسب ما أخبرهم به رسولهم، بذلك أخبرني مَن هو مُجاورهم ومجالسهم ومُنادمهم، وهم يدّعون الإسلام ويقاتلون ويقتلون، وذلك غير خافي في الأنام، ولهم به مدّة من الأزمان، ومحاربهم في ذلك المنصور نصير خان، ومثلهم ـ بل أعظم منهم ـ فعلمهم واعتقادهم الذين ظهروا بآخر القرن الثاني عشر بأرض المليبار، ممن عن الدين الحنيفي افتقر وهم قوم أتاهم في آخر القرن المذكور فقير، واشتهر بهذا الاعتقاد من دون نكير، وأفسد بتلك البلاد أيّ إفساد، بلا خفاء على رؤوس الأشهاد، وذلك بمساعدة بعض علمائها وكبرائها من أهل الثروة والبأس، فضلّوا وأضلّوا بها كثيراً من الناس بما لا خفاء في ذلك ولا إلباس؛ إذ قد أمروا الكل بترك الصلاة والصيام وأشاعوا بأن لا حجّ مع القدرة إلى بيت الله الحرام، وأن البيت وربّه والرسول وحزبه قد جمعهم محل واحد ورجل واحد، وذلك المحل الفاسد والرجل هو الفقير المعاند لله فيما يقول، ومخالف لما هو عن الرسول منقول، ولذلك غُلِّقت مساجد المسلمين، وضُرِب بها مَن كان من الساجدين، ولُطِّخت تلك المساجد بالعذرة، وجُعلت ما بها من المعارف نكرة، وأدخلوا بها الكلاب لإظهار الفساد، ونعشوا بها البغايا للعناد، واجتمعت النساء بالرجال، وما بقي للحياء من مجال، ولعب الكبار بالصغار، ومن مشى عرياناً منهم حاز الافتخار، وصار لهم كل شيء مباح حتى بَطُل النكاح، واستمرَّ السفاح، واعتقدوا بأن لا طريق إلاّ طريق هذا الفقير، ولا فريق إلا فريقه الذي لا يؤثر فيه السعير. ومَنْ لا يعتقد ما هم فيه ولا يتبعهم فيما هم عليه، فهو المعدود من أهل النار، ولو عبد الله طول الليل والنهار، وصار عمرو هو المضروب لزيد فيهم يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد؛ بل قال: الأمر معكوس، والفعل منكوس، والمقطوع واصل، والعالي سافل، والموضوع محمول، والموفق مخذول، وما العلم والفضيلة إلاّ المكر والحيلة، وما الرجل إلا بالبيضا والصفرا يسود، لا بالطاعة والعبادة مسعود، والعبد ربّ، والربّ عبد، معبودهم الفقير،

وطاعتهم الدنانير، وتارة رسول غير معبود لكن أمر له بالسجود، وتارة هو الولي لربّه المخصوص بقربه، وتارة هو المهدي الموعود به، وغير هذا من الهذيان والخرافات التي تمجّها القلوب والعقول السليمات لكل مَن هو مفتون بعمل الحشيش والأفيون.

وأكبر من ذكرنا فيما إليه أشرنا، هما القاضيان المشهوران المعروفان المنكوران اللذان أقاما هذا الفقير، وهو لا يملك من بضاعة العلم نقير، لشهرتهم بالعلم والتعليم بين العباد بتلك البلاد؛ لا سيما بالأربعة القرى التي مسير أهلها إلى ورا، لكونهم مسلّمين أمرهم لهذين القاضيين، وهما الآمران لهم بالتقبيح والتحسين، أحدهما قاضي حمص، والثاني قاضي تبريز، المسميان بكيا محمد المجرور والجار عبد العزيز، وهما السببان لتأليفي كتاب بنتيجة إشكال قضايا مسلك جوهر الجواهرية، وبرهان سلطان مشايخ الطريقة العيدروسية القادرية، وسبب أيضاً لتأليفي هذا «كنز الأسرار» لأُرغم به أنوف الفجّار، وما كان أمرهما يهزّني وشأنهما يستنفزني؛ كما قلت: [شعر]

هــزّة الريح مــا أطاقــت وقالت ... هكــذا لــو يكــن علــى كل حال
فزت بالفخــر في الأمــور ولكن ... بــان نقصي بــكل فخــر الجبال
وأنت ي الجفــري المعاند قل لي ... هــل لمحــن الجبال مــن احتيال
مثلــك قــد هــززت تنكــر قلت ... حين مســكي جريد نخــل طوال
والمضــاف إن يجــرُّ غيــر مُلامٍ ... كل مغلــولٍ حالــه مثــل حالــي
والنبيّ مــا هززت من غير شــيء ... فــي مقالي يومــاً ولا فــي فعالي
وأنا الجفــري الذي قد شــهرت ... بيــن كل المــلا بقيــل وقــال

ولكن كان ذلك تصديقاً لقول خير البشر؛ إذ قال: «إذا نزل القضاء والقدر عَمِي البصر»(1)، والحمد لله ما ذهب القول سدى، فقد هدى الله ﷻ مَنْ هدى حيث أمر

(1) قوله ﷺ: «إذا نَزَل القضاءُ عَمِيَ البصر». رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما. **كشف الخفاء للعجلوني** ـ الحديث رقم: 281.

من حكمه ماضي على البلاد والعباد في إزالة ما ذكرنا مما صار من الفساد، فقد أرسل القاضي إليهم ليقيم الحدّ فيهم، فسار بحمد الله ونزل عليهم، فجلد مَنِ استحقَّ الجلد منهم، والمستحقين للتعذير عذرهم، وجدَّد نكاح مَن كان على السفاح، وتوّب الباقين بعد أن تغسَّلوا وأدخلهم مسجد الجامع وبه جماعة صلّوا وندموا على ما كان منهم من الإضاعة، واعترفوا وأقرُّوا لله ولرسوله ولوليّ الأمر بالطاعة، وصار هذا الأمر كله والفقير حاضر وما أغناهم بشيء في ذلك الحال، فتحقَّقوا أنه قاصر، فالحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات من الأعمال الظاهرة والباطنة التي هي بالنيات، وأن قد شاع بين الناس وفشى بأن القاضي المشار إليه منهم ارتشى، وأنهم بعد التوبة عن السبيل حادوا، ولما هم فيه من المناكر عادوا؛ لكن لا كالأول في الظهور كذا مسموعاً عنهم الآن ومذكور، و الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

وقد كنت أوَّلاً نظمْت قصيدة، وعرّضت فيها بمن تقدّم ذِكْرهم واشتهر بعمل الأفيون والحشيش فقيرهم، بحيث شهدوا أن لديه تقلب الأعيان عيان، وأنه في هذا الأمر عظيم الشأن ما بين الأعيان، فأحببت ذكرها هنا، وهي: [شعر]

هـذا الزمـان شـيوخه أعيـان ... زعمـوا لديهـم تُقْلَـب الأعيان

لهـم حـلال مـا عليهـم حُرِّما ... ولغيرهـم لا هكـذا البرهـان

يتفاخـرون بالمريديـن لهـم ... والبعـض منهم لبعضهـم عدوان

كل يقـول فيمـا يقـول تهكمـاً ... فيمن يقـول علـى المـدا بهتان

ويوسـطون لمـن تعاظم شـأنه ... ليكـن مريـد ولـو هو شـيطان

شـيخ يعـزّ بمثـل هـذا مريـده ... ويهـون مـن لا مريـده سـلطان

فالشـيخ مـع خلفائه مـا ذكرهم ... إلا الدراهـم هـم لهـا أعـوان

فهـي المـراد وكلهـم بمريدهـا ... حسًّـا ومعنًـى من أجلهـا حلّان

يتهافتـون كلهـم لحصولهـا ... مـن أيِّ وجـهٍ هـم بها فرسـان

انظـر إلى الفقـرا فكندوتـي بها ... جـمٌّ غفيـر بفقرهـم قد شـانوا

عكفوا على شرب الحشيش فما يُرى　　واحدهم إلا بها سكران
يمشي ولا يدري يقول واصل　　إلى المراد إذ مشى عريان
إن مات زيد قال نحوهم غدا　　هو فاعلٌ وراقدٌ يقظان
بنفسه هذا اقتضاه نحوه　　نسي الإله فشانه النِّسْيان
أمات زيداً مائة عام ربّه　　أليس مفعولاً فما النكران
دسيسة عبد العزيز دسها　　أفسد بها الذكور والنسوان
لهفي على من قد مضى في فترة　　ممن قلوبهم انزوت إيمان
من قد نَهُوا في لفظهم عن قول لا　　لمن أتى يسألهم إحسان
بل قد نهوا عن قولهم لغيرهم　　لي هات ذا إذ هات ذا نقصان
حيث السؤال عليهم صريحة　　أو بالكناية محرم سيّان
إذ كل مأخوذ بسيف للحيا　　حرام أيضاً مماثل الطغيان
إن الفقير هو الغنيّ بقلبه　　ليس الفقير بمكره شبعان
من قلّد الفقراء في أسمائهم　　يتحلّى ما هم فيه آن آن
إذ وصفهم مِن دون ريبٍ قد أتى　　عن النبيِّ ونزل به قرآن
يحسبهم الناظر إليهم أضنيا　　من التعفُّف سرّهم إعلان
فقراء يرجون رحمة الله ولا　　يرجون سواها فشانهم قل شان
لا يسألون الناس إلحافاً لهم　　إنسانهم لا يسأل إنسان
قومٌ حباهم ربهم بنواله　　ما مات واحد منهم جيعان
ليسوا كمثلي لم أزل لي شاكياً　　بالدهر فيمن لم يزل خوّان
نظري إلى غيري صباحاً ومسا　　ولما لديه جائعٌ عطشان

يا ويل نفســي حيث صرت هكذا | دنيــا وأخرى كسـبها الخســران
ولكوننــي شـيخاً دُعيـت بالملا | وصــار هــذا الاســم لــي عنوان
ختمــت نظمــي بالــذي قدَّمتــه | هــذا الزمــان شـيوخه أعيــان

وبعد مدّة مديدة وأيام عديدة؛ بلغت إليَّ وصاة من رجل معدود بتلك الأماكن من القضاة، وهي أبيات من الشعر الذي يموهون به على العوام، ويقولون لهم: إذا فعلتم هذا كفاكم عن الصلاة والصيام منها بيت مفرد إذا تأمّلته وقررت معناه وحقيقته تجد ناظمه نظمه على الحق وما كذب فيه، بل به صدق فعجّزته وصدّرته وذيّلته وصدرته حسب ما ورد عليّ به من فتح الله، وهو مع التعجيز والتصدير هذا: [شعر]

ذكــر الإلــه الــزم هُدِيــت لذكره | بعــد الأوامــر إن تكــن تخشــاه
أجــل نافلــة أتــى مــن بعدهــا | فيــه القلــوب تطيــب والأفــواه

والتذييل هذا:

فمــن أطــاع اللــه ســرًّا وعلــن | أطــاع طــه والــذي والاهُ
مــا كل ذاكــر مســلماً في شــأنه | مــا كل لفــظ طابــق معنــاه
يــا ســاكناً بــلا تــرا مــاذا ترى | فيمــن ســوى قدّامــه ووراه

وأربعة بيوت غير البيت المتقدم ذكره أيضاً عجَّزتها وصدّرتها وذيّلتها، وإليه مع من أتى بها أرسلتها، وهي: [شعر]

ولســت تنال الذات في غير مظهر | أيا قاضيا تقضي بمــا أنت تجحد
فكن قائمــاً من حيث ما أنت مؤمر | وكــن طالبــاً حقًّا بمظهر ترشــد
لقــد جــاء مولانا بصــورة أحمد | بهــا أنــت رائيــه أم الغير يشــهد
فقــل أنــت أم غيرك حقَّــق ذلك | وإلا فكيف الحــق يُعرف ويُقصد
تجلَّــى إلهــي ذاك شــكل محمَّد | يقــول بــه مَــن بالتلــوّن يعهــد

فإن أنت هو قـل لي عليك بأحمد إذا مـا تجلّـى الحق أيـن محمَّد
إلا الميـم فَرْق بين أحـد وأحمد لـدى كل يقظـان ومَن هـو راقد
ولكـن ميم الجمع للفرق شـاهدٌ وفيهـا التحيّـر ذاك نـور مؤيّـد
فمـا كل نار نـار موسـى نعدّها ومـا كل وادٍ بالمقـدس يشـهد
فهـل لا تـرى بلا قـد يـرى بها بـلاء بـه زيـد يقـوم ويقعـد
فتـح بـاب معروفاً بهـا لانتصابه وقد ضـمَّ ما للرفع في ذاك يسـد
فكسـر بها خفضاً بسـاكن جزمه فمـا مدّ مذ شـدّ وقـد رام يصعد

الحمد لله ثم الحمد لله ثم الحمد لله بعد مدّة وجدت القصيدة التي أوَّل بيت منها: (ذكر الإله) فعجَّزتها وصدّرتها، ولما تقدّم هنا أثبتها. وأقول: أين الثُّريا من الثرى؟ وأين الإمام من الورى. وقد تجرَّأت بما ورد عليّ وعني قد صدر، فرحم الله امرأً صلح ما به من عيب وستر وعذر، وهو هذا: [شعر]

ذِكْـر الإلـه الـزم هُدِيـتَ لذكره بعـد الأوامـر إنْ تكـن تخشـاهُ
أجـلٌّ فلـة أتـى مـن بعدهـا فيـه القلـوب تَطِيـبُ والأفـواهُ
واجعل حلاك تقـاه إنّ أخا الحجا مَـن لا حجاه عـن تقـاه أحجاهُ
فالعاقـل المحبـوب عنـد إلهه يـا صـاح مَـنْ كان حـلاة تقاه
ولتخلـع النَّعْليـن خلـع محقّق أجـاب حيـن الخلـع مَنْ نـاداهُ
بالـوادي المأثـور مُقتديـاً بِمَنْ خـلا عـن الكونيـن في مسـراه
ولتفـن حتـى عـن فنائـك إنّـه نِعْـم المقـام بـه الكـرام فاهوا
ولـذا يـرون إنَّ ذاك بـلا خفـا عيـن البقـاءِ فعنـد ذاك تـراه
وإذا بدا لك فاعلم أنك لسـت هو ولا هـو أنـت علـت إلاّه
لكـن بـه أنـت أقـول لا بـك كلّا ولا أيضـًا تكـون سـواه

شـيئان ما اتَّحــدا ولكــن هاهنا | أمـرٌ عظيــمٌ مــن ادَّعــى مــرآه
زلَّــت بــه قــدمٌ هنــاك لأنــه | ســرٌّ يضيــق نطاقنــا عمــا هُــو
يــا ســامعاً ما قــد أشــرت له ألا | عيــن بعيــنٍ قــد صفــت عينــاهُ
يُنْبيــك عــن هــذا وذاك مَــنْ له | قلــبٌ يفكــر مــا وعــت أُذُنــاهُ
أزل الحجاب حجاب قلبك ينكشف | عنــك بجــاه مَــنْ سَــمَا مَرْقــاهُ
ما يُحجــب القلب ويبــدي عنده | لكن ســرٌّ ما قد غاب عنك ســناهُ
إنّ الإلــه أجــلّ مــا متعــرف | ينكــره مَــنْ كان قــد أعْمــاهُ
لكــن أقــول ما حــكاه صــادقٌ | مَــن لم يــراه قــد اســتبان حِماهُ
أنــى يغيب وليــس يوجــد غيره | وجــوده إضمــاره أبْــداهُ
حاشــا وكلَّا أن يغيــب على المدا | لكــن شــديدُ ظهــوره أخْفــاه

واعلم أني ما ذكرت ما ذكرت إلاّ لكون الغلب للكثرة، والحكاية تُحكى بين الناس للشهرة؛ كما قيل: افعل المنكر حتى تُذكر، وخالف الناس ولو بالكذب حتى تُشهر، وإلا فالزمان ما يخلو من نوّابه والقائمين به من أربابه؛ كما ورد في الحديث الشريف، وهو قوله ﷺ: «إنّ لله في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم، وأربعين قلوبهم على قلب إبراهيم، وسبعة قلوبهم على قلب موسى، وخمسة قلوبهم على قلب جبريل، وثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل، وواحد قلبه على قلب إسرافيل. فإذا مات واحد بدل الله مكانه من الثلاثة، وإذا مات واحد من الثلاثة بدل الله مكانه من الخمسة، وإذا مات واحد من خمسة بدل الله مكانه من السبعة، وإذا مات واحد من السبعة بدل الله مكانه من الأربعين، وإذا مات واحد من الأربعين بدل الله مكانه من الثلاثمائة، وإذا مات واحد من الثلاثمائة بدل الله مكانه واحداً من صالح المؤمنين»[1]. ولهذا

---

(1) **الأبدال** لفظ مشترك يطلق تارة على الجماعة الذين بدلوا الصفات الذميمة بصفات حميمة، وتارة يطلقونه على عدد معين يبلغ أربعين عند البعض ويشتركون في صفة خاصة، وسبعة عند البعض الآخر، ومن الأبدال اثنان يعرفان بالإمامين وهما وزيران للقطب الذي هو في مرتبة أخرى. والأبدال السبعة يسمون كذلك، لأنهم حين يغيب واحد منهم يخلفه في مكانه الذي يليه في المرتبة. ويذهب البعض إلى أن سبب تسميتهم

الحديث شرح عظيم لأبي الحسن علي بن محمد الديلمي، جعله كتاباً مستقلاً سمّاه «أسرار المعارف في مقامات الأنبياء ومراتب الأولياء»، فقد أجاد به كل الإجادة، وأفاد فيه بكلِّ الإفادة، فمن طلب تلك الإفادة فليطلبها منه، فعليك به أيها الطالب فإنه جَمَع فيه كل المطالب، فقد رتَّبه على ستة فصول يذكر فيها قصة بني رسول، وفصل سابع مخصوص للسائل من المسؤول، ويتلوها عشرون باباً كل باب يقول فيه باب المعارضة الأول والثاني إلى العشرين، والأصل في ذلك جواب لسؤال وَرَدَ عليه من بعض الرجال شكر الله سعيه في ذلك، حيث حقق ودقَّق لما هنالك، فإذا علمت ذلك وعرفت ما هنالك فالفقراء كما قال الشيخ شعيب أبو مدين: [شعر]

ما لـــذَّة العيش إلا صحبـــة الفقرا ... هم السلاطين والســـادات والأُمَرا

فاصحبهم وتأدَّب في مجالســـهم ... وخَلِّ نفســـك مهما قدَّمـــوك ورا

فعلى هذا الفقراء سادات الصوفية، والصوفية سادات الفقهاء، والفقهاء سادات مَنْ سواهم مِنَ المسلمين، فالطريقة هي سرّ الشريعة، والشريعة بها تنال الحقيقة، والحقيقة بها يحصل ما وراءها من المعرفة التي هي علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين لكافة خواص الخواص من المؤمنين والمسلمين، فكل فقير غير متحري، فهو على الله متجري، وكل صوفي لا يطلب من المسائل الأشق، فهو في شأنه ما صدق، وكل فقيه يدور وراء مسائل الرخص، فهو مع مَن على عقبيه نكص. نعم الفقيه الذي هو على الشيطان أعظم من ألف عابد جاهل، والصوفي الذي يحتاط في المسائل بأصعب الدلائل يأتي بها ويأمن بها كل من تبعه، أيُّ إمام قالها من الأئمة الأربعة، والفقير الذي يبعد عن كل ما يسمّى حرام حيث هو؛ كما قيل: يد الله فهي تُجَل عن أخذ الحرام للاحترام، كما قال بعضهم في وصفه: ينبغي أن يكون الفقير جودي الفكر جوهري الذكر، جميل المنازعة قريب المراجعة، أوسع الناس صدراً وأذلّ الناس نفساً، ضحكه تبسّماً واستفهامه تعلُّماً، مذكّراً للغافل، معلّماً للجاهل، لا يؤذي من

بالأبدال هو أن الحق ﷻ قد أعطاهم قوة يذهبون بها إلى المكان الذي يقصدونه. وإذا أرادوا الأمر ما أن تحل صورتهم في مكان فلا يلبث أن يتهيأ في صورتهم شخص آخر يحل بدلاً منهم في ذلك المكان. ومثل هذا الشخص ليس من الأبدال، وكثير من الأولياء على هذا النحو. انظر: **التهانوي** 1/ 210.

يؤذيه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، كثير العطا، قليل الأذى، ورعاً عن المحرمات، متوقفاً عن الشبهات، غوثٌ للغريب، أبٌ لليتيم، بِشْره في وجهه، حُزْنه في قلبه، مشغولٌ بربِّه، غارقٌ في فكره، مسرورٌ بفقره، لا يكشف سرًّا، ولا يهتك ستراً، لطيف الحركة، حلو المشاهدة، كثير الفائدة، طيّب المذاق، حسن الأخلاق، ليّن الجانب، طويل الصّمت إذا جهل عليه، صبور على من أساء إليه، يُجِلّ الكبير، ويرحم الصغير، أمينٌ على الأمانة، بعيدٌ عن الخيانة، أَلِفُه التقى خلقه الحيا، كثير الحذر، قليل التذلّل، حركاته أدب، وكلامه عجب، لا يَشْمت بمصيبة، ولا يذكر بغيبة، ولا يمشي بنميمة، أحواله كلها سليمة.

قال الجنيد الثاني أبو يزيد المعاني أحمد بن علوان اليماني(1) رضي الله عنه: الصدق مطية حاملة، والتقوى زاد مبلغ، والقناعة رأس الزهد، والحرص رأس الرغبة، والصبر مال الفقير، وحسن الخلق لباسه، واتّباع السُّنّة طريقه، وطلب المعرفة تجارته، واليأس مما في أيدي الناس غناؤه، وإذا سأل خفَّف، وإذا منع لم يأسف، يصدق إذا قال، ويخلص إذا فعل، وللفقر عزٌّ وهوان، وكفرٌ وإيمان، وذلٌّ وسلطان. فأما عزّه، فالورع. وأما هوانه، فالطَّمع. وأما كفره، فطلب الدنيا بالدين. وأما إيمانه، فالثقة بربِّ العالمين. وأما ذلُّه، فسؤال الأندال. وأما سلطانه، فكتمان البؤس والإقلال. ومن لم يكن في فقره أديباً وفي أدبه متواضعاً وفي تواضعه عزيزاً، فهو ساساني الفقر، نفساني الهمّة، جسماني الخرقة، صبياني الشهوة؛ أولئك ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، [الكهف: 104].

واعلم ـ أيُّها الأخ ـ أن الفقر صفة، وأن الصفة معرفة، وأن المعرفة أدب، ومن لا أدب له لا معرفة له، ومن لا معرفة له لا صفة له، ومن لا صفة له لا فقر له، فالصفة

(1) العارف بالله سيدي أحمد بن علوان أبو العباس صفي الدين رضي الله عنه. ولد رضي الله عنه في قرية يفرس (كيفرك) من ضواحي مدينة تعز. قرأ شيئاً من النحو اللغة ونظم الشعر وعمل كاتباً في بعض الدواوين السلطانية كما كان أبوه قبله. وله ديوان شعر قال صاحب الطبقات موجود في أيدي الناس وعندى منه نسخة غالبه في التصوف وأورد نماذج منه: من كلام صفي الدين بن علوان. وقد ألف رضي الله عنه كتباً ورسائل منها: الفتوح المصوفة والأسرار المخزونة في التصوف، منه نسخة في مكتبة الكاف بجامع تريم والبحر المشكل الغريب رسالة في التصوف. توفي رضي الله عنه سنة 665 هجرية = 1267م.

هي القيام بالأخلاق المحمّدية ظاهراً، والمعرفة هي القيام بالآداب المحمدية باطناً، والآداب أن لا تبدع شيئاً بأقوالك وأفعالك وأحوالك يخرج عن الاقتداء، فإن الله ﷻ يقول مخاطباً للخاصَّة من العارفين، والعامّة من الصالحين، والكافّة من الناس أجمعين: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، [آل عمران: 31].

واعلموا أن من أخلاقه[1] الظاهرة الشرعية اتّباع الأمر واجتناب النهي؛ قليله وكثيره وصغيره وكبيره، وإنَّ مِنْ آدابه الباطنة الحقيقية الزهد، والورع، والسخاء، والإيثار، والتواضع، والشفقة، والرحمة، والحبّ في الله، والبغض في الله، وموالاة الأولياء، ومعاداة الأعداء والصدق في كل ما خَفِـيَ وبدا، هذا هو الباب الذي مَنْ دخل منه أمكنه الوصول إلى ما قال الله ﷻ على لسان الرسول: «لن يتقرَّب إليَّ عبدي بمثل إذا ما افترضت عليه[2] ـ يعني: من فعل الأمر وترك النهي ـ ولا يزال عبدي يتقرَّب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله الذي يمشي بها»، وهذه صورة الشجرة الطيبة التي ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ باتِّباع الأمر واجتناب النهي فرضاً، ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ باتباع السُّنن المحمّدية نفلاً، ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ﴾، [إبراهيم: 25] كلما طلعت طالعة من صفاتها نزلت عليك نازلة من بركاتها، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، [إبراهيم: 25].

فإذا كنت ـ أيها الأخ ـ في جميع أوقاتك متحلِّياً بهذه الحلية، متّصفاً بهذه الصفة، متعرّفاً بهذه المعرفة؛ لم تشعر حتى يصيح لك طير السعادة، ويطرق سماع قلبك

---

(1) أي الفقير أو الصوفي.

(2) قطعة من حديث قدسي رواه البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، **وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشيء أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ** وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شيء أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَه». انظر: **صحيح البخاري**: الجزء الرابع 84 ـ كتاب الرقاق 38 ـ باب: التواضع ـ الحديث رقم: 6137 .

طارق الإفادة، وتنتقل عن درجة العادة إلى درجة الإعادة، ومن درجة الاستفادة إلى درجة الإفادة، ولا تصغ إلى كلام أهل التحريف والتخريف، فإنهم غلطوا في الطريق وادّعوا قطع المسافة بغير رفيق، والغريق في البحر لا يُنجي الغريق، وعليك بصحبة العارفين ومُنادمة الواقفين، تشرب من رحيقهم وتسلك في طريقهم، وطوبى لرفيقهم والمنتسب إلى رفيقهم؛ إنِ انقطع وصلوه، وإن عجز حملوه، وإن أقبل قبلوه، وإن أعرض عذروه؛ لا يشقى بهم جليسهم، ولا يستوحش منهم أنيسهم ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾، [الرعد: 29].

وقال ﷺ: اسلكوا أيها الإخوان على بركة الله وتوفيقه سبيل الأخيار، الماشين بقدم المختار إلى حظائر قدس الجبار. وتفسير ذلك القدم أربعة أشياء: المحافظة على ما أمر الله به من الفرائض بفقه ومعرفة، والمحافظة على ما سَنَّ رسول الله ﷺ باجتهادٍ وعزيمة، ثم الإخلاص فيما تحافظون عليه، ثم الافتقار فيما تخلصون فيه. وعليكم بالورع عن ثلاثة أشياء، والزهد في ثلاثة أشياء، والرغبة في ثلاثة أشياء؛ الورع عن الحرام والشبهة، ثم الورع عن الغضب والحدّة، ثم الورع عن الطمع والشهوة. والزهد فيما أُوتيتم بالإيثار والمواساة، ثم الزهد فيما فضَّل الله به بعضكم على بعض من الغنى والزيادات، ثم الزهد في حظوظ أنفسكم من الكبر والرياسات. والرغبة في مجالسة الحكماء، ثم الرغبة في مجالسة الكرماء، ثم الرغبة في مجالسة أهل السماء. ولا تحلصون على ذلك إلا بمجانبة الأضداد، والهرب عن مخالطة أهل الفساد الجَهَلة بربِّ العباد، الغَفَلة عن يوم المعاد. واقتبسوا العلم من العالمين به، لا من المحافظين له؛ لأن النفس لصورة الحال أعشق منها لصورة المقال.

واعلموا أن الفقر ليس بحلق اللِّحى، ولا بالإقراع والحفا، ولا بسوء الخلق والجفا، ولا بأكل الحشيشة المخدّرة المطيشة، ولا بضرب الدفوف والمزامير، ولا برقص متواجد مستعير، ولا بالأحكام المخالفة لأحكام الملك الكبير المنافية لسُنَّة نبيِّه الجليل الخطير الذي ليس له نظير ﷺ، إنما الفقر العلم بالطريق، والعمل بالمتابعة على التحقيق، والإيمان والتصديق، مع ما يمد الله به من العصمة والتوفيق.

واعلموا أن للفقراء إخواناً من الأغنياء أوجب الله ﷻ لهم المحبة بما ثبت

بينهم في سبيله من المباذلة والصحبة، بقوله ﷻ: «وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ، والمتجالسين فيّ»[1]، وهم الذين بسطوا للفقراء أكفافهم وجعلوهم شركاء فيما رزقهم الله وأضافهم؛ أُولئك الذين يتحمّل الفقراء ما ثَقُل من سيئاتهم ويزكون ما خمل من حسناتهم، ويعمرون ما خَرُب من أوقاتهم، فطوبى للأغنياء إذا كانت هذه صفتهم مع الفقراء، وطوبى للفقراء إذا كانت هذه صفتهم مع الأغنياء؛ هؤلاء نصروهم وهؤلاء أشركوهم في أموالهم ما أشبههم بأهل الصفة والأنصار؛ هؤلاء آثروهم في أموالهم وهؤلاء نصروهم بدعائهم وأشركوهم في أحوالهم، رضي الله عنهم وجعلنا وإياهم منهم، آمين.

واعلموا أن قصر التصوف بُني من جوهرين؛ أحدهما: كمال التقوى، والآخر: حسن السخاء، فكمال التقوى أساسه، وحسن السخاء رأسه.

[أركان التصوف]:

واستقرَّ الفقر الخاص فقر أهل المعرفة والإخلاص على عشرة أركان:

الركن الأول: عِلْم ما لا بدّ للسالك من العمل به من أصول الشريعة.

الركن الثاني: علم ما لا كمال للسالك إلا به من أدب الحقيقة.

الركن الثالث: معرفة النفس؛ لأن بمعرفتها ينحلها عملها، فلا تنتحل من المناصب ما ليس لها.

---

(1) أخرج الإمام مالك بسنده عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلانِيِّ ؓ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ؟ فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ؓ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاتَهُ ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ لِلَّهِ. فَقَالَ ؓ: آللَّهِ فَقُلْتُ: آللَّهِ. فَقَالَ: آللَّهِ. فَقُلْتُ: آللَّهِ. فَقَالَ: آللَّهِ. فَقُلْتُ: آللَّهِ . قَالَ: فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**». **موطأ الإمام مالك** 6/ 24 ـ الحديث رقم: 1503. **ومسند الإمام أحمد**: المجلد الخامس. مسند الأنصار ؓ . حديث معاذ بن جبل ؓ. **والمعجم الكبير للطبراني**: باب الميم . معاذ بن جبل الأنصاري. أبو إدريس الخولاني عائذ الله بن عبد الله عن معاذ بن جبل ؓ.

الركن الرابع: الورع عن الحرام وعن محافظة الآثام.

الركن الخامس: القناعة بالمقسوم من الملبوس والمطعوم[1].

الركن السادس: الصبر واليأس مما في أيدي الناس[2].

(1) وذلك بالحرص على طلب الرزق من الحلال، وإن لم نجد فعلينا بالتعفف والقناعة، والأكل من الكسب الحلال بطريقة الشرع الشامل لمد اليدين بالدعاء إلى حضرة الله تعالى، إذا عجزنا عن عمل الحرفة المعتادة، ولا نأكل بديننا، ولا يعمل بهذا على وجهه إلا من سلك الطريق على يد شيخ، وإلا فلا يشم من العمل به رائحة، فإن العبد ما لم يصل إلى معرفة الله تعالى لا يصح له في القناعة والتعفف قدم، وذلك أنه إذا عرف الله تعالى فمن لازمه الرضا به من الكونين ولا يطلب قط فيهما نعيما غير مجالسة الحق ﷻ، ولا يبالي بما فاته منهما إذا كان الحق تعالى له عوضاً من كل شيء، وأما من لم يصل إلى معرفة الله تعالى، فمن لازمه شراهة النفس لأن الدنيا مشهودة فلذلك كان هذا العهد يخل به كثير من الناس في هذا الزمان حتى لا يكاد الإنسان يرى متعففاً ولا قانعاً ولا متورعاً في اللقمة أبداً بل غالب الفقراء يقولون وخلق لكم وغيرهم، يقول هات لنا ولا تفتش، وبعضهم يقول الحرام علينا هو ما لم تصل يدنا إليه، وهذا كلام لا يجوز لمؤمن أن يتلفظ به لئلا يسمعه بعض العوام فيتبعه على ذلك. ومن هنا قال العارفون: يجب على من لم يكن لديه ورع أن يتفعل في التورع، فإن لم يكن له نية صالحة في الورع فربما صلحت نية من يتبعه في الورع، وقالوا أيضا: يجب على العالم إذا لم يعمل بعلمه أن يعمله لمن يعمل به. وقالوا إذا رأيت عالما لا يعمل بعلمه فاعمل أنت به يحصل لك وله الخير. «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».ورد عن إبراهيم أنه فقد الحلال فسف من التراب مدة أربعين يوما حتى وجد الحلال اللائق بحاله ومقامه. وكان أحد العارفين يقول: ينبغي لكل مؤمن في هذا الزمان إذا حضر عنده طعام أو شراب أن لا يأكل منه حتى يقول بتوجه تام: اللهم إن كان في هذا الطعام شبهة حرام فاحمني منه، وإن لم تحمني منه فلا تجعله يقيم في بطني، وإن جعلته يقيم في بطني فاحفظني من المعاصي الناشئة من أكله، فإن لم تحفظني منها فمن علي بالتوبة النصوح، فإن لم تمن علي بالتوبة فالطف بي، ولا تؤاخذني يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين. وكان يقول لا ينبغي لفقير في هذا الزمان إذا وجد الحلال الصرف أن يشبع منه، بل يأكل بقدر سد الرمق فقط خوفا أن يقع في الحرام. وليست القناعة أن تأكل كل ما وجدته ولو كسرة يابسة كل يوم، وإنما القناعة أن تطوي الثلاثة أيام فأكثر مع وجود الأكل عندك. ولعل مراده رضي الله عنه الطي الذي لا يضر الجسم فإن جوع المحققين إنما هو اضطرار لا اختيار، وذلك لأن الكامل يجب عليه إعطاء كل ذي حق حقه من جسمه أو غيره، ولا يظلم شيئا من رعيته سواء الجوارح وغيرها. وبالجملة فلا بد لمن يريد العمل بهذا العهد من شيخ يسلك به حتى يخرجه من حضرات الاتهام ويدخله حضرات اليقين، فيعرف إذ ذاك أن ما قسمه الله تعالى لعبد لا يمكن أن يفوته وما لم يقسمه له لا يتبعه نفسه. والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم، وهو الموفق للطريق الأقوم.

(2) وهذا هو التوكل على الواحد الأحد . فقد قيل: التوكل: هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس . وقال سيدي ابن عجيبة ﷺ: التوكل: ثقة القلب بالله حتى لا يعتمد على شيء سواه، أو التعلق بالله والتعويل عليه في كل شيء، علماً بأنه عالمٌ بكل شيء، وأن تكون ما في يد الله أوثق منك بما في يدك. وقال بعضهم: هو اكتفاؤك بعلم الله فيك عن تعلق القلب بسواه ورجوعك في كل الأمور إلى الله. وقال أبو سعيد الخراز ﷺ: التوكل: هو التصديق لله ﷻ، والاعتماد عليه، والسكون إليه والطمأنينة إليه في كل ما ضمن، وإخراج الهم من القلب بأمور الدنيا والرزق وكل أمر تكفل الله به. فالتوكل على الله تعالى تفويض الأمر إليه،

الركن السابع: الصبر على الأذى الصادر من جميع الورى.

الركن الثامن: العدل في ملازمة الإخوان والإراحة عليهم إذا وجبت بحسب الإمكان.

الركن التاسع: النية في السياحة[1] لطلب الفائدة، لا لطلب الراحة.

والاعتماد في جميع الأحوال عليه، والتبرؤ من الحول والقوة له، وهو مرتبة قلبية، كما يلاحظ من التعاريف السابقة وغيرها، ولهذا لا تعارض بين التوكل على الله تعالى وبين العمل واتخاذ الأسباب، إذ التوكل محله القلب، والأسباب محلها البدن، وكيف يترك المؤمن العمل بعد أن أمر الله تعالى به في كثير من الآيات الكريمة، ودعا إليه الرسول ﷺ في أحاديث جمة. فقد جاء رجل الى رسول الله ﷺ على ناقة له فقال: يا رسول الله أأرسل ناقتي وأتوكل؟ فقال ﷺ: «اعقلها وتوكل». ولهذا اعتبر العلماء ترك الأسباب والتقاعس عن السعي تواكلاً وتكاسلاً لا يتفق مع روح الإسلام، كما أكد ساداتنا الصوفية رضي الله عنهم هذه الناحية تصحيحاً للأفكار، ورداً للشبهات، وبياناً للناس أن التصوف هو الفهم الحقيقي للاسلام. قال الإمام القشيري رضي الله عنه: التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب، بعد ما تحقق العبد ان التقدير من قبل الله تعالى، وإن تعسَّر شيء فبتقديره، وإن اتفق شيء فبتيسيره. يقول الامام الغزالي رحمه الله: قد يظن الجاهل ان شرط التوكل ترك الكسب وترك التداوي والاستسلام للمهلكات. وذلك خطأ لأن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد اثنى على التوكل، وندب إليه فكيف ينال ذلك بمحظوره. وقد نبه السادة الصوفية رضي الله عنهم السالكين إلى ناحية قلبية دقيقة، وهي أنه يجب في كل عمل من الأعمال أن يتخذوا أسبابه، مع عدم الاعتماد على تلك الأسباب أو الالتفات إليهم بقلوبهم. قال القاضي عياض رضي الله عنه: ذهب المحققون من الصوفية إلى ضرورة السعي فيما لا بد منه، ولكن لا يصح عندهم التوكل مع الالتفات والطمأنينة إلى الأسباب، بل فعل الأسباب سنة الله وحكمته، والثقة بأنها لا تجلب نفعاً، ولا تدفع ضراً، والكل من الله. وقد ربط الله تعالى التوكل بالإيمان فقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوْا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾. وقال : ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمِنُونْ﴾. والتوكل على الله تعالى يبعث في القلوب السكينة والطمأنينة، وخصوصا عند الشائد والمحن. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها سيدنا محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ . فالمتوكل على الله حقيقة راض بقضائه، مستسلم لفعله، مطمئن لحكمه، قال بشر الحافي رضي الله عنه: يقول أحدكم: توكلت على الله، وهو يكذب على الله تعالى، ولو توكل على الله تعالى لرضي بما يفعله الله تعالى به. وقال رسول الله ﷺ: «لو توكَّلتم على الله حقَّ توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً» أي تذهب صباحاً وهي جائعة باحثة عن رزقها معتمدة على ربها واثقة به و تعود مساءاً شباعاً. والتوكل مراتب: الأولى: وهي أدناها، أن تكون مع الله تعالى كالموكل مع الوكيل الشفيق الملاطف .الثانية: وهي أوسطها، أن تكون مع الله تعالى كالطفل مع أمه لا يرجع في جميع أموره إلا إليها. الثالثة: وهي أعلاها أن تكون مع الله تعالى كالمريض بين يدي الطبيب. والفرق بين هذه المقامات أن الاول قد يخطر بباله تهمة. أما الثاني فلا إتهام ولكن يتعلق بأمه عند الحاجة. أما الثالث فلا اتهام ولا تعلق لأنه فانٍ عن نفسه ينظر كل ساعة ما يفعل به.

(1) وليس المقصود من السياحة ما تعورف عليه اليوم من تضييع الوقت وتزجيته في التفرج على شواطيء البحار وفيها المعاصي من كل جنس ولون، ولا التفرج في بلاد الكفر والمعاصي على الملاهي ونوادي العراة، ومنتديات القمار ليزداد السائح إثماً على إثمه، ويعود بذنوب لو وزعت على أهل الأرض لوسعتهم!

الركن العاشر: التواضع لله(1)، لا لثناء ولا لعلّة.

[واجبات التصوف]:

وواجبات **خمس**، وبها يكمل الإيمان:

الأولى: الفتوة(2) والائتمار في الإعلان والإسرار.

الثانية: محاسن الأخلاق مع الخلق والخلاق(3).

ـ إلا أن يتغمده الله برحمته ويتداركه بلطفه ـ، وإنما السياحة الحقيقية والسياح المقصودون هم المنقطعون بالجبال والشعاب والسواحل وبطون الأودية، ويسمون السياح، ومنهم من يلازم بيته وصلاة الجماعات، ويشتغل بنفسه، ومنهم صاحب سبب ومنهم تارك السبب، وهم صلحاء الظاهر والباطن، وقد عصموا من الغل والحسد والحرص، والطمع والشره المذموم، وصرفوا كل هذه الأوصاف إلى الجهات المحمودة، ولا رائحة عندهم من المعارف الإلهية والأسرار ومطالعة الملكوت والفهم عن الله تعالى في آياته حين تتلى غير أن الثواب لهم مشهود، والقيامة وأهوالها، والجنة والنار لهم مشهودتان، دموعهم في محاريبهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، وتضرُّعاً وخفية: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾، ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾، شغلهم هول المعاد عن الرقاد، وضمروا بطونهم بالصيام للسباق في حلبة النجاة، إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما، ليسوا من أهل الإثم والباطل في شيء، عمَّالٌ وأي عمَّال؟! عاملوا الحق بالتعظيم والإجلال. هؤلاء هم السياح وهذه هي السياحة!!!.

(1) ولا يبلغ العبد حقيقة التواضع وهو التذلل، والتخشع، إلا إذا أدام تجلي نور الشهود في قلبه، لأنه حينئذ يذيب النفس ويصفيها عن غش الكبر، والعجب، فتلين وتطمئن للحق، والحق يمحو آثارها، ويسكن وهجها، ونسيان حقها والذهول عن النظر إلى قدرها. ولما كان الحظ الأوفر من ذلك لنبينا سيدنا وسيد الكائنات محمد ﷺ كان أشد الناس تواضعاً وحسبك شاهداً على ذلك أن الله ﷻ خيره بين أن يكون ملكاً نبياً أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً، ومن ثم لم يأكل متكئاً بعد، وقال: «آكل كما يأكل العبد حتى فارق الدنيا». ولم يقل لشيء فعله أنس ﷺ خادمه أف قط، وما ضرب ﷺ أحداً من عبيده وإمائه وهذا أمر لا يتسع له الطبع البشري لولا التأييد الإلهي.

(2) سئل الإمام الجنيد ﷺ عن الفتوة فقال: أن لا تنافر فقيراً، ولا تراض غنياً، وقال النصراباذي: المروءة شعبة من الفتوة وهو الإعراض عن الكونين. وقيل لبعضهم: ما الفتوة؟. فقال: أن لا يميز بين أن يأكل عنده ولي أو كافر. قال الجنيد ﷺ: الفتوة كف الأذى،وبذل الندى، وقال سهل بن عبد الله التستري ﷺ: الفتوة اتباع السنة. وقيل: الفتوة فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها.وقيل: الفتوة أن لا تهرب إذا أقبل السائل. وقيل: أن لا تحتجب من القاصدين. وقيل: الفتوة أن لا تشهد لك فضلاً، ولا لك حقاً. وأولاها ترك الخصومة، والتغافل عن الزلة والأذية. ثم تقريب من يقصي، وإكرام من يؤذي من غير كظم ولا مصابرة. ثم أن لا يوقف في الشهود على الرسوم.

(3) **حسن الخلق**: ـ كما قال سيدنا الحسن البصري ﷺ وعنا به ـ: بسط الوجه وبذل الندى، وكف الأذى. وقال الواسطي ﷺ: هو أن لا يخاصِم ولا يخاصَم من شدة معرفته بالله تعالى. وقال شاه الكرماني: هو كف الأذى

الثالثة: الرضا بالقدر في المنع والعطا[1].

واحتمال المؤن. وقال بعضهم: هو أن يكون من الناس قريبا، وفيما بينهم غريبا. وقال الواسطي ﷺ مرة: هو إرضاء الخلق في السراء والضراء. وقال أبو عثمان ﷺ: هو الرضا عن الله تعالى، وسئل سهل التستري ﷺ عن حسن الخلق فقال: أدناه الاحتمال، وترك المكافأة، والرحمة للظالم، والاستغفار له، والشفقة عليه. وقال مرة: أن لا يتَّهم الحق في الرزق، ويثق به، ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبين الناس. وقال سيدنا علي ﷺ: **حسن الخلق في ثلاث خصال**: اجتناب المحارم وطلب الحلال، والتوسعة على العيال.وقال الحسين بن منصور ﷺ: هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق، بعد مطالعتك للحق. وقال أبو سعيد الخراز ﷺ: هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى. فهذا وأمثاله كثير، وهو تعرضٌ لثمرات حسن الخلق، لا لنفسه، ثم ليس هو محيطاً بجميع الثمرات أيضاً. انظر: **إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي** 1/ 63، وروضة التعريف بالحب الشريف 447.

(1) قال السيد الشريف ﷺ: الرِّضا سرور القلب بمُرِّ القضاء. وقال ابن عجيبة ﷺ: الرِّضا تلقي المهالك بوجه ضاحك، أو سرور يجده القلب عند حلول القضاء، أو ترك الاختيار على الله فيما دبر أو مضى، أو شرح الصدر ورفع الإنكار لما يرد من الواحد القهار. وقال العلامة البركوي رحمه الله تعالى: الرِّضا طيب النفس بما يصيبه وفوته مع عدم التغير. وقال ابن عطاء الله السكندري ﷺ: الرِّضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد، وهو ترك التسخُّط. وقال المحاسبي ﷺ: الرِّضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام. فالرضا مقام قلبي، إذا تحقق به المؤمن استطاع أن يتلقى نوائب الدهر وأنواع الكوارث بإيمان راسخ، ونفس مطمئنة، وقلب ساكن، بل قد يترقى إلى أرفع من ذلك فيشعر بالسرور والفرحة بمرِّ القضاء، لأنه أحب الله وتحقق من معرفته ﷻ. كان بلال ﷺ يعاني سكرات الموت وهو يقول: وافرحتاه غداً نلقى الأحبة، محمداً وصحبه. ولقد كان من هديه ﷺ أن يعلم أصحابه ويغرس في قلوب أمته الرضا بالله تعالى فكان ﷺ يقول: «من قال إذا أصبح وأمسى: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، كان حقاً على الله أن يرضيه». وما أكثر من يكرر هذا القول بلسانه وهو غير مطمئن القلب به، ولا متذوق لمعانيه السامية، ولا متحقق بمقاصده العالية، خصوصاً حين تزدحم عليه المصائب، وتداهمه الخطوب، وتتكاثف على قلبه ظلمات الهموم والأكدار، أو عندما يُدعى إلى حكم من أحكام الشرع يخالف هواه ويعارض مصالحه الخاصة. فالرضا بالله أن يرضى بكل أفعاله في شؤون خلقه، والرضا بالإسلام ديناً أن يتمسك بأوامره ويبتعد عن نواهيه، ويستسلم لأحكامه، والرضا بسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً أن يتخذ شخصيته مثلاً أعلى وأسوة حسنة، فيتبع هديه، ويقتفي أثره، ويتحلى بسنته، ويجاهد هواه حتى يكون تبعاً لما جاء به. أما من حُرم لذة الإيمان ونعيم الرضا، فهو في قلق واضطراب، وتضجُّر وعذاب وخصوصاً حين يحل به بلاء، فتسودُّ الحياة في عينيه، فكم نسمع عن حوادث الانتحار تزداد نسبتها، ويتفاقم خطرها. وإن سيرة الرسول الأعظم ﷺ وخلفائه وصحابته الكرام ﷺ والتابعين والصالحين فيض من الحوادث التي تدل على تحققهم بأعلى درجات الرضا، فعندما ضُربَ رسول الله ﷺ يوم الطائف بالحجارة حتى أُدمي عقِبُه فتوجه إلى الله تعالى مخاطباً: «إن لم تكن ساخطاً عليَّ فلا أُبالي». وكان الصحابة الكرام ﷺ يُعذَّبون في مكة ويقلب عليهم ألوان التنكيل والإيذاء وهم يتلقون ذلك كله بقلوب راضية، ووجوه مبتسمة، وألسنة ذاكرة. واعلم أن الله ﷻ لا يرضى عن عبده إلا إذا رضي العبد عن ربه في جميع أحكامه وأفعاله، وعندها يكون الرِّضا متبادلاً كما أشار إلى ذلك الحق تعالى بقوله: [رضي الله عنهم ورضوا عنه]. ولقد أدرك السادة الصوفية ﷺ سر هذا التلازم والترابط بين الرضاءين، فقد كان سفيان الثوري ﷺ يوماً عند السيدة رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها فقال: اللَّهُمَّ ارضَ عني، فقالت: أما تستحي من الله أن تسأله الرضا، وأنت عنه غير راضٍ؟ فقال: استغفر الله. فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة، بل هو غاية

الرابعة: مؤاخاة النصحاء ومجالسة العلماء[1].

الخامسة: مراقبة الربّ وملاحظته بعين القلب[2].

مطلب سكان الجنة، كما أخبر رسول الله ﷺ بقوله: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، يقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم، فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك!. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

(1) قال سيدي العارف بالله تعالى سيدي محمد البوزيدي ؓ في بعض رسائله: ولا تظنَّ أنَّ كلَّ من دخل عند العارفين دخل بالنية والصدق، فإن النية أمر عظيم، فما بالك بالصدق؟، بل الداخلون على ثلاثة أقسام؛ منهم: من دخل بالنية والصدق. ومنهم: من دخل بالنية دون الصدق. ومنهم: من دخل بغير نية ولا صدق. فصاحب النية والصدق: فتحُهُ بمجرد وصوله. وصاحب النية: فتحه بعد وصوله. والذي لا نية له ولا صدق: يطول فتحه، لأنه قد يحتاج إلى معالجة كبيرة. وقد يمكث المريد مع الشيخ الثلاثين والأربعين سنة، ولا يكمل صدقه، إذ الصدق أمر عظيم، ومن كمل صدقه كملت ولايته، ومن علامة كمال الصدق أن لا يشير إليه أستاذه بشيء إلا فعله، ولو مزاحاً، ولا يفعل شيئاً بغير إذنه، حتى لو تيسر له أن يشاوره في كل ما يتقوت به لما أكل شيئاً إلا بإذنه. وهذا حال كبير، فاعمل يا أخي على قدر استطاعتك. قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾، وهذا رحمة بالضعفاء. وأما قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ فهي للأنبياء، والكُمَّلِ من الأولياء. فالزم يا أخي النية والظن الحسن إن أردت أن تقدم على شيخ عارف يوصلك إلى الحضرة، وإن قدمت عليه بغير نية وصدق شققت عليه غاية، فيشق عليك هو أيضاً كذلك، ومن شق عليه الشيخ فقلَّ أن يفلح، لأن الشيخ لا يشق على أحد إلا إن أراد اختباره، وفضيحته، إما لربح ظاهر، أو لخسران ظاهر. ولا يفعل ذلك إلا مع من طالت محبته، ولم تظهر عليه ثمرة. وقد يشق على بعض المريدين في أول قدمة لشدة تحققه بصدقه، ولكن هذا نادر، والنادر لا حكم له، فتأمل ، ومن هنا قالوا: **إن للصحبة ثلاث فوائد: الفائدة الأولى**: أن صحبة أهل الخير تمنع المريد عن الانقلاب والعود إلى البطالة، وتبعد النفس عن التشوق إلى المعاصي، فإن البعد عن المعاصي يثقل فعلها على النفس، والقرب من الطاعات يهون أمرها على النفس، فبركة الصحبة وقوة الروحانية القدسية، يسهل أمرها عليه. **الفائدة الثانية**: أن علم القلوب لا يصطاد إلا بالصحبة، فإن من تحقَّق حاله لم يخل حاضروه منها، والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يعلم، و «المرء على دين خليله» ـ كما في الحديث الشريف عنه ﷺ، والمؤمن مرآة أخيه، وما كان من المرئيات انطبع في المرآة المقابلة لها، ولذا كان معوَّل ساداتنا الشاذلية، والنقشبندية ؓ ونفعنا بهم وبالصالحين في الدارين آمين، كان معوَّلهم على الصحبة. واعلم أن الداعيِ للصحبة بين اثنين وجود الجنسية والنسبة بينهما، فلا يصحب إلا من وجدهما فإنك تجد جنس البشر مثلاً يميل بعضهم إلى بعضٍ وكذلك غيرهم من الحيوانات يميل كل نوع إلى بعضه، أكثر من ميله إلى النوع الآخر، وكَمَيلِ أهل الملَّة إلى بعضهم البعض وكذا ميل أهل الطاعة إلى بعضهم، وكذلك أهل المعصية والفجور. **الفائدةَ الثالثة**: أن السالك مبتلى بنفسه، فإذا عمل وحده ربما ظفر منه الشيطان بخيالات وأوهام وعقائد فاسدة، وأفكار كاسدة، وكسل ومكر، وحيل، وزندقة، واستدراج، وغير ذلك، ويوهمه أن ذلك من الأحوال والأصول، وهو لا يدري ولا سيما المبتديء فإنه يشوّش علمه هذه الحالة فلا بد من شيخ بشروطه السابقة لينجو من هذه الورطة وعقبات الطريق وتوقفه. فافهم فهمنا الله وإياك.

(2) **المراقبة**: إدامة علم العبد بإطلاع الرب أو القيام بحقوق الله سراً وجهراً خالصاً من الأوهام، صادقاً في

وهذه درجات السالكين ومعارج الناسكين إلى أفق المبين، الذي منه الوصول إلى مقامات المقرَّبين ومجاورة الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين، وليعرض الفقير نفسه المشتاقة إلى مرافقة هذه الرفاقة على كل ركن من هذه الأركان المذكورات فيرتقبه، وعلى كل أثر من هذه الآثار فيصطفيه، فإنْ وجدها له موافقة، وعلى كل نكتة من هذه النكت مصادقة، وإلى رتب الفضل والإحسان مسابقة؛ فليعلم أنها على ما تدعيه صادقة، وإن لم يجدها له موافقة، ولا على نكتة من النكت مصادقة، ولا لخصالها المذمومة مفارقة؛ فليعلم أنها منافقة، وفي كل ما تدَّعيه غير صادقة، وفَّقنا الله وإياكم ـ أيها الإخوان ـ لمعرفة عيوبها، وأعاننا وإياكم على مخالفتها في مسالك ذنوبها، ونستغفر الله لنا ولكم من القول بما لا نفعل، ومن المخالفة لما لا نجهل، إنه هو الغفور الرحيم، آمين.

واعلموا أن أفضل ما استقرَّت عليه قلوب الأخيار وتقوت عليه ضمائر الأسرار دوام الانتظار بعين الافتقار لمراحم الملك الجبار، والله يخلق ما يشاء ويختار، وصلَّى الله على رسوله المختار، وآله الأطهار وصحبه الأخيار، وسلَّم تسليماً كثيراً.

وهذه قصيدة لصوفي الزمن وقمر اليمن، المقرىء الزبيدي الشيخ أحمد بن حسن، باقتراح بعض الإخوان، قد عجّزتها وصدّرتها، وهنا لكونها في جناب الحضرة العلية أثبتها، فرحم الله امرأً بعين الرضا لها نظر، ولما فيه من العيب ستر، وهو هذا: [شعر]

الاحترام، وهي أصل كلِّ خير. وإنما يصل إلى هذه الرتبة بعد المحاسبة وإصلاح الحال في الوقت، ولزوم طريق الحق، وإحسان مراعاة القلب بينه وبين الله تعالى، وحفظ الأنفاس مع الله تعالى، فيعلم أن الله تعالى عليه رقيب، ومن قلبه قريب، يعلم أحواله ويرى أفعاله، ويسمع أقواله. ولا تتم المراقبة إلا بمعرفة خصال أربع: أولها معرفة الله تعالى، والثانية معرفة عدو الله إبليس لعنه الله، والثالثة معرفة نفسكالأمارة بالسوء، والرابعة معرفة العمل لله تعالى. ولو عاش الإنسان دهراً في العبادة مجتهداً ولم يعرفها ولم يعمل عليها لم تنفعه عبادته، وكان على الجهل، ومصيره إلى النار، إلا أن يتفضل الله تعالى عليه برحمته، فأما معرفة الله عز وجلّ وقيامه عليه وقدرته عليه، وشهادته وعلمه به، وأنه رقيب حفيظ، وأنه واجد ماجد، لا شريك له في ملكه، وأنه عندما وعد صادق، وعندما ضمن واف، وعندما دعا إليه وندب إليه مليء، وله وعد ينجزه، ووعيد صادق ينفذه، ومقام تصير إليه الخلائق، ومصدر يتصرف من عنده، وله ثواب وعقاب، ليس له شبيه ولا مثيل، وأنه كاف، رحيم، ودود، سميع عليم. وأنه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، لا يشغله شان عن شان، يعلم الخفي وفوق الخفي، والضمير والخطرات والوسوسة، والحركة، والطرفة، والغمزة، والهمزة، وما فوق ذلك، وما دون ذلك مما دق فلا يعرف، وجلّ فلا يوصف، مما كان وما يكون، وإنه عزيز حكيم. انظر: الغنية لطالبي الحق لسيدي عبد القادر الجيلاني 2/ 161.

شُـغِل الفـؤاد بحـبِّ مَـنْ يهواه ... حتـى فَنَـى فيـه هـو وفنـاهُ
أضحـى وأمسـى تائهـاً ممّـا به ... وغـدا يديـن بحبِّـه وثنـاه
قطـب الجلالـة سـرُّ كل حقيقة ... فالكـون والتكويـن مـن أنشـاه
لـولاك ما قـد أوضحا في شـأنه ... معنـى الوجـود وسـرّه معنـاه
سـلك انتظام مظاهر الحسن الذي ... باطنـه بمـن هـو بمسْـناه
وسـرّه يسـراه سـرًّا وعلـن ... هـو عينـه هـو زينـه وسـناه
قلـمٌ جـرى بصفاتـه فـي ذاتـه ... ذاتـاً ووصفـاً حسـنها حسـناه
أسـماؤه ونعوتـه مـا مثلهـا ... سـبحان مَـنْ عـن ذاتـه أجراه
بـدرٌ تأهّـل للجمـال كمالـه ... ونمـا بـه بنمـوِّ مَـنْ أنمـاه
رقـى مرقـاً مـا رقاهـا غيـره ... وسـما فتاهت في الذوات سـماه
روح الحيـا أصـل الحيـاة حياته ... إذ ذاك روح الـروح مـن مبـداه
هذا هـو الأصل الأصيـل أصله ... هـو الـذي فـي الناميـة نمّـاه
شـمسٌ روى عنها العلوم شعاعها ... نـارت بنـور لـم تكـنْ لـولاه
في عالم المعلوم صدقاً أشـرقت ... مـن نـال منهـا بارقـاً أغنـاه
نـور تباهت فـي الكمـال نعوته ... وعلـت سـواها في العـلا بعلاه
ما النعـت والمنعوت شـيئاً غيره ... مـا الدِّيـن إلا شـأنه وهـواه
سـرٌّ تقـدَّس طيّـه فـي نشـره ... فالحمـد للـه الكريـم لِـواهُ
فالكائنـات بقاؤهـا ببقائـه ... قيُّـوم كل مفصـل وقـواه
هذا الجمـال الفرد هذا المصطفى ... هـذا الـذي مِـن خلقـه صفـاه
هذا الذي سمت السـما بصعوده ... هـذا الـذي طـاب الثـرى بثراه

هذا البشـير وذا النذيـر وذا الذي ... لـولاه ماشـي الإلـه أبـداه

هـذا الذي جـاء بالهداية والهدى ... اللـه فـي أُم القـرى أنبـاه

منهـا على متـن البراق سـرى به ... للمسـجد الأقصى وكان أسـراه

بـلا عنـا فـي ليلـة سـرى بـه ... جبريـل والبشـرى تحـفّ رُباه

حتى انتهى حيـث الخلائق تنتهي ... فلـذا وقـف جبريل عـن مرماه

وقـال ذا حـدِّي دونـك فارتقى ... ثـم ارتقـى فـرداً إلـى مرْقـاه

ودنـا فحـاز مكانـة عُلويّـة ... مـن قـاب مـولاً بهـا أوْلاه

مـا غيـره قـد نالهـا مـن قبلـه ... سـبحان مَـنْ مِـنْ قدسـه أدْناه

مـا نالهـا موسـى الكليـم لأنها ... مـن عظمهـا مـا نالها الأشـباه

جزى سـواها فلـذا تدعـى هي ... كلِّيـة والـكل مـن معنـاه

أعطـاه مـا لا ينبغـي الإلـه ... منـه فمـن ذا مثلـه أعطـاه

حـاز لمـا قـد حـازه مـن ربِّه ... وحـوت محاسـن قربه حسـناه

هـو سـيّد للمرسـلين وخاتـمٌ ... للأنبيـاء جُـلَّ الـذي سـوّاه

هو نعمـةٌ عظمـى لـكلِّ موحِّدٍ ... هـو رحمـةٌ للعالميـن رجـاه

فخـر الفتيـان الصبابـة إن ضنوا ... مِـنْ دون مـا علاقـةٌ لِسِـوَاه

بل مخلصين علـى المدا بقلوبهم ... مـن حبِّـه أو خاطـروا وتاهـوا

لا تنـزل الرحمات مـن ملكوتها ... سـرًّا وجهـراً دائمـاً من مـا هُو

حسًّـا ومعنًـى بمـا يعـدُّ رحمةً ... فـي الملـك إلا مِـن نَـدَا يُمْناه

نشـرت علـى أرواحهـم فضلاته ... فتفاضلـوا رُتَبـاً بهـا إيَّـاه

وغدوا هم الصفوة فـي أحوالهم ... فتخلَّقـوا وتحقَّقـوا وتباهـوا

طوبى لطيبـة والبقيـع بما حوت مـن قربه حيـث احْتمـت بحماه
أسـرارها أنوارهـا أطيابهـا مـن فضلـه وجمالـه وشـذاه
أهدى الصلاة مع السـلام عليه ما نفـس تنفـس أو سـكن مجْـراه
وبمـا يكون وكان فـي الكون وما أهـدت إلـيّ مـن الـولا عينـاه
أضعاف أضعافـاً مضاعفة غدت بتضاعفـي مـا ضُوعِفت أسـماه
لحاسـب فـي عدّهـا وحصرها وبضعفهـا صلَّـى عليـه اللـه
والآل والصحـب الكرام وكلُّ مَنْ والاهـم مِـنْ كل مَـنْ والاه
سـيما السـواد الأعظم وكل من سـار علـى النهـج الـذي أبداه
ذا واردٌ مـن دون قصـد قـد ورد فوقعـت فيـه بمـا أنـا أخشـاه
مـن النحـاة الناحيـن بنحوهم صـرف العوامل لمن شـنوا أملاه

ثم قلت: «إلى السماء كما أتى به الأمين»:

المذكور هنا هو الرسول إلى الرسل من ربهم صفوة الملائكة المكرمين لقربهم، بل أكبر الأربعة المخصوصين بالتفضّل ميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وهو جبريل عليه السلام، وقد قدّم عليه بعض الناس ميكائيل وإسرافيل فيما قيل، ولهذا أردنا نذكر تفصيل ما جاء في الملائكة من الأقاويل.

فصل
[فيما جاء في الملائكة عليهم السلام]

قال العلّامة الجليل والقاضي النبيل، ذو الرأي السديد والفهم المجيد، الصنهاجي أبو عبد الله جمال الدين محمد بن سعيد في كتابه: «كنز الأسرار ولواقح الأفكار»(1)، الفصل الثامن في الملائكة عليهم السلام، والكلام عليهم من وجوه:

الأول: في تقرير أقوال العقلاء في حقيقتها: مذهب أهل الحق أنها متحيّزة، وقيل: إنها ليست بمتحيّزة. أما على القول بأنها متحيزة، ففيها أقوال:

القول الأول: أنها أجسام هوائية لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السماوات. قال الإمام فخر الدين: وهو قول أكثر المفسّرين، إلا أن الملائكة على أنواع، قال تعالى:﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾، [فاطر: 1]. قال الزمخشري: المعنى: أن من الملائكة خلقاً أجنحتهم أربعة أربعة. **وفي صحيح مسلم**: أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام سادًّا أعظم خلقه ما بين السماء والأرض، رآه مرتين ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾، [النجم: 13]، ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾، [التكوير: 23]. وقال الزمخشري: ما رآه أحد من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمد ﷺ مرتين: مرَّة في الأرض، ومرَّة في السماء.

وفي الثعلبي: قال ابن شهاب: إن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له في

---

(1) كتاب: «**كنز الأسرار، ولواقح الأفكار**»: لأبي عبد الله: محمد بن سعيد بن عمر بن سعيد الصنهاجي، القاضي بأزمور، المعروف: بابن مشابذ. أوله: (الحمد لله الوهاب الفتاح... الخ). وهو على: أربعة أركان. الأول: في العالم العلوي. وفيه: عشرة فصول. الثاني: في السفلي. وهو على: أربع مقدمات، وأربعة أركان. وفيه: فصول أيضا. الثالث: في العمر، وفي الأحكام التكليفية. الرابع: في الحشر، والنشر. وفيه: فصول أيضا. ذكره **حاجي خليفة في كشف الظنون**.

صورته، فقال له جبريل عليه السلام: «إنك لا تطيق ذلك»، قال له: «أُحب أن تفعل»، فخرج النبي ﷺ إلى المصلَّى في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل عليه السلام في صورته، فغشي على النبي ﷺ، ثم أفاق ﷺ وجبريل عليه السلام مسنده واضع إحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه، فقال النبي ﷺ: «ما كنت أرى شيئاً من الخلق هكذا»، فقال جبريل عليه السلام: «كيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر؛ جناحاً بالمشرق وإحدى عشر جناحاً بالمغرب، وأن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل بين الحدَّيْن من عظمة الله تعالى حتى يعود مثل الوصع» ـ أي: عصفور صغير ـ حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته»[1].

القول الثاني: قول طائفة من عبدة الأوثان أنها الكواكب الموصوفة بالإسعاد والإنحاس، وزعموا أنها أجسام لطيفة والمسعدات منها ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب.

القول الثالث: قول معظم المجوس والثنوية[2] أن العالم مركَّب من أصلين قديمين، وهما النور والظلمة، وهما في الحقيقة جسمان جوهران حسّاسان قادران مختاران متضادّان في النفس والصورة، مختلفان في العقل والتدبير، فجوهر النور طيّب نقي خيِّر حسن الريح كريم النفس، يسرّ ولا يضر، ينفع ولا يمنع، ويحيي ولا يبلي، وجوهر الظلمة على الضدِّ من ذلك كله، وجوهر النور عندهم لم يزل يولد الأولياء، وهم الملائكة، لا على وجه التناكح؛ بل على سبيل تولّد الحكمة من الحكيم، والضوء في المضيء. وجوهر الظلمة لم يزل يولد الأغوياء ـ وهم الشياطين ـ على وجه تولّد

---

(1) **أخرج ابن المبارك في الزهد عن ابن شهاب**: «أن رسول الله ﷺ سأل جبريل أن يترأى له في صورته فقال جبريل عليه السلام: إنك لن تطيق ذلك. قال: إني أحب أن تفعل. فخرج رسول الله ﷺ إلى المصلى في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل عليه السلام في صورته، فغشي على رسول الله ﷺ حين رآه، ثم أفاق ﷺ وجبريل عليه السلام مسنده وواضع إحدى يديه على صدره والآخرى بين كتفيه، فقال رسول الله ﷺ: ما كنت أرى إن شيئا من الخلق هكذا! فقال جبريل عليه السلام: فكيف لو رأيت اسرافيل، إن له لأثني عشر جناحا، منها جناح في المشرق، وجناح في المغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل أحيانا لعظمة الله عز وجل حتى يصير مثل الوصع، حتى ما يحمل عرشته إلا عظمته». **الدر المنثور للإمام السيوطي**: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(2) **الثنوية**: هم أصحاب الاثنين الأزليين: يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه. وهؤلاء قالوا بتساويها في القدم، واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح .**الملل والنحل للشهرستاني**: 1/ 285.

السفه من السفيه؛ لا على سبيل التناكح.

وأما على القول بأنها ليست بمتحيِّزة، فقيل: إن الملائكة ذوات قائمة بأنفسها إلا أنها ليست بأجسام ولا متحيّزة. واختلف أصحاب هذا القول، فمنهم من قال: هي الأنفس الناطقة المفارقة، فإن كانت صافية فهم الملائكة، أو خبيثة فهم الشياطين، وهذا قول طائفة من النظريين. وقيل: هي ذوات قائمة بأنفسها مخالفة بالماهية لأنواع النفوس البشرية، وأنها أكمل قوّة منها وأكثر علماً، وهي ضربان منها ما لها تعلق بالأجرام الفلكية مدبرة لها؛ كتعلق النفس بأبداننا. ومنها ما ليس لها تعلق، بل هي مستغرقة في محبة الله، وهم الملائكة المقرَّبون.

قال الإمام فخر الدين: ومن الفلاسفة مَنْ أثبت أنواعاً أُخر من الملائكة، وهم الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال هذا العالم السفلي، ثم إن الخيِّرة منها الملائكة، والشررة منها هم الشياطين.

قلت: هذه مذاهب الناس في حقيقة الملائكة، والحقُّ أنها ذواتٌ قائمة بأنفسها قادرة على التشكل بالقدرة الإلهية، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، وهو مذهب أهل الحق وهو القول الأوّل.

وقد حكى الإمام فخر الدين الاتفاق على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون؛ ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾، [الأنبياء: 20].

الوجه الثاني: في كثرة الملائكة عليهم السلام، وأن لكل واحد منهم موضعاً لعبادته، وفي ذكر بعض أنواعها.

قال : ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾، [المدثر: 31]. قال الإمام فخر الدين: والأصل فيه قوله ﷺ: «**أطَّت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع قدم إلاّ وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم**»(1). وفي الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقسم

(1) روى الترمذي بسنده عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي أرى ما لا ترونَ وأسمعُ ما لا تسمعونَ أطَّتْ السَّماءُ وحُقَّ لها أنْ تئطَّ ما فيها موضعُ أربعِ أصابعِ إلاَّ وملكٌ واضعُ جبهتَهُ للهِ ساجداً واللهِ لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحِكتُمْ قليلاً ولَبَكيتُمْ كثيراً وما تلذَّذتُم بالنِّساءِ على الفُرشِ ولخرجتُمْ إلى الصُّعداتِ**

غنائم حنين وجبريل عليه السلام إلى جنبه، فأتاه ملك فقال: «إن ربَّك يأمرك بكذا»، فخشي النبي ﷺ أن يكون شيطاناً، فقال: «يا جبريل! تعرفه»؟ قال: «هو ملك وما كل ملك ربّك أعرفه».

وفي الثعلبي أيضاً عن الأوزاعي: «قال موسى: يا ربّ! مَن معك في السماء؟ قال: ملائكة. قال: كم عددهم يا ربّ؟ قال: اثنا عشر سبطاً. قال: كم كل سبط؟ قال: عدد التراب». وفي كتاب: «الزاهر» لابن فرحون القرطبي، نزيل الاسكندرية: إنَّ في مناجاة موسى عليه السلام: «قال: يا ربّ! مَنْ عندك قَبْل آدم؟ قال: الملائكة. قال: يا ربّ! كم؟ قال: اثنا عشر ألف سبط. قال موسى: كم كل سبط؟ قال: مثل الجنّ والإنس والطير والبهائم اثنا عشر ألف مرة».

قال الإمام فخر الدين: إنَّ بني آدم عشر الجن، وبني آدم والجن عشر الحيوانات البرية، وهؤلاء كلهم عشر الطيور، وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحار، وهؤلاء كلهم عشر الملائكة الأرضية الموكلين ببني آدم، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الثانية... ثم إلى هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة، ثم هؤلاء كلهم عشر ملائكة السرادق؛ الواحد من السرادقات التي عددها مائة ألف، طول كل سرادق وعرضه إذا قوبلت به السماء والأرض وما فيها وما بينهما فإنها تكون شيئاً يسيراً ومقداراً صغيراً، وما من موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لله تعالى زجل بالتقديس والتسبيح، قال: ثم هؤلاء كلهم في مقابلة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر، ولا يعرف عددهم إلا الله عز وجل، ثم بعد ذلك ملائكة اللوح المحفوظ الذين هم أشياع إسرافيل عليه السلام، وهم كلهم سامعون مطيعون يسبِّحون الليل والنهار لا يفترون، رطبة ألسنتهم بذكر الله يتسابقون في ذلك منذ خلقهم الله تعالى آناء الليل والنهار ولا يستكبرون عن عبادته ولا يستخسرون، لا تحصى أجنادهم ولا مدّة أعمارهم ولا كيفية عبادتهم. قال: وهذا كله تحقيق ملكوت الله في سماواته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾، [المدثر: 31].

تجأرونَ إلى اللهِ لوددتُ إنِّي كُنتُ شجرةَ تُعضدُ». سنن الترمذي: المجلَّد الثالث. أبوابُ الزهدِ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 7 بَابُ مَا جَاءَ في قولِ النَّبيِّ ﷺ لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتُمْ قليلاً ـ الحديث رقم: 2414.

قال الإمام فخر الدين: مرَّ في بعض الكتب التذكيرية أن رسول الله ﷺ لما عرج به إلى السماء رأى ملائكة في موضع مشرف عال، ورأى بعضهم يمشي تجاه بعض، فسأل رسول الله ﷺ عن ذلك جبريل عليه السلام: «إلى أين يذهبون؟»، فقال: «والذي بعثك بالحق يا محمد، لا أدري إلا أني أراهم هكذا منذ خلقت ولا أرى واحداً منهم قد رأيته قبل ذلك». ثم سأل رسول الله ﷺ واحداً منهم، فقال له: «منذ كم خُلقت؟»، فقال: «لا أدْري، غير أن الله تعالى يخلق كوكباً على رأس أربعمائة سنة، فخلق ذلك الكوب منذ خلقني بأربعمائة ألف سنة»، فسبحان من له ملكوت السماوات والأرض.

وذكر القاضي أبو بكر بن العربي في قانونه في تفسير [العالمين] أقوالاً، **وثانيها** لأُبيّ بن كعب رضي الله عنه: [العالمين]: رهط من الملائكة وهم ثمانية عشر ألف ملك، منهم أربعة آلاف وخمسمائة بالمشرق، ومثل ذلك بالمغرب، ومثل ذلك بالكهف الثالث من الدنيا، ومثل ذلك بالكهف الرابع من الدنيا؛ مع كلِّ ملك منهم من الأعوان ما لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، ومِن ورائهم من الجهات الأربع أرض بيضاء كالرخام، عرضها مسير الشمس أربعين يوماً، والفصول لا يعلمهُم إلا الله تعالى، مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون، لهم زجل بالتسبيح والتهليل، لو كُشِف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من صوتهم، فهم العالمون منتهاهم إلى حملة العرش.

وثالثها: لمجاهد: [العالمون]: ثمانية عشر ألف ملك في نواحي الأرض الأربعة، في كل ناحية منها أربعة آلاف وخمسمائة، مع كل ملك منهم عدد الإنس والجنّ، وبهم يرفع الله العذاب عن أهل الأرض.

ورابعها: لابن عباس رضي الله عنه، قال: خلق الله ألف أُمة، منها ستمائة في البحر، وأربعمائة في البرّ، وما من شيء في البرّ إلا وفي البحر مثله، ويزيد على البرّ مائتين. وفي بعض الأحاديث: «أن الله خلق ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا كلها منها عالم واحد».

وفي بعض الآثار أيضاً عن النبي ﷺ؛أنه قال: «إن لله أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثمانين مرّة حشرها خلق من خلق الله تعالى؛ ما يعلمون أن الله تعالى خلق آدم، ولا إبليس».

وخامسها: للفراء وأبي عبيد: أن [العالمين]: هم من يعقل، والملائكة والإنس

والجن والشياطين.

وسادسها: لابن عباس: العالم اسم يقع على كل ذي روح دبَّ على وجه الأرض، واختاره ابنُ العربي.

وسابعها: للضحاك: العالم ثلاثمائة وستون عالماً حفاة عراة لا يعلمون مَن خلقهم، وستُّون عالماً يلبسون الثياب والريش.

وذكر ابن العربي أقوالاً غير هذه، وإنما أتينا هنا بهذه الأقوال لما فيها مما نحن بسبيله من كثرة الملائكة.

أنواع الملائكة عليهم السلام

قلت: وأما ذكر بعض أنواع الملائكة، فاعلم أن الله تعالى ذكر منهم في القرآن أنواعاً، وكذلك جاء في الآثار والتفاسير منها أنواع:

النوع الأول: حملة العرش، قال: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾، [الحاقة: 17]. وقد تقدَّم الكلام عليهم.

النوع الثاني: الحافُّون حول العرش ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ﴾، [الزمر: 75]. قال الثعلبي: وحكاه ابن عطية أيضاً: معناه: متلذذين لا متعبّدين مكلَّفين.

النوع الثالث: من أكابر الملائكة إسرافيل وجبريل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام.

أما إسرافيل عليه السلام، فقال الإمام فخر الدين: دلَّت الأحاديث الصحيحة على أنه صاحب الصُّور. وأما عظم جسده، فلا يحيط به إلا خالقه.

قال الجوزي في السؤال السابع من أسئلته: جبريل عليه السلام سدَّ الخافقين بجناح واحد، وقال: «أنا إذا طرت في جناح إسرافيل وخرجت من الجانب الآخر لم يحس بي». وقد دلَّ حديث البيهقي على أن إسرافيل هو الذي يأمر جبريل وميكائيل وعزرائيل بالأوامر الإلهية. قال الإمام فخر الدين: روى البيهقي في كتاب «شعب الإيمان» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما رسول الله ﷺ ومعه جبريل عليه السلام؛ إذ انشقَّ أفق

من السماء، فطفق جبريل عليه السلام يتضاءل ويدخل بعضهُ في بعض، فإذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: «يا محمّد! إن الله يقرئك السلام ويخيِّرك بين أن تكون نبيًّا ملكاً وبين أن تكون نبيًّا عبداً»، قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستفهم له: ما تقول؟ فأشار جبريل عليه السلام بيده إلى رسول الله ﷺ: «أن تواضع»، فعرفت أنه لي ناصح، فقلت: «بل عبداً نبيًّا»، قال: فعرج ذلك الملك إلى السماء، فقال ﷺ: «إني أُريد أن أسألك عن هذا، فرأيت من حالك ما أشغلني عن المسألة، فمَنْ هذا يا جبريل؟»، فقال له جبريل عليه السلام: «يا محمَّد! هذا إسرافيل خلقه الله تعالى منذ خلقه ورأسه بين قدميه لا يرفع طرفه، وبينه وبين ربّ العزَّة سبعون حجاباً من نور، ما منها نور يدنو منه إلاّ احترق، وبين يديه اللوح المحفوظ، فإذا أذن الله في شيء من السماء أو من الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبينه، فإن كان الأمر من عملي أمرني به، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به، وإذا كان من عمل ملك الموت أمره به»، قال: «يا جبريل! فعلى أيُّ شيءٍ أنت؟»، قال: يا محمد! على الرياح والجنود. قلت: «فعلى أيِّ شيء ميكائيل؟» قال: «يا محمَّد! على النبات». قلت: «فعلى أيِّ شيء ملك الموت؟»، قال: «على قبض الأرواح، والذي بعثك بالحق يا محمَّد، ما ظننت أنه هبط إلا لقيام الساعة، وما ذلك الذي رأيت مني إلا من الفزع مِن قيامِ الساعة»(1).

وفي الزمخشري في تفسير «سورة المؤمن» عن النبي ﷺ، قال: «لا تفكِّروا في عظمة

---

(1) أخرج الطبراني وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في شعب الإيمان بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «بينا رسول الله ﷺ ومعه جبريل عليه السلام يناجيه إذ انشق أفق السماء، فأقبل جبريل عليه السلام يتضاءل ويدخل بعضه في بعض ويدنو من الأرض، فإذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، ويخيرك بين أن تكون نبيا ملكا وبين أن تكون نبيا عبدا. قال رسول الله ﷺ. فأشار جبريل عليه السلام إليّ بيده أن تواضع، فعرفت أنه لي ناصح فقلت: عبد نبي. فعرج ذلك الملك إلى السماء فقلت: يا جبريل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا، فرأيت من حالك ماشغلني عن المسألة فمن هذا يا جبريل؟ قال: هذا اسرافيل خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافا قدميه لا يرفع طرفه، بينه وبين الرب سبعون نورا ما منها نور يدنو منه إلا احترق، بين يديه اللوح المحفوظ فإذا أذن الله في شيء في السماء أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فيه، فإذا كان من عملي أمرني به، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به، وإن كان من عمل ملك الموت أمره به. قلت: يا جبريل على أي شيء أنت؟ قال: على الرياح والجنود. قلت: على أي شيء ميكائيل؟ قال: على النبات والقطر. قلت: على أي شيء ملك الموت؟ قال: على قبض الأنفس، وما ظننت أنه هبط إلا بقيام الساعة، وما ذاك الذي رأيته مني إلا خوفا من قيام الساعة». **الدر المنثور للإمام السيوطي**: تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ...﴾.

ربكم، وتفكَّروا فيما خلق الله من الملائكة، فإنَّ خلقاً من الملائكة يقال له إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، وقدماه في الأرض السفلى، وقد خلق رأسه من سبع سماوات، وإنه ليتضاءل من عظمته حتى يصير كالوصع»، وقد تقدَّم ذلك لنا.

قلت: معنى جبريل عليه السلام: عبد الله؛ لأن معنى جبر: عبد، وإيل: الله، حكاه الإمام فخر الدين عن ابن عباس وجماعة. وحُكي عن غيرهم منع ذلك؛ لأن إيل لا يُعرف من أسماء الله تعالى، وأنه لو كان كذلك لكان آخر الاسم مجروراً، وكذلك ميكائيل وجبريل هو صاحب الوحي والعلم والرسالة ومطاع في السماوات، كما قال تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.

وميكائيل عليه السلام صاحب الأرزاق والأغذية. قال الإمام الفخر والعلم: الذي هو الغذاء الروحاني أشرف من الغذاء الجسماني، فوجب أن يكون جبريل أشرف من ميكائيل.

النوع الرابع: ملائكة الجنّة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾، [الرعد:24]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، [الزمر:73]، وهو رضوان وأصحابه.

النوع الخامس: ملائكة العذاب، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، [المدثر:30].

حكى الثعلبي عن أكثر المفسرين أنهم قالوا: تسعة عشر ملكاً بأعيانهم، فقال: ولا تستكثروا هذا، فإنه إذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق؛ كان أحرى أن يكون تسعة عشر يقدرون على عذاب بعض الخلق. وقال ابن جريج: نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة النار، فقال: كأن أعينهم البرق، وكأنَّ أفواههم الصياصي يخرُّون شعورهم لأحدهم مثل قوّة الثقلين، يسوق أحدهم الأُمة وعلى رقبته جبل، فيرميهم في النار ويرمي الجبل عليهم[1].

---

(1) **الدر المنثور للإمام السيوطي**: تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ سورة المدثر.

قال ابن دينار: واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. قال الإمام فخر الدين: ومقدمهم ـ أي: التسعة عشر ـ هو مالك؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾، [الزخرف: 77]. وسَمُّوا الزبانية زبانية؛ كما قال ﷻ: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ لدفع أهل النار.

النوع السادس: الملائكة الموكلون ببني آدم، وهم الحَفَظَة، قال الله ﷻ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، [ق:18]. وقال ﷻ: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾، [عبس: 13-15]. وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، [الانفطار: 10-12]. وقال ﷻ: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾، [الأنعام:61]. وقال ﷻ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، [الرعد:11].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...» الحديث(1).

وفي بعض كتب التفسير في قوله :﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، [الطارق:4]. عن أبي أُمامة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «وكل بالمؤمن ستون ومائة ملك يذبُّون عنه كما يذبُّ عن قصعة العسل الذباب، ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين»(2).

---

(1) أخرج الشيخان ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ -: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟. فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ». صحيح البخاري**: الجزء الرابع100 كتاب التوحيد33 باب: كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة ـ الحديث رقم: 7048. **وصحيح مسلم**: الجزء الأول5 كتاب المساجد ومواضع الصلاة 37باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ـ الحديث رقم: 210 ـ (632).

(2) ذكر القرطبي في تفسيره: «قال النبي ﷺ: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر، سبعة أملاك يذبون عنه، كما يذب عن قصعة العسل الذباب. ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين». **الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي**: الجزء 20. سورة الطارق. الآية: 4 **﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾**.

النوع السابع: الملائكـة التي تصف في السمـاء كصفـوف الخلق، وهي المراد بقوله ﷻ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾، [أول الصافات]. قاله ابن عباس ومسروق والحسن وقتادة ﭫ. وقيل: هم الملائكة تصف أجنحتها واقفة في الهواء حتى يأمرها الله بما أراد.

وفي تفسير الزمخشري في «سورة المؤمن»: أنه قيل: حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهلّلين مكبِّرين، ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام، وقد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، ومن ورائهم مائة ألف صف قيام قد وضعوا الأيمان على الشمائل؛ ما منهم مِنْ أحدٍ إلاّ وهو يسبح غير ما يسبح به الآخر.

وفي تفسير مكي: رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لله ملائكة ترعد فرائصهم مخافة منه، ومنهم من لا يقطر من عينيه دمعة إلاّ وقعت ملكاً يسبح الله، وملائكة سجود منذ خلق الله السماوات لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعوها إلى يوم القيامة، ومنهم وقوف لم يبصروا ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجلَّى لهم ربهم ـ جلَّ ذكره ـ فقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[1].

قال كعب ﭬ: إن لله ﷻ ملائكة منذ خلقهم قيام ما حنوا أصلابهم، وآخرين ركوع ما رفعُوا أصلابهم، وآخرين سجود ما رفعوا رؤوسهم حتى يُنفخ في الصّور النفخة الأولى، فيقولون: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي أن تُعْبد. ثم قال كعب: والله لو أن رجلاً عمل عمل سبعين نبيًّا لاستَقَلَّ عمله يوم القيامة من شدَّة ما يرى يومئذ، والله لو دُلِّي من غسلين دلو واحد من مطلع الشمس لَغَلَتْ منه جماجم قوم في مغربها، والله

---

(1) روى البيهقي والخطيب وابن عساكر بسندهم : «**إن لله ﷻ ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم ملك تقطر من عينيه دمعة إلا وقعت ملكا قائما يسبح وملائكة سجودا منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة وملائكة ركوعا لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة وصفوفا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فنظروا إليه وقالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك**». رواه البيهقي في الشعب، وأبو الشيخ في العظمة، والبيهقي والخطيب وابن عساكر ـ عن رجل من الصحابة ﭫ. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد العاشر. الإكمال من كتاب العظمة ـ الحديث رقم: 29836.

لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب إلاّ خرَّ جاثياً على ركبتيه.

النوع الثامن: الملائكة التي تزجر السحاب وتسوقه إلى حيث شاء الله ﷻ، قال: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا﴾، [الصافات:2]. ومنها الملك المسمَّى بالرعد، وهو المراد بقوله: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾، [الرعد: 13].

وخرَّج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم! أخبرنا عن الرعْد؟ فقال: «ملكٌ من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق به السحاب حيث يشاء الله». فقالوا: ما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: «زجره للسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أُمر». قالوا: صدقت، فأخبرنا عمّا حرَّم إسرائيل على نفسه؟ قال: «اشتكى عرق النِّسا فلم يجد شيئاً يلائمه إلا لحم الإبل وألبانها، فلذلك حرَّمها». قالوا: «صدقت»(1). قال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

وحكى الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: الرعد ملك يسوق السحاب، وأن بحور الماء لفي نقرة إبهامه وأنه موكل بالسحاب يصرفه حيث يؤمر، وأنه يسبح الله فإذا سبَّح الرعد لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح، فعندها ينزل المطر.

قال الإمام فخر الدين: الصوت الذي يُسمع من السحاب هو أجرام السحاب تضطرب وتنتفض وترتعد إذا أخذتها الرياح، فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق والنور من السحاب من برق الشيء برقاً إذا لمع، ونحوه للزمخشري.

وحكاه المفسرون في قوله ﷻ: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾، [سورة البقرة، 19]. وذلك كلّه مخالف للحديث المذكور.

النوع التاسع: الذين يتلون كتاب الله: وهم المراد بقوله ﷻ: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾،

---

(1) روى الترمذي في سننه بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: زَجْرَةٌ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ قَالُوا: صَدَقْتَ. فَقَالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: اشْتَكَى عِرْقَ النَّسَا فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلائِمُهُ إِلاَّ لُحُومَ الإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا قَالُوا: صَدَقْتَ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. **سنن الترمذي**: المجلد الخامس ـ صفحة 145 ـ الحديث رقم: 3117.

[الصافات:3]. قال مجاهد والسدي: وهم جبريل وميكائيل، وقد تقدَّم الكلام عليهما.

النوع العاشر: الملائكة التي تنزع الكفار: وإليهم الإشارة بقوله ﷻ: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقًا﴾، [أول النازعات]. قاله علي وابن عباس رضي الله عنهما. وبقوله: ﷻ ﴿فَٱلۡعَـٰصِفَـٰتِ عَصۡفًا﴾؛ [المرسلات:2]. أي: تعصف بروح الكافر، ومعنى [غرقا] قال ابن مسعود: يريد أنفاس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الأظفار، وأصول القدمين ثم يغرقها ويردّها في جسده بعدما ينزعها، حتى إذا كادت تخرج ردَّها في جسده، فهذا عمله بالكفار. قال ابن جبير ﷺ: نزعت أرواحهم ثم غرقت ثم قذف بها في النار. وقيل: يرى الكافر نفسه في وقت النَّزْع كأنها تغرق.

وأما [الناشطات]، فقال ابن عباس ﷺ: يعني: الملائكة تنشط نفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج، وذلك بأنه ليس مؤمن يحضره الموت إلّا عرضت عليه الجنة قبل أن يموت، فيرى فيها أشباهاً من أهله وأزواجه من الحور العين، فهم يدعونه إليها، فنفسه إليهم نشيطة أن تخرج فتأتيهم.

وأما ﴿وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبۡحًا﴾، [النازعات:3]. فقال علي ﷺ: هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين، وكذلك السابقات هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنّة، قاله مقاتل.

وقال مقاتل: هي أنفس المؤمنين تسبق الملائكة التي يقبضونها، وقد عاينت السرور شوقاً إلى لقاء الله تعالى ورحمته.

وأما ﴿ٱلۡمُدَبِّرَٰتِ﴾: فهي الملائكة التي تدبر أرواح العالم، قال عبد الرَّحمن سابط: يدبّر أمر الدنيا أربعة: جبريل، وهو موكل بالرياح والجنود. وميكائيل، وهو موكل بالقطر والنبات. وعزرائيل، وهو موكل بقبض الأرواح. وإسرافيل، وهو ينزل بالأمر عليهم.

النوع الحادي عشر: الملك المسمّى بالروح: قال ﷻ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ﴾، [النبأ: 38]. قال ابن عباس ﷺ: هو مِن أعظم الملائكة خلقاً. وقال ابن مسعود

ﷺ: الروح ملك أعظم من السماوات ومن الجبال وأعظم من الملائكة، وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كلّ تسبيحة ملكاً يجيء يوم القيامة صفًّا واحداً. وقيل: الروح هو جبريل ﵇، قاله الضحاك والشعبي وابن عباس ـ أيضاً ـ ووهب. ورُوي عن ابن عباس أنَّ عن يمين العرش نهراً من نور مثل السماوات السبع والأرضين السبع والبحار السبع، يدخل جبريل ﵇ كل بحر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نور، وجمالاً إلى جمال، وعظماً إلى عظم، ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل ريشة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور، وفي الكعبة سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة. وقال وهب: إن جبريل ﵇ واقف بين يدي الله ﷻ ترعد فرائصه يخلق الله ﷻ من كل رعدة مائة ألف ملك، فالملائكة صَفٌّ بَيْنَ يدي الله تعالى تكسوا رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا: لا إله إلا الله.

وعن ابن عباس ﵁ أيضاً: الروح خلق من خلق الله ﷻ، صورهم كصور بني آدم وما ينزل من السماء مَلك إلاّ ومعه واحد من الروح. وقال مجاهد: خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون لهم أيدي وأرجل ليسوا بملائكة، وهم يضعفون عن الملائكة. قال أبو صالح: يشبهون الناس، وليسوا بناسٍ.

النوع الثاني عشر: الملك الموكَّل بنفخ الروح في الولد بالرحم: خرَّج مسلم عن عبد الله بن مسعود ﵁، قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: «أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أُمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات، فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقيٌّ أو سعيد. فوالذي لا إله غيره إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخلها»[1].

---

(1) روى مسلم في صحيحه بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﵁ **قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِى ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِى ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِىٌّ أَوْ سَعِيدٌ**

النوع الثالث عشر: ذكر الثعلبي عن وهب بن منبه في تفسير قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾، [الأعراف:143]. أنواعاً من الملائكة أمر الله ﷻ أنْ يعرضوا على موسى عليه السلام فذكر أن ملائكة السماء الدنيا كَثِيرانِ البقر تنبع في أفواههم بالتسبيح وبالتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد. وذكر أن ملائكة السماء الثانية مثل الأسد لهم لجب بالتسبيح والتقديس. وذكر أن ملائكة السماء الثالثة كأمثال النسور لهم قصف ورجف ولحب شديد، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كلحب الجيش العظيم، وكلهب النار. وذكر أن ملائكة السماء الرابعة ألوانهم كلون النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس. وذكر أن ملائكة السماء الخامسة على سبعة ألوان لم يستطع موسى أن ينعتهم. وذكر أن ملائكة السماء السادسة بيد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة من النار أشدُّ ضوءاً من الشمس، ولباسهم كلهب النار إذا سبّحوا جاوبهم مَنْ كان قِبَلهم من ملائكة السماوات، يقولون بشدّة أصواتهم: سبُّوح قدوس رب العِزَّة أبداً لا يموت، في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه. انظر تمامه في الثعلبي.

النوع الرابع عشر: في عبادتهم ـ عليهم السلام ـ ووصف قدرتهم وتشكلهم.

أما عبادتهم، فقال ﷻ: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾، [الأنبياء:19-20]؛ أي: ألهموا التسبيح كما ألهمتنا النفس. وهذه العندية هي عندية الشرف لا عندية المكان، وقال ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾؛ أي: بالقهر والغلبة، ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾، [النحل:50]. وقال: ﷻ ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾، [الأنبياء:27].

وقال الإمام فخر الدين: ليس بعد كلام الله تعالى ولا بعد كلام رسوله ﷺ في وصف الملائكة أعلى وأحلى من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ رُوي عنه

فَوَالَّذِى لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا». صحيح مسلم: 1 باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله ـ ج 8/ 44 ـ الحديث رقم: 6893.

أنه قال في خُطبه: فتق ما بين السماء العلى، فملأهن أطواراً من الملائكة منهم سجود لا يركعون، وركوع لا يسجدون، ولا ينصبون وصافون لا يتزايلون، ويسبّحون ولا يسأمون، لا يغشاهم نور العيون ولا سآمة العقول، ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان، ومنهم أُمناء على وحي الله والسُّنَّة إلى رسله، ومنهم مختلفون لقضاء الله تعالى ولأمره، ومنهم الحَفَظة لعباده وعلى عباده، ومنهم السَّدَنة لأبواب جنانه، ففيهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والبارقة من السماء العلى أكتافهم دون أبصارهم، يتلفقون بحثة أجنحتهم ومَن دونهم حجب العزّة وأستار القدرة، لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يشيرون إليه بالنظائر، فعليهم السلام.

قلت: وأما وصف قدرتهم، فمن وجوه: **أحدها**: **أن حملة العرش ثمانية**. قال الإمام فخر الدين: يحملون العرش والكرسي ثم الكرسي أصغر من العرش وأعظم من عظمة السماوات السبع والأرضين السبع؛ لقوله ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ﴾، [آية الكرسي]. قال: فانظر إلى نهاية قوتهم وقدرتهم.

وثانيها: أن علوَّ العرش لا يحيط به الوهم، ويدلُّ عليه قوله ﷻ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، [المعارج:4]. قال الإمام فخر الدين: ثم إنهم لقوّتهم ينزلون في لحظة. وحكى الثعلبي في تفسير قوله ﷻ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، [السجدة:5]. عن أبي هريرة ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «أتى ملك برسالة من الله تعالى ثم رفع رجله فوضعها فوق السماء والأخرى في الأرض لم يرفعها»[1].

وثالثها: قوله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، [الزمر:68].

قال الإمام فخر الدين: فصاحب النفخ في الصور قد بلغ من القوَّة بحيث يصعق من في السماوات ومن في الأرض بالنفخة الواحدة منه، ويقومون أحياء بالنفخة الثانية.

---

(1) قوله ﷺ: «أتاني ملك برسالة من الله ﷻ، ثم رفع رجله فوضعها فوق السماء والأخرى في الأرض لم يرفعها». رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ﵁. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 510.

ورابعها: أن جبريل عليه السلام بلغ من عظم القوة أن اقتلع مدائن قوم لوط السبعة وقلبها في دفعة واحدة.

قلت: وأما قدرتهم على التشكُّل، فقد ثبت أن جبريل عليه السلام كان يتمثل للنبيِّ ﷺ في صورة دحية الكلبي[1]، وكان رضي الله عنه من أجمل أصحابه تأنيساً له ورفقاً به، وتصوَّر له جبريل عليه السلام أيضاً بمكّة على صورة فحل من الإبل فاتحاً فاه، وأراد أن يثبَّ على أبي جهل ـ على ما في السِّير لابن إسحاق وغيرها ـ فثبت أن الله عز وجل أقدر جبريل عليه السلام على أن يتصوَّر بصور مختلفة، وقد سأل أبو محمَد الصيقلي إمام الحرمين عن هذه المسألة حين اجتمع به بمكَّة بمحضر جماعة، فمن قائل أن الله سبحانه وتعالى يفني الزائد من خلقه ثم يعيده إليه. ومن قائل بأن ذلك تمثيل في عين الرائي، لا في جسم جبريل عليه السلام، وهو مقتضى قوله ﷺ: «يتمثل». ومن قائل بالتداخل، وهو مخالف عقلاً. قال صاحب مطامح الأفهام: وتحقيق القول في ذلك أن جبريل إنما هو كناية عن حقيقة الملائكة الخاصة، وتلك الحقيقة لا تتغيَّر بالصور والقوالب، كما أن حقيقة الواحد منا لا تتغير، ألا ترى أن الجسم يفنى ويتغير مع أن الأرواح لا تتغير، كما أنها في الجنّة تُركت على أجسام لطيفة نورانية ملكية تنعكس الأبدان الآدمية الكثيفة هناك إلى عالم الكمال الجسماني على نحو الأجسام الملكية الآن، وكانت حقيقة جبريل معلومة عند النبي ﷺ مجمولة في أيِّ القوالب كانت، على أيِّ وجه زيَّنتها الحكمة الإلهية.

(1) الصحابي الجليل سيدنا دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج ـ بفتح المعجمة وسكون الزاي ثم جيم ـ بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي: صحابيٌّ مشهور أول مشاهده الخندق، وقيل: أُحُد، ولم يشهدْ بدراً، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان سيدنا جبريل عليه السلام ينزل على صورته، جاء ذلك من حديث أم سلمة ومن حديث عائشة رضي الله تعالى عنهما، وروى النسائي بإسناد صحيح عن يحيى بن معمر عن ابن عمر رضي الله عنه: «كان جبرائيل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي». وروى الطبراني عن أنس رضي الله عنه: «أنَّ النبي ﷺ قال: كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي». وكان دحية رجلاً جميلاً. وروى العجلي في تاريخه عن عوانة بن الحكم قال: أجمل الناس من كان جبرائيل ينزل على صورته. قال ابن قتيبة في غريب الحديث: فأما حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه. المعنى بالمعصر العاتق». وقال ابن البرقي: له حديثان عن النبي ﷺ. قال ابن حجر في الإصابة: يجتمع لنا عنه نحو الستة وهو رضي الله عنه رسولُ رسولِ الله ﷺ إلى قيصر فلقيه بحمص أول سنة سبع أو آخر سنة ست. وقد شهد دحية رضي الله عنه اليرموك وكان على كردوس، وقد نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه. انظر: **الإصابة**: الجزء الثاني. حرف الدال المهملة ـ صفحة :383 ـ القسم الأول [من ذُكِرَ له صحبة، وبيان ذلك]. الدال بعدها الحاء ـ الفصل: 2392.

وقد ثبت أيضاً في الأحاديث تصور الملائكة على الآدميين، كما في حديث الذي قَتَل تسعاً وتسعين نفساً، وقد ثبت أيضاً في القرآن ذلك في حديث ضيف إبراهيم ﷺ، وهم أرسلوا إلى قوم لوط عليه السلام.

قلت: وأما خوف الملائكة من الله تعالى، فقال ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، [النحل:50]. وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال ـ وثبت في التفاسير ـ: «أن الله تعالى إذا تكلَّم بالوحي سمع أهل السماوات كالصَّلصلة على الصنوان، ففزعوا حتى إذا انقضى ذلك قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير».

ثم قلت:

ومن دون كيف من إله العالمين

المذكور هنا هو [المبدىء، المعيد، الفاعل لما يشاء ﷻ]، والحاكم في خلقه بما يريد، مكوِّن الأكوان بقول: «كن»، فللكائن في ملكه ما شاء وما لا لم يكن، المنزَّه عن الأين والكيف والشبيه، الحاوي علمُه لكل شيء وما شيء يحويه، ذو العظمة والجبروت والجلال والرأفة والرحمة والجمال.

وحيث قد انتهى بناظم الأرجوزة إلى ذكر مَنْ له العزَّة، والعزيز من أعزه؛ أردت ذكر ما يليق به من التنزيه، واخترت ما قاله العالم العلّامة الصوفي الفقيه سيدنا وشيخنا الوجيه عبد الرَّحمن بن عبد الله بافقيه، المتوفَّى إلى رحمة الله في سنة اثنتين وستين بعد المائة والألف من هجرة خاتم النبيِّين، وذلك شرح منظومته المسمّاة: «**مفاتيح الأسرار في تنزل الأنوار**» المطابقة ذكر التنزيه وما أُضيف إليه من ذكر طريقة الأخيار، وأيضاً لمطابقة اسم هذا التأليف بـ «**كنز البراهين والأسرار**»، فلنذكر ما ذكره جميعه من المنظوم والمنثور شرح الله ﷻ ببركته جميع الصدور، قال نفعنا الله به وببركاته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم به عن مشارع الإسلام والإيمان ومطالع الإحسان والعرفان، والصلاة والسلام على عبده الجامع لجميع الكمالات العبدية في كل شأن، القاسم المانح لأتباعه من فضل ربّه ككلٍّ منهم ما يخصّه من إرشاد وبيان، وعلى آله صحبه وأتباعه وتابعيهم بمدى الأزمان، وبعد:

فقد ألحَّ عليَّ بعض الإخوان الموالين في الله على الحق والإيمان، أن أشرح قصيدتي المسماة «**مفاتيح الأسرار في تنزل الأنوار وإجازة الإبرار**»، فتعذَّرت إليه عن ذلك بأنها مشتملة على أشياء من علوم الطريقة وأسرار الحقيقة التي تصان عن غير أهلها بتلك المسالك، ولا يحسُن بذلها إلا لعارف بتلك المدارك، فلم يعذرني عن ذلك. ورأيت القصيدة قد شاعت في الممالك، فربما يسمع السامع منها من غير شرح ما ليس بمُراده، فيقع في المهالك، فعلقت عليها هذه الحواشي، وأستمدُّ التوفيق من الله القادر المالك، وذلك أوائل شهر رمضان المعظَّم من سنة خمس وخمسين ومائة وألف، وسمَّيْته «رفع الأستار عن مفاتيح الأسرار»: [شعر]

سبحان رب العزَّة المتعالي   عن كلِّ ما يَصِفُون مِنْ أقوالي

أي: تنزيه لله تعالى في ذاته وصفاته وآياته وكلماته وأفعاله وتجلِّياته، تنزيهاً يليق بعظيم جلاله في كليات الأمر وجزئيّاته، فهو سبحانه وتعالى مالك العزّة كلها، وإليه يرجع الأمر كله، وله الكمال المطلق الذي لا يشوبه تقييد، المحيط لكل كمال بلا تخصيص ولا تحديد، فهو المتعالي عن كل ما يصفون ـ أي: العباد ـ من أقوالٍ تصدر عنهم، لأنها مقيَّدة بقدر قدرتهم في الألفاظ والمعاني في الإفراد والتركيب والمباني، فلذا قال ﷺ: «سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1].

---

(1) أخرج مسلم وغيره ـ واللفظ بمسلم ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ أمنا عائشة ـ رضي الله عنها وعن أبيها ولعن شانئيها ـ قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللّهُمّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ». **صحيح مسلم**: الجزء الأول 4 كتاب الصلاة 42 باب ما يقال في الركوع والسجود- الحديث رقم: 222 ـ (486). **وسنن أبي داود**: الجزء الأول 2 كتاب

جَلَّ العظيم عن الحروف ووضعا وعن الحدود وعن قيود البال

أي: تعالى العظيم المطلق في كل تعظيم «عن الحروف»؛ أي: حروف الهجاء، التي هي المباني أو الكلمات التي هي ظروف المعاني ووضعها لمبنى منصوص أو معنى مخصوص، «وعن الحدود» التي في مبانيها وكذا معانيها، «وعن قيود» فهم الذهن وتقييد «البال» في كل علم ومقال.

فلقد تعالى في سماءِ سُمُوِّه عن وَسْمِه بسماتِ رَسْمٍ بالِ

أي: تعالى الله في «سماءِ» تنزيهه وسموّه وعظيم جلاله المطلق وعلوّه «عن وسْمه» في شيءٍ من قديم شأنه «بسمات» المحدثات أو «رسم» أسمائه برسم «بال»؛ أي: محدث، لأن المحدث لا وجود له حقيقة، وإنما هو وجوده بالحق عند أهل الحقيقة، فلا يقوم الباقي الذي لا حدَّ له بالمحدود الفاني بأيِّ طريقة.

سبحان مَنْ سبحات وجه جلاله أعْمَت عيون قوابل الإقبال

أي: تنزيه لله يليق بعظيم جلاله وعلا كماله عن أن يكيفه وهم أو يحققه علم، فإن «سبحات وجهه العظيم»؛ أي: أنوار وجه ذاته التي دونها سبعون ألف حجاب لو تجلَّى بها على خلقه لأحرقتهُم وتلاشى وجودهم عندها ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، [الأعراف:143]. فقد «أعمت» هذه الأنوار «قوابل» الفهوم المقبلة عليها بالعقول أو بالعلوم وطلب الوصول، وكل مَن أقبل بقوّته رجع كسيراً، وكل من توصَّل بذلك عاد وطرفه كليلاً حسيراً.

إذا علمت ذلك، علمت أن الله تفضَّل على عباده، فأذن لهم أن يذكروه بألفاظهم المخلوقة القاصرة عن معاني جلاله العظيمة الباهرة، فيتلون بها كتابه العظيم، ويذكرون بها صفاته العَلِيَّة عن الفهم والتفهيم، وقد جاء في الحديث: «الحمد لله

الصلاة. باب تفريع أبواب الركوع والسجود 152ت/ 147، 148 م باب في الدعاء في الركوع والسجود- الحديث رقم: 879. **وسنن النسائي**: المجلد الثاني. كتاب الافتتاح. باب نصب القدمين في السجود. **وسنن ابن ماجه**: الجزء الثاني 34 كتاب الدعاء 3 باب ما تعوّذ منه رسول الله ﷺ ـ الحديث رقم: 3841.

الذي أذن لي بذكره»[1]، والله أعلم.

ولقد تنزَّل جُوده بوجوده ... في الكائنات بكلِّ معنًى عالِ

أي: مع كونه ﷻ رفيع الدرجات في سماءِ علوِّه وآيات سموِّه؛ أحبَّ أن يُعرف بصفاته وتظهر آثارها في مكوّناته، فتنزَّل بفضله وجوده في نوره ووجوده، فأخرج الكائنات من حندس[2] الظلم ومن عدم العلم، فأظهرها بأنواره وميَّزها بأسراره، فتعيَّن كل منهما بمعنى من معانيه القدسية وتبيَّن لكل خلقه وما يستحقه في ذاته وصفاته ومبانيه في النوعية والجنسية، ومع ذلك لا يشبهها ولا تشبهه في كل حال، فهي به قائمة على كل المجال، بلا اتصال ولا انفعال ولا تقييد ولا أشكال بكونها ذات حدود وأشكال.

معناه ما يعنيه في تعيينه ... في عين معنى العزِّ والإجلال

أي: المعنى الساري في جميع الأكوان من سرِّ الباري معناه لا يكيف، وهو معروف وكنهه لا يُعرف، وهو موصوف بعينه ظهرت الأعيان وتميَّزت الأعراض والعوارض في جميع الأكوان، وإليه يرجع كل متعيّن في تعيينه في عين إطلاقه في كل كمال، وإنما القيود في الصورة الظاهرة بالأشكال فيها وظهر وبطن في عين معنى العزِّ والإجلال، فله الجود والوجود والكمال لا يزيده وجودها ظهوراً ولا عدمها خفاءً في جميع الأمور، وقد كان قبل أن يخلق الخلق والزمان والمكان منفرداً بجميع الكمال، والآن على ما عليه كان في كل شأن.

بانت مباني بيِّنات بيانه ... في صاد والفرقان والأنفال

أي: ظهرت «مباني بيِّنات بيانه»: المعنى المقدَّس الساري في الأكوان في تنزيل القرآن لكل ذي فهم وإمعان، فهو في كل سورة ظاهر وفي صاد والفرقان والأنفال باهر ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾، [ص:67–68]. فهو ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ

---

(1) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم فليقل «الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره» . ابن السني . **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 437.

(2) «**الحِنْدِسْ**» بالكسر، وهو الليل المظلم، والظلمة.

﴿وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، [الحديد:3]. وهو بكل شيء محيط، وهو على كل شيء قدير، وإليه يرجع الأمر كله في كل تصوير وتقدير.

فيــه تجلَّــى فــي معانــي قدســه بالحقِّ فــي الأوصــاف والأفعالِ

أي: أن الله تجلَّى بالمعنى الحق القدسي في الأوصاف والأفعال في جميع الكون المعْنويّ والحسِّي، فظهر بذلك المعنى في كل صورة وأعطاها كمالها اللائق بها في ذاتها وصفاتها المنشورة، فهي بذلك ظهرت بالحق وتعيَّنت على التحقيق، ولولاه لكانت من الباطل والعدم عند أهل الفهم والتدقيق، فلا تظهر هناك غيرته ولا تفريق إلا إلى الله تصير الأمور أولاً وأبداً من كل طريق.

وبه جلــى أبصــار صفــوة خَلْقه ببصائــر الإنبــاءِ والإرســال

أي: بالمعنى الإلهي القدسي جلَّى سبحانه «أبصار صفوة خلْقه»: من الأنبياء والمرسلين، وكحلها بنورٍ خاصٍّ ليظهر لهم بخاص تجلِّيه عليهم خصائص تنزيله إليهم ببصائر الإنباء والإرسال برسالته، فاصطفاهم كذلك رحمةً لعباده وأيَّدهم بما هنالك ليفتح لخلقه أبواب رشاده ليقربوا إليه بنور توفيقه وإرشاده.

حتــى غــدا أقمار شــمس جماله ولهــا قلــوب المؤمنيــن مجــال

أي: أن صفوة الله من عباده من الأنبياء والمرسلين في تلقِّي الأنوار والترقي في الأسرار والتجلّي في الآثار في حال ظهوره عن الأغيار مثل الأقمار تتلقى أنوارها من الشموس، ثم يفيض ذلك النور عنها على ما يتلقى منها بالتجلي المعكوس على مقدار محسوس وغير محسوس، فكذلك المؤمنون يتلقون تلك الأنوار من الأنبياء والمرسلين بواسطة وغير واسطة في كل دين، فإذا صحَّ التلقي ووضح الترقّي في مظهر الواسطة؛ انطمست الواسطة في حال ظهوره وعلم وتحقق أن الحق هو الهادي بنوره، وأنه ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ الآية، [النور:35]، وبالله التوفيق.

كلٌّ علــى قَــدْر الصفــا والاقتفا نــال الهدى في أحســن اســتقبال

أي: كلٌّ من عبادِ الله المتقين ينالون الهُدى والكمال على حسب صحة الإقبال في أحسن الاستقبال لقيلة الحق على كلِّ حال، والاستعداد بقدر صفاء عقولهم واقتفاء رسلهم في طريق الحق بالعلم والعمل على التوحيد والصّدق في كل اعتماد واعتمال.

حتى بـــدى وهدى بهـــدي جامع لجوامـــع الإعطـــاء والإرســـالِ

المصطفـــى خير الـــورى فأفاضها فـــي حزبـــه مـــن صحبـــه والآل

أي: لم تزل أنوار الحق تنزل بواسطة رسله من أُمة آدم عليه السلام أول الرسل لكل رسول وحي منصوص بوجهٍ مخصوص، إلى أن بدا المصطفى محمَّد ﷺ الذي هو خير الورى؛ أي: الخلق من الرسل وغيرهم، وخاتم النبيين، فظهر بجميع مناهج الهدى وكل ما يُنجي من كل ردا، وجاء بهَدْي جامع لجميع ما جاءت به الرسل، فجمع فيه كل مفرّق، فعمَّت رسالته لذلك جميع الَخلق وأشرقت أنواره في كل الطرق إلى الحق، فهو وارث جميع الأنبياء في جميع أنوارهم، وهم له مقدمة وهو حائز جميع أحوالهم وأنوارهم وجميع أشرارهم، وأفاضها على حزبه المفلحين وصحبه المنتجبين وآله الآكرمين، فهم ورثته الكاملين العاملين، كلٌّ منهم منوري على ما قسم الله له من ظاهر أو باطن، وكلاهما في نفع قاصر أو متعدّي.

فتظاهـــرت أنـــواره فيهـــم بهـــم فـــي التابعيـــن وكل واعـــي تـــال

وتواتـــرت فـــي تابعيهـــم ثُـــمَّ في كلِّ العصور على الهدى المتوالي

أي: تظاهرت أنواره ﷺ في آله وصحبه وتباهرت أسراره في أتباعه وحزبه، فأفاضوها كذلك على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، كلٌّ واعي بنور البصيرة، تالي لهم على الطريق المستنيرة في كل شأن، وهكذا في جميع العصور والأزمان بالهدي المتوالي بالإسلام والإيمان والإحسان بين أهل العلم والإيقان والعرفان إلى آخر أوان.

واعلم أن الحقَّ والهدى ثابت لا يزول، وإنما يخفى لما أراد الله من ظهور الجهل والفتن والفضول، فإنَّ الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فلا تظنّ أنه يزول.

كلٌّ يُبَلِّـغ عنـه مـا هـو بالـغ　　　في العلم أو في الـذَّوْق والأحوال

أي: كلُّ مَنْ هداه الله باتِّباع الرسول، ووفَّقه لنيل الهدى بصحة الإقبال ومطابقة القبول، فقد أتاه الله الحكمة، ومَنْ يُؤْت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ونوراً منيراً. فإذا تحقَّق بذلك الحق، فهو وارث لأفضل الأنبياء ﷺ، وهو في حرث الهدى حارث في قلوب المؤمنين يبلِّغ عن النبيِّ ﷺ في العلم المنقول أو في الذوق المقبول، فيرث العلم الذي هو ميراث الأنبياء والمرسلين، ويكتسب المقامات والأحوال الذي ارتقى إليها أكابر الأولياء والصالحين.

وبـه المبلَّـغ قـد يكـون لوعْيِه　　　فـوق المبلِّـغ في هـدى وكمال
فـي حبِّـه أو قُرْبـه أو ذَوْقـه　　　أو شَـوْقه بالفضـل والإفضـال

أي: ربما كان المبلَّغ ـ بفتح اللام ـ أوعى للعلم من المبلِّغ ـ بكسرها ـ وأزكى في الفهم من المعلم، فينال من الهدى والكمال ما لم ينله معلِّمه في جميع الخصال، فيفوقه بالجذبة من الله، ويكون فوقه في حب الله، وقربه من الله، وذوقه لمعاني ما جاء عن الله، وشوقه إلى لقاء الله في التلقِّي عن الله، وذلك واقع بالفضل من الله يختصّ برحمته من يشاء بالفضل والإفضال فيها كما يشاء من النَّوال.

حتى اسـتفاد من الرسـول حقائقاً　　　لـم يسـتَفِدْها حامِـلُ الأقـوال
بل ربمـا فاجـأه وجه الحـقِّ في　　　وجـه الرسـول ونـال كل منـال

أي: ربما كان المبلِّغ ـ بكسر اللام ـ حامل فقه غير فقيه، فيبلِّغ القول كما سمعه، فيستفيد منه المبلَّغ ـ بفتح اللام ـ حقائقاً من المعاني ويرقا نظماً من المباني لم يستفدها الناقل لتلك الأقوال، والمبلِّغ إنما أخذ عنه الأقوال فقط، وإنما استفاد الفقه والمعاني من الرسول ﷺ، بل ربما ارتفعت الوسائط وفاجأه وجه الحقّ فيما قاله الرسول بوجهه الذي بلغه، فاستفاد عن الله ونال كل منال في معرفة الله، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وما منَّا إلا له مقام معلوم، وإنما النبيّ قاسم و الله المعْطي، و الله أعلم.

و اللــه هــو الحــق أظهــر خلقه بالحــق فــي عــدمٍ بغيــر مثــال
والنورُ أجمــع نوره وبه اســتوى كلُّ الوجــوه بأبــدع اســتكمال

أي: أن الله هو الوجود الحقّ المنفرد بالوجود الحقيقي المحقق، فأحبَّ أن يُعرف بظهور صفاته وأسمائه بآثارها في كلياته وجزئياته، فأظهر الحق بنور القدم في ظلمة العدم بأحسن مثال ببديع الحكم والحكم، فليس في الإمكان أبدع مما كان كما قدَّره القضاء وقرَّره العلم، وكيف يكون أبدع منه، وقد أبرزه بعلمه، وخصَّصه بإرادته، وأتقنه بقدرته، وأبدعه بحكمته بأبلغ وجه وأتم؟! و الله نور السماوات والأرض، ونور كل شيء، ولولا نوره المحيط لما ظهر شيء، فالنور أجمع نوره وبه استوى كل شيء في تعيينه وظهوره، فظهر بأبدع استكمال في كل صورة لما أفاضه الحق عليه من صورة الكمال المجازى وآثار نوره.

فجميــع ذرَّات الوجــود لكلِّهــا وجهــان وجــهٌ بالوجــود يُلالي
وظهور معنــى الحقّ فيــه ظهوره وبــه تجلَّــى فــي أجــلِّ مجالي

أي: أن جميع ذرّات الوجود من البسائط والمركبات والكليات والجزئيات لها وجهان: وجه في حدِّ ذاتها، فهي عدم محض وظلمة لم تشمّ رائحة الوجود، والنور لم يخرج عن ظلمة العدم في شيءٍ من الأمور، وسيأتي الكلام عليه. والثاني من وجهيه الذي إلى الله الذي أظهر الله فيه نوره وتجلَّى فيه بأحسن صورة، فهو بالوجود يلالي بقلب الهمزة ياء؛ أي: مشرق، فليس له ظهور في نفسه، وأيّما ظهوره بظهور معنى الحقّ فيه وإشراق أنوار الوجود عليه وتجلِّيه فيه في أجلِّ تقديس وتنزيه من غير اتصال ولا انفصال ولا مماثلة ولا أشكال ولا مقابلة ولا استقبال، فظهر الكون بأجلِّ جمال من جمال الحقّ، وللحقِّ كل الجمال والكمال.

تُتلــى بــه آيــاتُ فضــل وجوده ككلامــه يتلــوه بالأشــكال

أي: أن آيات الله الباهرة وتجلِّياته الباطنة والظاهرة يتلوها في صفحات الكائنات كل عارف، وتنكشف لكل ذي نور مكاشف، وهو غير حالّ فيها ولا متصل بها ولا منفصل عنها، كما يتلو آيات القرآن العظيم. والوصف القائم بذات الله القديم

بالحروف والكتابة في قراءة وتعلم وتعليم، فهو مكتوب في مصاحفنا مقروء بألسنتنا محفوظ في قلوبنا غير حالّ فيها، وهو صفة من صفاته، فكذلك في بقية الصفات، فالقدرة الإلهية مثلاً تتجلَّى في عضو الفاعل بإبراز الفعل، ولله الخلق وحده لا شريك له في كل قابل، وللعبد النسبة بظهور التجلِّي فيه من غير حلول ولا اتحاد مثل ما قدَّمنا في الكلام في حق المقابل، و الله أعلم.

وبـه يسـبِّح كل شـيء سـرمدا   يثنـي مثانـي عـزَّةٍ وجـلال

وكتابـه فـي وجهـه بيمينـه   والمعرضـون بظفرهم وشـمالي

أي: كل شيء من مخلوقات الله يسبِّح لفظاً، ومعنى سرمداً يثني على الله بأنه المنفرد بالعزّة والجود والنور، والوجود والكمال ليس لغيره ذرة من ذلك بحال، فالمقبلون على الله، وهم جميع المخلوقات، ما سوى قلب العاصي المُعرض، نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يسبِّحون بالأمر والقهر، والعاصون المعرضون عن الله نورهم خلف ظهورهم وعن شمائلهم في كل أمر، فالحق ظاهر فيهم وباهر نوره عليهم ولكن لا يعقلون، فهم يسبّحون الله قهراً بكل جزءٍ منهم سوى القلب الغافل من جهة وِجْهة العاصي ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾، [الرعد: 15]، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا *﴾، [مريم:93-94] في كل حال.

والثاني مـن وجهيه أبـدع صورة   وتعيـن يبـدو يشـبه خيـال

أي: الثاني من وجهيه؛ أي: المخلوق والصورة الظاهرة بأبدع تصوير وأحسن تعين وتقدير، وهي في وجودها وحدودها وقيودها شبه خيال في التعبير؛ لأنها إنما قامت بغيرها وتعيَّنت في صورتها وتصويرها وتقديرها بذلك صنع الله اللطيف الخبير.

فتـرى وتسـمع فيـه سـرًّا باهراً   مـن غيـره وبـه بـكلِّ مجـال

أي: وهو ـ إن كان شبه خيال ـ فهو ظلال ظهر في شعاع الجلال والجمال، فإنه ظهر بالنور الظاهر وبَطُن فيه السرُّ الباهر من حضرة الكمال تراه فيه بكل مجال، في جميع أطواره الحسِّية والمعنوية والمثالية والخيالية.

إن الـــكلام بـــه المعانـــي تنجَلـــي وهـــو الهـــواء لمقطـــع وفصَـــال

أي: انظر واعتبر بتكوين الكلام الذي فيه تتجلى المعاني، وتُتلى الآيات والمثاني، وهو هواء يخرج من الجوف، فيعتمد على مقطع منْ مقاطع الفم واللسان ويكون له فصال، فيحدث به أشكال الحروف في كل بيان، ويظهر فيها المعنى المعروف على الوجه المألوف في كل شأن، وبعد ذلك يتلاشى فانٍ لا يبقى في أقلِّ زمان.

والواحد الفــردُ الذي ظهرت به الـ أعـــداد والأضـــداد فـــي الإجمال

أي: واعتبر في العدد بالواحد الفرد الذي ليس بالعدد، وبه ظهرت جميع الأعداد، فإنما الاثنين ظهور الواحد مرتين، والثلاثة ظهُوره ثلاث مرات، فظهرت بذلك الكثرة في عين الوحدة، والزوجية في عين الوترية، والتفصيل في عين الإجمال، والجزئية في الكلِّية.

جليت عليـــه ملابس مـــن وصفه نُسِـــجت بأحســـن منظـــرٍ وجلال

أي: جليت على الوجود الخلقي، الذي هو شبه الخيال، ملابس من نور الجلال والجمال بصور نسجت بمنوال التقديس والتصوير في أحسن منظر وجمال وأظهر ظهر وجلال في كل ذات وصفة وفعلة وانفعال.

بعجائـــب وغرائـــب وصنائـــع ببدائـــع فـــي أمثـــل الأمثـــال

بتوافـــق وتخالـــف وتكثّـــر بتوحُّـــد فـــي ســـائر الأحـــوال

أي: أن هذا الوجود الخلقي الظاهر بالمعنى الحقيقي الباهر ترى فيه العجائب التي تُبهر العقول، والغرائب التي تحيَّر في معناها الفحول، والصنائع المحكمة في الفروع والأصول، والبدائع التي لم يسبق بها منقول، ولا يعقلها معقول في أجلى الأحوال وأمثل الأمثال في كل قبول ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، [الملك: 3، 4]، فتراه في توافق في معنى التخالف. وتكثر في عين التوحيد واستمرار في أشكاله مع انفصال في أعراضه، وتحوُّل في أحواله ليظهر في ذلك التصريف بسرِّ

المعنى الباهر الشريف، في كل تعريف.

وبه العقول صفت فأشـرق وجهها بسـنا القبـول بعكـس كل ظلال

أي: إن من أعظم أطوار الوجود الخلقي أنوار العقول التي صفت، فأشرق وجهها لقبول كل مقبول، فظهر فيها سَنَا الجلال بعكس كل ظلال من أنوار الحق، من كل تجلِّي ونزول.

إن الحقائـق في الرقائـق تنجلي بظهـور معنى الحق في اسـتقبال

أي: إن الحقائق العلمية تتجلَّى في الرقائق الحُكمية على الصور الوهمية بظهور معنى الحق للعقول عند استقبال القلوب في كل وحي منقول وفهم مقبول، على حسب ما يُعطيه الاستعداد في كل وصف في جميع الفروع للأصول.

وظهور نـور الحق أظهـر كونها فيه انجلـت وعَلَتْ بـكلِّ معالي

أي: بظهور نور الحق وجود وجوده وبيِّناته ظهر كون كل كون وتعيَّن في ذاته وتبيَّن وتميَّز في تعيُّناته، وعلى بمعالٍ فاضت عليه من ذي الجود في جميع آياته في جميع المباني والمعاني، والوجود بحسب ما أُعطي من الحدود والقبول في كل حالاته.

فهـو المحيـط بكلِّ شـيءٍ جوده ووجـوده وخصـال كل خصـال

أي: إن الحقّ هو المحيط بكل حقيقة، ولا حقيقة إلا لوجوده، ووجود كل شيء وجوده، وخصال كل شيء خصلة منه، وقيوده إنما وُجِدت بإشراق سعوده، فأظهر نوره ذات كل شيء وصفاته، وأبان أعراضه وحدوده في جميع تعيّناته، فله الكمال جميعه، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، وهو ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، وهو ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ بصيغة الحصر، ولله القوّة، وهو ﴿بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾، ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾، وما لخلقه إلا إمدادات على حسب الإرادة، والاستعدادات بالجودِ في الوجود وغيره من النسب بكل شرط وسبب، ولهم الإمداد بالإكمال بكل ما فاض منه من كل عطاءٍ ونوالٍ من غير تحقق بكمال، فلذلك لا يزال في حال سريع القول والزوال في زيادة ونقص وانتقال.

فلـه الكمـال جميعـه ولخلقـه إمـداده بالجـود والإكمـال

قد تقدَّم أن العقول مِن أعظم أطوار الوجود ومواهب ذي الجود، فإنه ﷻ أجلى بصيرة العقل ليتجوَّل في عالم الحسّ والقدر بقوة الاستدلال والفكر، فتنجلي له آيات الحق بالتحقيق، وتبين له كل بيان في كل جمْع وتفريق، فيحصل المعرفة كل تعريف في كل بناء وتركيب وتأليف في كل طريق ﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ﴾، [ص:67-68]. ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾، [فصلت:53]. ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾، [العنكبوت:43]. ولا يدركها إلا مَنْ ألقى السمع وهو شهيد.

أجلـى البصائـر فانجلـت آياته للعقـل في فكـر وفي اسـتدلال

فتظاهــرت أســرارها وتباهــرت أنوارهـا بجواهــر ولآلــي

وتنوَّعــت أشــجارها فزكــت بها أثمارهـا بالفضـل والإفضـال

أي: فتظاهرت أسرار العقول من حيث هي قابلة ومفكرة في كل محسوس ومنقول، وتباهرت أنوارها بتركيب القضايا في البراهين الساطعة في آفاق القبول، فرجعت من الغوص في بحر الكون بجواهر من المعاني ولآلٍ من العلوم يبلغ بها العبد كلّ سؤل وينال بها كل مأمول باتباع الرسول، ثم بعد ذلك تفرَّعت أنهارها وتنوَّعت أشجارها وزكت بها أثمارها بالوهب الرحماني والفضل الإحساني والإفضال العرفاني من ذي المنّ والطَّوْل، وتفصيل ذلك يعرض ويطول.

فيـه كسـاها حلَّـةً مـن جـوده فتأهلـت للفيـض والإنـزال

وبـه تـراه وهـل تـراه بصيـرة ظهـرت بـه فـي كل بـالٍ بالي

أي: إن الحق سبحانه كسا العقول حلَّةً من نور وجوده، فتأهَّلت لقبول الفيض الأقدس والسرّ الأنفس بالإطلاق الكلي في جميع الكون وحدوده وقيوده، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾، [البقرة:213]. فصَعدت في سلم الإسلام، وحقّ الإيمان، وصدق الإيمان،

وصدق الإحسان، فتنزَّلت عليها السكينة ونزلت عليها المعرفة بالتحقيق والإيقان، فبذلك النور الذي كساها ﷻ، تراه في كل شيء رؤية إثبات وتنزيه لا إحاطة وتشبيه، وكيف تراه بصيرة ظهرت بنوره في كل قلب محدود. «وبالٍ»: بالي؛ أي: فاني ليس له في حق الوجود وجود، ولكن يرى المعنى الإلهي بالمعاني الإلهية، ويرى الصفات الصفية بالأنوار الوهبية، من غير أينية ولا كيفيّة.

لكن يكون وجودها فـي خلقه الـ إنسـان بعـد حـواسٍ وخيـال

وتمكَّنـت بالطبـع منـه فإنهـا منهـا تُشـاب بظلمـة وخبـال

أي: لكن العقول، وإن كانت نوراً وكساها الله النور بالوحي الإلهي، فهي نور على نور، إلا أنها بكون وجودها في خلقة الإنسان، الذي هو روح عالم الإمكان في المظهر الجامع لجميع المعاني والأعيان، إنما ظهر بعد الحواس الخمس التي لا قدرة لها إلا على عالم المقدار والأشكال، وبعد الوهم الذي يتكوَّن فيه الأوهام والخيال، وقد تمكَّنت هذه الأشياء بالجِبلَّة من خلقة الإنسان فغلبت عليه، وساعدتها الطبائع الجسمية، كالشهوة السبعية والبهيمية، فجاءت العقول غريبة، فلا تزال تنازعها في إقبالها وتعاندها في استقبالها، وربما ضَعُفت العقول وانقادت للحسّ الكاذب والوهم والخيال، فيشاب نورها بالظلمة الأكوانية والخيال، الذي به تعطيل قواها النورانية؛ لأنها صارت مغمورة بالأمور النفسانية، والعوارض الشهوانية والدسائس الشيطانية.

فـإذا أراد اللـه تطهيـر إلهـاً منهـا وتقديسـاً لـكل وصـال

سلكت سـبيل الاجتهاد وصابرت نـار الجهـاد وفصـل كل فصال

إذا أراد الله تطهير ذوات العقول وتنوير بصائرها لينطبع فيها من الأنوار كل قبول وتقديس لسرائرها لتكون أهلاً لكل وصال ووصول؛ سلكت في طريق الحق سبيل الاجتهاد، وبادرت لقطع كل عادة ومألوف من لوازم الطبع والجِبِلَّة، وأحرقت بنار الجهاد كل ما رانَ على البصيرة وغان على السريرة، من ظلمات النفوس ودخان الشهوات وخيالات الحواس، وصبرت على كل فطام من تلك المعادات، ومن كل فصال من تلك الرضعات، فلا بدَّ مع بذل الاجتهاد من وصل الله، ومع مواصلة

الجهاد من فتح الله ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، [العنكبوت: 69].

واستقبلت مرْآتها مرآة مَنْ — حصل القبول له من الإقْبال

كذوي العلوم العاملين أو الـ — ـشيوخ العارفين وصال الأبدال

لا يتمُّ لها كمال الاستعداد ببذل الاجتهاد، ووصل الجهاد في طريق الرشاد، إلا إذا استقبلت مرآتها الصقيلة مرآة مَنْ حصل له القبول والفضيلة، وصارت مرآته نورانية تتنزَّل عليها الأنوار الإحسانية والأسرار العرفانية والإمدادات الرحمانية، وذلك ثمرة السلوك بصالح الأعمال مع صحيح الإقبال في طريق أهل الإيصال، وهم أهل العلوم العاملين بها، والشيوخ العارفين بالله معرفة تحملهم على القرب منه والحب له، وفي كل حال بحسبها بكل مجال. وصالحي الأبدال الذين قاموا بحقوق الله وحقوق العباد، على حسب ما قسم الله لهم في كل حاضر وباد، فنفعهم للخلق شامل باطن وظاهر، وكلما مات رجل منهم أبدل الله بآخر مكانه، فصحبة هؤلاء إكسير لكل عبد كسير، ينقلب به الضمير في كيمياء السعادة ذهباً خالصاً ونوراً صادقاً صافياً من شوب وتكدير بصيراً؛ أي: بصير بكل معنى كبير في كل اعتبار وتعبير.

أو غيرهم ممن تلقى وصلهم — بتعلق فتخلق فنوال

أي: أوَ غير الكاملين من الوسائط الصادقين والروابط اللاحقين الذين حملوا الأمانات بحالها وأدُّوها إلى أهلها، فقد تقدَّم أن المبلَّغ قد يكون أوعى من السامع، ورُبَّ حامل فقهٍ غير فقيه، وأول السلوك تعلق بالحق مع توسُّل ثم تخلق مع توصل، ثم نوال بكلِّ قُرب.

فـي تـوبـةٍ فـإرادة فتعلُّمٍ — متعجل فتوصُّلٍ لكمال

بالعلم والأعمال أو بالذكر والـ — إقبال أو بالجدِّ والتِّرحال

أي: يكون التعلق وما بعده بالتوبة النصوح بالانقطاع إلى الله، والإرادة التي لا يبقى معها مراد سوى وجه الله، والتعلم للعلم المنير، والسفر إلى الله، والحذر من

كيد النفوس ودسائس الشيطان القاطعة عن الله، والعمل بذلك بتكلّف للعبادة حتى تصير عادة محبوبة بحبالله، فيتوصَّل بذلك إلى كمال العبودية لله ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾، [الحجر:42]. ويكون ذلك بالعلم الذي يُقرِّب إلى الله، والأعمال الخالصة لوجه الله، وبدوام الذِّكر والمراقبة والإقبال على الله، أو بالجذبة بالجدّ والترحال لقطع منازل الطريق إلى الله.

بعبادة وعبودة بعقيدة — معقودة من خالص الأرسال
متقلداً للصالحات مقلّداً — للحق غير مقيّد في حال

أي: يكون التعلق وما بعده مما تقدم في عبادة من صالح الأعمال مع عبودية في غاية الاستجابة ونهاية الامتثال، على عبودية بإخلاص من شوائب حظوظ الدنيا والآخرة بأصدق إقبال، وذلك كله مؤسس بعقيدة صافية من كل تشبيه وتعطيل وذكر ووهم وعقل وتخيُّل، وإنما هي وحي يُوحى معقودة من خالص الأنباء والأرسال متقلّداً للصالحات في كل ذكر وشكر، بأمرٍ ونهيٍ مقلّداً للحق في جميع الخصال، غير مقيَّد في حالٍ من الأحوال، صاعداً إلى الله بما نزل من عنده معتصماً بحبل الله، الذي وصله برُشْده ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، [فاطر:10].

فمن الحضيض عزّ وجه فوق العُلا — وخروجه من ظلمة الإضلال

أي: أن العبد المريد يصعد من حضيض أسفل سافلين، ويعرج إلى الله بالنور المبين، في منازل الدين ومناهل اليقين، على سلم الإسلام والإيمان في بقاع المراقبة والإحسان، إلى فوق كل علم معلوم وحال محسوس ومعقول وموهوم، وبذلك الخروج والعروج يخرجه الله الحق المبين بنور اليقين من ظلمات الجهل والتكوين، التي يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فلا تغرنَّكم الحياة الدنيا ولا يغرنَّكم بالله الغرور.

ويرى الأُمور جميعها بالله والـ — إفضال بالطاعات والأعمال
والخلق في جهل وعجز ما لهم — في سائر الأكوان من مثقال

إذا خرج العبد من ظلمات التكوين بعلم اليقين، وعرج إلى الله في عين اليقين وحقّ اليقين؛ عرف الحق بالحق، وشهد الخلق في جهلهم وعجزهم الذاتي والصفاتي، وإنما أظهر الله الحق فيهم بنوره وكساهم العلوم والصفات بظهوره، فهم باقون في جهلهم الحقيقي إلاّ مَنْ هداه الله فيما هداه، وهم متحقِّقون بعجزهم الخليقي إلا مَنْ أذن الله له وأتاه، فما لهم في الأكوان الكائنة فيهم وفي الآفاق من مثقال ذرّة ولا طرفة ولا خطرة ولا شعيرة ولا شعرة، بل ذلك كله لله المنفرد بكل الأفعال المتوحّد بالكمال، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، [فصلت: 53]، فيشهد العبد في كل حال المنة لك بالإيجاد والإمداد والإفضال عليه بالطاعات والأعمال، وأنها نعمة من الله عليه لا يقدر قدرها ولا يبلغ شكرها.

ويرى الوجــود جميعه والجود من فَيْــض الكريــم بوابــلِ الإفضال
فيقــرّ فــي إيمانــه ويقرّ فــي الـ إحســان للمعطــى لكل ســؤال

أي: إذا عرف العبد الحق رأى جميع البطون والظهور، وجميع التكوين الفائض من الجود بكل إيجاد وإمداد ونور، إنما هو من فيض وابل الإفضال ومن سح هواطل الإنزال من الكريم الوهّاب بلا أكدار ولا زوال، فيقرّ العبد ـ أي: يستقرّ ـ في حق الإيمان والسكينة وتحقيق المعرفة المكنية، ويحصل له الجمعية، ويقر إلى الله في الإحسان في كل حال، فإنه المعطي لكل سؤال في جميع الشأن والأقوال والأفعال.

ويقيــد الأهــواء بتقــوى مُخْلصٍ والطبــع يقهــره بحكــم عالــي
فبــذاك يخرج عــن هــواه وطبعه بالامتثــال لشرعــه المتعالــي

أي: إذا عرف العبد ربّه، ورأى حقيقة جوده بوجوده وإمداده وقربه؛ تبرَّأ من كل دعوى، ورفض دواعي الهوى وقيَّدها بكل تقوى على طريق العباد الخواص في تحقيق التقوى وتخليص الإخلاص من شوب كل نسبة دعوى، واختصاص فحينئذ يقهر كل طبع بحكم العليّ المتعالي في كل إعطاء ومنع، ويخرج عن هواه وطبعه في كل عقل وفعل وكل حس في كل نظر وسمع وينطبع بكل إذعان وامتثال للشرع

المتعالي بعلوّ مالك الضرّ والنفع.

فيصيـــر قصـــداً واحـــداً مقصوده ويصير عبـــداً لخالـــص الأحوال

بأدائـــه المفـــروض ثـــم بقربـــه فـــي كثـــرة الطاعـــات والأنفـــال

أي: فيصير هذا العبد بصدق العبودية والتحقق بالأخلاق في سائر الأحوال الوجودية عبداً خالصاً خاصًّا به في كل ما أوْلاه ووالاه، وذلك بأدائه المفروضات على الكمال والاجتهاد في التقرّب إلى الله بكثرة الطاعات في النوافل والأنفال وكثرة الاستغفار والتضرُّع والابتهال، فبذلك صحَّ قربه من ربِّه واتضح عليه شواهد تقريبه له وحبّه وخلصه من كل ما سواه لإخلاصه في تقواه.

وبصدقـــه فـــي قصـــده ودوامـــه فـــي ذكـــره مســـتهتراً متـــوالي

أي: من أقرب الطرق إلى الله والقرب منه حق التقريب إليه تقواه وصدق المقصد إلى الله، ومع الله في كل أمر ودوام الذكر[1] والاستهتار به استهتاراً متوالياً على كل حال في جميع الساعات والأعمال، حتى يغلب عليه المذكور وتشرف عليه لوامع النور في كل طور في جميع الأمور، فيفنى عن نفسه وذكره في المذكور.

لمـــا تولَّـــى الحـــق فـــي طاعاتـــه بالحـــق كان لـــه أجـــل موالـــي

فبـــذاك أخرجـــه إلى نـــور الهدى مـــن ظلمـــة الدنيـــا وكل ضـــلال

أي: أن هذا العبد لما كتب الله له السعادة وأهَّله للحسْنى وزيادة تولى الله في الإقبال عليه بطاعاته واستقبال قبلة جوده في جميع عناياته، فاتخذه الله ولياً ـ أي: متولياً ـ لأنوراه مخزناً لأسراره، وذلك أنه صدق مع الله بأفضل الصدق وحقق القصد بالحق، فكان الله له وليًّا ـ أي: متولياً ـ فهو له أجلّ موالي، فهو وليّ الله؛ بمعنى: أن

---

(1) وقد حثنا الشارع الحكيم على لسان رسول الله ﷺ أن لا نغفل عن الإكثار من ذكر الله ﷻ ليلاً ونهاراً سراً وجهراً إجلالاً لله ﷻ وعبودية له. والمراد بذكر الله ﷻ شهودنا ليلا ونهارا أننا بين يديه وهو يرانا ويرى أفعالنا وأقوالنا وخواطرنا. وأما الذكر اللفظي فإنما هو وسيلة إلى حصول هذا الذكر. واعلم يا أخي الحبيب أنك لا تصل إلى هذا المقام إلا بالسلوك على يد شيخ مرشد ناصح، ومن لم يسلك كذلك فمن لازمه الغفلة عن الله تعالى ولا يذكره إلا عند الحاجة لا غير، فإذا أعطاه حاجته نسي ذكره، وهذا من أعظم أبواب الغفلة عن الله، ويكون من حاله هذا كأجير السوء إن أعطي عمل وإن منع عطل.

الله تولّاه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، [آل عمران:31]. ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، [البقرة:257]. فبذلك التولّي إلى الله، والتولّي لله، وتولّي الله إياه؛ أخرجه الله من ظلمات الدنيا والتكوين، إلى نور الهدى واليقين وعمل المتقين والتمكين، فهو بنوره يمشي في الدين على الحق المبين، خارجاً من كل ضلال وشكٍّ وإشكال ومين، في كل حال وكل حين.

وهناك يفنى عن شهود شؤونه ويصير كل الرسم في اضمحْلال
ويغيب عنه وجوده في جوده ويرى بمعنى الحق كل مقال

أي: أن العبد بذلك التجريد من العوائد والتقييد وبالتحقيق بالتوحيد، والتحقيق في مناهل التفريد يفنى في الله مطلوبه وشهوده ومحبوبه عن جميع شؤونه ووجوده، ويتلاشى جميع خواطره وشكوكه وظنونه ويصير جميع رسْمه في اضمحلال عن النظر إليه في جميع فنونه، فيغيب عنه وجوده في وجود الحق بالحقّ، ويرى بمعنى الحق كل حق في كل حال وكل صدق في كل مقال، فلا يشهد إلا الحق في جميع مناهج الخلق، وليس في الحق من ضلالٍ ولا شكٍّ ولا جدال.

فبه يرى وبه يقول ويحتذي وبه يحاول سائر الأحوال
ويصير موجوداً بجود الحق في كل الوجود ووصل كل وصال

أي: أن هذا العبد الموفق إذا تحقق مع الله بقربه، وفيه بحبّه وتلاشى وجوده في جوده؛ صار أمره كله لله بالله، وصار الله سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، فلا يسمع إلا الله، ولا يبصر إلا في الله، ولا يطلب إلا من الله، ولا يقول إلا بالله، ولا يحاول جميع ما يفعله من الأفعال أو يتحوَّل من الأحوال إلا بحول الله وقوّته ولطفه وتوفيقه وقدرته في جميع الأعمال، ويصير موجوداً بالله في جميع الشهود وجود الحق ظاهراً عليه في جميع الوجود، وإليه كل نوال من الله بكل جود، ووصل كل وصال من الله عند كل موجود، فهو من الله، وإلى الله، وفي الله، وعلى الله في

كل الإطلاقات والقيود[1]، من غير حلول ولا اتحاد ولا شيء مما يقوله أهل الجهل والإلحاد والجحود.

ويعــود منعكســاً به نــور الهدى ... بين الــورى للحــق منــه مجالي

فتــراه خلقــاً وهــو حــق جامعٌ ... لمجامــع الإفضــال والإنــزال

أي: أن هذا العبد إذا صار فانياً في الله، وعاد باقياً بالله لا يحجبه الخلق عن الحق، ولا يُدهشه الحق عن الخلق؛ صار كالقمر المنير يتلقّى أنوار الشمس وتنعكس منه على العالم، فتشرق به أنوار الحق في الخلق، فله فيهم منه مجالي على أشرف التقديس والتنزيه في جميع المعاني والمعالي، فتراه أنت خلقاً بشراً سويًّا، وهو حق قد غمره نور الحق، وصارت بشريّته مطوية في نورانية خصوصيته، كما انغمر البدر بنور الشمس عن ظلمانيته، فهو عبد الله الجامع لجميع مظاهر الإنماء والصفات يعبد الله بجميع الأطوار في جميع الهيئات مظهراً لمجامع الجمعيات في العقليات والسمعيات، يتواتر إليه الإفضال بجميع المطالب والهبات، ويتولى عليه الإنزال بكل خير في جميع التنزّلات.

والحــق يذكــر حيث يُذكــر نعْته ... ولــه بذكــر الحــق ذكــرٌ عالــي

ومتــى بــدا أبداً بــه نــور الهدى ... فيــراه معتقــدوه كل جــلال

أي: أن هذا العبد الملحوظ بنور الله المحفوظ بعين عناية الله، حيث صار عبداً خالصاً خاصًّا بالله إذا رُؤِيَ ذُكِر الله، وإذا نُعِت نُعِت بالله، وله بذكر الله ذكرٌ عالي ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾، [الانشراح:4] فلا يذكر الله إلا ويُذكر أهل ذِكْره، ولا يوصف جوده إلا ويوصف أهل شكره، ومتى بدا هذا العبد ـ أي: أبداه ـ الله للوجود وأظهر

---

(1) روى البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَه**». **صحيح البخاري**: الجزء الرابع 84 ـ كتاب الرقاق 38 باب: التواضع ـ الحديث:6137.

به الجود أشرق به نور الهدى في الوجود، فيراه معتقدوه كل جلال من جلال الله، وطريق كل كمال إلى التقرّب من الله، والحب في الله. وإن أخفاه، فهو مصون في حفظ الله، مضنون به عن عيون أهل الجهل والغِرة بالله، فيرونه مذمماً ولا يعرفونه محمّداً، والحكم لله ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً.

ويفـوز مَـنْ والاه في مـولاه مِنْ — أحبـابــه بنهـايــة الآمـــال

ويكــون كالمشــكاة والمصباح و — الزيــت الــذي بزجاجــة متلالي

رقّ الزجــاج ورقّ مــا فــي جوفه — فتشــابها فتشــاكلا فــي الحــال

أي: أن هذا العبد كلَّ مَنْ والاه وأحَبَّه لله واتَّبع سبيله في الله؛ نال نهاية الآمال من الله، فإذا جعله قبلة إلى الله، وأقبل بكلِّيته على الله؛ قبله الله وقابله بالقبول، إنْ تقرَّب إليه شبراً تقرب الله إليه ذراعاً، وإن تقرَّب إليه ذراعاً تقرَّب منه باعاً[1]، وعلى قدر توليه لهذا العبـد يتولَّاه الله؛ لأن هذا العبـد مظهر أنوار الله في ظهـوره فيه، وتجلِّيه عليه، ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾، [النور: 35]، فطوبى لمن طاب به فؤاده، وتمكَّن فيه وداده، وصحَّ معه جهاده، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، [العنكبوت: 69]، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، [البقرة: 105].

فإذا تأمَّلت عبدية هذا العبد وجدتها تلاشت في عنديته، فصار كما قال الشاعر: [شعر]

---

(1) روى الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة: عَن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ «**يَقُولُ الله ﷻ: أَنَا عَنْدَ ظَنّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرني، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي في مَلإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إليّ شِبْراً اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِراعاً، وَإِنِ اقْتَرَبَ إليّ ذِرَاعاً اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**». **صحيح البخاري**: الجزء الرابع 100 ـ كتاب التوحيد15 باب: قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ﴾ [سورة آل عمران: 28] الحديث رقم:6970. **وصحيح مسلم**: الجزء الرابع 48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 1 باب الحث على ذكر الله تعالى – الحديث رقم: 2 (2675).

رقَّ الزجاج ورقّت الخمر ... فتشاكلا فتشابه الأمر

فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ ... وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

وإياك من قلبه عليل وفهمه كليل أن تظن في أهل الرَّشاد والإرشاد ظنون أهل الإلحاد والحلول والاتحاد، وقد مرَّ لك التمثيل بالقمر وبتلقِّيها من غير اتصال ولا اتحاد.

والحمد لله الحميد بحمده ... من فضله نلنا أجلُّ نوال

وبعبده ورسوله اتصلت لنا ... أسنى الصلات بأكمل الأوصال

أي: إن الله منَّ علينا أُمَّة محمد ﷺ ببعثة رسوله، فأنقذنا به من الضلال وأوضح لنا به طرق الحق والكمال، ونلنا به أجلُّ منال في جميع الصفات والأحوال وجميع المطالب والخصال، وبواسطة رسوله اتصلت لنا ووصلت إلينا منه أسنى المعضلات من العلوم والأعمال والمقامات والأذواق في المواجيد والأحوال بأكمل الإيصال، في كل قرب ووصال وحب واتصال.

وبه بلغنا كل خير فائض ... بالجود والتفصيل في الإجمال

وبآله وبصحبه اتَّضحت لنا ... سُبُل الرشاد ونهج كل كمال

أي: إنَّا بلغنا برحمة الله إيانا وبمِننه علينا برسالة المختار وبعثته بالأنوار والأسرار كل خير ونور وفوز وهدى، في كل جود فائض من الغيث المدرار على المقرَّبين والأبرار في التفصيل والإجمال في جميع الأعيان والمعاني والآثار؛ إذ لا تسعه السطور ولا يحصيه القلم ولا المزبور، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، [السجدة:17]. وذلك بصحبة الأخيار من آله وصحبه وأتباعه الذين هم الشموس والأقمار، فاتضح لنا بهم سبل الرشاد في كل إقبال وانفتح باب القبول، في نهج كل كمال بالإكمال.

أنوار تحقيق ككل حقيقة ... قد طابقت للحق في الإكمال

أي: إن هذه الأنوار التي وصلت إلينا من رسوله وتواصلت علينا بآله وصحبه

وأتباعه، فنلنا بها منالاً من كل قربة ومحبة، وكل خير منه، ووصل وهبة هي أنوار تحقيق للحق في كل حقيقة يشهد بها الحس والنظر والعقل في كل دقيقة ويقوم عليها البرهان والذوق والوجدان بكل طريقة قد طابقت للحق في كل حال بشواهد الكمال والإكمال، فلا يظن مَنْ لا سلوك له في هذا المجال أن في الدين نفسه قصوراً وتقصيراً، ويدخل عليه نقص بذلك أو فيه اختلاف ومخالفة في قليل أو كثير، ولو كان من عند غير الله، لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، فالخلاف إنما هو في الفهم فليس خلافاً في الحقيقة، وإنما هي مفاهيم في المعاني الدقيقة في أشياء تابعة في الشريعة والطريقة، فكأنه لا خلاف في الحقيقة، وقد قال ﷺ: «إني تركتكم على المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ هالك»(1).

برسالةٍ ونبوّةٍ وولايةٍ بشريعةٍ وطريقةِ الإيصال
فاضت عليها من بحارِ محمَّدٍ بمعارفٍ ولطائفٍ وعوالي

أي: ظهرت الأنوار واتَّضح سبيل الهدى وانفتح نهج الكمال واستنار برسالة من الأنبياء لتنزيل الأحكام والاحتكام بما اختار العزيز العلَّام في شرعه في مناهل الإيمان والإسلام ومناهل الإحسان والاستسلام، وبنوره تظهر بها الأنوار وتبهر بها مَن والاه مِنَ الأخيار، فكل رسول جمع الرسالة والنبوّة والولاية، وكل نبيّ له النبوة والولاية، وهي ولاية خاصّة أخص من ولاية الأولياءِ المجرَّدة عن النبوَّة؛ لأنها باطن النبوة والرسالة، وولاية الأولياء خاصة يخص الله بها المقرَّبين من عباده، فهي أخصّ من ولاية عموم المؤمنين، فإن لكل مؤمن من الله الولاية العامّة ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾، [البقرة: 257]، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، [يونس: 62، 63]. وبهذه الرسالة

(1) روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب قلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا قال ﷺ: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم عن سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا عضوا عليها بالنواجذ فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد». **مسند الإمام أحمد**: المجلد الرابع. مسند الشاميين. حديث العرباض بن سارية عن النبي ﷺ.

والنبوّة والولاية ظهرت الشريعة بالحق والتحقيق كما تقدّم في التقييد بالأحكام بكل امتثال واحتكام، لكنها تعمّ العوامّ والطغام من أهل الإسلام، فلا بدَّ من طريق خاصّ يتحقق فيها المتحقق بالصدق وتحقيق الإخلاص، وهي طريقة الإخلاص، فهي السرائر بالشريعة التي أنزلها الله إليه، وتنزيه القلب عمّا سواه، والتعويل في كل حال عليه مع تهذيب الأخلاق والفضائل من جميع الشوائب والرذائل، وهي طريقة الإيصال إلى القرب من الله، والحبّ لله، والانقطاع إليه والذهاب إليه، فتظهرُ بها عليه أنوار الحقيقة والمعرفة الخفية في كلّ رقيقة ودقيقة، فتفيض بذلك على العبد المخلص السالك من بحار سيدنا محمَّد وعلومه الأنوار، وتنزل المعارف واللطائف والأسرار ومعاني عوالي لا تحيط بها الأفكار ولا تسعها العبارة، فمن عبر عنها وقع في الشطح، ووقع عليه الإنكار، و الله يتولى السرائر بحفظه في كل مدار.

إرث الشيوخ العارفين أولي العلوم العــاملـــين مطالـــع الآمـــال

كالوالد الشـــيخ الإمام وجدي الــ ـــحبر الهمام وخالـــي المفضال

فلقــد حَظِيــت بقربهـــم وبلغت آمالـــي بهـــم وبهم ســـبقت رجال

أي: إن العلماء ورثة الأنبياء في الميراث الأعمّ والأخص على حسب القسمة «إنما أنا قاسم، والله معطي»، فقد فاضت علينا منهم الأنوار واستفاضت الأسرار في الشريعة والطريقة بالمعارف واللطائف في الحقيقة بواسطة شيوخنا العارفين العاملين المتحققين بحقيقة الدين وصفات المتَّقين في كل علم ومعرفة ويقين، كشيخنا ووالدنا السيد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الفقيه الإمام محمد بن عبد الرَّحمن باعلوي ﷺ، فإني بحمد الله قد لزمت مجالسه ولازمته في جميع خلواته وجلواته نحواً من عشر سنين، وأخذت عنه في جميع علوم الدين ومقدماته ما لا أُحصيه بالعدِّ ولا أحصره بالتعيين، وله مؤلفات كثيرة ومجامع شهيرة تشهد له بذلك في كل تبيين وخصَّني بخصائص الفضل المبين، وشرَّفني بالإلباس والتلقين، وأجازني إجازة خاصة مكتوبة بخطِّه عامة في جميع العلوم وما تلقَّاه عن مشائخه العالمين الأئمّة العارفين، ولم يزل عليَّ راضياً وبي برًّا إلى أن توفي في شعبان سنة عشر ومائة وألف، وأنا ابن إحدى وعشرين، ويستخلفني في حياته للتدريس والفتوى

في نشر علوم الدين، وقد كان إمام وقته وفضله معلوم جامعاً لجميع المعارف والعلوم والشريعة والطريقة والحقيقة ورسوم القوم مع محبَّته للخمول ومحو الرسوم وصدق العبودية للحيِّ القيُّوم، وسرّ الحقيقة في الخصوص عن العموم.

ترجمة
[سيدي العارف بالله محمد بن عبد الرَّحمن بن محمد بن أحمد بن حسين بن الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه]

وأما جدي، فهو جدي لأُمِي الشيخ الإمام الحبر الهُمام **محمد بن عبد الرَّحمن بن محمد بن أحمد بن حسين بن الشيخ عبد الله العيدروس،** فضله مشهور، وهو بكل علم وتحقيق وتدقيق مذكور، وإليه في حياته مرجع أهل قطره الخاص والعام في جميع الأمور، وعليه لظهوره جميع مطالب الأخيار في بلده تدور، وقد قرأت عليه كتباً كثيرة وصحبته مدة كثيرة واستفدت منه فوائد منيرة، وخصَّني بالعناية والرعاية، وألبسني خرقة أهل الولاية، ولقَّنني الذكر في طريق الهداية، وأجازني إجازة خاصة بخطِّه الشريف في جميع ما يجوز له روايته في كل تعليم وتعريف، ولازمته إلى أن توفي رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة ومائة وألف.

وأما خالي، فهو السيد عبد الرَّحمن بن محمد المذكور، وهو السيد المفضال الجامع في مجامع الفضل لجميع الخصال، الذي أجمع الجمْع عليه في كل حال، وأنه واحد العصر الذي تشدُّ إليه الرحال، ويحلّ كل إشكال، وقد قرأت عليه جملة كبيرة من الكتب الشهيرة في جميع العلوم، وانتفعت به نفعاً خاصًّا عامًّا في كل معلوم، وألبسني الخرقة، ولقَّنني الذكر مراراً عديدة، وكانت له اليد الطُّولى في طريق القوم، وله مؤلفات كثيرة، ومجامع منيرة في جميع العلوم تشهد له بصحة المنقول وتحقيق المعلوم والمفهوم، وقد أجازني ما يجوز له روايته، وكتب لي ذلك بخطّه، ولازمته إلى أن توفي سنة ثلاث عشرة ومائة وألف.

فهؤلاء الثلاثة هم أصْل نجحي، ومصباح فتحي، وفجر صبحي، وأنا ربيت

بتربيتهم، ونشأت في حجورهم وأنديتهم، فحظيت بقربهم، وبلغت آمالي بهم في جميع المطالب، وبهم سبقت لذاتي ورجال ساعاتي، وجزاهم عني الله بالرضا والرضوان والحسنى والزيادة بكل حسن وإحسان.

وبغيرهـم مـن سـادة وأئمَّـة ومشـايخ كبـرا وصلـت حبالي

من ساكني الحرمين واليمنين والـ ـشام ومـن أهلي وأهـل حلالي

أي: وصلت إلينا الأنوار من مواريث الأنبياء والأخيار من الصالحين والعلماء والعارفين والأبرار بواسطة أئمة آخرين، غير الثلاثة من العلماءِ الكبار والسادة الأطهار، فاتصلت حبالي بحبالهم، وتواصل وصلي بوصالهم، فمنهم من أهلي وأهل بلدي، ومنهم من أهل الحرمين وأهل اليمنين ـ أي: تهامة والجبال ـ ومنهم من أهل الشام، فقد أخذت عن صنوي جمال الدين محمد بن عبد الله المتقدم ذكره، وكان من خواصّ المتقين وأهل العلم واليقين والعلماء العارفين، وله رسائل مفيدة وأشعار فائقة فريدة، **وأخذت كثيراً من علوم الدين في مدة سنين عن سيدنا الإمام العارف بالله القائم بالإرشاد في منهج الرشاد، السيد عبد الله بن علوي بن محمَّد الحداد علوي،** قرأت عليه قراءة كثيرة في كتب شهيرة، واستفدت منه فوائد كثيرة، ولي منه عناية خاصة ومحبة خالصة، وألبسَني الخرقة ولقَّنني الذكر مراراً عديدة، وكتب لي الإجازة بما يجوز له روايته وحثَّني على ملازمة التدريس ونشر العلم في حياته، ولم أزل أتردَّد إليه إلى أن توفي سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف.

وأما **السيد أحمد بن عمر الهندوان،** العالم الشهير الحقيق بالتحقيق لعلوم الدين في جميع الشأن، فقد قرأت عليه مدَّة في كتب عدة وصحبته واستفدت منه وانتفعت به في كل رخاءٍ وشدّة، ولبست منه الخرقة الشريفة مراراً، وأجازني إجازة خاصة عامَّة لفظاً تجاه قبر العيدروس، وصحبته إلى أن توفي سنة إحدى وعشرين ومائة وألف.

ولبست الخرقة الشريفة من **السيّد الفاضل العارف بالله علي بن حسين بن محمد بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ العيدروس،** وهو لبس من السيد عبد الله بن علي صاحب الوهط، ولبست الخرقة أيضاً من السيد الصالح شيخ بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن

سالم، وهو لبسها من أبيه عن جدِّه وغير هؤلاءِ من أهل جهتنا من آل باعلوي وغيرهم ممن يكثر تعدادهم ويعسر حصرهم وإيرادهم، أدام الله علينا إمدادهم ونفعنا بهم.

وأما أهل الحرمين، فقد ألبسَني الخرقة مراراً كثيرة **الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي المديني** بإرسال ذلك من المدينة المشرفة، وأجاز لي إجازة خاصّة عامّة في حياة والدي، وتوفي سنة إحدى ومائة وألف.

وكذلك أجاز لي السيد الشهير **العلَّامة محمد بن رسول البرزنجي** رحمه الله تعالى إجازة عامّة في عموم أولاد والدي. وكذلك **الشيخ حسن بن علي العجمي المكي**، أجاز لي إجازة عامة وكتب لي بخطِّه، وكذلك **الشيخ أحمد بن محمَّد النخلي**، أجاز لي إجازة خاصة عامة بخطِّه. وكذلك **الشيخ عبد الله بن سالم البصري**، أجاز لي إجازة خاصّة عامة، وكتب لي بخطِّه وأطال في لفظه.

ثم قدَّر الله السفر إلى الحج، واجتمعت بالشيخ أحمد بن محمد النخلي، والشيخ عبد الله بن سالم البصري، المذكورَيْن، فسمعت منهما حديث الأوليَّة أول ساعة اجتمعت بهما فيها، وما زالا مدّة إقامتي بمكّة يتردَّدان إليَّ، واستفدت منهما فوائد في جميع العلوم، ولم يزالا يكتبان إليّ إلى بلدي كل عام، إلى أن توفيا ببلد الله الحرام. ومن جملة ما كتب به إلى الشيخ عبد الله البصري، إلى مجمع بحري الشريعة والحقيقة وعمْدة أهل المعرفة والطريقة، وهو بخطِّه لحسن ظنّه بي في كل رقيقة، وغيرهم من أهل الحرمين ممن يكثر عددهم ويشقّ سردهم.

ومن أهل الشام: السيد العلّامة الجليل إبراهيم بن محمد بن حمزة الحسني الدمشقي، نقيب الأشراف بالشام، ووصل إليّ مراراً إلى منزلي بالمدينة الشريفة، وطلب مني الإجازة فأجزته، وطلبت منه الإجازة من الشيخ أبي المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي الدمشقي، نفع الله بهم.

وأما اليمنيون: فقد اجتمعت **بزبيد** في سفري إلى الحجّ بجماعة من علمائها، كالسيد يحيى بن عمر الأهدل مقبول، والسيد أبي بكر بن علي، والشيخ الزين المزجاجي، والشيخ علاء الدين أخيه، والعلامة إبراهيم الناشري، وابن جمعان وغيرهم، وكلهم

طلب مني الإجازة، فأجزتهم فأجازوني إجازة عامّة لفظاً، ولم أزل مدّة إقامتي بزبيد، وهم يجتمعون عندي كلَّ يوم لاقتباس الفرائد والتماس الفوائد، وبهم اتصلت سلسلتي بالأسانيد اليمنية والسلاسل العالية السنية، نفع الله بهم أجمعين وجمعنا الله بهم في مستقرِّ رحمته وبحبوح جنّته يوم الدين.

بالعرض والتحديث والإسماع أو بإجـــازة ووجـــادة ونَـــوَال

في الفقه والأصلين والتفسـير مع علـم الحديـث مسـاند وعوالي

أي: أخذت عن هؤلاء المشايخ العارفين العاملين، ورثة سيّد المرسلين ﷺ بأنواع الأخذ من العرض، وهو القراءة على الشيخ والتحديث بقراءة الشيخ، وهو أعلى من العرض والإسماع، بقراءة غيري وأنا أسمع، والإجازة الخاصة والعامّة والوجادة بخطوطهم أو بخطِّ غيرهم منسوب إليهم، مع الإذن منهم لي في نقل ذلك عنهم، وروايته منهم، والمناولة منهم لكتب كثيرة في مواصلات شهيرة، وذلك في جميع العلوم؛ من فقه الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي، والأصلين: أصول الدين وأصول الفقه والتفسير وعلوم الحديث بأنواعها، التي تنيف على سبعين نوعاً، وغير ذلك من علوم الآلات وطريق الصوفية، ولي مع ذلك أيضاً اتصالات في الآمالي والأسانيد والعوالي إلى كل عالم فيما أعلم وإلى كل كتاب فيما أظنّ وأفهم.

بينـــي وبيـــن الحافظيـــن ثلاثـــة واثنـــان بالفقهـــاءِ كان وصالـــي

أي: إن الله ﷻ منَّ عليّ بالاتصال بالأسانيد العالية الشهيرة، فبيني وبين الحافظين بالجمع، كالشيخ جلال الدين السيوطي، والحافظ عثمان الريمي، والحافظ نور الدين علي الهيتمي، والحافظ محمد بن عبد الرَّحمن السخاوي، والحافظ عبد الرَّحمن الديبع اليمني ثلاثة من الوسائط، فإنني أخذت عن والدي وعن الشيخ إبراهيم الكردي، وعن الشيخ حسن العجمي، وعن الشيخ أحمد النخلي، وهم أخذوا عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشي المديني، وعن الشيخ عبد العزيز الزمزمي، وعن الشيخ محمد العجل اليمني بأخذ هؤلاء الثلاثة واتصالهم بالسماع والإجازة من الشيخ محمد بن أحمد الرملي صاحب «النهاية شرح المنهاج»، والشيخ أحمد بن محمد حجر المكي

صاحب «التحفة»، والشمس الخطيب الشربيني شارح «المنهاج»، والشيخ بدر الدين العربي، والشيخ عبد الرَّحمن بن زياد اليمني صاحب «الفتاوى»، وهؤلاءِ الفقهاء المشاهير اتصلوا بالإجازة والسماع من الحفاظ المتقدم ذكرهم، وتعداد شيوخهم وطرقهم واتصالاتهم لا يسعه هذا المسطور، وهو في الفهارس معلوم ومشهور عند كل مَنْ له عناية بعلم الإسناد العلم المنشور.

ورقائق وحقائق بمسالك عربية ومدارك الفعّال
بتفهم وتعلّم وتعلّق وتخلّق لتحقُّقٍ ونزال

هذا عطف على الفقه وما بعده؛ أي: إنني بحمد الله كما اتصلت بالعلوم الظاهرة بما تقدم، كذلك أخذت الرقائق، وحصّلت الحقائق وغيرها من علوم القوم، وأهَّلني الله بذلك بأن جعل في قلبي قابلية لحفظ العلوم النقلية والإدراكات العقلية في جميع مسالك العربية والفنون الأدبية، فصار أخذي بتفهُّم للمعنى وتعلم من الصدور وتعلق بالحقيقة وتخلق بأخلاق أهل الطريقة؛ ليكون التحقيق بالإيصال والمناولة بكل نوال في كل طريقة، فقد حفظت في أول عمري القرآن العظيم، وقرأت من أوله إلى سورة الأعراف بالقراءات العشر جمعاً وإفراداً على الشيخ أبي الغيث، والشيخ إبراهيم بن محمد المصري، وأجازاني بما فيه وجميع ما يجوز لهما روايته، وكتبا لي بخطِّهما ذلك.

قلت: والحق أن الإجازة في الأداءِ لمن تأهل وقرأ جملة صالحة يكون الباقي كالمكرّر معها كافيه، و الله أعلم.

وقد أخذا عن الشيخ أحمد البنّا صاحب «إتحاف البشر في القراءات الأربعة عشر»، **وحفظت** كتاب «الإرشاد» لابن المقرىء في الفقه، و «الملحة» للحريري، وألفية ابن مالك، وأكثر ألفية السيوطي، ونظم قواعد الإعراب في النحو، وألفية السيوطي في المعاني والبيان، والشاطبية في القراءات، والرائية في الرسم، وألفية البرماوي في أصول الفقه، وألفية الحديث للعراقي، ومنظومات أُخر في المنطق والعروض وغير ذلك. ثم قرأتها وحقَّقتها على المشايخ المتقدّم ذكرهم، ولم أزل منذ أجلسني

والدي في مجلس التدريس أول سنة تسع ومائة وألف إلى الآن، وأنا حريص على نفع المسلمين، وتفقيه المهتدين، وتفهيم المبتدئين، وتذكير المنتهين، وتدريس علوم الدين، وتأسيس الفوائد، وتأليف الفرائد في النظم والنثر بالحفظ والنشر كلَّ حين، والحمد لله ربّ العالمين على ما أعطى من فضله المبين، فله المِنَّة وبه على الشكر نستعين.

والأخــذ بالتلقيــن والإلباس في	**عهدٍ بوصل سلاســل السلســال**
بطرائق مشــهورة فاقــت على الـ	**ــعشرين قــد عُرفت بخيــر نوال**
والاذن فــي الإرشــاد والتحكيم و	**التدريــس والفتــوى لكل ســؤال**

أي: إني قد أخذت في الطريق من أهلها التسليك والتحقيق بالتلقين منهم لي بأذكار عديدة، وآثار حميدة، وأنوار شهيدة على اتِّباع سيد المرسلين، والاقتداء بورثته الكاملين، ولبست الخرقة الفقرية الفخرية مراراً كثيرة في صحبة أكيدة، وقابلية مفيدة، وأخذوا عليّ العهد الخاص والعام في الأمور القديمة والجديدة، فاتصلت من سلاسل أنوارهم بأكمل اتصال، وتواتر إليّ وصالهم بكل نوال، وشربت من مناهل معرفتهم العذب البارد السلسال، **واتصلت لي بواسطتهم طرائق الصوفية الصَّفية على الكمال، من طريق تزيد على عشرين طريقاً منسوبة إلى المشايخ الكبار المشهورين في الأقطار؛ كالعلوية** المنسوبة إلى الشيخ الفقيه محمد بن علي باعلوي ﵁، **والعمودية** المنسوبة إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ﵁، **والعبادية** المنسوبة إلى الشيخ عبد الله باعباد ﵁، **والقادرية** المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ﵁، **والرفاعية** المنسوبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي ﵁، **والشاذلية** المنسوبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﵁، **والسهروردية** المنسوبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردي ﵁، **والكازرونية** المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم بن شهرباز الكازروني﵁، **والبدوية** المنسوبة إلى الشيخ أحمد البدوي ﵁، **والمدنية** المنسوبة إلى الشيخ أبي مدين ﵁، **والأوسية** المنسوبة إلى سيدنا أُويس القرني الذي بشَّر به النبي ﷺ، **والخضروية** المنسوبة إلى الخضر ﵁ المحكوم بنبوّته وولايته وبقائه إلى الآن عند كثيرين، **والقشيرية** المنسوبة إلى الشيخ عبد الكريم بن هوازن صاحب الرسالة ﵁، **والفردوسية الكبروية** المنسوبة

إلى الشيخ نجم الدين الكبرى ﵁، **والشطارية** المنسوبة إلى الشيخ عبد الله الشطاري ﵁، **والحبشية** المنسوبة إلى الشيخ أبي إسحاق الحبشي ﵁، **والطيفورية** المنسوبة إلى الشيخ طيفور الشامي ﵁، **والهمدانية** المنسوبة إلى الشيخ علي الهمداني ﵁، **والنقشبندية** المنسوبة إلى الشيخ بهاء الدين نقش بند البخاري، **والخلوتية** المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم الخلوتي ﵁، **والعادليّة** المنسوبة إلى الشيخ بدر الدين العادلي ﵁، **والغوثية** المنسوبة إلى الشيخ محمد الغوث ﵁، **والدسوقية** المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي ﵁؛ فهذه نيف وعشرون طريقة اتصلت بحيالها وتعلقت بسلاسلها وأهلها، وهي ـ وإن تفرَّعت رسومها وتنوعت علومها ـ ترجع إلى أصل واحد وتدور مقاصدها على تقريب الطريق إلى الأحد الواحد، فبعضها راجع إلى بعض في السُّنّة والفرض، ولا خلاف بين القوم إلا في الهيئات والرسم، وليست الطرق إلى الله منحصرة في تلك الطرائق؛ بل طرق الله على عدد أنفاس الخلائق، فكم فتح الله على عبدٍ في ذكر، وكم قرَّبه في تذكير وفكر أو توبة وشكر، وكم جذبه إليه في جذبة وهبة، فأغْنَته عن المسالك في كل أمر، فحقّ العبد أن لا يزال معرضاً عن غير الله، متعرّضاً في كل حين لنفحات الله، ومن صحَّ اجتهاده وتحقَّق على الحق اعتماده، فقد نجح مراده، ووضح رشاده، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، [العنكبوت:69]. فليوزع أوقاته، ويضبط أنفاسه، ويعمر العمر بالطاعات والعلوم، فيكون الفقه في الدين همّه، وعلوم القرآن والسُّنّة دَيْدنه ورسمه، والتصوف سرّه في سرائره وكتمه، ومن حضره الموت عرف قيمة عمره لو طلب أن يؤخر يوماً لتدارك أمره لبذل الوفاء في ذلك من يُسْره أو عسره.

هـذا اجتهادي ثـم من اللـه بالـ ـــفضل العظيم وفوق مـا في بالي
أعطـي عطايـا لا تحـدّ ونعمـة ليســت تُعـدّ بـكل حـالٍ حالي

أي: جميع ما ذكرته من طلبي العلم وتكسّبي بالفهم، وتوصلي بالعلماء الأعلام، وتوسلي بالأولياء الكرام في العلم والعمل والتقرب إلى الله ﷻ، هو اجتهادي ونصيبي وجهادي وتعبي، فلم أزل كلما فرغت أنصب، وإلى الله أرغب في نيل كل مطلب، فلما علم الله صدق جهادي، وصحة اعتمادي واستنادي إليه من الله عليَّ بالفتح العظيم

بكل مطلوب، وأعطاني فوق ما يخطر ببالي من كل موهوب، وخصَّني بعطايا لا تُحَدّ، ونِعَم لا تُحصى ولا تعدّ، بكل حال حالي ومنال عالي، فحكيت بالإجمال وسكت عن التفصيل؛ لأني لو فصّلت لكذِّبت ورُميت بكل تجميل ولست مبالي فيما أصابني في الله، ولا ناظر إلى الخلق في حق الله، ولكن صحَّ «لا تُحدِّثوا الناس بما لا يعلمون، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله؟»[1]، فتركت التفصيل رحمةً مني بهم عن التضليل، وهذه سُنَّة الله فيمن سبق ليس لسنّة الله من تبديل. قال الغزالي ﷺ في فيصل التفرقة: واستصغر من لا يحسد ويقذف واستقصر من لا بالكفر والضلال يُعرف... إلى آخر ما ذكره، وإلى الله ترجع الأمور وهو العليم بذات الصدور.

إن قلتهـا متحدّثـاً عـن أمـره ... فـي شـكره مـن ذكـره بمقالي

فالأمـر منـه إليـه وليـس لـي ... فـي كلِّ ما قـد قلت مـن مثقال

أي: إن ذكر نِعَم الله على عبده والتحدث بها من شكره وذكره؛ لأنها ثناء بها عليه واعتراف بأنها منه وإليه ذلك إما فرض أو سُنّة مع شهود الأمر كله لله، ومن الله، وأن له الفضل والمِنة، فقد أمره الله بذلك، فهي عبودية للمُنْعم المالك، وليس للعبد في شيء من ذلك من مثقال ذرّة، وإنما هي هبات فضلية وصفات عليّة الأمر فيها إلى الله، لا يملك فيها العبد حقيقة في جليلة ولا دقيقة، وإنما أعطاه الله نسبة الظهور بها، وتجلَّى بذلك الوصف عليه في جميع الأمور، وإليه يرجع الأمر كله في كل وصف واتصاف، وإنما هي فضله أو عدله وفصله ووصله عند أهل الإنصاف[2].

(1) روى الديلمي في مسند الفردوس عن سيدنا علي ﷺ أن رسول الله ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله ».انظر: **الجامع الصغير للإمام السيوطي** 1/ 502.

(2) وفي حكم سيدي ابن عطاء الله السكندري ﷺ قوله: «إذا أراد أن يظهر فضله عليك، خلق ونسب إليك». أي إذا أراد الله ﷻ أن يظهر فضله وإحسانه عليك أيها العبد خلق العمل الصالح فيك ونسبه إليك على ألسنة العبيد؛ بأن يطلق ألسنتهم بأنك مطيع. فينبغي لك أن تشهد هذا الفضل العظيم، وتستحي من مولاك الكريم، لتتأدب بقول سهل بن عبد الله ﷺ : إذا عمل العبد حسنة وقال: يا رب أنت بفضلك استعملت، وأنت أعنت، وأنت سهلت. شكر الله تعالى له ذلك، وقال له: يا عبدي بل أنت أطعت، وأنت تقربت، وإذا نظر إلى نفسه وقال: أنا عملت، وأنا أطعت، وأنا تقربت. أعرض الله تعالى عنه، وقال: يا عبدي، أنا وفقت، وأنا أعنت، وأنا سهلت. وإذا عمل سيئة وقال: يا رب، أنت قدرت، وأنت قضيت، وأنت حكمت. غضب المولى عليه، وقال له: يا عبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت، وأنت عصيت. وإذا قال: يا رب، أنا ظلمت، وأنا أسأت، وأنا جهلت. أقبل المولى عليه، وقال: يا عبدي، أنا قضيت، وأنا قدرت، وقد غفرت وحلمت وسترت.

فالعجــز فــي ذاتــي وجهلي لازم   والفقر ســاري في جميع خصالي
وبه وجودي في الذوات وقد كســا   ني في الصفــات بقــوةٍ ومجال

أي: إن ذاتي في التحقيق لم تخرج من العدم إلا بالإمكان، فأشرق عليها نور القدم، فلذلك العجز وصف لها ذاتي، والجهل لها حكم لازم، والفقر بها ساري في جميع الخصال، وإنما الحق أمدَّها بالوجود، وقيَّدها بالصفات والجود في جميع الحدود والقيود، وحباها بقوة ومجال تصح بها إليها نسبة الصفات والأعمال وصحة الثواب والعقاب في كل حال، والاختصاص والملك في الخصوصيات والأموال، وبذلك صحَّت للإنسان الخلافة لما كساه الله أوصافه وصح تخلَّقوا بأخلاق الله في كل نسبة وإضافة، فاتضح أن الله خلق الإنسان على صورته في الأسماءِ والصفات وألبسه نعوتها، وحباه ألطافه، وأبرزه في أحسن تقويم على هيكل قديم لا تحصى أوضاع تكريمه ولا أصنافه، فأهَّله لكل فضل وقابله بكل وصل، فقبل ما لم يقبل غيره في كل ذي شرف وإنافة.

وبــذاك حمَّلنــي الأمانــات التي   عنها السماء والأرض ذات إكلالي
فأنا الظلوم إذا دعيــت الحمل لي   وأنا الجهــول إذا جهلــت لحالي
فبــه حملــت أرى اختبــاري حلة   من جوده ســترت جميــع خلالي

أي: لما خلق الله الإنسان على صورته ـ يعني: في الأسماء ـ وجعله خليفة في أحواله وسيرته، وأعطاه نسبة إليه في كل وصف على صورته وأبدعه في أحسن تقويم وتشريف وأعظم زينة، فحمَّله أمانة الخلافة والتكليف والمعرفة والتعريف، التي لم يطق حملها السماوات والأرض، فأَبَيْن أن يحملنها وأشفقن منها، فإن حملها العبد بربّه ووكلها إلى قدرته في كل حال، وتحقَّق هو في حمله بالعجز والكلال، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله في كل فعل وانفعال، وكل قبول وإقبال، فهو خليفة قائم بحق الصورة عارف معترف أن لا له في حمل الأمانة إلا نسبة المحل والضرورة، وإن حملها بنفسه وتكفَّلها بقوته وحَوْله وعقله وحسِّه، فهو الظلوم لأنه ادَّعى ما هو لله وبالله لنفسه، وهو لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء هو وجميع أبناء جنسه وهو

إلى بحاله؛ إذ لم يقر عجزه في جميع خلاله، ولم يدرك كنه حقيقته في ذاته وصفاته وأفعاله، فتراه ينسب الأشياء التي هي ملك لله إليه، ويحوّل الخلق الذي هو خلق الله عليه، ويعزم على ما ليس يدري: هل يصل بقدرته إليه؟ فما يدري ماذا يكسب بعد الآن، وماذا يحدث عليه من حوادث الزمان، فمِنْ حقِّه أن يحمل ما حمَّله الله بالله، ويصلي لله بالله، ويرى أن الصلاة هديّة إليه من الله، ويرى جميع أفعاله واختياره حلة من الجود ألبسها الله إياه سَترت جميع نقصه وعجزه في الصورة في الوجود، ولا يصح هذا المعنى بالتحقيق إلا لأهل الفناء، الذين صحَّ لهم الغناء به وترك كلّ عنا في أحوال الطريق، وبالله التوفيق.

أيغرّني لبسي لأحلى حُلّة وأنا العليم بعنصري وبحالي
ما كان ذاتياً فليس يزول بالـ ـعرضي ولو يُكسى بكل جمال

أي: كيف يغترّ مَن عرف نفسه بحقيقة العدم، وحق الاضطرار والافتقار في كل شيء بكل حال[1]، وآمن بظهوره في عارية طرأت عليه من النِّعم وكسوة عارضة في فيض الجود والكرم ومعاني العزّ والقدم، فإنما هو ذاتي لا يزول بالعَرض بحال، فالنقص الذاتي لا يزول وإن كُسِي بكل جمال، فمن لبس حلة جلية لا ترفع ما في بَدنه من النقائص الجلية، والرقيق إذا رُفع في المراتب العلية لا يزول عن الرقّ ولا غيره من العيوب الجبلية، فالعارض بالحري أن يزول ويتحول الحال ويعود الأمر إلى الذاتي الذي لا يحول.

ولذلك يمقت معجب بجميله لغروره عن نفسه بخيال

(1) وفي حكم سيدي ابن عطاء الله السكندري ﷺ، قوله: «ما طلب لك شيء مثل الاضطرار، ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة والافتقار». أي ما طلب لك أيها العبد الحوائج من الله تعالى شيء مثل الاضطرار إليه؛ إذ به تقع الإجابة لقوله ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾. فقوله: طُلِبَ مبني للفاعل الذي هو شيء فيكون شبه الاضطرار بشخص طالب. ويحتمل بناؤه للمفعول وشيء نائب فاعل على معنى أن أحسن مطلوب يطلبه العبد الاضطرار؛ وهو أن لا يتوهم من نفسه حولاً ولا قوة ولا يرى لنفسه سبباً من الأسباب يعتمد عليه أو يستند إليه، بل يكون بمنزلة الغريق في البحر، أو التائه في التيه القفر، لا يرى لغياثه إلا مولاه، ولا يرجو لنجاته من هلكته أحداً سواه. والذلة والافتقار أمران موجبان لإسراع مواهب الحق تعالى إلى العبد المتصف بهما، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، [آل عمران:123]. فذلتهم أوجبت عزتهم ونصرتهم، والله تعالى أعلى وأعلم.

لا توجب النعماء عليه علوَّها بل خفضها بالشكر في الإذلال
والخوف من مولاه إن أعطى فلم يشكر فيسلبها بكل زوال

أي: يكون النظر إلى النعم والغفلة بها عن المنعم ونسبتها إلى النفس مجرد اغترار بخيال ولبس صار العجب بها من الكبائر، والمعجب ممقوت عند أهل البصائر؛ لأنه اغترَّ بالعارض من النعم، والعارية من الفضل والكرم، فنسبه إلى نفسه وافتخر به على أبناءِ جنسه، وذلك خيال لا يحققه بعقله ولا حسِّه، وإنما الفضل لله والحول والقوة له في كل حال والإنعام منه وإليه في كل فعال وانفعال لا يوجب زوال النقص الذاتي ولا يثبت لذات العبد به كمال العزّة والعلوّ لله، وللعبد الانخفاض والإذلال، فإنَّ النِّعم توجب الشكر، والشكر عبودية، والعبودية ذلّة، وهو لازم في كل مجال، وإلا عادت النعم إلى الزوال، فالنعم اقتضت الشكر والعبودية للمنعم بكل حال، والخوف من المولى عند التقصير في الأعمال، فيبتليه بالطرد والزوال، فالشكر بالعبودية والخوف من التبديل والزوال يورث كمال الانخفاض والاعتراف تحت التجليات الجمال والجلال.

بل خوفة من نعمة دينيَّةٍ أوْلى الفضل مآلها والحال
بل لا ترى أمثاله أهلاً لها لقصوره عنها بكل مجال

أي: إن جميع النِّعم الوهبية والكسبية تقتضي الشكر والعبودية والخفض تحت الخوف والعزة الإلهية، فإنه هو الذي أقدر العبد عليها وخلق له الأسباب، وسبب له توصله بقدرة الله إليها، وليس ذلك في النعمة الدنيوية فقط، بل النعمة الدينية أوْلى بذلك؛ لأنها أفضل في الحال والمآل، وبها الاقتراب من الله والنسبة العَلِيَّة إليه والإفضال، فمن وفَّقه الله للعلم والأعمال الصالحة، فقد خصَّه بأفضل النِّعم الراجحة، فيتواضع لله فيه ويعترف بفضل الله عليه، بل إذا عرف نفسه وما جُبِلت عليه من النقائص؛ رأى أنه هو وأمثاله ليسوا أهلاً للقيام بالعبودية والشكر ولا للتخصيص بالجود والكرم، مع لزوم النقص الذاتي والفقر الحقيقي والعدم.

بل ليس ممكن شكر نعمة ربّه إلا بنعمته وشكر تالي

فالشــكر منــه لــه يكــون بفضله   والشــكر منــك بغيــره كمحــال

فاســأله شــكراً منه عنك لنفســه   وبه اســتعن فــي ســائر الأحوال

إذا عرف العبد نقصه الحقيقي؛ عرف أنه ليس أهلاً للنعم لولا الفضل والكرم، وذلك أن النعم تقتضي الشكر، وهو لا يقدر على الشكر إلا بإقدار الله عليه، وسوق نعمة أخرى هي الشكر منه إليه. وإذا كان ليس قادراً على الشكر، فكيف يكون أهلاً للنعم التي توجب الشكر؟ فإن أقدره الله على الشكر بطاعاته وذكره وامتثال أمره ونهيه، فهي أكبر نعمة جديدة من الله عليه تقتضي شكراً منه ثانياً، وهلمّ جرًّا... كل شكر نعمة، وكل نعمة يجب عليها شكر آخر بنعمة أخرى، فيعلم بذلك أن الشكر لله إنما يكون من الله ونسبته إلى العبد مجاز بفضل الله. وأما الشكر من العبد بغير ذلك، فإنه كالمحال؛ إذ لا حول ولا قوة إلا بالله على كل حال[1].

وإنما قال كالمحال لئلّا يدخل في حيّز الجبر ونزع نسبة الأعمال عن العبد، فارجع أيها العبد إلى الله بالتضرّع والابتهال اللذين هما أيضاً من نِعم الله عليك، واسأل الله أن يَهِبك شكراً منه لنفسه، وبه استعن في سائر الأحوال، فشكره من ذاته لذاته في جميع أفعاله وصفاته هو اللائق بكمال شكره في جميع هباته، فقد منَّ بالنعم من غير سابقة من العبد، وتفضَّل بالشكر ثانياً، فهو الشكور المطلق والشكر منه وإليه بغير قيد ولا حدّ.

وبالافتقــار وبــكل مــا حاولتــه   والاضطــرار بأفضــل اســتعمال

وإذا فرغــت مــن القيــام بخصلة   فانصــب لثانيــة بــلا إمهــال

وارجــع إليه بمــا فعلــت موحّداً   فــي الذات والأوصــاف والأفعال

(1) يقول الإمام القشيري رضي الله عنه إن شكر العبد للخالق غير ميسور وبيان ذلك من وجوه : **الأول**: أن شكر النعمة مشروط بمعرفة تلك النعمة، ومعرفة نعم الله سبحانه وتعالى غير حاصلة، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ فإذا كانت معرفة النعم غير حاصلة، كان الشكر غير ممكن من هذا الوجه. **الثاني**: شكر النعمة مخلوق من المنعم، وذلك الشكر أعظم قدراً من تلك النعمة، فكيف يعقل شكر نعمته من غير نعمته. **الثالث**: أن الله يعطي على هذا الشكر نعمة زائدة، فإن وقع هذا الشكر في مقابلة النعمة السابقة بقيت النعمة اللاحقة بلا شكر، وإن وقع الشكر في مقابلة اللاحقة بقيت النعمة السابقة بلا شكر، وعلى التقديرين لايفي شكر العبد بنعمة الرب. **الرابع**: أن الله يعطيك مع استغنائه عنك، وأنت تشكره مع افتقارك إليه، فكيف يقع هذا الشكر الصادر عن الحاجة والضرورة، في مقابلة الإنعام الذي هو محض التفضل والإحسان ؟ .

أي: إن الله لما أعطاك نعم الإيجاد والإمداد وكساك نور الصفات بمحض الفضل والكرم، فقد جعل لك نسبة ذلك إليك وخلافه في ذلك عنه، فاحذر أن ترى لك استقلالاً أو غنى بحال، فامتثل ما أَمَرك به من عبادة، واقبل عليه بغاية الافتقار ونهاية الاضطرار في كل ما حاولته من الأعمال، وأفضل الفعل والانفعال والاستعمال[1].

واعلم أن كل لحظة ولمحة تتوالى عليك فيها نِعم كثيرة تشهدها إن كانت لك بصيرة منيرة، فأعطها حقّها بصرفها فيما هو لازم عليك من الأمر والعبودية والشكر، وبادر كلما فرغت من القيام بخصلة، فانصب لثانية بلا مهلة، فإنك إنما خُلقت للعبودية. وارغب إلى الله في التفضيل عليك بدوام ذكره وامتثال أمره والتحقق بشكره، واعرف نفسك وأنك على صورة من الأمر، وأن الله إليه يرجع الأمر، فوَحِّده في الذات وفي الصفات والأفعال، ولا تثبت لنفسك عملاً ولا حالاً بحال إلا كما أثبته لك في الفعل والانفعال، واعرف واعترف أن الشكر والعبودية والأعمال هدية من الله إليك ومِنّة منه عليك، فقد تظنُّ إذا قلت: أُصَلّي لله؛ أنك تهدي الصلاة إليه، بل قال: أصلي بالله، بل: صلَّى الله لي؛ أي: خلق فيَّ الصلاة وحلاني بها ونسبها إليَّ فضلاً وجوداً، وكذلك يكون الحال في كل ما أوْلاك مولاك من الأعمال.

واحـــمـــده لـلـتـوفـيـق مـنـه لفعله
وارغـــب إلــيــه لـبـسـط كــل نـــوال

واهــرب إليه من الــورى وشهودهم
واشــهــده فـيـهـم فــي أجــلِّ تعالي

واخش الوقوف أو الركون إلى السوى
مـــن طــاعــة أو عــلــم أو أعــمــال

(1) وفي ذلك يقول سيدي ابن عطاء الله السكندري ﵁ في بعض حكمه: «نعمتان ما خرج موجود عنهما، ولا بد لكل مكوَّن منهما: نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد». يعني أنه لا بد لكل موجود من نعمتين لا يخرج عنهما: الأولى نعمة الإيجاد ـ ؛ أي نعمة هي إيجاد الله إياه بعد العدم السابق ـ، والثانية نعمة هي إمداده بالمنافع التي تقتضي بقاء صورته وهيكله إلى أجل مسمى. فهو ﷻ المنعم ابتداءً ودواماً. وقال ﵁ أيضاً: «أنعم عليك أولاً بالإيجاد، وثانياً بتوالي الإمداد». وقد وجه الكلام في هذه الحكمة على طريق الخطاب؛ ليستحضرهما الإنسان في نفسه، ويعلم أن الإمداد متواصل لا يتخلله انقطاع، فيعرف من نفسه الفاقة الذاتية.

أي: إن الله أظهرك من العدم وأمدَّك من النِّعم بنعم الإيجاد والإمداد بالجود والكرم، ووفَّقك بذكره وشكره وجعلك له من جملة الخدم، فاحمده للتوفيق بفضله لفعله، وذلك منه إليه وفيه وعليه. وارغب في إجابة كل سؤال وبسط كل نوال؛ إذ لا معطي سواه في حال بحال، فالحذر الحذر من رؤية الخلق وشهودهم في مشاهدهم في مواجدهم، فإنه ﷻ هو الظاهر فيهم والباطن فيما ينسب لهم، فاشهده في وجودهم وجودهم في أعزِّ تعالى عن سمات المحدثات وتقييد الصفات وتحديد الذوات، فإنهم في غاية الفقر والاضطرار في جميع المعاني والتعيينات، فاخشَ من الوقوف عند خلق الله أو الركون إلى سوى الله من كل مخلوق، ولو كان طاعة وعلماً بأحكام الله ومعرفة به وأعماله، فإنها كلها خلق، وكذلك الجنّة والنار والملائكة الأبرار والأنبياء الأطهار، فكلّهم خلق مسخَّرون ومملوكون لله ومدبّرون بتقديره، فارجع إليه في جميع ذلك، واشهده فيهم في جميع الممالك والمسالك، فهو الحق المالك لكل العالم وجميع أمره.

تعطي الحقيقة حقها وتكون بالـ
فقر الحقيقي في الغنى المتعالي
وتصير أنت به بكل تعيّن
ويعود منه عليك كل منال

أي: إذا صدقت مع الله، وفنيت بالفقر الحقيقي إلى الله في الله، ولم يبقَ لك كون مع الله ولا ركون إلى غيره؛ أُعطيت الحقيقة ـ أي: الأمر ـ حقها وطابقت الواقع في جمعها وفرقها، وانخلعت من الرسوم الوهمية والعلوم الرسمية، وتحققت بالحقائق العلمية، فتكون بذلك الفقر إلى الله والغنا فيه في غاية الكمال بالله والفناء به في كل حال، وتصير أنت بالله في كل معنى وتعيّن في جميع الأعيان والصفات والأعمال، ويعود منه عليك كل نسبة ونوال في جميع الهبات والطاعات والأعمال.

وتبين منه عليك أجمل صورة
علويّة فيها أجلُّ جمالِ

أي: إذا رجعت بالبقاءِ به بعد الفناء عن نفسك وشؤونك والغنى به بعد الفقر التام في جميع معانيك وعيونك؛ ظهرت عليك معاني أنواره في كل صورة بأجمل جمال، وسَرَتْ فيك معاني أسراره في جميع الحال بأكمل كمال وأحوال عَلِيّة ومواهب علوية، لا يحددها مقال ولا تقيَّد بحال.

ووصيّتي لـك يا أخي كُـنْ عبده ... أبـداً بمـا أوْلاك مـن منـوال

وامْـحُ الرسـوم وكل دعوى غيره ... واحـذر تكـون بما علـى ومالي

وخفِ الغرور مـن القصور بغفلة ... فـي نظـرة أو خطـرة مـن بـال

قال الله تعالى: [والعصر] إلى آخر السورة، فالله ﷻ أوْصى عباده وأمرهم بالتواصي بالحق والصبر، فلذلك أوصيتك يا أخي في الدين وجميع المسلمين، بأن تكون مسلماً مسلّماً لله مؤمناً آمناً بالله، وكن لله عبداً خالصاً حنيفاً لله قانتاً غير مشوب بنظر إلى غير الله، واثبت بالعبودية والصدق معه والإخلاص له فيما أقامك فيه من حال، ووضعك فيه من نوال ومنوال، ولا تنقل نفسك عنه فتسيء الأدب مع العليم الخبير، فهو بما أعطاك أعلم، وإنه أوْلى بك من كل الخصال، فإذا أراد بك لغير ذلك، فمنه النقل ومنك الانتقال، فكُنْ به وامْح جميع الرسوم المنسوبة إليك، والعلوم الواصلة إليك، واترك كل دعوى لك، واحذر من نسبة الأشياء إليك بما لي من الحقوق أو ما لي من الأموال والرفوق، فإنها نِسَب وهمية تتلاشى عند ظهور نور حضرته العلية بالحقائق العلمية، وخَفْ من غرورك بشيء من الصفات، ونظرك إلى معنى من المعاني في جميع التعيينات في غفلة منك عنه في نظرة في مجال أو خطرة من بال، ألك قصور وتقصير في حضرة ذي الجلال الذي أجلاك في وجوده، وألبسك من ملابس جوده، وأبرزك في حلّة الكمال.

والعلم أشـرف ما طلبـت ولكن ... العلـم اللدنـي المنهـل الإنزال

يهـدي إلى أعين الهـدى وترى به ... الحكم الجلـيّ بـكل معنًى عال

وبه الحقيقـة في الرقيقـة تنجلي ... ويُذاق طعم الرُّشْـد فـي الأعمال

أي: لذّة العلم أصل كل خير، فمن سهَّل الله له طريقاً إلى العلم، فقد سهّل الله له طريقاً إلى الجنّة وإلى كل خير، فهو الوسيلة إلى العمل والدليل في كل قصد وأمل، ولكن العلوم العقلية مشوبة بالخيال ومأخوذة من الحواس، والحواس تابعة للصورة والمثال، وهي القابلة للعلوم العقلية والمقال، فقلَّما تصفو من الشوائب الكونيّة والأخلاط الشؤونية، إلا أنها وسيلة إلى العمل، والعمل وسيلة إلى التقوى، والتقوى منزل العلم اللدني الإنزالي من المنبع الأقدس المطهَّر من كل دَنَس بوابل السلسال، فإنه طاهر طهور نور على نور يهدي بالحق إلى حقائق الأمور؛ ومعنى الهُدى في كل بطون وظهور يرى به الحكم الجلي في كل معنى علي، ويتجلى به الحقائق خالصة من شوب الرقائق، ويذاق طعم الرشد والإيمان في الأعمال بالمعرفة والعرفان والإيقان، واتقوا الله ويعلمكم الله في كل شأن أن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً بكل بيان.

و اللــه بــدك ليـس بـدك غيـره وإليـه منـك يـؤول كل مـآل
فاطلــب بعجــزك منــه أكمل قوة وبفقرك ارغب في الولاء المتوالي

أي: إن الله تعالى يدك اللازم لك الضروري الملازم، فهو الذي أظهرك في الوجود وأمدّك بالجود في كل صدور وورود، فإليه يؤول في كل حال، وإليه ترجع في كل غاية ومآل، فمنه الأصل ووصله وفصله في كل حال، وإليه يرجع الأمر كله، فلا تتوهم أن لك قوّة أو أعمال أو قدرة أو أفعال حقيقة في كل حال، بل لك الفقر الذاتي والعجز الحقيقي في جميع الخصال.

فإذا عرفت نفسك واعترفت بعجزك وفقرك، ورجعت إليه في ذلك مخلصاً من كل دعوى متبرّئاً من الحول والقوة؛ أيَّدك بأكمل قوة منه، ووالاك بالغنى عن غيره بكل فضل منه وصرت له وليًّا، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾، [البقرة: 257]، ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا﴾، [التحريم: 8]، إنك أنت الغفور الرحيم.

وبنوره اغســل كل جهلك ثم قِفْ في الظلِّ تحــت الفَيْض والإفضال
قل ربِّ يــا مولاي عبــدك واقفٌ بالبــاب يرجــو غايــة الآمــال

أي: إذا طهَّرك الله بطهوره وفتح لك أبواب نوره، فاغسل جميع صفاتك الناقصة بكمال طهوره، وطهِّر جميع جهلك وظلمات حسّك وعقلك بصفاء نوره، وقف في منزل العبودية والفقر تحت نوازل القهر والأمر في ظل الرحمة واللطف وبَرْد الرأفة والعطف، منتظراً منه القبول والإقبال والفيض بالفضل والإفضال، وقل: يا ربّ! يا ربّ! ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، [القصص:24] فأنا عبدك على كل حال واقف تحت باب السؤال والنوال، يرجو منك غاية الآمال والقرب منك في جميع الخصال، والتحقق بالحق في معنى الحقيقة في جميع الأقوال.

خذهـا مذكـرة وكنـت نظمتها ... لأخٍ علـى حـبِّ الحبيـب مُوال

طَلَـب الوصية والإجـازة فإن في ... الحـال الجـواب بهـذه الأقوال

أي: خذ هذه القصيدة الفريدة تذكّرك مطالع الأنوار ومنابع الأسرار ومتابعة الأخيار، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، سيذكر من يخشى، فهي مذكرة عامة وعوذة تامّة، وإن كنت نظمتها باسم أخٍ خاص، في معنى مخصوص؛ وذلك أن بعض الإخوان في الله الموالين على محبة الله الحبيب المطلق المحبوب في جميع الأمور في الحق بالحق، وذلك أنه طلب مني الوصية المخصوصة التي أمر الله بها في الآيات المنصوصة، وكذلك طلب الإجازة، وهو السيد العلامة الجامع بين المعقول والمنقول، العارف بالله السيد يحيى بن عمر مقبول الأهدل الحسيني رحمه الله وبلَّغه في حضرته كل سؤل مني، كما استفاده من العلوم وعرفه من طريق القوم وتحقق به في حق الحيِّ القيوم، فاقتضى الحال بحسب القابلية منه الجواب عليه بهذه الأقوال، التي ذكرتها في القصيدة؛ إذ الجواب يختلف على السؤال الواحد بحسب مقتضى الحال الذي عليه مدار البلاغة في جميع الأحوال.

فأجزتـه فيهـا وفيمـا قلمتـه ... مـن نظْـمٍ ونثْـرٍ وحـلِّ سـؤال

وكـذاك كل أخٍ وطالـب حكمـةٍ ... ومرافـق للحـق بالإقبـال

أي: قبلت سؤال ذلك الأخ، وقابلته بمراده من الوصية التامّة والإجازة العامة في جميع ما يجوز لي وعني روايته، ممّا أتقن في درايته، وتأهل لروايته من جميع العلوم،

وبهذه القصيدة وما لي من منثور ومنظوم وجواب سؤال وإيضاح إشكال، مما صحَّ نسبته إليَّ بوجه معلوم من جميع العلوم، وكذلك عمت كل أخٍ في الله، وطالب ومطلوب بأمر الله.

والحمـد للـه الحميـد بحمـده ... فـي حمـده المحمـود بالإنزال

ثـم الصـلاة علـى النبـيِّ محمَّدٍ ... وعلـى الصحابـة كلّهـم والآل

والتابعيـن مـع السـلام وختمها ... سـبحان ربّ العـزة المتعالـي

أي: الحمد لله حق لازم لذات الله الجامع لجميع الكمالات، المستحق لجميع الطاعات والعبادات، فلا حمد حقيقة لغيره؛ لأن وجوده إنما هو بغيره، فالله سبحانه هو المحمود، وهو الحامد، وله الحمد بحمده الذي يوافي نعمه، ويكافىء مزيده في جميع المشاهد، وهو حمده نفسه بنفسه المحمود في الأزل الذي لم يزل الذي شرحه فيما نزل، فلا نحصي ثناءً عليك هو كما أثنى على نفسه، ثم المسؤول من الله دوام الصلاة بالرحمة والتشريف على عبده السيد الكامل الشريف، الذي أقامه واسطة في كل معروف وتعريف في علم البسائط والتعريف، في كل تكليف وتعريف ودعوة إلى سبيل الخبير اللطيف، وعلى أصحابه نجوم الهدى ورواة الحق والتحقيق عنه في كل اهتداء، فهُم كلهم عدول ومَنْ قدح فيهم فقد قدح في دينه المنقول. وكذلك آله وعترته المقرونين في الهدى بالقرآن في القبول، وعلى التابعين لهم بإحسان في مناهج الإسلام والإيمان والعرفان، مع السلامة ـ بمعنى التسليم ـ في كل حال يجول وقوة وحول.

وختم هذه القصيدة بما ابتدأ به من التسبيح، فإنه كختم المجالس في القياس الصحيح، وأشار إليه البخاري رضي الله عنه في ختم الجامع الصحيح، والعود بما بدأ شأن أهل الهدى وآخر دعواهم كأولها أن الحمد لله ربّ العالمين.

قلت: وأردنا أن نلحق بما ذكرنا من قول سيدنا ومولانا بعض صور للبيعة التي يستعملونها المشايخ الكرام تشبيهاً ببيعة الرضوان ذات الفضل والاحترام، فأقول:

قال مَن بمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ناشي العلامة شهاب الدين أحمد

بن محمد المشهور بالقشاشي، في كتابه «السمط المجيد»، بعد ما ذكر فيه من الصور التي ما عليها مزيد: وللبيعة صورة أخرى وكيفية ثانية، وهي ما يعمل في أواسط جزيرة العرب أو طولها كله، وكذا عرضها إلا ما قلَّ منه، وهي أن يجعل طالب البيعة يده مبسوطة تحت يد الشيخ إن كان وحده، وإن شاركه أحد جعل يده تحت يد طالب البيعة أولاً، وإن تعدَّدوا، ويد الشيخ مبسوطة فوق يده مع الجماعة، ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، [الفتح: 10]، يتلو الآية تيمّناً وتفاؤلاً بتحقيق المتابعة في الطريقة كالشريعة، إلى أن يبدي الله لهم أعلام الحقيقة. ويقول عقب الآية للمبايع أو المبايعين، إن كانوا جماعة: قل ـ أو ـ قولوا ـ بصيغة الجمع للجماعة أو الإفراد للمفرد ـ : **رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّد** ﷺ **نبيًّا، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبلة، وبالفقراء إخواناً، وبسيدي الشيخ شيخاً ومربياً ودليلاً**، وهما وهو يتابعه في اللفظ كما يقول كلمة كلمة إلى منتهى ذلك، وبالفقراء التابعين إخواناً، لي ما لهم وعليَّ ما عليهم، ولهم ما لي وعليهم ما عليَّ، الطاعة تجمعنا والمعصية تفرِّقنا، فيقولوا كذلك إقراراً بالطاعة في كل ذلك، ووفاء بالبيعة عليه بقدر الاستطاعة؛ لأن العقد بالمبايعة له كما قال : ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾ ـ يعني: على ذلك ـ [واستغفر لهن] الله مما فرّطن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، [الممتحنة: 12].

فقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ جامع سبل الحق كلها، والخلفاء له فيها كذلك وهو المراد بقوله: الطاعة تجمعنا والمعصية تفرّقنا.

ثم يقول الشيخ: أو كل منا يقول: **استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه**، ثلاثاً جهراً في متابعة، فبايعهن واستغفر لهن الله.

ثم يقول الشيخ، وهم بقوله بعد الثلاث يقولون: **لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله** ـ ثلاث مرات ـ مادًّا بها صوته بقصد التلقين للذكر مع البيعة، فإذا كملت الثلاثة منه

قالوها ثلاثاً تبعاً له كما قال، ثم زادوا منها بطريق الحدر والاسترسال فيها نفساً جيداً مع تغميض العين وإحضار القلب لجلال الوحدانية ومراعاة المنّة بهذه التفضلات الربانية الموصلة لصحة النسب بأولياء الله على سنن التخصيص والكرامة؛ لأن هذا الفقير الصحيح النسب إليهم إذا أخذ عنه مَن لم يجد مرشداً صحَّ به نسبه للطريق وأهلها، فإنْ لازم الطاعة وتجنَّب المعصية نجب بإذن الله تعالى، فله أثر كريم.

ثم بعد ذلك يختم الشيخ كما يرى، ويقول: اللهمَّ خذ منه وتقبَّل منه وافتح عليه باب كل خير فتحته على أنبيائك وأوليائك وعبادك الصالحين. وإن كانوا جماعة جمَع في الدعاء، ثم يقوم الفقير ويسلم على من حضر من إخوانه، ثم يأمره الشيخ بعد ذلك بما يرى فيه صلاح دينه ودنياه بقدر حاله متجرداً كان أو متسبباً أو بينهما من الخدمة والنصيحة والمعاملة بما يليق، وعليه قبول الأمر من غير تفتيش عليه ولا تحكم ولا تفهم، بل طاعة محضة للأمر، وإن شقَّ عليه الأمر لأمر عرضه على الشيخ، فينظر فيه بما يبقيه على ما أمره أو لا، أو يوسع له بحسب نظره ويجعل له ورداً من التهليل على قدر حاله، صباحاً ومساءً، لا يخل بما أوصاه به ويقطع له ما يقطعه عنه ولا يقطعه كيف أوصاه به بمُدة أو دائماً.

وعلى الجملة، إنه لا يحدّث إلا بما أمره به، ولا يقصر فيه، وإنْ جرى له عذر نبأ به ليكون على بيِّنةٍ من أمره إن كان حاضراً عنده أو قريباً منه، وإلا راسله في ذلك وما حدَّ له وقف عنده ليعود نفع ذلك عليه؛ لأن من تعدَّى الحدّ ظلم نفسه، ومن وقف عنده رحمياً ودنا واقترب فلا يزال حتى تزلل له الحُجُب عنه بقدر حاله وتحببه كما أحب، وللشيخ الكامل ـ كما ذكره سيدنا محمّد ـ الغوث ـ ثلاث مرات ـ من الشرق، فهي علامته الظاهرة عليه، **أحدها**: القيام بظاهر الشريعة المحمّدية من الأحكام وامتثال الأوامر والنواهي، فيتحلَّى ظاهره بظاهرها.

والثاني: رسم الولاية الخاصة والقيام بأحوالها وطرائقها حتى يتمكَّن من التجلي بسلطان الواحدية، ويظهر له ثمرة «كان الله ولا شيء معه»، و[كل شيء هالك إلا وجهه]، مع الحفظ بسلطان هو الأول والآخر، وله بهذا السبق على غيره الذين لم يصلوا إليه.

والثالث: رسم الولاية المطلقة بشهود أن جميع التقييدات نشأت من حضرة الإطلاق، وكان منها ظهورها، انتهى.

فمثاله تقريباً كتعيين المنشآت المائية المقيدة مثلاً على مطلق الماء، وكتعين النواة أولها عين وآخرها عين، أولها وظاهرها هو باطنها، وباطنها سموّ ظاهرها؛ إذ لا يحصل من النواة إلا النواة، وهلم جرًّا دائماً وسرمداً لا حدَّ له، ومنشآت العوارض واللواحق بينهما من لواحقهما وتوابعهما وقشور ذاتهما وزينة ظهورهما بزينة الكواكب وحفظاً، وكذلك كل ذرة.

قال: فمن اجتمعت فيه هذه الثلاثة المذكورة أولاً واتصف بها، فهو الواصل إلى مرتبة الكمال، ويكون وارث المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، والجامع بين الشريعة والحقيقة، وهي الولاية، ويكون قدمه على قدم النبيّ ﷺ، فهو بالاتباع مستمد منه أبداً، انتهى.

ثم قلت:

تمَّـت بعـون الملـك الوهـاب — مـن دون تطويـل ولا إطنـاب
منظومـة بسـلكها مسلسـلة — كالعقـد من جوهر أو كالسلسـلة
بعـام غيـن ثـم قـاف ثـم فـا — وزاي ذا أحسـابه بـه وفـا
مـن هجـرة الشـافع للعصـاة — محمـد المخصـوص بالآيـات
مَـنْ خُـصَّ بالصـلاة والسـلام — مِـن ربـه مـع آلـه الكـرام
لكاسـب الذنـب بطـول الدهر — المعتـرف ما زال شـيخ الجفري
والختـم بالمبـدأ يكـون آخـراً — اللـه جهـراً أحمـد وسـرًّا

[خاتمـة]

ختم الله للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات بخاتمة حسنى باطنة وظاهرة يسعدون بسعدها كلهم، لا سيما في الآخرة.

والخاتمة في شرح قصيدة حاوي السر المصون، التي أولها:

الزم باب ربك واترك كل دون

تفاؤلاً للأصحاب بلزوم الباب، ولكون سيدنا المنيب المخبت الأوّاه شيخنا وقدوتنا الحبيب محمد بن الحامد بن عبد الله رتّب إنشادها في كل ليلة بعد الراتب، وأمر بذلك الكل حتى داوم عليه كثير من الناس حاضر وغائب، فللَّه دره من شيخ نصوح، وشرحها هذا أوضحها أتم وضوح، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عَلِم بالأشياء قبل وجودها، وجعل لكل شيء قدراً، وعلم حقائقها الذي أعطاها إياها بحكمته، وجعلها لأسمائه مظهراً ثم أوجدها على طبق ما تقدّم، فسبحانه ما أعظم شأنه وأحكمه أمراً، والصلاة والسلام على رسوله الذي أعطاه ما لم يعط ملكاً ولا بشراً، وعلى آله وأصحابه الذين فازوا به ومُنحوا ببركته فضلاً وفخراً.

أما بَعْد: فهذا قدر قليل في شرح قصيدة مَن اسمه مذكور في قوله ﷻ: [لما قام عبد الله يدعوه]، ومَن ظهر فيه آثار قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، [الأحزاب:33].

قال رضي الله عنه:

الزم باب ربك

أي: الزم أيها العبد المخلوق بعد العدم، باب الذي أنعم عليك بما لا يحصى من النِّعم، وصرف عنك ما لا ينحصر من النّقم، وقد خلقك لعبادته؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾، [الذاريات:56]. فأمرك بها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء**﴾، [البينة:5].

ولزوم بابه تعالى: لزوم عبادته التي أرسل سيدنا محمَّداً صلى الله عليه وسلم ليدعو إليها، وبينها هذا الباب هو الذي فتحه لحبيبه وأمره أن يدعو الخلْق إليه ويرغِّبهم في الدخول منه، وسدّ بقية الأبواب.

ثم: العبادات التي الباب عبارة عنها هي ظاهرية وباطنية؛

فأما الباطنية: فاعتقاد أن الله واحد لا شريك له بوجهٍ من الوجوه، وأنه موصوف بكل وصف يليق به سبحانه وتعالى، وكل ما وصف به نفسه أو وصفه به أنبياؤه عليهم الصلاة والسلام، فهو حقّ، وأنه منزَّه عما لا يليق به، وأن ما جاء به محمَّد صلى الله عليه وسلم حقّ وصدق لا ريب فيه أبداً، وتحقُّقه ومعرفة جلاله وجماله وكبريائه تحلية الباطن بكل خلق كريم، وتخليته عن كل خلق لئيم، ويُعرف ذلك من القرآن والأحاديث والفقه وكلام مَنْ جمع بين الشريعة والحقيقة، كصاحب مدارك السالكين، وصاحب إحياء علوم الدين وأمثالهما.

وأما الظاهرية: فاستعمال كل عضو فيما فُرِض عليه، أو نُدِب منه، وحفظه عما لا ينبغي صدوره منه، ويُعرف ذلك بمعرفة المأمورات والمندوبات والمنهيّات والمكروهات.

ثم إن الناس في لزوم هذا الباب ثلاثة طوائف:

طائفة تؤدي حق الربوبية والعبودية مع مشاهدتها إياها، وحقيقة هذا الأدنى صرف المكلف البدن، ظاهره وباطنه، فيما يرضي المولى وكفّه عما يكره، مع علمه وقت

الأداءِ دائماً أو غالباً، بل في عموم الأوقات ربوبية الرب وعبودية نفسه عبودية مطلقة جامعة لأنواع شتّى، فإذا طولب منه الصلاة يؤدّيها على أكمل أحوالها، وكذا الصوم والحجَّ والزكاة. وإذا طولب منه الذكر؛ ذكر الله تعالى بقلبه وقالبه. وإذا طولب منه الأمر بالمعروف؛ قام لله وأمر مَن قصَّر في حقه لا يخاف في الله تعالى لومة لائم. وإذا طولب منه النهي عن المنكر؛ قام لربّه ونهى عنه ولا يراعي أحداً ولا يداهن، كأنه لا يعرف أحداً. وإذا طولب منه الاختلاط؛ يخالط مع عباد الله بالنصيحة والإرشاد والرأفة والرحمة، وقِسْ على هذا بقية الأمور.

وهذه العبودية المطلقة الجامعة عبودية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومَنْ ناب منابهم من الأولياء.

وطائفة مقصودها مشاهدة مَنْ له الربوبية والذهول عمّا سواه، حتى عن النفس، بل عن شعورها بالربوبية والعبودية، ويعبّرون عن هذا بالفناء في الله، وهو المقصود الأعظم عند هذه الطائفة.

وطائفة مقصودها استعمال الأبدان في مرضاة الرحمن بأداء الوظائف الشرعية، مع الإخلاص لله، وإن فاتت وقت تحصيلها مشاهدة الربّ وحضوره في القلب.

واختُلف في هاتين الطائفتين، أيّتهما أفضل؟ فكلام بعض الصوفية مائل إلى ترجيح الأولى، وكلام بعض المحققين مائل إلى ترجيح الثانية. وتتبع أفعال الأنبياء عليهم السلام وخلفائهم يرشد إلى ترجيح الثالثة إذا كانت مخلصة في أداءِ الوظائف الشرعية، وإليه يشير قوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»[1].

واترك كل دون

أي: اترك كل ما سواه ، ولا تعتمد عليه ولا تشتغل به عن ربِّك؛ إذ لا يجوز

---

(1) روى الطبراني في الكبير بسنده عن أبي أمامة ﷺ قال: «ذكر رسول الله ﷺ رجلين أحدهما عالم والآخر عابد فقال رسول الله ﷺ **فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**». **معجم الطبراني الكبير**: باب الصاد . صدي بن العجلان . الوليد بن جميل الدمشقي عن القاسم . (8/ 234) .

الاعتماد على ما هو محتاج إلى وجوده وبقائه وإصلاحه إلى غيره، لا يملك ضرًّا ولا نفعاً، بل لا ينبغي الاعتماد إلا على ربّ الأرباب، لا الأسباب، ولا ينبغي الاشتغال به سعادة الدارَيْن، والإعراض عنه علامة شقاوة الكونين. عجباً لمن يعتمد على ما لا ينفعه لو ينفعه لم ينفعه إلا بإرادة الرب، ولا يعتمد على من بيده الأمور كلها!! عجباً لمن يشتغل بمن الاشتغال به عبث ولغو، ويترك الاشتغال بمن الاشتغال به سعادة!! ما هذا الحجاب؟ ما حجب عن ربِّ الأرباب إلا مشاهدة الأسباب، وعدم صدورها عن الوهّاب، فمن شاهد صدورها منه لا يعتمد عليها ولا يشتغل بها عن ربِّها، وإن كان يستعملها امتثالاً لأمر ربها الذي جعل في ربط المسبّبات بها حِكَماً لا تُحصى ولا تعدّ، فالكامل مَنْ يباشرها مع مراعاة حدود الشرع فيها، ويعرف صدورها من باريها، ويكشف له عما هو مكنون فيها من الأسرار الإلهية والحِكم الربانية، وتاركها مع صدق توكله على خالقها قاصر معطل، ومباشرها مع نظره إليها واعتماده عليها وذهوله عن موجدها محتمل الدخول في قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، [يوسف:106].

وفي كتب الله المنزلة وأحوال الطائفة المرسلة دلائل ما فصّلناه تحت كل نوع من هذه الأنواع أفراد مختلفة الأحوال.

واسأله السلامة من دار الفتون

أي: اسأل الله الذي بيده الأمور كلها، السلامة والنجاة من شرِّ دار الفتن والفتون، والفتنة مصدر فتن، والفتنة لها معاني، منها الضلال والآثام والكفر والفضيحة والعذاب والإضلال والمحنة والأموال والأولاد، واختلاف الناس في الآراءِ وهذه الدار مملوءة من هذه، وهي التي ذمَّها باريها وحقّر أمرها في آيٍ كثيرة، منها: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، [آل عمران:185]. وزهَّد فيها ببيان خسّتها لحقارتها وفنائها وبغضه إياها، وهي التي قال رسول الله ﷺ فيها: «**الدنيا ملعونة وملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه**»(1).

(1) أخرج الترمذي بسنده عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**ألاَ إنّ الدّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا**

وقال ﷺ فيها: «**إنها أهون على باريها من الميتة**»[1].

وقال ﷺ فيها: «**إنها لا تعدل عنده جناح بعوضة**»[2].

وقبَّح أمرها أشدَّ التقبيح، ونفَّر عنها أشد التنفير. ولأجل ما تقدَّم جعلها باريها جنة لأعدائه، وسجناً لأحبابه[3]، ومحبساً لصفيِّه آدم عليه السلام، حين قصّ في أمره بتقديره.

ومن فتنتها ترك باب المولى والاشتغال بغيره.

ومنها: الابتلاء بالخطايا المبعدة عن كرم الربّ ورحمته. **ومنها**: البلايا المدهشة والدواهي الهائلة، التي لا يكاد يثبت معها قدم السالك على جادَّة الصراط المستقيم. **ومنها**: تسليط النفس الأمّارة بالسوءِ والشياطين، ولا يمكن الخلاص منها إلا بإعانة الله الذي ابتلى عبيده بها، فينبغي الرجوع إليه في الحفظ من شرورها، ومدِّ أكُفَّ التضرع إليه بالنجاة من دواهيها ورفع النظر عما عداه تعالى، وعدم المبالاة بها وببلائها؛ لأنها ما أبرزت إلا ما هو مقتضى حقيقتها وخاصية ذاتها.

لا يضيق صدرك فالحادث يهون

أي: لا يضيق قلبك عند ورود شدائدها وبلاياها ودواهيها عليك، فإن الحادث

فِيهَا إلاّ ذِكْرُ الله وَمَا وَالاَهُ وَعَالِمٌ أَو مُتَعَلّمٌ». قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ. **سنن الترمذي**: المجلَّد الثالث. أبوابُ الزهدِ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 10 بَابُ مَا جَاءَ في هوانِ الدُّنيا على اللهِ ـ الحديث رقم: 2424.

(1) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه؛ قَالَ: **كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِذِي الْحُلَيْفَةِ. فَإِذَا هُوَ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ شَائِلَةٍ بِرِجْلِهَا. فَقَالَ: أَتُرَوْنَ هذِهِ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا؟ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا. وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا قَطْرَةً أَبَداً**». **سنن ابن ماجه**: الجزء الثاني37 كتاب الزهد (باب) مثل الدنيا ـ الحديث رقم: 4110.

(2) عن سهلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ كَانَتْ الدّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**». وفي البابِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه. قال أبو عيسى: هذا حديثٌ صَحِيحٌ غَريبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ. **سنن الترمذي**: المجلَّد الثالث. أبوابُ الزهدِ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 10 بَابُ مَا جَاءَ في هوانِ الدُّنيا على اللهِ ـ الحديث رقم: 2422.

(3) أخرج مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**الدّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنّةُ الْكَافِرِ**». **صحيح مسلم**: الجزء الرابع44 كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل عمر رضي الله عنه ـ الحديث رقم: 18 ـ (2392).

الذي يحدث فيها يهون؛ لأنه قليل البقاء سريع الفناء، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، [الشرح: 5، 6].

ولا يضيق صدرك، يا أيها العارف، محل صدور الحوادث، وأن مَن عَلِم أنَّ صدور الحادث من إله حليم وربّ لطيف يهون عليه الأمر؛ لأنه يرى الكوائن كلها صادرة من محبوبه، موصوفة بالعدل ومشتملة على الحِكَم الدالّة على الفضل، ويزداد بها معرفة إلى معرفة، وسرور إلى سرور. ولذا العالم بحقائق الأمور ومصادرها واشتمالها على ما لا يحصى من الأسرار مستريح مستزيد، والجاهل بها معذّب بعذابٍ شديد.

الله المقدر والعالم شؤون

«**كان الله ولم يكن معه شيء**»[1]، وقد أعطى بحكمته كل ماهيّة من الماهيات استعداد ما يفيض عليها من مظاهر صفاته وأسمائه، وعلَّمها كذلك وأراد فيها ذلك وقدّر لها مقادير لا تزيد ولا تنقص. وكانت الماهيات مفتقرة قبل وجودها إلى أن يُغاض عليها ما هي مستعدَّة له، وإليه يشير قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾، [محمد:38]. وإن غناه تعالى عمّا عداه أبدي، وافتقاره إليه تعالى لدائمي، و الله أعلم.

ثم أوجدها على طبق ما سبق، فالعالم بأسره مظاهر صفاته الأسنى، وأسمائه الحسنة، فمن كُشِف له عما أشرنا إليه يكون العالم بستان عرفانه يجتني منه ثمرات عرفانه، ويزداد بمعرفته معرفة موجده حتى يصل إلى مقصوده، ويعرف حقيقة ما أشار إليه المحقق الله المقدّر والعالم شؤون، ولا يثقل عليه شيء من الحوادث.

---

(1) أخرج الإمام البخاري بسنده عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه ـ وعنّا به ـ قَالَ: **دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ قَالُوا قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالُوا جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ؟ قَالَ ﷺ: كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَنَادَى مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الْحُصَيْنِ!! فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا**». **صحيح البخاري**: الجزء الثاني 63 كتاب بدء الخلق 1 باب ما جاء في قول الله ﷻ: [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه] – الحديث رقم: 3018/ 3019.

لا تكثر همك ما قُدِّر يكون

أي: لا تكثر همّك على ما فاتك من مراداتك وأصابك مما تكرهه؛ لأن ذلك بتقدير العزيز العليم الحكيم، وما قدّره وعلمه لا بدّ أن يوجده، لئلا ينقلب علمه جهلاً، وما لم يقدّره ولم يعلم وجوده لا يوجد قط، فما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك[1]، فالهمّ عبث ولغو، بل مُنافٍ لاستسلام ذي العبودية الصرفة لمن له الربوبية المطلقة، وما للعبيد لا يرضون بتصرف الملك المجيب. قال الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾، [النساء:65]. فإذا كان هذا شأن قضاء رسول الله ﷺ، الذي هو خليفته في أرضه، فكيف شأن قضاء ربّ العالمـين الذي يفعل في ملكه ما يشاء، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾، [الأنبياء: 23].

فتنبَّه من سَنن الغفلة إن كنت ذا فطنة، ولا يفهم سرَّ هذه الحكاية إلا مَن كُشِف عن قلبه الحجاب، وتجلّى له تصرف ربّ الأرباب، في المسبّبات والأسباب، مع مراعاة كمال الحكمة والعدل والإنصاف، وأنّى للمحجوب معرفة هذا المطلوب.

فكرك واختيارك دعهما وراك

أي: اترك فكرك الفاتر واختيارك العبث وراء ظهرك، فلا تنظر إليهما واجعلهما نسياً منسياً.

---

(1) وذلك في قوله ﷺ في الحديث الشريف الذي جاء عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: كنتُ خَلْفَ النبيّ ﷺ يوماً فقال: «يا غُلامُ! إني أُعَلِّمُكَ كَلِمات: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فاسألِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللَّهِ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُوكَ إلا بِشَيءٍ قد كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح؛ وفي رواية غير الترمذي زيادة: «احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أمامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللّه في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، **وَاعْلَمْ أَنَّ ما أخطأكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**» وفي آخره «وَاعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسراً». قال النووي رحمه الله تعالى: هذا حديث عظيم الموقع.

والتدبير أيضاً واشهد من براك

أي: اترك التدبير في تحصيل مراداتك ودفع مضرّاتك أيضاً، فإن ذلك عبث ولغو، بل منازعة مع من هو المنفرد في ذاته وصفاته وأفعاله، فلو اجتمعت الخلائق على أن يفعلوا ما لم يُرد الله تعالى لم يقدروا عليه أبداً، وعلى أن يدفعوا ما شاءه ما قدروا قط، فما هذا الاشتغال العبث الذي لا ينفع قط، بل فيه تضييع العمر الذي هو رأس مال العبد فيما لا ينبغي المنازعة معه، وإنما يسلّم أمره تسليماً، فمَن توكل على مولاه فقد فاز فوزاً عظيماً بمناه. ومَن لم يعتمد عليه وعارضه في مراده، فقد خسر خسراناً مبيناً. وأنَّى للعبد الذليل العاجز المخلوق أن يكون له فكر واختيار وتدبير مع ربِّه الجليل القادر القهار؟! وليس ذلك إلا من جهله بربِّه.

واعلم أن ربَّك الذي أوْجدك ولم تكن شيئاً مذكوراً، شاهدٌ عليك، حاضرٌ لديك، مدبّر لأمورك، كافٍ لحوائجك ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾، [الزمر:36] بلى إنه كاف، إلا أن العبد بجهله لربّه يتيه في افتقار الأسباب، محجوب عن رب الأرباب، فلو شاهد لتوكَّل عليه، فهو حسبه.

مولاك المهيمن إنه يراك

والذي أوجدك من العدم هو مولاك المراقب عليك، إنه يرى ظاهرك وباطنك، ولا يخفى عليه شيء من أحوالك ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، [الملك:14]. فمن كان كذلك يكون كافياً لما أوجده من العدم، وأسبغ عليه سوابغ النِّعم، وحفظه من أنواع النقم، أوَ لا يستحي العبد القاصر أن يكون له اختيار مع سيّده القهار القادر؟ فو الله لو شاهده لسلَّم إليه أمره.

فوّض له أمورك وأحسن في الظنون

أي: فوِّض أمورك كلها إلى مولاك الذي أنعم عليك بالجود، فإنها كلها بيده، وهو مصادرها وإليه مرجعها وليس لغيره منها شيء، هل مع الله شريك آخر؟! ومَن فوّض

أمره لمولاه استراح عمَّا عداه. وكذا حُسن الظن بالله تعالى في قضاء حوائجك، فإنه عند ظنّ عبده به[1]، وكيف لا وهو الكريم الوهّاب يجيبُ دعوة المضطرين، ويقضي حوائج المحتاجين، وهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، ومن لم يتوكَّل على هذا الربّ اللطيف ولم يفوّض أمره إلى هذا الكفيل، ولم يحسن الظنّ بهذا الغني الأرحم، فهو من الهالكين، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، [المائدة:23]. وكيف لا يتوكَّل على مَن بيده الأمور كلها، وهو أكرم مِن كل كريم؟! فلو شاهد المحجوبون لطف اللطيف بخلْقه الضعيف؛ لَمَا اعتمدوا إلا عليه، ولم يلتجئوا إلا إليه.

لا تكثر همّك ما قُدِّر يكون

فإنه لا مردَّ لما قدّر وقضى، بل يجب أن يقابل مقدوره بأعظم الرضا. وكيف لا، ومقدِّره هو الحكيم في أفعاله وصنائعه؟ لا يصدر منه إلا ما فيه حكمة بالغة، ولا يعرف سرّ هذا الأمر إلا من شرح الله صدره بالإيمان.

لو، ولم، وكيف: قولُ ذي الحمَقْ

أي: التلفّظ بـ «لو» عند فوت شيء محبوب، بأن يقول: لو فعلت كذا لكان كذا. وبـ «لِمْ» عند وصول مكروه، بأن يقول: لِمَ أصابني هذا؟. وبـ «كيف» عند التحيّر والتأسف، بأن يقول: كيف فاتني هذا المراد أو أصابني هذا المكروه، أوَ لا يعرف الله الذي هو عليمٌ بخلقه، حكيمٌ في صنعه، لا يسأل عن إنفاذ مشيئته.

يعتـرض علـى الله الـذي خلق　　　قضـى وقـدر كل شـي بحـق

---

(1) روى الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة: عَن أَبي هُرَيْرَةَ ﵁ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ «**يَقُولُ الله ﷻ: أَنَا عَنْدَ ظَنّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرَنِي، فإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلإٍ خَيْر مِنْهُمْ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إليّ شِبْراً اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِراعاً، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلِيّ ذِرَاعاً اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».انظر: **صحيح البخاري**: الجزء الرابع 100ـ كتاب التوحيد 15 باب: قول الله تعالى: ﴿**ويحذِّركم الله نفسه**﴾ [سورة آل عمران: 28] الحديث رقم:6970. **وصحيح مسلم**: الجزء الرابع 48ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 1 باب الحث على ذكر الله تعالى– الحديث رقم:2 (2675).

أي: لازم قوله ذلك الذي صدر من حماقته الاعتراض على الله الحكيم في تصرفاته، الذي خلق كل شيء، وقضى كل شيء، وقدّر كل شيء، متلبّساً بحق وحكمة.

واعلم أن الحكيم لا يصدر منه إلاّ ما فيه حكمة بالغة؛ وذلك لأن الحوادث إما العطايا، وإما البلايا، وإما الطاعات، وإما الخطايات، وإما المحبوبات، وإما المكروهات، وإما أمثالها. وفي كل ذلك حكمة باهرة وأسرار ظاهرة؛ لأن العطايا مظهر جماله وموجبات محبته تعالى، **والبلايا مظهر جلاله**، ومعرِّفات قهره وكبريائه، ومطهِّرة عن أوساخ الذنوب، ومنفرة عن الدنيا الدنيّة، وملجئة إلى التذلّل بين يدي مَن له الأمر كله. **والطاعات مظهر رحمته**، وموجبات قربه. **والخطايا مظهر قهره**، وكم من خطيئة أوجبت من الكرامة ما لم توجبه الطاعة؛ إذ ترتب عليها الندامة والتوبة والانكسار(1).

والمحبوبات مظاهر فضله، وبها يتحبّب إلى عباده. والمكروهات مظهر عدله، وبها يخوّف عباده عن قهره وغضبه، وهذا تلويح إلى ما لا يعدّ من الحكم، فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه، ولو أدار العاقل جواسيس فكره في الذي أودع الله من الحِكم في خلقه يعرف أن هذا النظام هو النظام الأحسن الذي لا يتصور العقل أجمل ولا أكمل منه، وكان الله على كل شيء قديراً.

واعلم أن صدور الحوادثِ من محدثها مربوط بالحكمة البالغة، ولا يتجلّى هذا الأمر الذي أشرنا إليه إلاّ لمن طهر قلبه عن الحواجب، وانكشف له تصرُّف ذي المواهب، وأنَّى للعبد الجاهل الذليل أن يعترض على الله الحكيم الجليل؟ وما ذلك إلا من احتجابه عن ربِّه.

---

(1) وفي حكم سيدي ابن عطاء الله السكندري ﷺ قوله: «معصية أورثت ذلاً وافتقاراً، خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً». فإن الذل والافتقار من أوصاف العبودية، والتحقق بهما موجب للقرب من رب البرية. وأما العز والاستكبار فإنهما من أوصاف الربوبية، والتعلق بهما مقتض للخذلان والتباعد عن المراتب العلية. ولذا قال سيدي أبو مدين ﷺ: انكسار العاصي خير من صولة المطيع. وكان مولانا أبو العباس المرسي ﷺ، ربما دخل عليه المطيع فلا يعبأ به، وربما دخل عليه العاصي فيكرمه؛ لمشاهدته أن الطائع أتى وهو متكبر بعمله، ناظر لفعله، والعاصي دخل عليه بذلة مخالفته، ومشاهدة معصيته. فينبغي أن لا ينظر العبد إلى صور الأشياء، بل إلى حقائقها. فإن أعمال البر والطاعة ليست مشروعة لذاتها، ولا مطلوبة لصورها، بل لما احتوت عليه من التذلل والخشوع، فإذا خلت من ذلك فخير منها المعصية التي تورث الخضوع.

يا قلبي تنبَّه واترك المجون

أي: يا قلبي كن متنبّهاً عن هذه الغفلة القبيحة، التي توجب الاعتراض على ربّ الأرباب. واترك المجون، وهو مصدر مَجَن مُجُوناً، والماجن: ما لا يبالي قولاً وفعلاً؛ أي: اترك فعل الجاهل الذي لا يعرف ربّه، ولذا يقول من الأقوال الدالّة على سفاهته، ويفعل ما يفعل من الأفعال الدالَّة على حماقته، واللازم على العبد أن يعرف حقيق العبودية وحق ذي الربوبية، ولا يفعل إلا ما يليق لصاحب العبودية أن يفعله أداءً لحقِّ صاحب الربوبية، ويحترز عمَّا عداه، ولا يقول إلا ما يرضاه سيّده، ومعرفة هذا موقوف على معرفة الآداب التي أدَّب الله بها أشرف خلقه، وتأدَّب بها هو؛ إذ أدَّى ذي العبودية حق ذي الربوبية، والله الموفق.

لا تكثر همّك ما قُدِّر يكون

فإن ما قَدَّر الله ﷻ لا يدفعه هموم العاجزين، ولا يمنعه عن وقوعه أوهام القاصرين، فإنَّ أسوار الأقدار لا تنخرق بخيالات ذي الاضطرار[1].

قد ضمن تعالى بالرزق القوام

أي: «قد ضمن» الله تعالى الذي خلْف وعده محال، ووجوده موعوده واجب «بالرزق»، الذي يقوم به بنيّة الخلق ويكفيه...

في الكتاب المنزل

الذي أنزله على أشرف خلقه، وجعله شارعاً لطريقه ومعجزة على صدقه.

(1) وقد أشار سيدي ابن عطاء الله السكندر ﵁ في بعض حكمه فقال: «**سَوابِقُ الهِمَمِ لا تَخْرِقُ أَسْوارَ الأَقْدَارِ**» يعني أن ما قدره الله في الأزل لا تَخْرِقُ أسوارَه المحيطة به ـ فضلاً عن أن تصل إليهَ ـ سوابقُ الهمم؛ أي لهمم السوابق، وهي قوى النفس التي تنفعل عنها الأشياء بإرادة الله تعالى، وتكون للولي كرامة، ولغيره كالساحر والعائن إهانة. وفيه تشبيه الأقدار بمدينة لها أسوار في الصيانة والحفظ، أي يجب عليك أيها المريد أن تعتقد أنَّ الهمم أسباب عادية لا تأثير لها، وما ينشأ عنها إنما هو بقضاء الله تعالى وقدره، فيكون عندها لا بها. فإرادتك خلاف ما أراده مولاك لا تجدي نفعاً، ولا تأثيراً لها في الحقيقة حتى تظن أنها توجب لك رفعاً.

نورٌ للأنام

أخرج به من ظلمات الكفر والشرك والظنون والمعاصي، إلى نور الإيمان واليقين وحسن الظنّ والطاعات، هدى به قلوباً غلفاً، وأسماعاً صمًّا، وأعيناً عُمياً، فمِنْ ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ﴾، [هود:6]. فإن هذا الوعد الأكيد هل يمكن تخلفه عمَّن لا يجوز التخلف في وعده أبداً؟ وكم من آيةٍ قرانية وأحاديث نبويّة نادت بضمان الله تعالى برزق خلقه، وقد دلَّ العقل على صدقها لو صادفت أسماعاً سامعة، وقلوباً واعية. عجباً للعبد الجهول لا يعتمد على من منه صدور الفروع والأصول، ويثق بوعْد مَنْ لا يملك ضرًّا ولا نفعاً، سبحان الله ما هذا الحجاب!!.

فالرضا فريضة والسَّخط حرام

أي: فالرضى بكلِّ ما يصدر من الحُكم مِن حيث هو صُنعه من مظهر حكمته لازم على كل عبد وأَمة. **والحاصل** أن الرضى بالكوائن لازم من حيث أن صدورها من الله الحكيم، ثم منها ما أحبَّها باريها، فيجب علينا حبها اتِّباعاً لحبه إياها. ومنها ما كرهها خالقها، فيلزم علينا كراهتها وبغضها لأجل أنه كرهها ربها، والحبّ لله والبغض من أوثق عُرَى الإيمان(1). وحقق المرام في هذا المقام، فإنه كثيراً ما يزلق فيه الأقدام، فالرضى بما قدّر وقسم الحكيم العليم فرض، والسخط به حرام. وأنَّى للعبد الحقير أن يسخط بقسمة الحكيم الخبير، وليس ذلك إلاّ من انطماس البصيرة.

والقنوع راحة، والطمع جنون

أي: القناعة بما قسم المولى بحكمته في خلقه راحة عظيمة عن تعب الظنون الفاسدة، وعدم القناعة به بَلِيَّة ونقمة، فمَن علم حقائق الأشياء مصدرها ومرجعها، فهُو في جنّة عاجلة في هذه الدار. ومَنْ لا يعلمها كذلك، وسعى بظاهره وباطنه

---

(1) وقد جاء في ذلك قوله ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**». رواه أحمد. انظر: تخريج أحاديث الإحياء ـ للحافظ العراقي: المجلد الرابع. كتاب الصبر والشكر ـ الحديث رقم: 6 .

وتحصيل شهواته من غير الطريق الذي أمره السيد أن يطلبها منه، فهو في نقمة عاجلة. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾، [الانفطار: 13، 14].

والطمع فيمن لا يملك ضرَّ نفسه ولا نفعها، فضلاً عن غيرها، جنون وخروج عن قانون العقل؛ إذ العاقل من يعقل حقائق الأمور ومصادرها ومواردها، ويأتيها من أبوابها. والسَّفيه من يجهلها ويأتيها من ظهورها.

تأمّل ـ يا أيها الأعشى ـ هذا الذي تطمع منه، هل يقدر على فعل شيء أو رفعه بدون قدرة القادر؟ كلَّا، وحاشا. ثم المطموع خسيس تنفر طباع ذوي العقول السليمة عنه، وكيف لا؟ وقد قال العارف الأكبر ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة»[1] أو كما قال، فتعقّل إن كنت ذا عقل، ولا تطمع فيما في يد العاجز من الأمتعة الفانية المبغوضة.

لا تكثر همك ما قُدِّر يكون

فلو اجتمعت الخلائق على أن ينفعوك لا ينفعُونك، إلا بما قدَّر الله تعالى. ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك لا يضرونك إلا بما قدَّره تعالى[2]، فاقطع طمعك عنهم، وأْمن من خوفهم وتوكَّل على الحيِّ الذي لا يموت.

أنت والخلائق كلهم عبيد

محتاجون في وجودكم وبقائكم وحصول مصالحكم بما يؤديكم إلى مَنْ أوجدكم من العَدم، وأفاض عليكم فواضل النِّعم، وعصمكم من كثير مِنَ النِّقم، ليس لكم من الأمر شيء وأن الأمر لله الواحد القهّار.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: «كنتُ خَلْفَ النبيّ ﷺ يوماً فقال: «يا غُلامُ! إني أُعَلِّمُكَ كَلمات: **احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فاسأل اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللَّهِ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفعُوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُوكَ إلا بِشَيءٍ قد كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**». **سنن الترمذي**: المجلد الرابع. أبواب صفة القيامة 22 باب ـ الحديث رقم: 2635. **ومسند الإمام أحمد**: المجلد الأول. مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ.

والإله فينا يفعل ما يريد

بقدرته الباهرة، وبمشيئته القاهرة، وبحكمته البالغة، لا يُسأل عما يفعل. وأنَّى للعبيد أن يكون لهم أمرٌ مع الملك المجيد.

«**همّك واغتمامك**»: في تحصيل مراداتك «**ويحك ما يفيد**»: هل تقدر على أن تغلب ربك، فتفعل ما لم يردّه، أو تدفع ما أراده؟ كلَّا، فلِمَ تضيّع عمرك في الهموم التي لا تفيد، وتعارض مَنْ له الأمر كله، تأمّل قبيح حالك وسوء فعالك إن كنت ذا عقل؛ بل اللازم عليك أن تقابل أمر سيّدك بالرضى والقبول والتسليم للربِّ الحكيم.

«**فالقضا**» بكل الكوائن «**تقدّم**»: في الأزل، فإن الحكيم العليم قد علم وجود ما يوجد، وعدم وجود ما لا يكون باقياً في عدمه، وقدَّر لكل قدر إلاّ يزيد ولا ينقص.

«**واغتنم السكون، لا تكثر همّك ما قُدِّر يكون**»: لأمر الربّ الحكيم، فإن السكون لأمره والتسليم له سبب سعادة الدارَيْن، والاضطراب والتحرك في أودية الظنون علامة البُعد والطَّرْد، فالرب يفعل ما يريد؛ سواء تريد ذلك أو لا تريد.

«**الذي لغيرك**»: في علم الله، فتقديره وقضاؤه «**لا يصِلْ إليك**»: لأن علم الله لا ينقلب جهلاً، وتقديره لا يُرَدّ، فاقطع طمعك عمَّا ليس لك، ولا تحسد أحداً من خلق الله على ما أعطاه سيده بحكمته البالغة، فإن لازم الحسد الاعتراض على الله تعالى في خلقه بحكمته، وذلك جُرْمٌ جسيم.

«**والذي قسم لك**»: في علم الله وقضائه «**حاصلٌ لديك**»: لا محالة؛ لأن ما علم الله وجوده، فوجوده واجب، وعدمه محال، وما لم يعلم وجوده فوجوده محال، فاطلب ذلك المقسوم من مولاك على الوجه الذي أمرك أن تطلبه منه. «**فاشتغل بربك**»: أي: بعبادته ولزوم بابه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾، [الذاريات: 56 ـ 58]. «**والذي عليك**»: من إتيان ما يقرِّبك إليه تعالى، واجتناب ما يبعدك عنه «**في فرض الحقيقةْ والشرع المصونْ**»: أي: المحفوظ من الخلل والشريعة معرفة آداب العبودية لذي الربوبية، كما شرحها محمَّد ﷺ.

والطريقة سلوكها على الوجه الذي سلكه ﷺ.

والحقيقة معرفة حقائق الأشياء، ووضع كلّ موضعه الذي يليق به.

والمعرفة عرفان ذات الربّ وصفاته وأفعاله من الوجه الذي بيّنه سيدنا محمَّد ﷺ، وكلٌّ يدَّعي حصول الطريق والشأن فيما يوافق سلوكه على منهاج رسول الله ﷺ، الموفق لمن يشاء بفضله.

«**لا تُكثر همك ما قُدِّر يكون. شرع المصطفى**»:من البرايا لأجل المزايا. «**الهادي**» إلى صراط مستقيم موصل إلى ربٍّ كريم، «**البشير**»: لمن قَبِل هداه، ونذير لمن عاداه.

«**ختم الأنبيا**»: الجامع لكمالاتهم المتفرّقة وفضائلهم المبتدرة. «**البدر المنير**»: الذي أذهب الله به ظلمات السيئات، وأظهر به نور الطاعات.

«**صلَّى الله عليه**»: صلاة لائقة بقدره العالي. «**الربّ القدير**»: على كل شيء. «**ما ريح الصبا مالت بالغصون**»: كناية عن دوام صلاة ربّ الموجودات على سيِّد الكائنات، صلَّى الله عليه أفضل الصلاة.

«**لا تكثر همّك ما قُدِّر يكون**»: وفي هذا الختم إشارة إلى أنَّ مَنْ أراد لزوم باب المولى، فعليه بالتعلق بركاب المصطفى ﷺ الذي هو وسيلة الله بينه وبين خلقه.

اللهمَّ وفِّقْنا لما تُحبّ وترضى، وصلِّ وسلِّم على حبيبك المرتضى، والحمْد لله ربّ العالمين.

واعلم أني ما أثبتُّ هنا هذه الرسالة برمّتها، والتي قبلها كما هي بجملتها، إلا ظنًّا مني بأن يقصد بعض الأصحاب زبر نسخة هذا الكتاب، ويقصر لعجزه وكسله عن كتابة كله، فيأخذ منه ما أراد من ذلك في نقله، فيحصل بتحصيله ما أراد، ويعزو كل شيء إلى قائله في اعتقاد أو انتقاد.

وهذه خاتمة الخاتمة رسالة من الشيخ أحمد بن علوان تُعرض على الإخوان، الذين شملتهم عناية الرحمن، وغشيتهم أنوار الرضوان، وأشرق بمقاماتهم المكان، وأسفر بأنوارهم مظلم الأوان، وضحك سروراً بهم باكي الزمان؛ إذ نشبههم بمن يكون وبمن

كان، سلام الله وبركاته ورضوانه وإحسانه وامتنانه.

وبعد، فإن المعرفة نسب، وأن التقوى حسب، وأن الخلق يُمن، وأنّ الإحسان حسن، وأن الزهد عزّ، وأن الورع حرز، وأن القناعة غِنى، وأن الطمع عمى، وأن الفقر حلم، وأن العلم عمل، وأن العمل إخلاص، وأن الإخلاص فقه، وأن الفقه فهم، وأن الفهم عين، وأن العين يقين، وأن اليقين شهود، وأن الشهود مشهود، وأنه لا فقر لمن لا علم له، ولا علم لمن لا عمل له، ولا عمل لمن لا إخلاص له، ولا إخلاص لمن لا فقه له، ولا فقه لمن لا فهم له، ولا فهم لمن لا عين له، ولا عين لمن لا يقين له، ولا يقين لمن لا شهود له، ولا شهود لمن لا مشهود له؛ فمَنْ كَمُلَت فيه هذه الأخلاق، فهو الشاهد الذي أقسم به الواحد، وهو مشهوده الذي انتهى إليه وجوده وبلغه من جنابه الكريم مقصوده، ولمعت في كواكب الملكوت سعوده، وقرب من حوض نبيّه وروده، واخضرَّ بسقيا ماء الحياة عُوده، ودنا منه يوم عَرَفَتِهِ وعيده، وصحَّ إلى بيت الله ركوعه وسجوده وطوافه وعكوفه وقيامه وقعوده وصلاته في مقام إبراهيم، وسعيه ووروده ووقوفه بمِنى وهَدْيه ورميه ووفوده، ذاك الذي فاضت عليه المِنَّة ووسعته السُّنّة، واستبشرت بقدومه الجنّة، وعمَّت بركته الإنس والجِنّـة، فكونوا ـ أيها الإخوان ـ إلى ذلك ناظرين، ولديه حاضرين، وفي أحواله وأعماله متناظرين، وعلى طريقته النبوية متناصرين.

واعلموا ـ أيها الإخوان ـ أن هذا زمانٌ عمَّت فيه الدعوى، وقلَّت فيه التقوى، واتُّبِعت فيه الأهواء، وركب التأويل، ونُبِذ التنزيل، وكثرت الأقاويل، وظهرت الأباطيل، واشتهر أهل التعطيل وعبيد الله القليل، وعرفه من القليل قليل، والعارفون من العابدين قليل، والعابدون من العامّة قليل، والواقفون من العارفين قليل، فالدليل منتظر، والقاصد جائر، والسالك حائر، والإمام محرم، والمؤتم ملتفت، والصفّ أزور، والبصير أعور، والعالم راغب، والجاهل مجانب، والغنيّ شحيح، والفقير حريص، والصوفي مخلَّط، والفقيه متأوّل؛ فما للشريعة قائم، ولا للحقيقة مزاحم، ولا للحِكَم طالب، ولا للسنن مطالب، ولا للظَّلَمة مجانب، ولا للفَسَقَة محارب، ولا للفَجَرَة مناصب، فنحنُ في تأويل ما قال من اتَّخذه الله حبيباً: «بدأ الإسلام غريب،

وسيعود غريباً»، فكونوا ـ أيها الإخوان ـ من غرباءِ الإسلام في هذه الأيام، واجتنبوا شبهة الآثام في الشراب والطعام والسماع والكلام، فإن فيها زَلَل الأقدام، ومفارقة السلف الكرام.

واعلموا أن المحجَّة قد أشرقت، وأن سحائب صيفها قد أرعدت وأبرقت، وأن سفنها قد صُنعت، وأن قلوبها قد رُفِعت، وأن رياحها قد هبَّت، وأن ألواحها قد رُكِبت، فتهيّؤوا لركوبها، وكونوا من الذين اختصّوا بها، وآمنوا بسوحها، وأتمّوا بنوحها، وسافروا بريحها، تستوي بكم في جودي الجود في مقام سيدكم محمَّد ﷺ المحمود، وتحت ظل لوائه المعقود ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ﴾، [هود: 103، 104]، أسعدنا الله وإياكم بمجاورة من أحيا به وأحياكم، ونجّانا ببركته من الشِّرك ونجاكم، إنه قريب مجيب، آمين. وصلَّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

وهذه قصيدة يخرّج من مصراعها الأول ومصراعها الآخر تاريخين، ومثلهما يخرج من تشجير أول بيوتها للحاسبين، وهي هذه: [شعر]

ك: كنز البراهين والأسرار درسني
لـلـه درّ الـذي أضـحـى مطالعه

ت: تـبـارك الـلـه كـم أودع من
حكم جلت به ارتاح ناظره وسامعه

ا : أكـرم بـه وبـتـالـيـه وكـاتـبـه
لا سـيـمـا مَـنْ هـو لـلـه طـالـعـه

ب: به ارتقى وعلا كلّ العلى ونَمَا
عـلـى سـواه ونـال الـفـخـر جامعه

ك: كفاه عن غيره في نعت سادته
دأبـاً وأيـضـاً كـفـاه مَـنْ يُـنـازعـه

ن: نجّاه عن كل مذموم يُـذَم به
بـكـلِّ مـعـنًـى بـديـع صــار رافـعـه

ز: زها بما فيه من سرٍّ وفي علن
رجـع بـه عـنـه مَــنْ كــان يـراجـعـه

ا : أبان منه الذي ذلَّ الخصوم به
لـه وأمـسـى مـضـارع مَــنْ يُضارعه

ل: لله عـبـدٌ أطــاع الـلـه مقتدياً
بالمصطفى وبـمـا قــال يُتابعه

ب: بالشرع يعمل ما يوماً يخالفه
حـسـب استطاعته مـا دام طائعه

ر: رجــاؤه فـيـه تـوفـيـق يوفّقه
مِــنْ ربِّــه دام كـي تُـحْـمـد صنائعه

ا : إمعانه في معاني مَنْ رَقُوا وعلوا
بـسَـيْـرهـم سلكوا مـا الـلـه شارعه

هـ : هانت عليه بهم صعب الأمور وقد
بــدت عـلـى كـــلِّ طـــلاع طلائعه

ي : يرى له كل أمرٍ في مطالبه
سَــهْــلٌ عـلـيـه بــلا كــدٍّ يـدافـعـه

ن : نحا إلى نحوهم في كلِّ مشكلةٍ
دامــت بتصريفهم تـصـرف وقائعه

و : وعاد عائده موصول وفي علنٍ
بـسـرِّهـم نــالَ مـا عــزّت مطامعه

ا : أعلى له علم العرفان نصباً إما
بالفتح ضمّ بفضل الله رافعه

ل : لاح له لائحٌ فيما يعاينه
واستطلعت سعده منه طوالعه

إ : إن جاءه سائلٌ يسأله مسألة
أفاده وبحُسْن القول راجعه

س : سار على منهج الأشياخ متبعاً
لما أسنوه واصله وقاطعه

ر : رقى به رتبة ما فوقها رتب
جازت على طائر النسر وواقعه

أ : أناله ما زحل بالجزم أسفلهُ
بل ذاك أسكنه ما فوق تاسعه

ر : راعى حدود إله الخلق أجْمعها
وقام مِنْ دونها بالحقّ صادعه

د : داب في حفظها حتى تأتى له
ما عزَّ من ذاك دانيه وشائعه

ر : رؤوف بالناس ما دام يحبّ لهم
بما أحبَّ إذا جُبِلت طبائعه

س : ساد بما ناله من كلِّ مكرمةٍ
بكل قطر له بالنَّعْت ذائعه

ن : نادى مناديه: من طاع الإله يطع
رسوله ولمن بالأمر تابعه

ي : يـهـتـزّ مــن خــوفــه لـلـه قالبه
وقـلـبـه قــد نـبـع بـالــذِّكــر تابعه

أ : أحيا به الله أموات القلوب وقد
بـــه أمـــات لـنـفـس الــســوء هاجعه

ل : له سحائب جود الفضل ماطرةٌ
سقـى بـهـا كــلَّ مـا قــد كــان زارعــه

ف : فــاز بمطلوبه مــن ربِّــه علناً
وقـــد أَمِـــن مــن بـــلاءٍ كـــان رائـعـه

هـ : هانت عليه جميع المشكلات من
الأمـــر لــم يــزل بـالـجـوف جـازعـه

ش : شرح صدراً له الرحمن إذ سعدا
بـنـور إيـمـان حــلَّ الـقـلـب لامعه

ي : يضيء به كـلَّ حين لا يفارقه
بـالـقـلـب غـاربـه بـالـعـيـن طالعه

خ : خياله نصب عينيه بساكنه
فــالـحــال نـاصـبـه والـعـلـم رافـعـه

أ : أمــالــه قــطّ مـا يــومـاً بخائبة
مــن ربِّـــه دامـــت الحسنى تُتابعه

م : منٌّ من الله بالمختار حصّله
بـــه اغـتـنـى فـلــذا زانـــت بضائعه

د : دوام تلقّـــاه مســـروراً بخالقـــه
مـــا قـــط آيـــس ومـــا أَمـــن قـواطـعـه

هـ :	هـام بما عنده في كـلِّ مهمهة
وما أخـاف بـأن تـتـلـف ودائـعـه

أ :	أمـانـه حـازه فيما يـخـاف له
بـخـوف أمـنـه هـواه مـهـيـعـه

ل :	لحاه مـن حبِّه فيما يـراه به
مـن مـعـصـرات مـخـبـآت فجائعه

ل :	لجا إلى الله فيما شاء من أمل
فـمـا يـراه يـضـرّ صـار نـافـعـه

هـ :	هـوى هـو وفـنـاه فـي
محبته ببحر تياركم مـوج يدافعه

ب :	بـدا لـه مـذ تـبـدَّى فـي بدايته
بـقـدرة الـلـه مـن عـاداه قامعه

ا :	آمـال أعـداه لا تنفك خائبة
مَـنْ جـاء يـؤذيـه فالرحمن دافعه

م :	مَنْ غالب الله مغلوباً بلا جَدَلٍ
مـاضـيـه بـالـحـال يشبهه مضارعه

د :	دامـت له بالنبي في ذا مسرَّته
بحفظه قـد وصـل مَـنْ كـان قاطعه

ا :	الـلـه نـاصـره، الـلـه حافظه،
الـلـه راويـه، الـلـه شـائـعـه

د :	دنـا بـه فـي كـلِّ نـائـبـة
فـمـا دعـا قـط إلا وهـو سامعه

هـ : هـذا تمام ختام الكنز أرّخـه
بـالـفـوز بـشّـر تـالـيـه وجـامـعـه

ألفه شيخ أمدَّه الله بإمداده

1192 125 446 502 126

وقلت أيضاً:

ادعــو اللــه وقولــوا يــا كــرام: ربّنــا يسّــر لنــا حســن الختــام
بالنبــيِّ المصطفــى خيــر الورى مَــنْ بــه لاذَ حقيقــاً لا يُضــام
واســألوه يغفــر الذنــب الــذي أثقــل المدعــو بجفر فــي الأنام
مــا لــه مِــن عمــلٍ يرجــو غداً نفعــه بيــن المــلا حيــن القيــام
للخطايــا لا يــزال كاســباً أســود الوجــه شــبيهاً بالظـلاّم
كلّكــم نــادوا بســرٍّ وعلــن يــا محبِّيــه دوامــا يــا كــرام
مثــل مــا العــام حكــم تاريخه رحمــة اللــه على **الجفــري** دوام
ختمهــا بالحمــد للــه الكريــم وعلــى طــه صــلاةٌ مــع ســلام
مــا همــى مزن ومــا هــبّ الصّبا وعبــق طيــب ومــا نــاح حمام

تمّ المطلوبُ بفضل علّام الغيوب، بتاريخ فاتحة ذي القعدة الحرام، حادي عشر شهور سنة 1199، تسعة وتسعين من القرن الثاني عشر من هجرة النبيّ المصطفى خير البشر، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

قد تمّ طبع كتاب «كنز البراهين» بعون الله الملك المعين، واسْتَوَت سفينة طبعه على جودي التمام في أحسن ترتيب وأكمل نظام، فالحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات؛ أنْ يسَّر لنا إتمامه على أكمل الحالات؛ على ذمة ملتزمه العمدة الفاضل المعظم المكرم والجهبذي اللَّوْذعي المبجّل المفخم السيد سعيد بن عبد الكريم باخذلقي، أدام الله عليه تمام النعم، ووالى عليه سحائب الفضل والكرم، بإشارة العارف الرباني،

والهيكل الصمداني، السيد فضل بن السيد علوي بن محمد بن سهل مولى الدّويلة، أمَّدنا الله بإمداداته، ونفعنا والمسلمين بصالح دعواته. اللهمَّ كُنْ لهما حافظاً ومعيناً، وناصراً وراعياً وأميناً، بجاه سيد المرسلين وخاتم النبيِّين، وعلى آله وصحبه أجمعين. بتصحيح الأوْحَد الهمام، جهبذي العلماء الأعلام، الشيخ علي المخللاتي، عامله الله بلطفه في الماضي والآتي، وذلك بقلم الراجي عفو سيده ومولاه أحمد الحريري، غفر الله له ولوالديه ومَنْ والاه، والصلاة والسلام على حبيب الله. تحريراً في سلخ ربيع الأول، سنة 1281، ألف ومائتان إحدى وثمانين هجرية، على صاحبها أفضل السلام وأزكى التحية، وآله وأصحابه أولي المراتب العلية، آمين[1].

---

(1) يقول راجي عفو مولاه الودود بسام محمد بارود: وأرجو من الله العلي الكريم أن يتقبل مني ما بذلت من جهد في تصحيح وتنقيح وخدمة هذا الكتاب المستطاب وفق ما ورد فيه من أحاديث شريفة وردها إلى أصولها من كتب الحديث وغيرها من المصادر، سائلاً المولى أن يصلح القلوب والنيات ويبارك في الأعمال الصالحات، كما أسأله ﷻ وأعوذ به ـ كما تعوذ به رسوله الكريم ﷺ ـ من خليل ماكر عيناه ترياني وقلبه يرعاني إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها، وأن يجعل هذا العمل من العلم النافع لي في الدنيا والآخرة بجاه الحبيب الأعظم والرسول الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولنختم كلامَنا بما ختم به إمامنا الجليل حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه كتابه «الإحياء» الذي قلَّ القليل من أمثاله، تفاؤلاً بفأله، وتبركاً بزاكي مقاله، واستمداداً لفيض أفضاله، ونرجو من فضل مولانا وجزيل نواله أن يشملنا ويصلحنا ويقبلنا بحقِّ [سيِّدِنا] محمد ﷺ وآله، وأن يلحقنا بساداتنا ومشايخنا في أقوالهم وأعمالهم، ويلبِسَنا من حليِّ جمالهم، وجليِّ كمالهم، وجميع أحوالهم، وما ذلك على الله بعزيز، ونستغفر الله تعالى من كلِّ ما زلَّت به القدم، أو طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا، ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالُنا، ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة من دين الله مع التقصير فيه، ونستغفره من كلِّ علم أو عمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره، ونستغفره من كلِّ وعدٍ وعدناه به من أنفسنا ثم قصَّرنا في الوَفاء به، ونستغفره من كُلِّ نعمة أنعم بها علينا فاستعنَّا بها على معصيته، ونستغفره من كُلِّ خطرة دعتنا إلى تصنع وتزين في كتاب سطَّرناه، أو كلام نظمناه، أو علم أفدناه أو استفدناه، ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كُلِّه لنا ولمن طالع في كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن يكرم بالمغفرة والرحمة، والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً وباطناً، فإنَّ الكرم عميم، والرحمةَ واسعة، والجودَ على أصناف الخلائق فائض، ونحن خلْقٌ من خلق الله لا وسيلة لنا إليه إلا فضلُه وكرمُه»، انتهى. قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، حسبي الله لا إله إلا الله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسولُه إنا إلى الله راغبون، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسلام على المرسلين وعلى عباده الصالحين وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم، والحمد لله رب العالمين، آمين اللَّهُمَّ آمين.

كتبه:

محب آل البيت الكرام أهل الكرم والجود

بسام محمد بارود

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

ومن قال آمين

أبوظبي المحروسة

دولة الإمارات العربية دفع الله عنها كل بلاء وبلية

غرة شهر رجب الفرد 1441 هجرية

الموافق للخامس والعشرين من شهر فبراير 2020 م.

فهرس الموضوعات

ترجمة [سيدنا ومولانا الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه] 5

[وهو لبس مِن ابن أبي طالب مَن قد حاز ما قد حاز من جدِّ الحسن] 37

ترجمة [سيدي أبي مدين شعيب رضي الله عنه] 41

ترجمة [حجة الإسلام سيدي الإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه وأرضاه] 79

ترجمة [سيدي أبي محمد عبد الله الجويني رضي الله عنه] 91

ترجمة [الإمام العارف بالله تعالى أبي طالب المكي رضي الله عنه] 93

ترجمة [الإمام الشبلي رضي الله عنه].. 95

ترجمة [الإمام الجنيد رضي الله عنه] 99

ترجمة [العارف بالله تعالى سيدي أبي الحسن السري بن المغَلِّس
السَّقَطي رضي الله عنه].. 105

ترجمة [سيدي العارف بالله تعالى معروف الكرخي رضي الله عنه] 109

ترجمة [العارف بالله سيدي داود الطائي رضي الله عنه] 111

ترجمة [العارف بالله سيدي حبيب العجمي رضي الله عنه]............................ 113

ترجمة [سيدنا الإمام الحسن البصري رضي الله عنه]................................ 115

[فصل] 123

تكملة 132

[ترجمة [الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه] 139

[بعض من سيرة سيد الوجود حبيبنا ومولانا محمد ﷺ] 203
أربعون حديثاً مسندة في فضائل [لا إله إلا الله] 283
فصلٌ في سر [لا إله إلا الله] 297
فصل [فيما جاء في الملائكة عليهم السلام] 329
ومن دون كيف من إله العالمين 345
ترجمة [سيدي العارف بالله محمد بن عبد الرَّحمن بن محمد بن أحمد
بن حسين بن الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه] 369
[خاتمة] 391